



# مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل

مجلة دورية محكمة

تصدر عن "المركز الديمقراطي العربي" ألمانيا – برلين.  
تُعنى المجلة بالدراسات والبحوث والأوراق البحثية عمومًا في مجالات  
العلوم السياسية والعلاقات الدولية وكافة القضايا المتعلقة بالقارة  
الأفريقية ودول حوض النيل.

المجلد الرابع/العدد السادس عشر- يونيو 2022.

الترميز الدولي:

ISSN (Print) 2569-7269

ISSN (online) 2569-734X

التصنيف حسب AIMGSJ

B+

المركز الديمقراطي العربي-ألمانيا، برلين

Berlin 10315 Gensinger Str: 112

Tel: 0049-Code Germany

030- 54884375

030- 91499898

030- 86450098

mobiltelefon: 00491742783717

رئيس المركز الديمقراطي العربي

أ. عمار شرعان

رئيس التحرير:

د. إبراهيم الأنصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

نائب رئيس التحرير:

د. سعيد كمتي: تخصص الجغرافية البشرية، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال، المغرب.

نائب رئيس التحرير التنفيذي

ب.د محمد سنوسي - قسم الدراسات الدولية (تخصص الدراسات الأفريقية) / جامعة الجزائر 3.

مدير التحرير

د. عبد الله الحجوي: تخصص جغرافية الأرياف، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، المغرب

نائب مدير التحرير

د. شيماء الهواري: دكتورة في القانون العام والسياسات العمومية، جامعة الحسن الثاني المحمدية، ومتخصصة في الإعلام السياسي

الدولي، المغرب

أعضاء هيئة التحرير

- د. فاطمة الزهراء زناكي - جامعة ابن طفيل القنيطرة - المغرب.
- د. محمد أبحر - المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال - المغرب.
- د. جمال الدين ناسك - المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال - المغرب.
- د. إبراهيم النجار: نائب رئيس تحرير الأهرام ومدير المركز المصري للتواصل الحضاري ومناهضة التطرف الفكري، باحث في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.
- حسن كلي ورتي، موظف في وزارة الشؤون الخارجية/قسم التكامل الإفريقي، التشاد، محضر درجة الدكتوراه، جامعة محمد الخامس بالرباط أكادال. كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية الرباط.
- د. ليلى حنانة - جامعة محمد الخامس الرباط - المغرب.

التنسيق والمراجعة اللغوية:

✓ اللغة العربية:

- ليلى حنانة، باحثة في السيميائيات، جامعة محمد الخامس.
- د. فاطمة الزهراء إلهامي، باحثة في السوسولوجيا.
- د. خالد العلوي، باحث في الجغرافيا.

- أنور بنيعيش: عضو هيئة التدريس التربوي بأكاديمية طنجة الحسيمة تطوان - المغرب.
- احمد هيهات: مفتش تربوي للتعليم الثانوي بأكاديمية بني ملال خنيفرة - المغرب.
- حسين حسين زيدان: د. العلوم التربوية والنفسية الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي العراق.
- فضيل ناصري: مفتش التعليم الثانوي، تخصص اللغة العربية-جهة العيون الساقية الحمراء (المغرب)
- شكاك سعيد: ذ. بالمركز الجهوي للتربية والتكوين الدار البيضاء-سطات المغرب.
- د. أيوب آيت فارية أستاذ اللغة العربية بجامعة ابن زهر أكادير - المغرب.
- د. مصطفى محمد أبو النور أستاذ اللغة العربية بجامعة الشارقة.
- د. بوجمعة وعلي- المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال - المغرب.

**- اللغة الفرنسية:**

- ذ. عبد الرؤوف مرتضى - المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال - المغرب.
- ذ. عمادي عبد الحكيم: ذ. اللغة الفرنسية- المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال - المغرب.

**- اللغة الإنجليزية:**

- ذ. خالد الشاوش كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة السلطان مولاي سليمان (المغرب).
- هشام معدان المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال

**رئيس اللجنة العلمية:**

د. إبراهيم الأصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

**اللجنة العلمية:**

- الدكتورة إيمان مختاري: دراسات استراتيجية-المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية- الجزائر.
- د. آمال خالي: دكتوراه دراسات دولية/المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية- الجزائر.
- د. لطفي صور: علوم سياسية ودراسات دولية - جامعة معسكر - الجزائر.
- د. حلال أمينة: علاقات دولية ودراسات أفريقية- جامعة الجزائر3.
- د. عبد الرزاق أبو الصبر، ذ. باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د. محمد حسان دواحي: دراسات دولية ونظم سياسية مقارنة/جامعة مستغانم - الجزائر.
- دة. وفاء الفيلاي: أستاذة التعليم العالي تخصص القانون الدستوري وعلم السياسة كلية الحقوق الرباط -المغرب.
- د. عبد الواحد بوبرية: أستاذ التعليم العالي، الجغرافيا البشرية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله المغرب.
- د. عبد المالك بنصالح، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د. بوجمعة وعلي- المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال - المغرب.
- عيسى البوزيدي، أستاذ التعليم العالي، شعبة الجغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة
- د. البشير المتقي: أستاذ التعليم العالي، القانون الدستوري بجامعة القاضي عياض مراكش - المغرب.

- د. عبد العزيز والغازي: أستاذ الجغرافيا بجامعة ابن زهر أكادير- المغرب
- د. سعيد كمتي، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د. الحسين عماري: دكتوراه في التاريخ - المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال - المغرب
- د. بلبول نصيرة: أستاذة علم الاجتماع بكلية العلوم الاجتماعية جامعة زيان عاشور الجلفة - الجزائر.
- د. رحماني ليلي: أستاذة محاضر قسم ب، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية- المركز الجامعي نور البشير البيض الجزائر.
- د. غادة أنيس أحمد البياع: مدرس الاقتصاد، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة مصر.
- د. عبد الواحد شيكر، ذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين خريبكة، المغرب.
- د. سالم تالحت، ذ. باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، الدار البيضاء، المغرب.
- د. بوغروج لمياء: أستاذة محاضرة قسم أ بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة.
- د. حطاب أسمهان: أستاذة مؤقتة في جامعة الجزائر 3 قسم العلوم السياسية والإعلام والاتصال الجزائر.
- د. إدريس بوزيدي: دكتور في القانون العام واللغة والتواصل جامعة الحسن الثاني المحمدية المغرب.
- د. رانيا عبد النعيم العشران: دكتوراه الفلسفة في علم الاجتماع / الجامعة الأردنية.
- د. آمنه حسين محمد سرحان: دكتوراه علوم سياسية مسار علاقات دولية من جامعة القاهرة مصر.
- د. جامع سموك: كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة القاضي عياض مراكش- المغرب.
- د. محمد جلال العدناني: أستاذ اقتصاد جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال- المغرب.
- د. بن عمارة محمد: أستاذ جامعي: بجامعة ابن خلدون تيارت - الولاية تيارت الجزائر.
- د. علي عبودي نعمه الجبوري أستاذ جامعي وباحث في إدارة الأعمال جامعة الكوفة العراق أستاذ تسويق والموارد البشرية العراق.
- د. أوان عبد الله الفيضي، كلية الحقوق - جامعة الموصل، العراق.
- د. أحمد عبد السلام فاضل مهدي السامرائي، التاريخ الحديث والمعاصر، العلاقات الدولية المغرب، اسبانيا-العراق.
- د. خالد الحاضري كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
- د. محمد بواط: أستاذ محاضر قسم أ كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف.
- د. مشرفي عبد القادر: أستاذ محاضر كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم.
- د. سمير بوعافية: أستاذ محاضر بكلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة البشير الإبراهيمي - الجزائر.
- محمد عدار ابن علي وعمبروش بجهة: أستاذ محاضر(ب) جامعة "أحمد بوقرة" بومرداس المدرسة الوطنية التحضيرية لدراسات مهندس - باجي مختار- الرويبة - نع1 الجزائر.
- د. قحطان حسين طاهر: دكتوراه علوم سياسية أستاذ مساعد جامعة بابل العراق.
- د. محمد بوبوش: أستاذ التعليم العالي، الكلية المتعددة التخصصات-الناظور-جامعة محمد الأول المغرب.
- د. بوذريع صاليحة: أستاذة محاضرة علوم بيئية جامعة حسيبة بن بوعلي شلف الجزائر.
- د. قاضي نجا: أستاذة محاضرة كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وجامعة خميس مليانة الجزائر:

- د. جاسم محمد علي الطحان رئيس قسم الإدارة والاقتصاد أستاذ مساعد كلية الرشيد للتعليم المختلط تركيا.
- د. سالم محمد ميلاد الحاج: ذ مساعد جامعة المرقب كلية الآداب والعلوم مسلاته، علم الاجتماع، ليبيا.
- د. لخرش عبد الرحيم: أستاذ مؤقت، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، غرداية الجزائر.
- د. عمرو محمد يوسف محمد المدرس: أستاذ بقسم الاقتصاد والمالية العامة المعهد المصري أكاديمية الإسكندرية للإدارة والمحاسبة وزارة التعليم العالي جمهورية مصر العربية.
- د. بوصبيح صالح رحيمة: أستاذ محاضر "أ" جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي الجزائر.
- د. حسن رامو: أستاذ التعليم العالي مؤهل، معهد الدراسات الإفريقية - جامعة محمد الخامس - الرباط المغرب.
- د. خليفة محمد بلخير أستاذة محاضرة، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير جامعة الجيلاي بونعامة الجزائر.
- الدكتور عبد القادر التايري أستاذ الجغرافيا البشرية بجامعة محمد الأول، وجدة.
- د. جواد الزروقي أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء

### شروط النشر بالمجلة:

1. أن يكون البحث أصيلا معدّ خصيصا للمجلة، وألا يكون جزءا من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه.
2. ألا يكون البحث قد نشر جزئيا أو كليًا في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.
3. أن يرفق البحث بسيرة ذاتية للباحث باللغة العربية واللغة الإنجليزية أو الفرنسية.
4. يرسل الباحث البحث المنسق في ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الإلكتروني:  
[africa@democraticac.de](mailto:africa@democraticac.de)
5. تخضع الأبحاث والترجمات إلى تحكيم سرّي من طرف هيئة علمية واستشارية دولية، والأبحاث المرفوضة يبلغ أصحابها دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
6. يبلغ الباحث باستلام البحث ويحوّل بحثه مباشرة للهيئة العلمية الاستشارية.
7. يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر بقرار اللجنة العلمية وبموافقة هيئة التحرير على نشرها.
8. الأبحاث التي ترى اللجنة العلمية أنها قابلة للنشر وعلى الباحثين إجراء تعديلات عليها، تسلم للباحثين قرار المحكم مع مرفق خاص بالملاحظات، على الباحث الالتزام بالملاحظات في مدة تحددها هيئة التحرير.
- يستلم كل باحث قام بالنشر ضمن أعداد المجلة: شهادة نشر وهي وثيقة رسمية صادرة عن إدارة المركز الديمقراطي العربي وعن إدارة المجلة تشهد بنشر المقال العلمي الخاضع لتحكيم، ويستلم الباحث شهادته بعد أسبوع كأقصى حد من تاريخ إصدار المجلة.
9. للمجلة إصدار إلكتروني حصري صادر عن المركز الديمقراطي العربي كما أنها حاصلة على الترميز الدولي:

10. لا يراعى أي أسبقية في نشر المواد العلمية ضمن أعداد المجلة، بحيث أن المعيار الأساسي لقبول النشر ضمن أعداد المجلة هو جودة وأصالة المادة العلمية وسلامة اللغة والعناية بكل ما يتعلق بالضوابط المنهجية في البحث العلمي.
11. أي تقرير صادر من اللجنة العلمية بما يتعلق بالسرقة العلمية فسيحتمل الباحث تبعات وإجراءات كما هو متعارف عليه في سياسات المجلة العلمية الدولية.
12. تعتبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها، كما يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة.
13. تعرض المقالات إلى مدققين ومراجعين لغويين قبل صدورها في أعداد المجلة.
14. لغات المجلة هي: العربية، الإنجليزية والفرنسية.
15. في حالة الترجمة يرجى توضيح سيرة ذاتية لصاحب المقال الأصلي وجهة الإصدار باللغة الأصلية.

### كيفية إعداد البحث للنشر:

- يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها.
- الملخص التنفيذي باللغة العربية- الإنجليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس كلمات، كما يقدم الملخص بجملة قصيرة، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل إليها البحث.
- تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشراتته الرئيسية، وصف منهجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.
- كما يجب أن يكون البحث مذبلاً بقائمة ببليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش، وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.
- أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقاً لنظام الإحالات المرجعية الذي يعتمده "المركز الديمقراطي العربي" في أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع.
- تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في متن البحث، ويذكر الرقم والمرجع المتعلق به في قائمة المراجع.
- ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائياً في القائمة حسب اسم المؤلف وفقاً للاتى:
- أ- إذا كان المرجع بحثاً في دورية: اسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث واسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

- ب- إذا كان المرجع كتابا، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.
- ج- إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، اسم الجامعة، السنة.
- د- إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب اسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر. يراوح عدد كلمات البحث بين 2000 و7000 كلمة، وللمجلة أن تنشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد من الكلمات.
- يتم تنسيق الورقة على قياس 25/21، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالتالي:

- نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هو **Sakkal Majalla**

- حجم 16 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، 14 غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و14 عادي بالنسبة لحجم المتن.

- حجم 11 عادي للجداول والأشكال، وحجم 12 عادي بالنسبة للملخص والهوامش.

- نوع الخط في الأبحاث باللغة الإنجليزية **Times New Roman**، حجم 14 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم 12 غامق للعناوين الفرعية، 12 عادي لمتن البحث وترقيم الصفحات، 11 عادي للجداول والأشكال، 10 عادي للملخص والهوامش.

- يراعي عند تقديم المادة البحثية، التباعد المفرد مع ترك هوامش مناسب 2,5 على اليمين واليسار و2 أعلى وأسفل،

قصد تسهيل عملية تنسيق المقالات والأبحاث فإن المجلة تضع رهن إشارة المهتمين قالب يحترم الضوابط الشكلية.

وتعتمد "مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكمة. والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالتحكيم في الاختصاصات كافة.

وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الأكاديميين من الدول العربية والأفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة. حيث أن "المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية" جهة إصدار "مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل"

الصفحة	الفهرست	رت
11	افتتاحية العدد بقلم: د. بوجمعة وعلي، أستاذ العليم العالي مساعد، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال خنيفرة - المغرب	1
12	منظومة التعمير بين التشريع ومتطلبات التنمية الشاملة في العالم القروي بالمغرب خالد الحاضري- حاميد اعنير	2
34	دراسة الأثر البيئي لانبعاثات غبار المقالع في الجوباستعمال نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد- نموذج مقال إقليم بنسليمان . كتابي صلاح الدين- كردود عبد الحميد	3
56	العوامل المتحكمة في تدهور وتراجع المجال الغابوي للمعمورة وسبل الحماية والمحافظة البوعناني ربيعة،- عرشان أوحمو- البوزيدي عيسى	4
76	وضعية التراث العمراني بولاية بشار واستراتيجيات تثمينه والحفاظ عليه د. سليم دهيمي- عبد الصمد صديقي- د. زهير النامي	5
93	شرق السودان والمطامع الإثيوبية(دراسة حالة منطقة الفشقة) أحمد سليمان أبكر	6
114	الحضور الاقتصادي للمغرب بإفريقيا د: عبد الحق بوضحبا	7
137	الإطار القانوني لعمل الشباب في تشريعات الاستثمار- دراسة مقارنة د. علي حسين الجيلاني حسين	8
154	التنمية في حوض سبو: صعوبات الواقع، ومطلب الجهوية المتقدمة سهيل بوعملات	9
174	النخبة السياسية المغربية بالمنطقة الخليفية عبد الفتاح ايت ادري،	10
182	التوجهات الثقافية للسياسة الإفريقية للمملكة المغربية د. رضوان الوهابي	11
206	المغاربة وجدلية الديني والدنيوي في مواجهة الأزمات د. عبد الغني العمراني	12

226	السياحة الجبلية وأثرها على وضعية المرأة القروية بإقليم أزيلال: حالة الجماعات الترابية زاوية أحنصال، تباننت وأيت تاكلا. عبد الصمد الزو،	13
243	دور المرأة القروية في التنمية الترابية بمنطقة الغرب حالة جماعة زيارة الموحدى مديحة- أطالب عبد السلام- مرو محمد	14
267	الجبال بجهة بني ملال خنيفرة: الصناعة التقليدية والتنمية الترابية يونس سيف النصر	15
281	Genre et éducation sexuelle dans le système éducatif marocain Zouhair GASSIM - Aicha BARKAOUI	16

ما تزال إفريقيا أو على الأصح معظم دولها تعيش كل مظاهر التخلف واليأس (جهل، حروب، مجاعات، هجرة، فقر...)، ليس لأنها قارة فقيرة اقتصاديا وبشريا كما يردد البعض، بل لأنها غير مستقلة سياسيا واقتصاديا وثقافيا ولغويا... نتيجة عوامل متعددة نختصرها في:

1- غياب نظام الحكم الديمقراطي: ذلك أن الدول الغربية وخاصة التي استعمرت إفريقيا ما تزال تتحكم في خيوط اللعبة السياسية لهذه الدول، تدعم من تشاء وتسقط من تريد، من خلال وسائل متعددة أهمها الانقلابات العسكرية، التي تنتج أنظمة لا تقيم لصناديق الاقتراع وتنافس الأفكار والمشاريع السياسية والاقتصادية أي وزن، بل إنها لا تؤمن أساسا بالحرية والاختلاف وحقوق الإنسان... وهي الركائز الأساسية لأي نهضة اقتصادية واجتماعية ممكنة.

2- التبعية الاقتصادية: ذلك أن الأنظمة غير الديمقراطية تكون عادة تابعة لمن يدعمها سياسيا وعسكريا واقتصاديا... وبالتالي تكون رهينة لكثير من حسابات الدول التي تتحكم فيها، مما يعيق كل فرص التطور والتنمية، لتبقى هذه الدول أسواقا صناعية وتجارية لغيرها.

3- التبعية الثقافية واللغوية: وهما سبب ونتيجة في الوقت ذاته للتبعية السياسية والاقتصادية، فالثقافة واللغة وسيلتان هامان للسيطرة وتأييد التبعية، بل إنهما أخطر من القوة العسكرية، وهو ما أكده أحد السياسيين الفرنسيين حينما قال بأن فرنسا حققت في إفريقيا بالثقافة واللغة ما لم تحققه بالقوة العسكرية.

4- الفساد وسوء تدبير الموارد الاقتصادية: ذلك أن الأنظمة التي لم تختبرها شعوبها بانتخابات حرة ونزيهة، لا يمكن أن تكون معبرة ووفية لطموحاتها وأحلامها في التنمية والعيش الكريم، لذلك فإن معظم الأنظمة الحاكمة في إفريقيا أنظمة استبدادية تابعة للدول التي تدعمها، وبالتالي فإن غياب المحاسبة السياسية والقضائية يشجع الحكام والمسؤولين على الفساد والنهب وتهريب الأموال إلى الخارج وتفويت الثروات المعدنية والفلاحية... إلى الشركات الأجنبية حيث لا يستفيد المواطنون من ذلك شيئا.

5- الاقتراض من الخارج: رغم أن كثير من الدول الإفريقية تمتلك ثروات اقتصادية ضخمة (حديد، فوسفات، ذهب، ماس، سمك، بترول، غاز، أراضي فلاحية خصبة...)، ولا تحتاج إلا إلى تدبيرها بشكل جيد وعقلاني، يعود على شعوبها بالمنفعة... ما زالت هذه الدول تلتجئ إلى الاقتراض من الدول والمؤسسات المالية الدولية، مما يجعلها فاقدة للسيادة الوطنية اتجاه الجهات المقترضة على كل المجالات.

غير أن هذا الوضع، بدأ يتغير في إفريقيا ولو بشكل محتشم وبطيء بعد تطور الوعي الجماعي للشعوب الإفريقية ووصول بعض الأنظمة إلى الحكم من خلال انتخابات حرة ونزيهة، وخاصة في إثيوبيا وأنغولا والكويت ديفوار وجنوب إفريقيا ورواندا وغانا...، حيث بدأت نتائج الحكم الديمقراطي تظهر على هذه الدول من خلال ما حققته من مكاسب في الاقتصاد والتعليم والبحث العلمي، وأيضا في البنية التحتية (طرق، مطارات، جامعات...); التي تعرف تطورا هائلا في بعض الدول ومنها رواندا التي تعتبر اليوم من أهم الاقتصادات الواعدة في إفريقيا.

منظومة التعمير بين التشريع ومتطلبات التنمية الشاملة في العالم القروي بالمغرب  
The reconstruction system between legislation and the requirements of  
comprehensive development in the rural world in Morocco

د. خالد الحاضري: أستاذ باحث كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمرآكش فريق البحث "التدبير الجهوي والتنمية الترابية"

[Elh-82.fr@hotmail.fr](mailto:Elh-82.fr@hotmail.fr)

د. حاميداعنيير أستاذ باحث ومكون بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين الدار البيضاء – سطات فرع الجديدة المغرب

[anaibarhamid@gmail.com](mailto:anaibarhamid@gmail.com)

ملخص: تناقش هذه الورقة البحثية إشكالية إشكالية تدير التعمير باعتباره الرافعة الأساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وعامل إنتاج استراتيجي، وذلك بالنظر إلى أهمية إنجاز البنيات التحتية الأساسية والمرافق والتجهيزات العمومية الملائمة لحاجيات مختلفة الشرائح والتشكيلات الاجتماعية بالأرياف، بيد أن النظام التشريع بالبوادي المغربية يواجه عدة اكراهات تحول دون تحقيق التنمية الشاملة، والناجئة عن تعدد الفاعلين والمتدخلين في البناء في العالم القروي، فضلا عن عدم ملائمة القانون المنظم للبناء مع خصوصية بعض الجهات. وهو الأمر الذي يطرح إشكالية مدى مواكبة القوانين للتطورات الجارية. ولم تقتصر مكانم الضعف عن هذا الحد، بل أن تلك التشريعات والقوانين الجاري بها العمل في مجال البناء بالعالم القروي، لا تنص صراحة على المحافظة على تنوع وثراء الخصوصية المعمارية للسكن القروي.

الكلمات المفاتيح: السكن الريفي- الإصلاح الزراعي- الأراضي المسقية

**Abstract:** : *This article discusses the problem of interventionists in construction in the rural world in Morocco; it also discusses some aspects related to the suitability of regulatory laws with the specifics of building in the rural area in Morocco. This articles table indicates the inappropriateness of de law regulating the following areas in the field of branches of the academic wing the diversity of de geographical area. The weaknesses were not limited tit hiss, rather thèse legisations do not explicitly stipulate the preservation, diversity and richness of the rural architectural heritage, contributed to the establishment and the distortion of the landscape in various aspects.*

**Key words:** rural architectural – The actors- Architectural identify- Protection of agricultural

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م

تقديم:

يعتبر السكن القروي إطارا أوسع للعيش، وليس مرادفا للسكن، بل هو وحدة مجالية ووظيفية، يقوم بأكثر من وظيفة، حيث يأوي الأسر ووسائل الإنتاج، ويؤدي وظائف ترتبط بأسلوب عيش الساكنة القروية، سواء في ميدان الفلاحة أو تربية الماشية أو الصناعة التقليدية والتجارة. يرتبط السكن القروي بعلاقة وثيقة بالمؤسسات الجماعية التقليدية، كالزوايا والمدارس العتيقة والمخازن الجماعية، وبمؤسسات أخرى ذات طابع سوسيواقتصادي، كالسوق الأسبوعي والجماعة الترابية والمسالك الطرقية. لكل هذه الاعتبارات فإن السكن القروي، يعتبر اليوم مكونا أساسيا من مكونات الرأسمال المادي وغير المادي، بالنظر إلى وجود ثراء مهم على مستوى أشكال التي تميز مختلف المباني، ووجود خبرات ومهارات ومحلية وتكنولوجيا ملائمة لخصائص الأوساط القروية وتنوعها<sup>1</sup>.

ومن أجل تنظيم واقع السكن الريفي، والحد من انتشاره العشوائي وحماية الأراضي الفلاحية ذات المؤهلات الإنتاجية، وكذا حماية بعض الأوساط ذات خصوصيات معينة، استراتيجية كانت أم إنتاجية، عمل المشرع المغربي على بلورة القانون المنظم للبناء في العالم القروي، حيث أضحت عملية تشييد البنايات الجديدة أو اصلاحها تمر بالضرورة عبر الحصول على رخصة البناء أو الإصلاح. وبالرغم من دخول هذا القانون حيز التنفيذ منذ سنة 1992، فقد استمر التوسع الفوضوي للسكن سواء بالمراكز الصاعدة أو بمحيط المدن أو في عمق الأرياف المحلية. كما أن السكن المتشتت، والذي تترتب عنه تداعيات سلبية على الأراضي الفلاحية، وخاصة فيما يتعلق بمستوى تدخل الدولة لتوفير الخدمات الأساسية والاجتماعية بات يشهد نزعة كبيرة نحو التشتت المبالغ فيه. ومن جانب آخر فقد أدت إشكالية تدارك التأخر الحاصل في المجال الريفي على المستوى الاجتماعي أو ما يرتبط بالتجهيزات الأساسية إلى بروز مجموعة من الفاعلين الجدد، حيث أضحت تدخلاتهم تقيس بشكل مباشر أو غير مباشر ظاهرة البناء في العالم القروي، وهو مؤشر على تحول جديد في مجال البناء في العالم القروي، والذي تحول من التدبير العفوي إلى تدبير جديد، مؤطر وموجه في إطار سياقات مختلفة، لكن يجمعها مسعى واحد، يتعلق الأمر بمحاولات تأهيل العالم القروي للالتحاق بركب العالم الحضري.

تسعى هذه الورقة إلى محاولة الوقوف على أهم المتدخلين في تدبير البناء في العالم القروي، وكذا إبراز بعض الصعوبات المرتبطة بتطبيق قانون البناء في العالم القروي، واطهار مدى عدم انسجامه مع الواقع السوسيواقتصادي للمجالات القروية، مع تدعيم ببعض الأمثلة انطلاقا من منطقة أرياف دكالة..

1-مجموعة من الخبراء(2019)السكن القروي بالمغرب: من أجل سكن دامج في الوسط القروي"منشورات المجلس الاقتصادي والاجتماعي

## -الإطار المنهجي

### 1-الإشكالية:

تعتبر قضية التنمية الريفية المستدامة إحدى أهم القضايا المعاصرة، ويتطلب تفعيلها ضرورة وجود مؤسسات فاعلة، وكذا أدوات تنظيمية، وذلك بغية تحقيق الرهانات المرتبطة بأهدافها وغاياتها. وبما أن موضوع الدراسة يقارب إشكالية الفاعلين في البناء في العالم القروي بالمغرب، وكذا قياس مدى نجاعة الأدوات التنظيمية والتشريعية المؤطرة للبناء في العالم القروي، فإن الإشكالية المدروسة تقدم نفسها على الشكل الآتي: من هم الفاعلون في مجال البناء في العالم القروي وما مستوى تدخلاتهم؟ ما مدى ملائمة القوانين التنظيمية والتشريعية المنظمة للبناء في العالم القروي مع واقع المجال القروي؟ وهل استطعت هذه القوانين تحقيق غايتها، وخاصة فيما يتعلق بالحد من انتشار السكن العشوائي وحماية الأراضي الفلاحية ذات المؤهلات الإنتاجية العالية؟

### 2-أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف:

- رصد طبيعة الفاعلين الجدد في مجال البناء في العالم القروي، وقياس أدوارهم في تنظيم وهيكلية السكن الريفي، وربطه بالتجهيزات الأساسية والاجتماعية؛
- الوقوف على وزن تدخل الدولة في هيكلية السكن الريفي، وتنظيمه من خلال قراءة مضامين القانون المنظم له، وإبراز مدى ملائمتهم مع الواقع الاقتصادي والاجتماعي لبعض المجالات الريفية؛
- إبراز أهم التحديات المعمارية بالأرياف المغربية، في ظل عدم كفاية الأدوات التنظيمية، وبإلزام عدم انسجامها مع الدعوة إلى الاحتكام إلى المقاربة الجهوية كأداة فعالة في معالجة مشاكل البناء والتعمير بالعالم القروي.

### 3-منهجية الدراسة:

إن مقارنة أسئلة هذه الدراسة تفرض تنوع المقاربات والمنهج، وذلك من خلال الاعتماد على المنهج التوثيقي بهدف قراءة مضامين الأدوات التنظيمية وغاياتها، وكذلك الاعتماد على المنهج الوصفي من خلال دراسة بعض الحالات، بغية قياس مدى ملائمة تلك القوانين مع الواقع السوسيواقتصادي لبعض المجالات الريفية، وكذا مدى نجاعتها في تحقيق رهاناتها، وخاصة فيما يتعلق بحماية الأراضي الفلاحية، وكذا المحافظة على الهوية المعمارية بالأرياف المغربية. كما تم الانفتاح على المنهج التاريخي وذلك بهدف معرفة أوضاع تدبير عملية البناء قبل دخول تلك القوانين التنظيمية حيز الوجود والتنفيذ.

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م

### 4- أهمية الدراسة:

تتجسد أهمية الدراسة في محاولة استعراض ومناقشة صعوبات ومقاربات الفاعلين في مجال التخطيط العمراني والبناء في العالم القروي بالمغرب وقياس تدخلاتهم في تنمية اطار عيش الساكنة الريفية؛ وهي بذلك تعنى بأهم التدخلات العمومية في مجال البناء بالعالم القروي، غير أن ما طبع تلك على التدخلات أنها غيبت الخصوصيات المميزة للجهات والمناطق الجغرافية، ولم تراعى التنوع الجغرافي والأبعاد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والإثنية للمجالات القروية، على الرغم من أن تلك الأبعاد تبقى رافعات كبرى لتنمية المناطق والجهات. ومن جانب آخر وعلى الرغم من غزارة القوانين المؤطرة للبناء في العالم القروي والمعزز بكثير من النصوص التشريعية ودوريات تبسيط المساطر والصادرة عن الجهات المختصة، فإن تلك القوانين ظلت أحيانا غير مفعلة، كما يطبعه عدم الانسجام، ونادرا ما تندمج مع خصوصيات المجالات القروية. وتطمح هذه الورقة إلى الوقوف على جوانب من الإشكاليات التي تخص البناء والمسكن والإسكان بالعالم القروي في محاولة للفت الانتباه إلى الاهتمام بمشاكل البناء والسكن في العالم القروي، الذي ظل وللأسف جزء من رؤية مغلوطة منذ عقود خلت، على اعتبار أن عمليات التحديث التي همت البادية المغربية، ركزت في جميع جوانبها ومدخلاتها على تغيير بنية ووسائل الإنتاج، غافلة بذلك الاعتناء بالسكن الريفي

### 5- فرضيات الدراسة

إن التساؤلات المعبر عنها في إطار هذه الدراسة تؤثر على فرضيتين أساسيتين:

- إن تنظيم وهيكلية السكن الريفي، ومدته بالتجهيزات الأساسية يتم في إطار مندمج بين مختلف الفاعلين، ضمن برامج تطبعها الإلتقائية والتشاور، وهذا يعني أن هناك تدير شمولي ومندمج لعملية البناء في العالم القروي، أخذا بعين الاعتبار الخصوصيات الجهوية والمحلية. وإما أن تدخلات الفاعلين تتم ضمن برامج قطاعية متفاوتة في الزمان والمكان، ودون مراعاة للخصوصيات الجهوية والمحلية، وهذا ما يركي فرضية التدير غير المهيكل وغير المنسجم.

- إن القانون المنظم للبناء في العالم القروي حافظ على الهوية المعمارية المحلية للسكن في العالم القروي، واستطاع حماية الأراضي الفلاحية من التوسع العشوائي، وبهذا المعنى نجح في الانتقال بعملية البناء في الأرياف من التدير العفوي إلى التدير الموجه، مع مراعاة المهارات والخبرات المحلية. وإما أن هذا القانون لم يتمكن من تحقيق تلك الغايات، مما ترتب عنه استفحال ظاهرة التوسع العشوائي للسكن، وميله نحو نزعة التشتت المبالغ فيه، كما أنه لم يتمكن من تحقيق رهان المحافظة على الهوية المعمارية للأرياف المحلية.

### 6- مصطلحات الدراسة:

التعمير بمعناه الأصلي هو ذلك العلم الذي ظهر بعد الثورة الصناعية، بهدف إرساء قواعد نظام مجالي، وقد ظهر استجابة لتطور المدن التي عرفت كثافة سكانية عالية، اضطرتها ظروف العيش إلى الانتشار في تجمعات سكنية عشوائية، كثيرا ما تفتقد إلى أبسط مقومات الحياة من شبكات التطهير ومناطق خضراء وطرق ومواصلات وإنارة وماء شروب، مع ما يترتب على ذلك من اختناق للمدن بشريا و بيئيا وتلاشي خصوصياتها العمرانية. لذا فقد تصدرت كل هذه الإخطار الاهتمامات الأولى لشتى الدول ضمانا للمواطنين في عيش كريم، وأصبحت تبعا لذلك مسائل إعادة بناء المجال الحضري والحفاظ على بيئته محور علم قائم بذاته، وهو التعمير الذي قيل عنه بأنه: من تهيئة المدن أو على الكتل العمرانية التي تظهر تكاملا واستمرارية والمعدة إما للسكن أو للعمل<sup>2</sup>.

وقد ظهر التعمير كضرورة حتمية فرضتها تطور المدينة الحديثة وتقدمها صناعيا وديمغرافيا، واستفحال ظاهرة المدن العملاقة التي تعتبر -في نظر البعض- أهم ظاهرة شهدتها النصف الثاني من القرن العشرين. وهي مدن شهدت كثافة عالية وكثافة بشرية هائلة، وتلافيا للأخطار المرتبطة بهذه الدينامية الحضرية، حاولت الدول التصدي لها في إطار الرغبة في توفير وضمان للمواطنين الحق في العيش الكريم، وأضحت بموجب تلك التحولات العمرانية والحضرية مسألة إعادة بناء المجال الحضري والحفاظ على بيئته وضمان تناسقه العمراني والجمالي محور علم قائم بذاته، ويتعلق الأمر بعلم أو فن التعمير، الذي بات يجسد معنى تهيئة المدن أو الكتل العمرانية التي تظهر تكاملا واستمرارية، والمعدة إما للإسكان أو العمل أو التبادل الاجتماعي.

بناء على ذلك، يعرف التعمير كتقنية تهدف إلى جعل الإطار الجغرافي للحياة الاجتماعية أكثر ملائمة لحاجيات الأفراد، فهو تطبيق وتفعيل للمستقبلية، أي أنه ينظر في التوقعات والأنشطة وتحركات السكان وحاجاتهم، حتى تتمكن من حديد سياسة ملائمة في المستقبل للمجال.

#### (ب)- التعمير الريفي

يشكل السكن أحد أبرز مكونات المجال الريفي؛ ففي كل محاط زراعي يوجد قسمين: إحداهما يخصص للحقول والمزارع وملحقاتها كالمراعي والغابات، وهو الأكبر من حيث المساحة، وقسم يحمل مساكن تضم مرافق لإيواء الأسر الفلاحية وأخرى لإيواء وسائل الإنتاج (حظائر، اسطبلات، حدائق خلفية، مكان مخصص لتجميع روث الماشية).

تختلف أنواع السكن باختلاف الشريحة الاجتماعية للأسر وتنظيم الجماعة والعلاقات مع المحيط المباشر لهذا السكن. وقد عرفه روني لوبو "أنه نمط من توزيع المساكن داخل محاط معين، يقطنه جماعة من الفلاحين لممارسة الأنشطة

2-رشيد ليكر(2003) اعداد التراب الوطني ورهانات التنمية الجهوية اطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م

الفلاحية (روني لوبو، 1974)، "، مما يعني أن السكن الريفي تبعاً لهذا التعريف يتسم بخصائص: الأريفة والحياة الفلاحية اللذان يشيران إلى معايير للوجود والحياة البشرية. عموماً فالسكن الريفي يتميز بمجموعة من الأبعاد:

- البعد الثقافي: فالسكن الريفي يشهد حركة دائمة، تبعاً للظروف الجغرافية والمناخية، ويتحول مظهره بتحول أنظمة الانتاج وبتحول المجتمع ككل؛ فهو بعبارة أخرى يظل متغيراً تبعاً في تحوله وحركيته لتحول المعطيات الجغرافية والتاريخية.

- البعد السوسيوولوجي: فالسكن الريفي يرتبط كثيراً بالمؤسسات الجماعية، كالمساجد والزوايا والمدارس العتيقة ودار الجماعة...

- البعد الاقتصادي: يعتبر السكن الريفي صورة عاكسة للأنظمة الفلاحية، ويرتبط بطبيعة الظروف الاجتماعية والقانونية للولوج إلى الموارد قصد استعمالها.

تدل مختلف الأبعاد المشار إليها، أن السكن القروي هو عبارة عن وحدة مجالية ووظيفية، توفر في الوقت نفسه المسكن للأسر الريفية، ويؤدي وظائف ترتبط بنمط عيش الساكنة القروية، وهو كذلك إطار للحياة الاجتماعية والمتمثلة في وجود روابط تضامنية وثيقة الصلة بين الساكنة، والتي لاتزال حاضرة وملموسة إلى يومنا هذا كأعراس ومراسيم الجنائز والولادة والختان<sup>3</sup>.

ومن المعلوم أن السكن الريفي لم يعرف تحولات نوعية قبل وخلال المرحلة الاستعمارية، سواء من حيث بنياته وتجهيزاته رغم الاستقرار القديم للإنسان، لكن منذ الستينات سيعرف السكن الريفي تطورات هامة شبيهة بتلك التي عرفتها المدن، وبالتالي سيعرف تغيرات متعددة، إن على مستوى نزعة التصليب أو على مستوى التجهيزات وبروز مرافق جديدة، ولم تقف هذه التغيرات عند هذا الحد، بل شمل مسلسل التحول كذلك المواضيع والمواقع، وذلك انسجاماً مع التحولات الوظيفية لعناصر المجال. وقد أفرزت كل تلك التحولات ضرورة تدخل مجموعة من الفاعلين المؤسساتيين والترايين من أجل تنظيمه وهيكلته.

### - عرض ومناقشة النتائج:

### أولاً: الفاعلين في البناء بالعالم القروي ومستويات تدخلاتهما

3-جمال عبد اللطيف (2007)، "ملاحظات أولية حول موضوع السكن الريفي بالمغرب"، ورد في ندوة السكن الريفي بالمغرب، التحولات وآفاق التنمية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة، شعبة الجغرافيا، سلسلة ندوات ومناظرات العدد 8 المغرب -

فمن المفيد التأكيد في هذه النقطة إن التنمية في الوقت الراهن قد غيرت منحائها واتحدت مسارا جديدا، يبدأ في اتجاه تصاعدي من القاعدة إلى القمة، عكس ما كان عليه في عهد مفهوم الدولة التدخلية أو التحكيمية التي اختفت أمام العولمة والانفتاح الاقتصادي والثقافي وهبوب رياح التغيير الشعبي. فالدولة التي كانت تخطط لكل شيء، وفي كل شيء، ومن العاصمة إلى الإقليم أصبحت اليوم عاجزة عن القيام بذلك تحت تأثير مجموعة من المتغيرات المرتبطة بصعود المفاهيم المحلية والجهوية، التي أخذت بدورها تنادي بإعطاء الفرصة للمحلي والجهوي كي يدير شؤون إقليمية، ليس تسييرا تفضيليا، بل مؤسساتيا تفرضه ضرورة التنمية. ومن هذا المنطلق فإذا كانت المؤسسات المركزية ستتولى مهام التوجيه والإشراف والمتابعة، فإن المؤسسات المحلية مدعوة اليوم إلى التنفيذ والإشراف على أرض الواقع، شريطة إعطائها الحرية اللازمة كي تبلور ملكاتها الإبداعية والابتكارية، وبالتالي تقضي على عواقب التواكل والانتكال وتحل محلها التآزر والتعاون والتشارك بين المركز والمحيط. ومن أهم المؤسسات التي لها دور في السكن نذكر الوكالة الحضرية والجماعات المحلية، ثم المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي ولا سيما في الدوائر المشمولة بعملية الري وضم الأراضي.

### 1- المؤسسات المركزية

إن طبيعة إعداد تهيئة السكن الريفي تتميز بالتنوع في الأنشطة وشساعة العمل، وبالتالي تطرح مشاكل تتعلق بالتنظيم نظرا لتشابك الاختصاصات بين مختلف الأجهزة المكلفة بصياغة وتنفيذ هذا الإعداد، ولعل هذا ما يفسر عملية الانتقال التي طالت الهيئة المكلفة مبدئيا بقضايا السكن والتعمير بين مجموعة من الوزارات منذ إن وجدت هذه الفلسفة مكانها ضمن الاهتمام الحكومي بالمغرب، أي منذ الاستقلال إلى الآن. وإذا حاولنا الكشف عن كرنولوجيا مختصرة، سنقف عند عدة محطات اختلفت بينها تسمية الإدارة، كما اختلفت الأجهزة الوصية تبعا لكل مرحلة.

بالعودة إلى الجذور التاريخية لهذه الإدارة، نلاحظ أنه منذ الحماية وبالضبط سنة 1945 بدأ اهتمام سلطات الحماية بقضايا السكن والتعمير كوسيلة لحل أزمة السكن، فتم أنداك إنشاء أولى المصالح المكلفة بالسكن، تحت اسم مصلحة السكنى والتعمير الملحقه بالكتابة العامة للحماية. وتم إلحاقها بعد ذلك بمديرية الأشغال العمومية سنة 1950 إلى أن هذه المصلحة ما لبنت وبعد مدة وجيزة لم تتعدى السنة انتقلت مهام هذه الوزارة إلى وزارة الأشغال العمومية من جديد تحت اسم مديرية التعمير. وبقيت على هذا الحال حتى سنة 1967 حيث تم دمجها في وزارة الداخلية التي ستهتم بمهمة الإشراف على مشاكل التعمير والسكنى، وذلك عن طريق مديرية إعداد التراب، وقد تزامن هذا الانتقال في التنمية مع عملية إعداد للتصور المتعلق لإعداد التراب الوطني.

وبالفعل، فإن هذا الدمج، وإن كان إليه الفضل في توحيد عملية الإعداد والتطبيق داخل نفس الإدارة، فإنه مع ذلك لم يسد الثغرة التي ظهرت على مستوى التنسيق من مختلف الإدارات، وزاد من حدة الفوارق، عوضا على تقليلها بين المدن والقرى. ولهذا فقد بات من اللازم إحداث جهازا داري مختص في الميدان عوض الاكتفاء على مواجهة مشاكل تزايد و تتعدد

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحض النيل يونيو 2022م

باستمرار، وبالفعل فمئذ السبعينات تم تحويل هذه المديرية من جديد لوزارة السكنى والتعمير والمحافظة على البيئة-رشيد لبيكر المرجع السابق<sup>4</sup>.

وقد جاء هذا القانون ليعطي لهذه الوزارة ثلاث مديريات وهي مديرية إعداد التراب ومديرية التعمير والهندسة المعمارية تم مديرية السكنى. لكن رغم أهمية هذا القانون الذي كان الأول من نوعه الذي يحدد بصفة واضحة اختصاصات هذه الهيئة المختصة بتهيئة المجال، فإن الجديد الذي أتى به، هو تمييز بين إدارتين الأولى مختصة بإعداد التراب والثانية بالتعمير هكذا إذن كانت مسيرة هذه الإدارة تتخذ تارة اسم مديرية وتارة أخرى اسم وزارة، ولعل ما يمكن قوله هو أن إلحاق قطاع السكن بكل هذه الهيئات الحكومية يجد عله على أكثر من مستوى؛ فبالنسبة لإلحاقه بوزارة الأشغال العمومية يفسر بكون الأعمال الأساسية للسكن تعتبر بالدرجة الأولى أشغالا عمومية من قبل تهيئة الطرف والمسالك والكهرباء والماء الصالح للشرب. أما بالنسبة لوزارة الداخلية فيفسر بتواجدها المجالي الواسع مما يمكنها من الاطلاع على مجموع أنحاء التراب الوطني وتقييم حاجات مختلفة الجهات، في حين أنه بالنسبة لوزارة إعداد التراب والبيئة والتعمير والإسكان فيمكن القول أنها ستشكل الإطار العام الذي تندرج فيه أعمال التهيئة الحضرية والقروية وجهود توفير السكن، وإن كان واقع الحال يفرض القول دائما بأن السكن نقطة تقاطع بين كل الإدارات، وشأننا عاما بهم جميع مؤسسات الدولة المركزية منها والمحلية.

-الوكالات الحضرية: دور محتشم اقتصر على تصاميم نمطية مجانية دون أن تروق ذوق القرويين

تعد الوكالة الحضرية حسب مقتضيات المادة الأولى من 15 شتنبر 1993 عبارة عن جهاز إداري وتقني مختص في مجال التعمير على صعيد ولاية أو إقليم أو مجموعة من الأقاليم (الظهير الشريف، 15 شتنبر 1993). ويمكن تلخيص مختلف اختصاصات الوكالة طبقا لما نص عليه القانون المنظم لها حسب المادة الثالثة: التنسيق بين المتدخلين والتوفيق بين مختلف القرارات المعمارية وتقديم المساعدة التقنية للجماعات المحلية، وذلك بهدف تطبيق وثائق التعمير، ولاسيما المخطط التوجيهي للتهيئة الحضرية وتصاميم التهيئة الجماعية تطبيقا سليما، كما أنها تقدم المساعدة والتأطير التقني في مجال التدبير الحضري والمراكز القروية.

لكن حصيلة تدخل الوكالة الحضرية في تدبير السكن الريفي يمكن وصفها بالهزيلة أو المنعدمة أحيانا، والبعيدة كل البعد عن طموحات المخططات المحلية للتنمية؛ فالمعطيات المتوفرة حاليا تشير إلى أن مستوى تدخلها لم يحل مشاكل المدن خصوصا تلك المتعلقة بالعقار، بعدما تحولت أغلب الأراضي إلى سوق للمضاربة والمزايدة والاعتناء السريع، كما أن

-رشيد لبيكر، المرجع السابق، ص 924

تدخلها لم يحل مشاكل السكن إلى درجة تعددت فيه أشكال السكن غير اللائق بالعديد من المراكز الحضرية. ومن جانب آخر يلاحظ أن هناك العديد من نقاط الالتقاء والاختصاص والتداول بين الوكالة الحضرية وبين المفتشية الجهوية للتعمير، وكذا الجماعات والأقاليم، مما يفرض إعادة النظر في القوانين المنظمة لكلا الجهازين من أجل توضيح الاختصاص بشكل كامل، وفاء لمطلب التوحيد، وتجنباً لأي تضارب أو تغير في الاختصاص.

إن أهم دور قامت به الوكالات الحضرية كحصيلة تحسب لها في تهيئة السكن الريفي، هو إصدارها لتصميم نمطي مجاني موجه لساكنة العالم القروي ليساعدها على البناء الذاتي؛ وهي تصاميم تهدف من حيث محتواها العام إلى تطوير السكن الريفي، عبر تقليص المساحة التي يشغلها، وذلك للحد من انتشار هذا الأخير على حساب الأراضي الزراعية، فضلاً عن تضمينها لمبدأ الفصل بين مرافق السكن، بحيث تضمن تصميم المبنى السفلي كماوى للماشية ووسائل الإنتاج، فيما تضمن الطابق الأول ماوى للأسر

إن هذا التصميم، وكغيره من التصاميم الموجهة للعالم القروي (تصاميم الوحدات القروية مثلاً) يتغافل كلية الواقع الاقتصادي للأرياف، على اعتبار أن البناء ذو طابق أو أكثر يحتاج إلى إمكانيات مالية مهمة، تتضمن تكاليف الخرسانة وإسمنت مسلح وأجور ويد عاملة متخصصة ويحتاج إلى تمويل بنكي مضمون. كما أن هذا التصميم لا يراعي حقيقة الوضع الاجتماعي للساكنة الريفية، كونها تفضل البناء الأفقي بهدف التواصل بين الجيران واقتسام معها مجالات السكن وبعض المرافق المشتركة (عتبات المنازل، المطابخ...)، فضلاً عن ذلك فإن عملية البناء في العالم القروي تتميز بالطابع المتدرج، على اعتبار أن أغلب الأسر تشيد في البداية غرفة واحدة تتخذ تسمية "حطة"، وعندما تتحسن ظروف الأسرة مادياً أو في إطار الرغبة في تلبية حاجيات الأسر من الغرف يتم تشييد مباني جديدة، فبناء المسكن الريفي يتطلب فترة زمنية تفوق عقد من الزمن في بعض الأحيان.

وقد لوحظ ميدانياً أن هذا التصميم غير معروف لدى القرويين، وهذا راجع إلى غياب وسائل الدعاية والإشهار له، فالقرويين عادة ما يضعون تصميم يوافق ذوقهم وخصوصيتهم، ولم نعثر على أي حالة سكنية شيدت وفق التصميم المذكور.

دعامة رقم 1: نماذج من التصاميم المجانية التي طرحتها الوكالات الحضرية في إطار المساعدة التقنية

للبناء بالعالم القروي

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحض النيل يونيو 2022م



### 2-الجماعات الترابية

تعتبر الجماعة الترابية هي وحدات ترابية قاعدية التي تتمتع بالشخصية القانونية والاستقلالية المالية والإدارية، والمحدثة بموجب مرسوم يصدره الوزير الأول بناء على القرار الصادر عن الغرفة الدستورية بالمجلس الأعلى. ويتخذ هذا المرسوم انطلاقا من اقتراح السلطة المحلية، يكون مدعما بدراسة عميقة تكشف عن وجود علاقات بشرية ومنافع اقتصادية واجتماعية بداخل القضاء الجغرافي المزمع تحويله إلى جماعة، مع العلم أن تحديد حدود هذه الأخيرة يتم بقرار من وزير الداخلية. وعلى أي، فالجماعة بالمغرب تنقسم إلى قسمين: حضرية وقروية.

يكتسي الاهتمام بالسكن أهمية قصوى في الحياة العمرانية للجماعة وتطورها الاقتصادي والاجتماعي، وتزداد هذه الأهمية من كون التصاميم المعمارية ترهن مستقبل الجماعة التنموية لمدة زمنية متوسطة أو بعيدة المدى، يتم بموجبها تحديد الاتجاهات العامة للتنمية على الصعيد المحلي والجهوي. لقد ظلت الجماعة الترابية بالمغرب ومنذ زمن طويل ذات اختصاص وحيد مرتبط بالأساس بالتسيير الإداري دون أي اهتمام بما هو اقتصادي تنموي. لكن بعد المراجعة التي عرفها الميثاق الجماعي لسنة 1976 أضحى الجماعة وبحكم القانون عاملا داعما للتنمية الاجتماعية والاقتصادية. والواقع أن ارتباط الجماعة بالسعي نحو تحقيق هذه التنمية، وكذا إعداد التراب المحلي، يأتي بفضل الاشتغال الكبير المتجسد في ضمان الشروط المثلى لبناء تصور مندمج ومتناسق للتنمية، مرتكزا على أساس استغلال وتعبئة الطاقات المحلية. ومن هنا فإن التركيز على الدور المنوط بالجماعات المحلية من حيث تنشيط الاقتصاد المحلي وإنعاش الدورة الاقتصادية أضحى يحتل حيزا كبيرا لدى اهتمامات المسؤولين والمخططين الاقتصاديين، والجماعة إذن إن لم تقم بالمسؤوليات التي أناطها

المشروع من خلال ظهير 1976 أو ظهير 2002 ستحدث خلل في التجهيزات الضرورية لاستقبال المشاريع السكنية. ومن الناحية القانونية، يلاحظ أن تحديد اختصاص الجماعة المحلية يجد أرضيته في مقتضيات الدستور الجديد لسنة 2011 والميثاق الجماعي المعدل لسنة 2002 الخاص بالتنظيم الجماعي، فالنسبة للدستور المغربي نجده يخصص للجماعات المحلية موضوعا خاصا بها، يتجسد من خلاله فرض صلاحيات لتدبير شؤونها، التدبير الذي لا يقصد منه طبعا العمل الإداري اليومي والروتيني (تسليم الوثائق، الرخص الإدارية مثلا) كما هو شائع بالنسبة لأغلب الجماعات بل يعني كذلك كل ما يمكن أن يؤدي إلى تقدم الجماعة اقتصاديا وعمرانيا وثقافيا.

وبشكل عام يمكن القول أن الدستور أتاح للجماعات المحلية فرصة القيام بأدوارها في تهيئة التراب والسعي نحو إيجاد الوسائل المادية والبشرية اللازمة لهذا الغرض.

أما بالنسبة للميثاق الجماعي المذكور سلفا فنجد أنه يحدد اختصاص الجماعة في هذا المجال، الذي أعطاه صلاحيات مهمة لضمان كامل نموها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للجماعات طبقا للاتجاهات والأهداف المقررة في المخطط الوطني إذن، فالجماعة المحلية بإمكانها المشاركة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومنها مشروع يتعين إنجازه بتراها، أو إبداء الرأي كلما طلبت منها الإدارة كذلك كما يمكنها أن تساهم في التنمية بإبداء بعض الرغبات، كما يمكنها أن تشارك في التنمية بإبداء بعض الرغبات أو توحيد بعض الاقتراحات. لكن الملاحظ ميدانيا أن تدخل الجماعات المحلية في مجال السكن الريفي يظل محدودا أو منعدما، ويقتصر في كثير من الحالات على المراكز القروية حيث لوحظ مبادرات في بعض الجماعات من خلالها تهيئة تجزئات سكنية لمحاربة السكن الصفيحي أو بهدف تلبية طلب المتزايد على السكن بالمراكز الجماعية.

بصدور قانون التعمير أضحت الجماعات تسهر على تطبيق هذا القانون بإعطاء رخص البناء وفرضها على جميع سكان الدواوير، وتوزع هذه الرخص بطريقة مجانية، وقد تضمن قانون التعمير مجموعة من الشروط اللازم التوفر عليها للحصول على هذه الرخصة منها: ثبوت الملكية بواسطة شهادة المحافظة وطلب خطي وتصميم الموقع، وهي الوثائق التي جاء بها قانون 12/90، وهي شروط قلما تتوفر لدى معظم الساكنة خاصة فيما يتعلق بثبوت الملكية اعتمادا على شهادة المحافظة العقارية. وهو الأمر الذي ساهم في انتشار البناء غير المرخص، والاكتفاء بالحصول على رخص الإصلاح وتجديد المسكن.

وبإقليم الجديدة مثلا لوحظ تطورا مهما في عدد رخص البناء المسلمة بالإقليم منذ بدء تطبيق قانون التعمير، بيد أن هذا التطور يتباين حسب المجالات، إذ تشير المعطيات الميدانية إلى أن الجماعات القريبة من الجديدة تستقطب لوحدها أغلب رخص البناء بالإقليم، وتجد دينامية قطاع البناء تفسيرها على الخصوص في الجاذبية الكبيرة التي يتمتع بها المجال المجاور للجديدة، وبإطار العيش الملائم الذي يوفره، والمرتبط بتركز الوحدات الصناعية الكبرى على طول محور مولاي عبد الله الجرف الأصفر، ووجود تجهيزات ومرافق قريبة من هذا المجال.

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م

أما ضعف رخص البناء في باقي المجالات القروية الأخرى لا يعزى إلى ضعف دينامية البناء، وإنما ومن خلال البحث الميداني تبين أن الكثير من الساكنة لا يلجؤون إلى طلب رخص البناء؛ وهذا راجع إلى التعقيدات التي تفرضها الجماعة كطول مدة الانتظار، وغالبا ما يحصل على الرخصة في اقرب الأجال إلا الذين لهم علاقة شخصية برئيس الجماعة، أو انتظار مناسبات مرتبطة بتجديد مجالس الجماعةية أو إبان موسم الانتخابات، حيث تكون هناك تسهيلات في تسليم الرخصة لكسب ود السكان. كما أن طبيعة المنشآت التي يراد بناؤها تحتم على صاحبها اللجوء إلى طلب الرخصة أو عدم طلبها، فإذا كان الهدف هو إصلاح المنزل أو إضافة غرفة أو إسطبل مثلا، فإن الفلاح لا يلجأ إلى طلب الرخصة، إذ أن عملية البناء والإصلاح تتم بطريقة سرية أو بالاتفاق مع أعوان السلطة، الذين يضطروا إلى التساهل وعدم إخبار الجهات الوصية. أما إذا كان البناء المراد انجازه له خصائص ذات طابع تجاري أو بناء منزل عصري، فإن صاحب المشروع يلجأ إلى طلب الرخصة خوفا من العقوبات والزجر والهدم، خصوصا أن مثل هذا البناء يتطلب إمكانية مادية ورغم التحذيرات والعقوبات التي تتخذها السلطات على مخالفي القانون، فإن ظاهرة استمرار البناء غير المرخص تعرف ارتفاعا مهما، خصوصا في المجالات القريبة من المراكز الحضرية، حيث لوحظ في السنوات الأخيرة اندلاع مواجهات بين ساكنة هذه الدواوير والقوات العمومية بسبب انتشار البناء الغير المرخص له، وكثيرا ما تخلق تلك المواجهات إصابات في صفوف الساكنة والقوات العمومية على حد سواء.

وكخلاصة في هذه النقطة يمكن القول أن دور الجماعات المحلية في السكن لازال لم يتم تحديده بكيفية مدققة، وقد يرجع ذلك إلى محدودية الإمكانيات الجماعية المادية والبشرية، فكثير من الجماعات الترابية القروية تعرف اختناقا ماليا، وتنتظر دائما إمدادات الدولة، وعليه لا يمكن لها أن تخطط وتبرمج مشاريع سكنية ضمن برامجها. وفي المجمل فإن تدبير عملية البناء في المجال القروي عادة ما يتم وفق وضعيات معينة ليس وفق قوانين مؤطرة.

### 3- دور العمالة أو الإقليم: شريك في إطار برامج متعددة ضمن عملية تدارك التأخر

تلعب العمالة أو الإقليم في مجال السكن دورا هاما، يمكن أن تظهر أهميته من خلال الأدوار العامة المخولة لمجالس العمالات والأقاليم من جهة، ثم الدور المركزي أو المحوري الذي يحتله العامل داخل هذا التنظيم من جهة أخرى، فبخصوص النقطة الأولى يمكن القول أنه انطلاقا من الفصل الأول من ظهير 12 شتنبر 1963 الخاص بتنظيم مجالس العمالات والأقاليم، أن هذه الأخيرة تعد جماعات محلية يسرى عليها القانون العام، وتتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي.

لذلك نجد أن هذه الوحدات الترابية تتوفر على أجهزة تسييرية تتكون من مجلس منتخب ومكتب لجان للمجلس، هذا المجلس المنتخب له اختصاصات بصفة مباشرة بكل قضايا والشؤون التي تهم تنمية الإقليم. وفي هذا الإطار

ينص الفصل 63 من الظهير المذكور سلفا على الاختصاصات التي يتداول فيها مجلس العمالة والإقليم ومنها: مشاريع القروض، تشييد الطرق أو صيانتها أو تعبيدها، وإنجاز تصاميم برامج التنمية الإقليمية أو الاستثمارات التي تهم العمالة.

إن الدور الحقيقي الذي يمكن أن تلعبه العمالة أو الإقليم لا يمكن تصوره إلا في شخص العامل، باعتباره العنصر الرئيسي داخل هذا التنظيم، إن لم نقل الوحيد وإليه وحده يرجع نجاح أو فشل أي مشروع تنموي محلي، بما في ذلك المخططات المتعلقة بإعداد التراب الوطني، وذلك باعتباره وبموجب ظهير 15 فبراير 1997 ممثلا لجلالة الملك، وبالتالي مندوبا للحكومة في العمالة أو الإقليم الذي يمارس فيه مهامه، كما أن وظيفة التنسيق المحلي التي يتولاها بين أعمال المصالح الخارجية للإدارات المدنية التابعة للدولة، إضافة إلى هذه الاختصاصات، والتي يدور في فلكها بعض الجوانب التي تهم تنمية السكن الريفي، يمكن أن نضيف دور التنسيق الفعلي المعهود به إلى العامل، والمتجسد في تنفيذ المشاريع والمخططات التي تتخذ على صعيد الإدارات المركزية. ونشير أيضا أن العامل يختص في ميدان السكنى بالمصادقة على تصاميم التنمية المتعلقة بتنمية المناطق القروية .

هذا الوضع القانوني ضمن للمجلس الإقليمي الانخراط في مسلسل تنمية السكن الريفي، وذلك من خلال عدة مشاريع، تمحورت جلها حول تدارك سلبيات التأخر الاجتماعي، بتمكين الساكنة الريفية من الاستفادة من مياه الشرب، حيث انخرط الإقليم في برامج ترابية مندمجة، كالبرنامج الوطني للطرف، بهدف فك العزلة عن الأرياف والبرنامج الوطني لتزويد العالم القروي بالماء الشروب، إضافة إلى المساهمة في مشاريع المبادرة الوطنية للتنمية البشرية.

ورغم هذا التقدم الملموس في تدخل الإقليم في تنمية إطار عيش الساكنة الريفية وتوفير أسباب البقاء، فإنه يظل محتشما، يرجع هذا الوضع في كثير من جوانبه إلى طبيعة القانون المنظم للإقليم، والذي يحتاج لتدقيق أعمق للصلاحيات والاختصاصات، حيث أظهرت الممارسة أن الإقليم يتدخل في معظم الحالات، وفي نفس الميادين التي تتدخل فيها الجماعات الترابية أو بالأحرى في البرامج والمشاريع المشتركة بين الجماعات (تمويل المختلط)، ويقوم بالمصادقة النهائية على الميزانية الجماعية.

#### 4- المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي

تدخل المكتب الجهوي للاستثمار بالمناطق المسقية في ميدان السكن الريفي، حيث أن قانون الاستثمار الفلاحي لسنة 1969 منع عملية البناء فوق الأراضي المسقية أو الأراضي الخاضعة لقانون الاستثمار الفلاحي، حيث أجاز البناء إلا بشروط من قبيل أن يكون تصميم البناء له تصور ذات طابع فلاحي (إسطبلات عصرية لتربية المواشي خاصة الأبقار، بمعنى أن يكون هذا السكن يساهم في عملية الإنتاج أي ما يسمى بالمقاولة الفلاحية أن تكون المساحة المخصصة لهذه الأغراض تفوق 400 م<sup>2</sup>، بمعنى آخر هذا السكن يجب أن يحافظ على مدلوله وخصوصيته الفلاحية. وفي نفس السياق وفي إطار حل إشكالية التشتت السكني، طرح المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي فكرة إنشاء وحدات الريفية للتجهيز والتسيير، التي

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م

تشكل نوعا من السكن المتجمع لتكون حلا لما طرحه مشكل السكن بالدوائر المسقية، حيث تمت برمجة 58 وحدة لم تجهز بأكملها، ولم ترق إلى الهدف المنشود هذه التجربة، جرت بدون تشاور وبدون اشراك الساكنة، وبالتالي لم تتمكن من الإجابة على إشكالية السكن بخصوصياته في الوسط القروي. كما عانت هذه التجربة من غياب أي التقييم أو ترصد، مما أضعاف العديد من الفرص لجعل ورش تنمية السكن القروي وسيلة لتحسين إطار عيش الساكنة القروية، والنهوض بجاذبية المجالات القروية وجعله رافعة أساسية للتنمية الاقتصادية.

5-محدودية نتائج تدخلات الدولة والجماعات الترابية في مجال السكن الريفي: تقييم للمكتسبات وبحث عن الإضافات

اقتصرت تدخل الدولة في المجال السكن الريفي على تنفيذ برامج وتجارب نموذجية محدودة ومتفرقة، إلا أن تلك التجارب عموما باءت بالفشل، ولم يحظ بعض الأنواع من السكن التي طرحتها الدولة بالقبول من قبل الأسر القروية والفلاحين، لأنه لم يراع خصوصيات الحياة القروية، وبالتالي يبدو بالنسبة لهم تصميمات شبيهة بالتصاميم الحضرية.

ومن جانب آخر، عانت تلك التجارب من الكثير من الأخطاء المنهجية، ذلك أن التفكير ظل يختزل السكن في إشكالية الإسكان، وبالتالي فإن جميع التدخلات التي اعتبرت بمثابة مخططات للتدارك، تم اختزالها في برامج تجريبية، لكن في غياب رؤية تطمح إلى بلورة سياسة وطنية خاصة بالسكن القروي. كما أن التجارب والبرامج التي نفذتها الدولة لم تأخذ في الاعتبار لا الخصوصيات المميزة للجهات والمناطق، ولا التنوع الجغرافي والأبعاد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وبالتالي فإن جميع التدخلات التي اعتبرت بمثابة مخططات للتدارك التأخر في مجال التجهيزات الاجتماعية والأساسية وتم اختزالها في برامج اجتماعية، لكن في غياب رؤية تطمح إلى بلورة سياسة وطنية خاصة بالسكن الريفي.

إن مختلف العمليات التي تم تنفيذها لم تكن نابعة من أي برمجة تشاركية، أو في إطار استراتيجية وطنية مستدامة، تترجم إلى مخطط عمل على الصعيدين المحلي والجهوي، ينخرط فيه بكيفية موسعة مختلف الفاعلين باختلاف مستوياتهم، فضلا عن الساكنة المعنية، وضمن برامج هادفة موسومة بالانتقائية، أخذا بعين الاعتبار الخصوصيات المميزة للجهات والمناطق والتنوع الجغرافي والأبعاد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والاثنية للمجالات القروية؛ ذلك أن تلك الأبعاد تظل رافعة أساسية للتنمية الجهوية وأداة للنهوض بالسكن القروي، الذي هو للأسف ظل الرهان الخاسر في معركة التحديث القروي الذي خاضته الدولة في المجال الريفي. هذه الأخيرة اقتصر تدخلها في المجال الريفي على تغيير بنية ووسائل الإنتاج واهملت السكن الريفي، مما يعني أن هذا الأخير هو جزء من رؤية مغلوبة امتدت دورها منذ الاستقلال إلى الآن.

ثانيا: القوانين المنظمة للبناء في العالم القروي

بالرغم من وجود إطار تشريعي معزز بالعديد من النصوص التنظيمية التي من شأنها أن تعمل على تحديد دور مختلف المتدخلين ومسؤوليتهم وطبيعة العلاقة القائمة بينهما، فإن وضعية السكن القروي أضحت تثير المزيد من القلق بالنظر إلى تداعيتها الاجتماعية والبيئة السلبية . ويرجع الإطار التشريعي الأول إلى مطلع الستينات من خلال الظهير الشريف رقم 1.60.063 الصادر بتاريخ ذي الحجة 1379 الموافق ل 25 يونيو 1960 بشأن توسيع نطاق العمارات القروية. وقد كان المسعى من هذا النص القانوني هو بلورة مخططات تنموية تمكن من تنظيم وتخطيط المراكز القروية، وكذا توجيه ومراقبة توسيع نطاقها. وخلال التسعينات من القرن الماضي تم بلورة إطار تنظيمي للبناء في العالم القروي، ويتعلق الأمر بقانون 12.90 الذي فرض ضرورة الحصول على رخصة البناء، وتقتضي عملية الحصول على هذه الرخصة كشرط أساسي لمباشرة عملية البناء ضرورة تقديم طلب من المالك إلى رئيس المجلس الجماعي المعني بالأمر.

وهذا الطلب يجب أن يكون مرفوقا بمعلومات متعلقة بهوية طالب الرخصة، ورخصة من معاينة التصنيف، ووصفا شاملا يتضمن مساحة البقع أو مرجع التجزئة، والغرض المخصص لهذا المبنى، بالإضافة إلى رسم الموقع بمقياس 2000/1، وتصاميم التنفيذ الكاملة إذا كان الأمر بناء صناعي أو مؤسسة عمومية يستغلها العموم.

#### 1- الزامية رخص البناء.

يفترض الحصول على رخص البناء وجود شروط متعددة، غير أن إلزامية الحصول عليها لا تشمل جل مكونات التراب الوطني، كما أن نطاق تطبيقها ومسطرة الحصول عليها مازال يشوبهما الكثير من الغموض، مما يسبب بطء في إجراءات معالجة وتسليم هذه الرخص.

تسلم رخصة البناء بعد التحقق من المبنى المراد إقامته، والذي تتوفر فيه الشروط التي تفرضها الأحكام التشريعية والتنظيمية الجاري بها العمل، ولا سيما الأحكام الواردة في تصاميم التنطيق والتهيئة. أما اذا كان الغرض المخصص له يرتبط بالأراضي غير المحددة في تصميم التهيئة أو تصميم التنطيق، فإن رخص البناء تسلم إذا توفرت في المشروع الشروط الآتية:

• يجب أن يقام المبنى على بعد 10 أمتار من الطريق العام المجاور له، و 5 أمتار من الحدود الفاصلة بينه وبين غيره من العقارات؛

• يجب أن تكون مساحة الأرض المزمع إقامة المبنى فيها تساوي أو تفوق هكتار واحدا؛

• يجب ألا تزيد المساحة القابلة للبناء لنسبة الخمس من مجموع مساحة الأرض، بحيث لا تتعدى في أي حال من الأحوال 800 متر ولا ينبغي أن يزيد الحد الأقصى لعلو المبنى على 8.50 مترا باعتبار كل تجهيز فوقي.

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م

غير أن التشريعات القانونية الجاري بها العمل تسمح باتخاذ تدابير استثنائية، ذلك أنه إذا تعدر توفر شرط المساحة والعلو بسبب حالة تقسيم المنطقة المعنية جاز لرئيس مجلس الجماعة بعد موافقة لجنة مختصة منح رخصة البناء مهما بلغت مساحة القطعة الأرضية، شريطة ان تتأكد اللجنة المذكورة من أن البناء المزمع إقامته لا ترتب عنه عمليات عمرانية متفرقة تهدد بوجه خاص مميزات المنطقة. كما أن القانون يتضمن أحكام ملزمة وأخرى مرنة، غير أن الأحكام الملزمة تظهر غير كافية بالنظر إلى الاستثناءات التي لا يتم التحكم فيها، كما أن المرونة المعبر عنها لا تزال هناك صعوبات في التدبير الواضح والناجح لطلبات البناء في الوسط القروي .

### 2- تراخيص البناء في القطاعات المسقية والمشمولة بعمليات الضم

نصت المادة رقم 2 من الظهير الشريف رقم 1-95-152-1 الصادرة في غشت 1995 بتنفيذ القانون رقم 34.94 المتعلق بالحد من تقسيم الأراضي الفلاحية الواقعة داخل دوائر الري ودوائر الاستثمار بالأراضي الفلاحية على ما يلي: تحدث بالدوائر المشار إليها في المادة رقم 1 أعلاه، مساحة دنيا لا يجوز فيما دونها قانونا أو فعلا، تقسيم الأراضي الفلاحية الواقعة بها، وتحدد مساحة الاستغلال الدنيا في دوائر الري في خمس هكتارات<sup>5</sup>.

وإذا كانت الأهداف العامة لهذا القانون تتجلى في الحد من تفتيت الأراضي والتخفيف من إشكالية الضغط السكاني على الأراضي المسقية، فإنه يطرح بإلحاح مدى مواكبة القوانين للتطورات الجارية. وقد نهت بعض الأعمال الأكاديمية التي همت منطقة إلى إشكالية التطبيق الحرفي لهذا القانون على المناطق المسقية بالمغرب، بحيث أشار خياطي إلى أن سقي عدة دوائر وإن كان قد ساهم في توسيع الخدمات وبروز هيكل جديدة للمجال، فإن مسلسل هذه التحولات يطرح إشكالية توسع السكن على حساب الأراضي المسقية، مما يفرض ضرورة إيجاد حلول لهذه الوضعية، حلول تنطلق من ضرورة إيجاد حلول لمشكلة السكن دون أن يكون ذلك على حساب الأراضي الزراعية المسقية

وكنتيجة للمشاكل المطروحة بالقطاع المسقي على مستوى السكن وتصدي مصالح وزارة الفلاحة وأساسا المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي بالمغرب لكل توسع للبناء ومنع تراخيص بالبناء للملكي قطع أرضية نقل عن 5 هكتارات، فقد عملت مديرية التعمير التابعة لوزارة إعداد التراب الوطني والتعمير والإسكان والبيئة بتقديم مراسلة إلى وزارة الفلاحة والتنمية القروية حول موضوع البناء بالوسط القروي، وخصوصا داخل دوائر الري أو المناطق المشمولة بعملية الضم، هذه المذكورة تذكر بالمشاكل الناجمة عن تعرض مصالح الفلاحة على طلبات البناء، حيث تشتتت توفر صاحب المشروع على 5 هكتارات على الأقل لتلبية طلبه بالترخيص له بالبناء، علما بأن المادة 4 من القانون المذكور تسمح للإدارة الترخيص

الجريدة الرسمية، عدد 4323-6 سبتمبر 1995.<sup>5</sup>

بإبرام عقود تصرف أو قسمة أو حق الانتفاع إذا كان الغرض من القطعة المراد استخراجها من مجموع الملك الواقع بدوائر الري بإحداث منشآت غير فلاحية<sup>6</sup>.

وإجمالاً، كان لهذه القوانين والتوصيات عواقب وخيمة على حياة وعيش الأسر والعائلات، وهي نتائج مباشرة للتطبيق الحرفي لهذه الظواهر ومواد القوانين المرتبطة بالقطاع المسقي في سنة 1969، وتم تعديلها أو تميمها سنة 1995. مما يعني أن الدولة تنهج منطقاً متضارباً في سياستها السكنية بالمناطق المسقية، فهي إن كانت تحاول تثبيت السكان في مناطقهم الأصلية بالحد من الهجرة القروية، فإنها تحفز السكان على المغادرة أحياناً لمنع البناء فوق الأراضي الزراعية المسقية دون أن تقدم حلولاً بديلة.

### 3- دورية تبسيط مساطر البناء بالعالم القروي

سعت الدولة جاهدة إلى تبسيط وتخفيف المسطرة المترتبة عن الزامية الترخيص بالعالم القروي حيث قامت السلطة الوصية على قطاع التعمير (وزارة الداخلية) بتوجيه عمل المدبرين المحليين، من خلال استصدار العديد من الدوريات التي تحتم على اعتماد مجموعة من الإجراءات والتدابير التي تضمن انخراطها في هذه العملية بكل سلاسة ويسر، وسد الفراغ المتعلق بقانون التعمير 12-90.

وارتكزت هذه الدوريات على مجموعة من المبادئ:

- تبني مقاربة تشاركية مع مختلف المتدخلين في تأطير التعمير والبناء بالعالم القروي، ولاسيما الوكالات الحضرية والجماعات الترابية؛

- توخي اليسر والمرونة في دراسة ملفات رخص البناء بالعالم القروي، من خلال الاقتصار على الوثائق التقنية والإدارية الضرورية في دراسة الملفات، نظراً لطابعه الخاص ومراعاة ظروف عيش الساكنة. وتتجلى هذه الدوريات في:

- الدورية الوزارية عدد 65 بتاريخ 20 مارس 1994 المتعلقة بتنظيم البناء بالعالم القروي؛

\_ الدورية الوزارية عدد 1593 بتاريخ 29 ماي 2002 حول رخص البناء بالعالم القروي وشروط تسليمها؛

- دورية وزارة الداخلية عدد 21563 بتاريخ 25 دجنبر 2012 بخصوص تبسيط مسطرة تراخيص البناء بالعالم القروي.

وتجب الإشارة إلى أن جل الفاعلين يتفقون على أن هذه الدوريات، ورغم مراميها الهادفة إلى تبسيط القوانين المتعلقة بالبناء بالعالم القروي وتجاوز حالات الجدل والمؤاخذات التي تضمنها قانون 12.90، إلا أنها لم تحل المشكل لأنها ببساطة

<sup>6</sup> كرزازي موسى (2007)، السكن الريفي الفلاحي في علاقته بالضغط الديمغرافي بالقطاع المسقي بالغرب وعواقبه، ورد في ندوة السكن الريفي بالمغرب، التحولات، وأفاق التنمية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجديدة، شعبة الجغرافيا سلسلة ندوات ومناظرات العدد 8 ص -

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م

لا ترقى إلى القانون، ولا يمكن أن تعوض النقص الحاصل الذي يعترى قوانين التعمير وعدم تجاوز المقترضات القانونية المرتبطة به.

### ثالثا- القوانين المنظمة للبناء وإشكالية النجاعة

إن القوانين والمقترضات القانونية المنظمة للبناء بالعالم القروي أظهرت عجزا واضحا في تدبير عملية البناء بالعالم القروي وتنظيمه، وتجسد ذلك من خلال مجموعة من المعطيات، يمكن إجمالها فيما يلي:

- يتسم القانون المنظم للتعمير والبناء في المجال الريفي عدم ملائمته لواقع المجال الريفي في كثير من الأوساط بالبلاد، لاسيما الأوساط ذات التعمير القديم والثقل الديمغرافي، ذلك أن شرط وجود هكتار كشرط أساسي للقيام بعملية البناء في حين نجد أن أكثر من 62% من الفلاحين بقطاع الزمامرة بدكالة مثلا يمتلكون أقل من هكتار، زيادة على وجود فئة مهمة من عديهي الملكية، ذلك أن الضغط الديمغرافي والتعمير المبكر وقانون الإرث ساهما بشكل كبير في الوضع العقاري بمثل هذه الأوساط الجغرافية من البلاد. كما أن هذا القانون لا يميز بين الوسطين الحضري والقروي، ورغم أنهما وسطان يختلفان اختلافا كبيرا على جميع الأصعدة؛

- إن التشريعات والقوانين المعمول بها لا تنص على المحافظة وتنوع الخصوصية المعمارية للسكن القروي وتطويرها، حيث أن التوسع العمراني غير المراقب يساهم في فقدان الخصوصية المعمارية المميزة لكل جهة، وفي تشويه المناظر الطبيعية في مختلف المجالات، وذلك بسبب السكن غير المكتمل البنين الذي بات ظاهرة شائعة. وهذا راجع إلى غياب ترسانة قانونية تظل غير ملائمة أحيانا وغير مفعلة أحيانا أخرى، ومن جهة أخرى بسبب اللجوء إلى الاستثناءات في التعمير التي باتت تشكل قاعدة عامة، مما فتح المجال أمام مظاهر تشويه المشهد المعماري للمجال القروي، ويرجع ذلك لكون وثائق التعمير كما تم إعدادها لا تبالي كثيرا بخصوصيات المجالات الريفية، ورغم أن المجال الحضري يتباين عن المجال الريفي في كثير من الجوانب، مما يفرض أدوات تنظيمية لكل وسط، مع إمكانية فتح المجال من أجل ترميم السكن الريفي في ضوء الخبرة والإمكانات التنموية والمحلية؛

- لوحظ كذلك غياب إطار قانوني لحماية السكن من التهديدات البيئية والمخاطر ذات الصلة بالتغيرات المناخية، كالفيضانات والانجرافات والجفاف، وذلك اعتبارا لكون المجال المغربي برمته يعد من أكثر المجالات عرضة للكوارث الطبيعية والبيئية، نظرا للهشاشة التي تميزه. على الرغم من أن السلطات الترابية تظهر استعدادات لمواجهة هذه المخاطر، فإن الاستجابة عادة ما تكون متأخرة وبطيئة، وتواجه تعقيدات مختلفة، ويمكن تفسير ذلك بانعدام رؤية واضحة ومخططات عمل مناسبة، لاستباق المخاطر المناخية والاهتمام الضعيف بالتهديدات البيئية التي تؤثر على السكن القروي، مع ضعف في وسائل المصاحبة والدعم السكن، وخاصة في الأوساط الجبلية جراء تساقط الثلوج وموجات البرد القارسة؛

- إن تدبير المجالات الريفية مازال يعاني من عدة اختلالات وتأويلات متباينة للنصوص التشريعية، في حين أن التدبير يرتبط إلى حد كبير بالمعطيات المحلية، وبالتالي فإن هناك اختيارات متعددة، تتصل بطبيعة الأشخاص والإشعاع السياسي وتموقع أعضاء لجن دراسات الملفات، كما تعتمد الممارسة على منطق الفاعلين والوضعيات المحلية، وليس على سياسة تمارس وفق تأطير تنظيمي ومؤسسي متوازن؛

- صعوبات تدبير ملفات البناء وتقسيم الأراضي وتجزئتها في الوسط القروي، وكذا ضعف اللجوء إلى المهنيين خلال عملية بناء المسكن الريفي، وقصور المساعدة التقنية المقدمة للسكان القروية للتغلب على الغموض الحاصل في تأويل وفهم النصوص القانونية ووثائق التعمير، إضافة إلى معاناة الساكنة القروية في طلبات بناء أو إصلاح المساكن.

#### مناقشة نتائج الدراسة

تبين من خلال محاور هذه الدراسة ونتائجها ما يلي:

- أن الدينامية التي يعرفها الساكنة القروية ساهمت في تزايد حاجياتها الأساسية، لاسيما تلك المتعلقة بالولوج إلى سكن لائق يضمن لها الرفاه، فضلا عن الولوج محليا إلى الخدمات الأساسية، من خلال تنفيذ مشاريع مهيكلية، كفيلة بخلق الثروة على المستويين المحلي والجهوي، وهو ما حاولت السلطة الاستجابة له، بواسطة مجموعة من المشاريع والبرامج القطاعية، وبالاعتماد على مؤسسات ذات طابع ترابي. بيد أن ضعف الانتقائية على مستوى تلك البرامج، وتفاوتاتها في الزمان والمكان، الأمر الذي حال دون تحقيق النتائج المرجوة، زاد من ضعفها غياب سياسة عمومية مندمجة في مجال السكن القروي، مما ترتب عنه انتشارا متسارعا للمساكن المتفرقة، والمتسمة بضعف الخدمات الأساسية والمفتقرة إلى البنيات التحتية الملائمة؛

- بالنظر إلى تدخل العديد من الفاعلين، وتنوع المجالات والمناطق القروية، وضعف التنسيق بين الشركاء المعنيين على الصعيد الترابي والمحلي، فإن تدبير السكن القروي ظل متروكا للمبادرة الفردية، التي تقوم بها الساكنة نفسها.

- فرضت حالة التغلب على أوجه القصور والتأخر المتراكم على مستوى المناطق القروية في مجال السكن القروي، ضرورة تسليم رخص البناء استجابة لمطالب الساكنة، مع اعتماد أدوات تنظيمية ومنظومات تخطيط وعمل لا تواكب الحاجيات، وبتدخلات تتميز بنوع من رد الفعل، الأمر الذي زاد من تعقيد واقع الحال، وأضحت الاستثناءات التي هي بالأساس أداة للمرونة الإصلاحية والاستثنائية من أجل التدخل في حالات خاصة تمثل القاعدة.

- حدود المناطق الفلاحية والغابوية كما هو منصوص عليها في القانون 12.90 غير مضبوطة بمراسيم، كما أن انعدام خرائط لهذه المجالات يؤثر بشكل سلبي على حماية الأراضي الفلاحية والملك الغابوي والمحافظة عليه، وبالتالي فإن هذه المناطق الهشة تكون دائما معرضة لمخاطر التوسع الحضري وانتشار السكن السري.

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م

-ساهم تمدن العالم القروي في تدهور الخصوصية المعمارية وبالتالي ضياع رأسمال لامادي.

توصيات:

بناء على نتائج الدراسة ومخرجاتها يوصي الباحثين بما يلي:

- بما أن قضية السكن الريفي غاية في التعقيد ويصعب الاحاطة بكل جوانبها، وبما أنه مجال للالتقاء مجموعة من المتدخلين رغم ما يعتري هذا التدخل من محدودية في الزمان والمكان، فإن تدبير السكن الريفي لا ينبغي أن يظل متروكا للمبادرة الفردية التي تقوم بها الساكنة، بل وجب تحديد الخيارات العامة للسكن على المستوى الوطني، وذلك عبر تنفيذ برامج ترابية؛

- إن تنفيذ البرامج الترابية على صعيد السكن الريفي لا يمكن أن يتم دون حل وتسوية مشكل كبير طالما ساهم في ضياع فرص تطور السكن الريفي، ويتعلق الأمر بغياب التنسيق بين الشركاء المعنيين على الصعيد الترابي والمحلي، وكذا انخراط المنتخبين والفاعلين المحليين؛ وفي هذا الصدد فإن الجهة باعتبارها جماعة ترابية تشكل الإطار الأكثر ملائمة لمثل هذا التنسيق، لأنها هي الأقرب للمنتخبين والساكنة وإلى الخدمات اللامركزية للدولة، وخاصة وأن الجهة أضحت تمارس اختصاصات مشتركة بينها وبين الدولة في مجالات التنمية القروية، ولاسيما تأهيل العالم القروي وتنمية المناطق الجبلية وتنمية مناطق الواحات؛

- إعادة النظر في القوانين المنظمة للبناء مع العالم القروي وتكييفه تبعاً للخصوصيات الجغرافية والبشرية للمجالات القروية بالمغرب، مع ضرورة تمكين الساكنة القروية من الولوج إلى الأبنك من أجل البناء، حيث أثبتت بعض الدراسات أن أغلب البيوت القروية تشيد إما بالاعتماد على التمويل الذاتي أو انطلاقاً من الإرث، ونادراً ما يتم اللجوء إلى الاقتراض، ويرتبط هذا الوضع بكون الأبنك تفترض شروطاً قالمات تتوفر في المساكن القروية، وخاصة اثبات الملكية عن طريق التحفيظ.

### خلاصة:

نستخلص أن عملية البناء في العالم القروي ورغم تعدد الفاعلين ووجود أدوات تنظيمية وتشريعية تؤطر البناء في العالم القروي، إلا أن واقع الحال يبرز غياب سياسة أو استراتيجية خاصة للدولة في مجال السكن القروي تستهدف المواطن القروي وتأخذ بعين الاعتبار حاجياته ومتطلباته ورفاهيته، كما أن البرامج العمومية ورغم تنوعها وشمولية أهدافها لم تتمكن من الإجابة على حاجيات المجالات الريفية. ومن جانب آخر فقد ازدادت الحاجة الملحة للسكن العصري والمندمج والشامل لدى ساكنة الأرياف وازداد معها اتساع عمليات البناء بشكل عشوائي وغير منظم، وهذا ما أدى إلى افراز أنواع جديدة من السكن. إن تنظيم مجال البناء بالعالم القروي يحتاج إلى وسائل وآليات ومقاربات جديدة مواكبة وضابطة

للتحولات التي يعرفها السكن بالأرياف المغربية. وقد فرضت هذه التحولات على الجهات المختصة الاقدام على مجموعة من الإجراءات، كان أولها إصدار تصاميم النمو التي تقوم على تنظيم المجال وتأهيله من جميع الجوانب، من خلال احداث مرافق تنموية وبنيات تحتية وأماكن للسكن، واصدار قانون التعمير 12.90 وسن مجموعة من الدوريات لتبسيط مساطر البناء بالعالم القروي وتقديم مساعدات تقنية من طرف الوكالات الحضرية، تمثلت في التصاميم المجانية النمطية، إلا ان هذه المجهودات تبقى محدودة ويطلبها نوع من الجمود والبطء والاختلال، ولا تتماشى مع التغيرات المتسارعة التي يسببها السكن بالأرياف المغربية، زاد من حدة تعقيدها تعدد المتدخلين، وعدم الأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات الجهوية والمحلية، وتجاهل اشراك الساكنة في بلورة واقتراح المشاريع.

### المراجع:

- 1- الأسعد محمد (1999) " البيئة والتنمية القروية المستديمة بالمغرب، الطبعة الأولى. الدار البيضاء .
- 2- أفيلال رشيدة (2000)، إعداد التراب الوطني ودرس التاريخ، مجلة أمل العدد8، ص ص 12-23.
- 3- أقصي عز الدين (2003)، الاستفادة من الخدمات الأساسية، كيفية إعادة التفكير في الجماعي، الحركة الجمعوية الديمقراطية والعدالة الاجتماعية الرباط، مطبعة المعارف الجديدة ص 79-87.
- 4- الكراوي إدريس (1998) ، المغرب والمستقبل: تأملات في الاقتصاد والمجتمع، سلسلة المعرفة الاقتصادية، دار توبقال للنشر، الرباط.
- 5- ليكر رشيد (2003)، إعداد التراب الوطني ورهانات التنمية الجهوية، اطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، كلية العلوم القانونية والاقتصادية عين الشق، الدار البيضاء.
- 6- كريم محمد (2012) الاقتصاد الاجتماعي بالمغرب: التنمية المعاقدة وجدلية الاقتصاد والمجتمع، مطابع افريقيا الشرق.
- 7- كرزازي موسى (2007)، السكن الريفي الفلاحي في علاقته بالضغط الديمغرافي بالقطاع المسقي بالغرب وعواقبه، ورد في ندوة السكن الريفي بالمغرب، التحولات، وأفاق التنمية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجديدة، شعبة الجغرافيا سلسلة ندوات ومناظرات العدد 8 ص 11.
- 8- كرزازي موسى (1993)، جوانب من التحولات الاجتماعية المجالية الحديثة في ارياف سهل العرب، ورد في التحولات الاجتماعية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 28 الرباط.
- 9- جمال عبد اللطيف (2007)، "ملاحظات أولية حول موضوع السكن الريفي بالمغرب"، ورد في ندوة السكن الريفي بالمغرب، التحولات وأفاق التنمية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجديدة، شعبة الجغرافيا، سلسلة ندوات ومناظرات العدد 8 المغرب.
- 10- مجموعة من الخبراء (2019) "السكن في الوسط القروي من اجل سكن دامج ومستديم" منشورات المجلس الاقتصادي والاجتماعي (نسخة اليكترونية).



## مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل يونيو 2022م

**Ayad. M, (1982)**, L'organisation de l'espace rurale dans le plateau d'El Jadida et sahel d'Azemmour, Etude de géographie rurale, cartographie, Mémoire DES en Géographie, Rabat (Ronéo ).

**.12Bois. J, (1938)**, la surpopulation des Doukkala, documents du centre des hautes et des administratives sur l'Afrique et l'Asie moderne n°300 (Ronéo ).

**.15Forse, M et Mendras. H, (1983)**, le changement social, tendances et paradigmes, Armond Colin Editeur, paris .

**.16Fosset. R et Noin. D, 1966**, "Utilisation du sol et population dans les Doukkala" Revue géographique. Du Maroc N°10, P : 34-41 .

**.17Fosset. R, 1979**, Société rurale et organisation de l'espace dans les bas plateaux atlantiques du Maroc moyen : Chaouia, Abda-Doukkala. Thèse de doctorat d'état, universitaire Paul Valery, Montpellier .

**.Hansnes. J, (1971)**, L'habitat et société et l'Etat dans les pays Maghrébin, puf paris 20.

**. Iraki. A et Tamim. M, (2012)**, La dimension territoriale du développement rural au Maroc : Etude géographique. INAU, PUB Rabat net.

دراسة الأثر البيئي لانبعاثات غبار المقالع في الجوباستعمال نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد . نموذج مقالع إقليم بنسليمان .

## Environmental impact assessment of dust emissions from quarries using GIS and remote sensing: a case study of Benslimane province.

1- كتابي صلاح الدين، جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال، المغرب. ([kottabi.salah@gmail.com](mailto:kottabi.salah@gmail.com))

2- كردود عبد الحميد، جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال، المغرب. ([kerdoudabdelhamid@gmail.com](mailto:kerdoudabdelhamid@gmail.com))

المخلص: تؤدي مختلف العمليات المرتبطة باستخراج المواد من المقالع ونقلها إلى بعث كميات مهمة من الغبار في الجو، الشيء الذي يترتب عنه ظهور اختلالات عديدة على المجالات المجاورة. فعند انبعاث الغبار يتم تعليقه في الجو لفترة من الزمن يمكن خلالها أن يؤثر على جودة الهواء عن طريق تغيير الكيفية التي يمر بها الضوء والتفاعل مع المكونات الأخرى للغلاف الجوي، وبهذه الطريقة يؤثر على سلوك الغلاف الجوي اتجاه بياض الأرض مما يؤثر على درجة امتصاص وعكس أشعة الشمس وبالتالي التأثير على درجة حرارة المجال محليا. كما أنه حين تكون تداعيات الغبار مهمة جدا، تكون النسبة التي ترسبت منه على النباتات كافية لتغيير تركيب مادة الكلوروفيل وإبطاء نموها. دون أن ننسى أن تلقي المسطحات المائية والترية المتواجدة حول المقالع لرواسب من الغبار الناجم عن أنشطتها، يقوم بتعديل بعض الخصائص الفيزيائية والكيميائية لهذه الأوساط، الشيء الذي يتسبب في التغيير في حجم إنتاجيتها، سلوكها اتجاه الضوء، وزيادة درجة حمضيتها وتكلسها، مما ينعكس بالسلب على الساكنة، وعلى نباتات المنطقة والمحاصيل الزراعية.

الكلمات المفتاحية: المقالع – الغبار – إقليم بنسليمان – التنمية المستدامة – التدهور البيئي.

**Abstract :** The various processes associated with the extraction and transport of materials from quarries result in the emission of significant quantities of dust into the atmosphere. This results in the emergence of many detriments. When dust is emitted, it is suspended in the atmosphere for some time during which it can affect air quality by changing the way light passes through and interacts with other components of the atmosphere. In this way, it affects the behavior of the atmosphere concerning the albedo of the Earth, which results in a change in the degree of absorption and reflection of sunlight, and thus affects the temperature of the local area. When the dust fallout is in large quantities, some of it settles on the plants which can be enough to alter the composition of the chlorophyll and slow plant growth. We can also mention that the water bodies and the soil located around the quarry receive dust deposits resulting from these site activities. The physicochemical characteristics of these physical environments can be modified, depending on the increase in pH, the increase in alkalinity, and the modification of productivity, which negatively affects the population, the local plants, and agricultural crops.

**Key Words :** Quarries - Dust emitted from quarries - The province of Benslimane - Sustainable development - Environmental degradation.

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م

يعد الهواء واحدا من أكثر الموارد التي يحتاجها الإنسان من أجل العيش، فهو الوسط الطبيعي الأكثر أهمية بالنسبة لحياة الإنسان والحيوان، وجودته لها علاقة مباشرة مع صحة الإنسان ونوعية الحياة التي يعيشها مع باقي الكائنات الحية. إلا أن هذا المورد بدأ يعرف مشاكل خطيرة جدا في بعض المناطق الصناعية كما هو الحال بمقالع إقليم بنسليمان، حيث بدأ يطرح معها مشاكل على مستوى صحة الإنسان والحيوان والنبات بتركز بعض الملوثات الجوية التي تؤثر على صحة الإنسان وعلى الحياة التي يعيشها، بالإضافة إلى خطر التغيرات المناخية الذي يعزى إلى زيادة تركيز بعض الغازات ذات مفعول السقيفة مثل غاز ثاني أكسيد الكربون وأكاسيد الأوزون.

ويرجع ذلك بالأساس إلى تعليق مجموعة من الجسيمات الصغيرة الناتجة عن تجزئة المواد في الهواء، بالإضافة إلى غازات الشاحنات وناقلات المواد المستخرجة من المقالع، ثم انبعاث غازات سامة ناتجة عن الاحتراقات والانفجارات وآلات الاستخراج بالمقلع. فتلوث الهواء بالمقالع ينتج خلال جميع مراحل الإنتاج: أثناء عملية استعمال المتفجرات، أثناء عملية الكسر والاستخراج، وأثناء ملأ وإفراغ الشاحنات ونقل المواد...

لذا سنحاول في هذا المقال التطرق للتبعيات السلبية التي تخلفها انبعاثات الغبار حول المقلع خلال مختلف مراحل اشتغاله، وذلك في إطار محاولة معالجة إشكالية بيئية تتمحور حول معرفة مدى مساهمة انبعاثات غبار الأنشطة الاستخراجية للمقالع في التأثير على الوسط البيئي بإقليم بنسليمان. وذلك باستعمال أدوات نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد.

### الفرضيات:

يتوفر إقليم بنسليمان على مؤهلات طبيعية ساهمت في انتشار المقالع بشكل كبير خاصة خلال السنوات الأخيرة، إلا أن الضغط على هذه الموارد أدى في الآونة الأخيرة إلى بروز مجموعة من الاختلالات في قطاع المقالع تهم طرق الاستغلال وتنامي ظاهرة المقالع العشوائية، مما نتج عنه العديد من الأضرار الجسيمة على البيئة ناجمة بالدرجة الأولى عن انبعاثات الغبار، الشيء الذي أصبح يهدد استقرار الإقليم وبيئته. وبالتالي يمكن وضع الافتراضات التالية بصدد الوقوف على الأسباب الكامنة خلف هذه الوضعية.

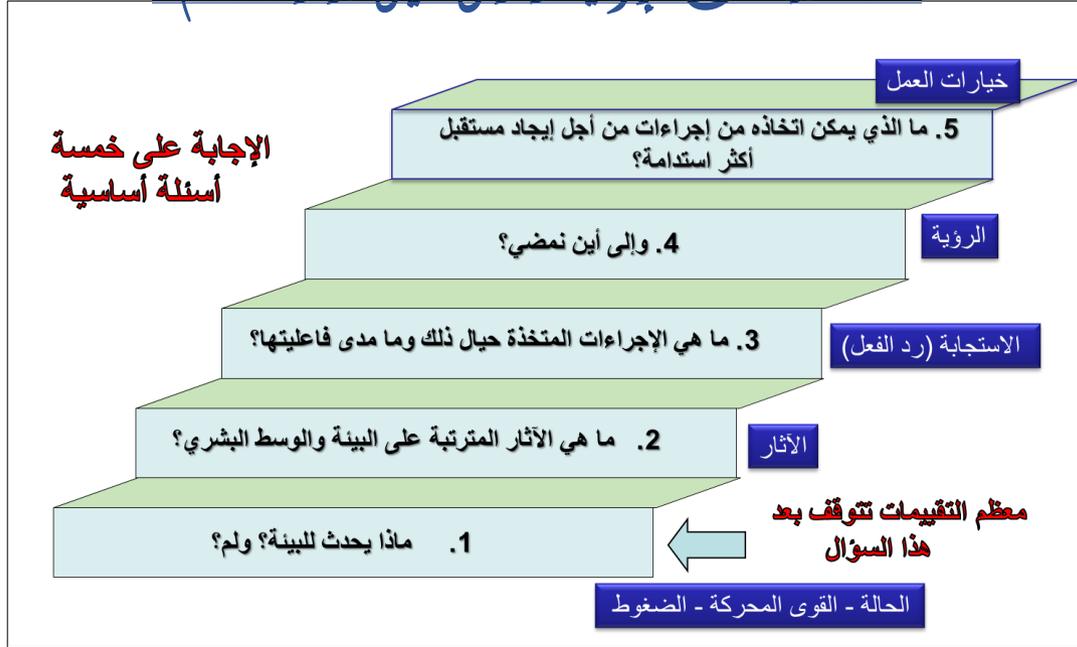
- ✓ يمكن أن تشكل أساليب الاستغلال التقليدية والعشوائية للمقالع عاملا أساسيا في تدهور الوضعية البيئية.
- ✓ تتسبب انبعاثات الغبار بأزمات بيئية خطيرة وتبعيات سلبية على مستوى جودة الهواء، النبات، التربة، والماء بمحيط المقلع.
- ✓ عدم نجاعة المراقبة، مما نتج عنه انعكاسات سلبية على كل من الساكنة والبيئة الطبيعية.
- ✓ إن نهج تدخل وتدبير عقلائي وصارم هو الكفيل بتخفيض هذا الضغط الحاصل على المجال وتحسين الوضعية.

### المنهجية:

سنعتمد في هذه الدراسة على تحليل المؤشرات البيئية والتقييم البيئي المتكامل (FPEIR) (أو باللغة الإنجليزية DPSIR)، وذلك عن طريق تحديد:

- مؤشر القوى الموجهة أو العامل الموجه Forces motrices: ويتمثل في السبب الرئيسي للمشكلة البيئية، أي انبعاثات الأنشطة الاستخراجية للمقالع.
  - مؤشر الضغط Pression: تحديد مدى مساهمة انبعاثات غبار المقالع في تدهور الوضعية البيئية بالمجال.
  - مؤشر الحالة État: ويتم بعد معاينة الوسط واستنباط مختلف مظاهر الإشكالية البيئية المدروسة.
  - مؤشر الأثر Impacts: ويحدد بتحليل المعطيات والملاحظات قصد الوقوف على أبرز العوامل المسؤولة عن تدهور الوضعية البيئية بالمجال سواء على مستوى الموارد الطبيعية من هواء وغابات وموارد مائية وتربة، أو على مستوى الخصائص السوسيو-اقتصادية للسكان والنظم الإيكولوجية.
  - مؤشر الاستجابة Réponses: بتحديد مختلف القوانين والتدابير التي تم اتخاذها بهدف الحد والتخفيف من حدة التدهور الناتج عن الاستغلال العشوائي للمقالع، مع تحديد درجة نجاعتها وما طبق منها على أرض الواقع.
- تحليل المؤشرات البيئية أو التقييم البيئي المتكامل FPEIR، هو مؤشر طور خصيصا للمساهمة في فهم وتحليل التغيرات الرئيسية الكبرى في الوضعية البيئية بالمجال (المجالات المحيطة بالمقالع بإقليم بنسليمان في حالتنا). واستنباط عواقبها من خلال اعتماد تحليل يشمل تحديد سبب الأزمة البيئية، أنشطتها وانعكاساتها السلبية على المجال، العوامل المسؤولة عنها، والتدابير المتخذة لتحسين الوضعية مع مراعاة ما طبق منها.
- ويبقى الهدف الأساسي من بناء هذا النموذج إنجاز تقييم بيئي متكامل للوضعية يقضي في نهاية المطاف الوصول إلى نظرة مستقبلية بهدف تحديد الإجراءات التي يمكن اتخاذها من أجل إيجاد مستقبل أكثر استدامة. وذلك من خلال تتبع خطوات محددة ومنطقية والإجابة على خمس أسئلة أساسية:

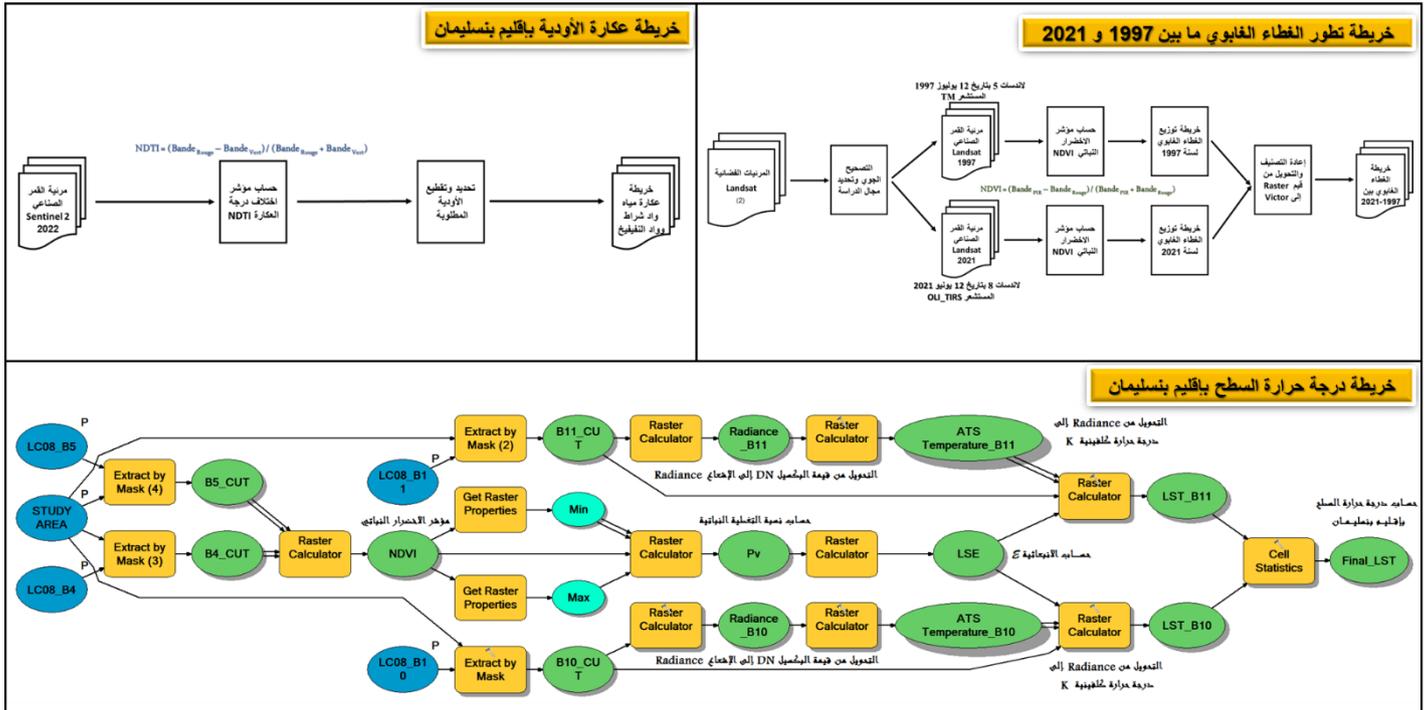
## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م



### • العمل الكرتوني:

تم الاعتماد في إعداد خرائط هذا المقال على بعض تقنيات نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد، ولعل أبرزها توظيف صور الأقمار الصناعية التالية:

- الصورة الأولى تم التقاطها عن طريق المستشعر TM للقمر الصناعي لاندسات 5 بتاريخ 12 يوليوز 1997، بدقة مكانية ذات 30 متر.
- الصورة الثانية تم التقاطها عن طريق المستشعر OLI\_TIRS للقمر الصناعي لاندسات 8 بتاريخ 12 يونيو 2021، بدقة مكانية ذات 30 متر.
- الصورة الثالثة للقمر الاصطناعي سنتنيل 2 ب المستوى الثاني (Sentinel 2b level 2) بتاريخ 02 ماي 2022، بدقة مكانية ذات 10 أمتار.



موقع ومجال البحث:

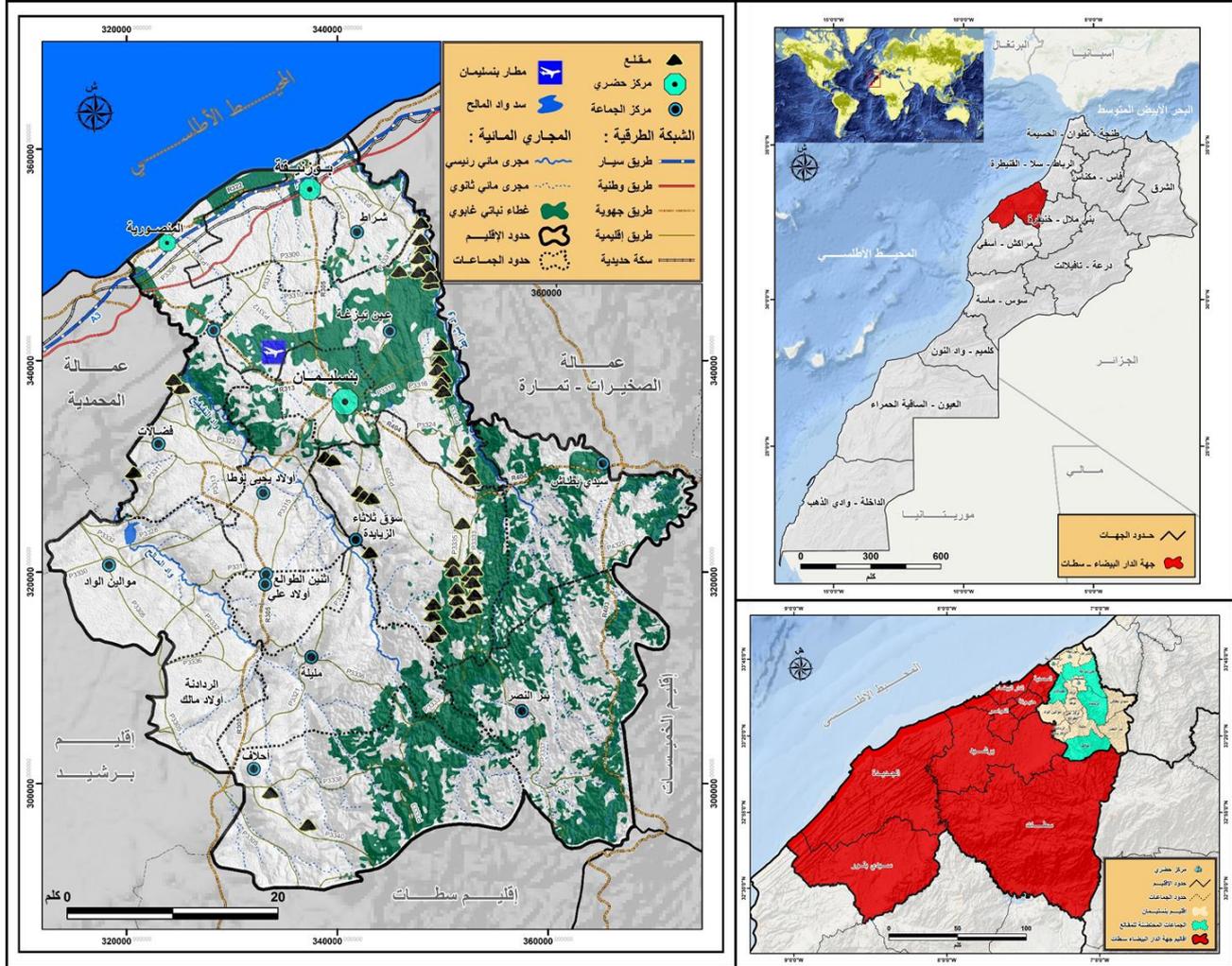
يمتد إقليم بنسليمان على مساحة تقدر بحوالي 240000 هكتار (2400 كلم<sup>2</sup>) أي ما يمثل 0.33% من مساحة المغرب، وينتمي من الناحية الطبيعية إلى الهضبة الوسطى الغربية (المزيطا) الواقعة بالشمال الغربي من المغرب، يحده من جهة الشرق واد شراط وواد كريفلة على مستوى تراب جماعة سيدي بطاش، وواد المالح من الجنوب الغربي، والمحيط الأطلسي من الشمال الغربي وكتلة الخطوات من جهة الجنوب. أما من الناحية الإدارية فيعتبر إقليم بنسليمان جزءا من جهة الدار البيضاء - سطات. يمتد على عمق 50 إلى 60 كلم انطلاقا من الساحل وصولا إلى سيدي البطاش مع إطلالة بطول 35 كلم على المحيط الأطلسي على طول السهل الساحلي. وتحده عمالة الصخيرات - تمارة من الشمال الشرقي وإقليم الخميسات من الشرق وإقليم السطات من الجنوب الغربي وإقليم خريبكة من الجنوب وعمالة المحمدية من الشمال الغربي. ويتكون إقليم بنسليمان من الدوائر والجماعات التالية: جماعة الزبايدة، عين تيزغة، الشراط، سيدي بطاش، أولاد يحيى لوطا، فضالات، أولاد علي الطوابع، موالين الواد، مليلة، الردادنة أولاد مالك، أحلاف، بئر النصر، والمراكز الحضرية بنسليمان، بوزنيقة والمنصورية.

أما فيما يخص الجماعات التي تحتضن المقالع فوق ترابها فهي كل من: جماعة عين تيزغة بأقصى شرق الإقليم، ويقع مقرها على بعد 7 كيلومترات من مدينة بنسليمان بمركز العيون. جماعة الزبايدة جنوب مدينة بنسليمان. ثم جماعة فضالات غرب إقليم بنسليمان، ويقع مركزها على بعد 25 كلم من مدينة بنسليمان،

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م

و12 كلم من مدينة المحمدية، و12 كلم من مدينة الدار البيضاء. في حين تقع جماعة أحلاف في أقصى الجنوب يبعد مقرها ب 55 كلم عن مدينة بنسليمان و2 كلم عن مدينة الكارة و30 كلم عن مدينة برشيد.

### خريطة رقم (01): توطين المجال المدروس على المستوى الوطني والجهوي والمحلي



المصدر: عمل شخصي بالاعتماد:- على معطيات التقسيم الجهوي للمغرب سنة 2016، ونموذج الارتفاعات الرقمي SRTM بدقة 30 متر.

- معطيات المديرية الإقليمية للتجهيز والنقل واللوجستيك والماء، سنة 2022.

ويحتضن إقليم بنسليمان 46 مقلعا تتوزع على أربع جماعات ترابية: تتركز 41 منها بشرق الإقليم، حيث تتوفر جماعة الزيادة على ما مجموعه 22 مقلعا، تليها جماعة عين تيزغة ب 19 مقلعا، في حين تتراجع الأهمية بباقي الجماعتين إذ لا يتعدى مجموع المقالع 3 بجماعة فضالات بالغرب، ومقلعين بالجماعة الترابية أحلاف في أقصى جنوب الإقليم. وتتمركز

بالضبط هذه المقالع بالضبط في الضفة الغربية لواد شرط، حيث أن 89% من هذه المقالع تنتشر بمحاذاة واد شرط، إذ أن 48% من مقالع الإقليم تتركز بجماعة الزيادة و41% بجماعة عين تيزغة. في حين 7% تنتشر بجماعة فضالات، و4% فقط بجماعة أحلاف.

## الناتج ومناقشتها:

### 1. انبعاثات وانتشار الغبار:

يعد الغبار الناجم عن الأنشطة الاستخراجية للمقالع المصاحبة لمختلف مراحل الإنتاج والتوزيع بمثابة الملوث الرئيسي للغلاف الجوي والهواء، بالإضافة إلى حركة الشاحنات على الطرق المعبدة وغير المعبدة والتي تمتد على مسافات جد طويلة، يرفع من حدة تلوث الهواء بالمجال المدروس خاصة خلال فصل الصيف والفترات الجافة، اعتبارا للدور الكبير الذي يلعبه الماء في القضاء على الغبار المنتشر في الجو والتخفيف من حدته.

تتفاوت كمية الغبار الناتج عن هذه الأنشطة والعمليات تبعا لمجموعة من العوامل، لعل أبرزها مساحة المقلع نفسه، عدد الآلات التي يتضمنها والمدة الزمنية لاشتغال هذه الآلات. كما تعد الرياح بمثابة الأثر الميكانيكي المسؤول عن زيادة معدلات نقل الغبار من أماكن تواجد المقالع نحو المجالات المحيطة بها التي تحتضن التجمعات البشرية والمساكن والأراضي الزراعية، الشيء الذي يخلف أضرار بيئية وصحية خطيرة. ويوفر فصل الصيف الظروف المثالية للانتشار القوي والسريع للجسيمات التي يتضمنها الغبار المتطاير من المقالع، حيث تسود فترات الجفاف الطويلة وتكون الرياح قوية خاصة بجوار المجالات الغابوية.

### خصائص الغبار ومكوناته:

في صناعة المقالع والأنشطة الاستخراجية بصفة عامة، يطلق مصطلح الغبار على الجسيمات/الجزئيات الصلبة والخاملة غير القابلة للذوبان التي يتراوح قطرها ما بين 0 و40 ميكرون، وأحيانا يتم استبدال مصطلح الغبار بمصطلح "الجسيمات الدقيقة" لعناصر قطرها أقل من 80 ميكرو متر ( $\mu\text{m}$ ) وعادة ما تكون مرتبطة بمقالع الرمال. (7) ويؤثر حجم هذه الجسيمات بشكل مباشر على سلوكها في البيئة، فهو المسؤول الرئيسي عن طريقة انتشارها في الجو ونوعية سلوكها اتجاه الظروف المناخية.

عموما فإن مستغلي المقالع، عادة ما يستخدمون مفردات محددة لتسمية الجزئيات وفقا لحجمها:

- الغبار الخشن أو الجزئيات الكبيرة القابلة للترسب: يتراوح حجمها ما بين 40 و80 ميكرون، وتتواجد هذه الجسيمات في أسفل طبقات الغلاف الجوي السفلي على ارتفاع 3000 متر عن سطح الأرض، هذا النوع من الغبار يتميز بثقله الشيء الذي يؤدي إلى سقوطه سريعا على الأرض.
- الغبار المتوسط أو الجزئيات نصف الدقيقة: يتراوح حجمها ما بين 1 و40 ميكرون، وتبقى عالقة في الهواء لفترة أطول من سابقتها.

(7) Piédoue J. (juin 1996) : « Le dépoussiérage en carrières », Mines et Carrières, volume 78, page : 56.

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م

• الغبار الناعم وهي الجزيئات تحت المجهرية التي يقل حجمها عن 1 ميكرون، تشكل أصغر عنصر هوائي في الجو، ويتم امتصاصها من قبل الغازات الملوثة وبخار الماء، كما تبقى عالقة في الجو لفترات طويلة. تعتبر الجسيمات من المؤشرات الرئيسية لقياس جودة الهواء اليوم، وتميز السلطات المسؤولة عن مراقبة جودة الهواء بين ثلاثة أنواع رئيسية: PM10 جسيمات يقل قطرها أو يساوي 10 ميكرون، PM2.5 جسيمات يقل قطرها أو يساوي 2.5 ميكرون، وPM1 جزيئات لا يتعدى قطرها 1 ميكرون. وتتكون هذه الجزيئات المتواجدة بالغلاف الجوي (خاصة جزيئات PM10 وPM2.5) كيميائيا بشكل رئيسي من مواد كربونية (مواد عضوية، كربون) وعناصر أيونية وأكاسيد معدنية.<sup>(8)</sup>

### مصادر الغبار وأهميتها:

تتعدد مصادر خلق ونشر الغبار بالمقالع تبعا لمجموعة من المراحل، حيث تخلف كل مرحلة من مراحل التنقيب عن الصخر والاستخراج والمعالجة والإنتاج ونقل المواد كميات محددة من الغبار المنتشر بالجو. عموما يمكن تصنيف الأنشطة المختلفة لمراحل عمل المقالع وفقا لكمية الغبار الناتج كما هو مبين في الجدول التالي:

### الجدول رقم (01): مصادر الغبار بالمقالع وأهميتها.

مصادر بكميات معتدلة	مصادر بكميات مهمة	مصادر بكميات مهمة جدا
<ul style="list-style-type: none"> <li>▪ إزالة الغطاء العلوي للسطح</li> <li>▪ عمليات الحفر</li> <li>▪ إزالة المواد المضرة</li> <li>▪ نقل المواد بواسطة Trémies</li> <li>▪ عملية الغسل</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>▪ نقل المواد بواسطة الشاحنات</li> <li>▪ الشحن والتفريغ</li> <li>▪ التخلص من نفايات المواد المستخرجة</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>▪ حركة محركات الآلات والجرافات</li> <li>▪ استعمال المتفجرات</li> <li>▪ عملية السحق</li> <li>▪ عملية الغريلة</li> </ul>

المصدر: 19 : page « Carrières, poussières et environnement » de l'UNICEM

- ❖ إزالة الغطاء العلوي للسطح: تعرية الغطاء العلوي للسطح من الصخور والتربة والنفايات يلعب دورا مهما في تكون وانتشار الغبار، فبمجرد إزالة الغطاء النباتي تسهل الرياح عملية نقل هذه الأتربة على شكل غبار.
- ❖ عمليات الحفر: إن ترك ثقوب عمودية عميقة وتكسير الصخور يحول نسبة مهمة منها إلى غبار وشظايا خارج الحفر يسهل نقلها بواسطة الرياح.
- ❖ عملية الغسل: يحد الغسل بشكل طبيعي من انبعاث الغبار في الجو، إلا أن هذه العملية تولد ماء مشحون ومحمل بالأتربة نحو خزانات الترسيب، وبتكرار هذه العملية يتم تجفيف هذه الآلات مما قد يتسبب في بعض الأحيان بتطاير الغبار بعيدا.

<sup>(8)</sup> Les études de l'UNICEM – Impacts industriels (février 2011) : « Carrières, poussières et environnement », page : 14.

- ❖ نقل المواد بواسطة قناة Trémies: يتم إطلاق الغبار المتواجد ضمن كتلة المواد، وينتج غبار آخر عن حركتها.
  - ❖ نقل المواد بواسطة الشاحنات: يتسبب دوران الشاحنات والجرافات على المسارات في تآكل التربة وفرك الصخور وبالتالي نشر الغبار، بالإضافة إلى أن نقل المواد عبر الشاحنات على الطرق غير المعبدة يتسبب في خلق اهتزازات ومطبات من شأنها أن تطلق دفعة أخرى من الغبار في الجو.
  - ❖ الشحن والتفريغ: كلما ارتفعت سرعة الرياح فإن هاتين العمليتين يخلفان كميات أكبر دائمة ومهمة من الغبار. بالإضافة إلى أن ترك المنتج على شكل أكوام وكثبان فردية يجعلها عرضة لعمليات النقل بواسطة الرياح، خاصة وأن المواد التي يتم التعامل معها دقيقة وجافة. دون أن ننسى بعض الجسيمات التي تلتصق بعجلات الشاحنات وهيكلها بمجرد جفافها فهي تطير بعيدا.
  - ❖ استعمال المتفجرات: خلال وقت الانفجار فإن هذه المتفجرات التي تدخل الحفر تترك شظايا كبيرة من الصخور في وقت قصير جدا، كما تخلف سحابة مهمة جدا تنتشر بسرعة في الجو مكونة من الغبار الذي كان موجودا على سطح الأرض بجوار الحفر أثناء الانفجار.
  - ❖ عملية السحق: يتم سحق المواد والصخور بهدف تقليص حجم المواد الخام والحصول على منتجات ذات قطر محدد يتوافق مع الحجم المطلوب من طرف العملاء أو لتسهيل عمليات المعالجة اللاحقة. تخلف هذه العملية ركاما من الصخور مما يطلق جزيئات دقيقة في الجو على شكل غبار تختلف حسب نوع الآلات المستعملة في كل مرحلة من مراحل عملية السحق.
  - ❖ عملية الغريلة: فصل المواد وتقليبها يؤدي إلى تشتيت ونشر كميات مهمة جدا من الغبار في الجو، بالإضافة إلى أن احتكاك هذه المواد ببعضها البعض يولد موجات أخرى من الجسيمات الدقيقة التي يرتفع حجمها كلما كان المنتج المراد غريلته دقيقا.<sup>(9)</sup>
- كل هذه المراحل يختلف تأثيرها تبعا للظروف المناخية، إذ ترتفع حدتها كلما كانت الرياح قوية والجفاف شديدا ودرجة الحرارة مرتفعة.

#### طرق انتشار الغبار في الجو:

في الظروف الجوية التي تتميز بهواء هادئ عند درجة حرارة 20 درجة مئوية (°C)، تتحدد سرعة الجسيمات المنقولة في الجو حسب حجمها كما هو موضح في الجدول أسفله:

الجدول رقم (02): سرعة سقوط الجسيمات حسب حجمها.

سرعة سقوطها بالسنتيمتر/الثانية	حجم الجسيمات بالميكرون
400	1 000

<sup>(9)</sup> Les études de l'UNICEM – Impacts industriels (février 2011) : « Carrières, poussières et environnement », pages : 19-20-21-22-23-24-25.

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م

30	100
0,3	10
0,0035 (سنتيمتر/الساعة 12,6)	1
0,000035	0,1

المصدر: (10) Campanac et al., 1990

كما ويظهر من خلال الجدول التالي المسافة التي تقطعها الجسيمات تبعاً لسرعة الرياح عندما يصبح حجم مخزون المواد المستخرجة على شكل ركام أو كتائب ذو ارتفاع 15 متر.

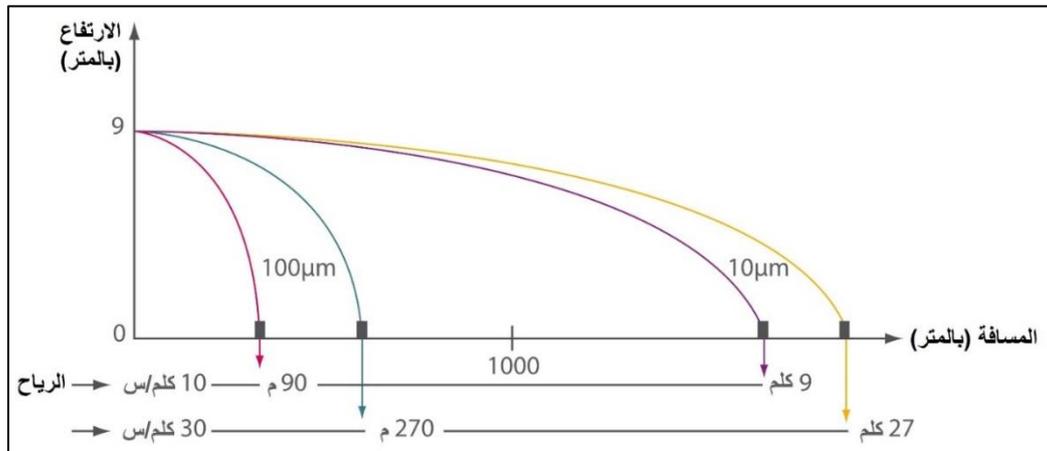
الجدول رقم (03): المسافة المقطوعة من طرف الجزيئات حسب حجمها وسرعة الرياح.

1	5	10	30	100	200	حجم الجزيئات بالميكرومتر ( $\mu\text{m}$ )
140 كلم	42 كلم	14 كلم	0,6 كلم	0,15 كلم	0,03 كلم	سرعة الرياح 10 كلم/الساعة
4165 كلم	125 كلم	40 كلم	1,8 كلم	0,4 كلم	0,1 كلم	سرعة الرياح 30 كلم/الساعة

المصدر: « Le dépoussiérage en carrières » : Piédoue J. (juin 1996)

نفس الشيء يوضحه الرسم البياني التالي، حيث يمثل المسافة التي تقطعها هذه الجسيمات عند ارتفاع 9 أمتار.

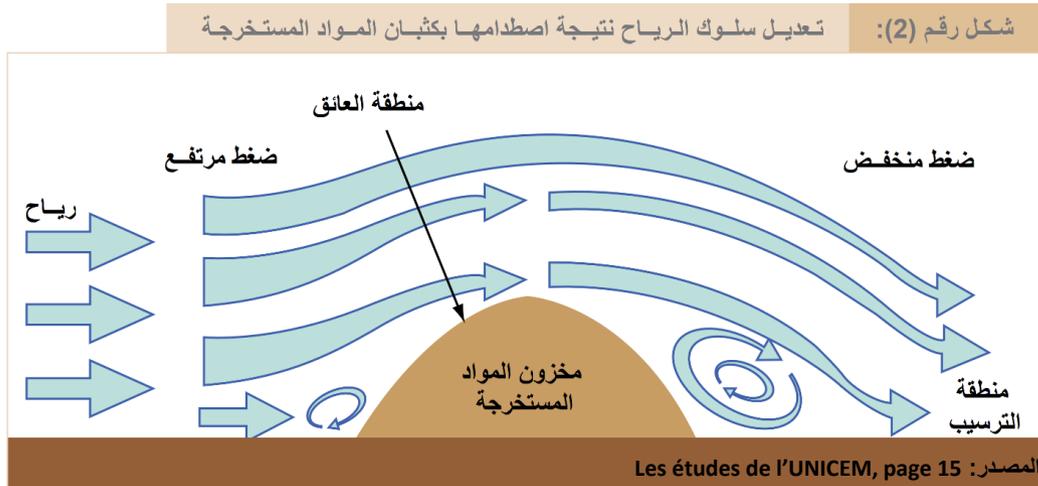
شكل رقم (01): مبيان تأثير العامل الميكانيكي للرياح على نقل و انتشار الغبار.



(10) Campanac R., Allombert J., Delobelle T. (1990): « Granulats », Presses de l'École Nationale des Ponts et Chaussées.

المصدر: Les études de l'UNICEM, page 15

تظل هذه البيانات النظرية خاصة بالمناطق القريبة من الأرض والمسطحة على عكس مواقع المقالع حيث انتشار عوائق أمام الرياح يغير من سلوكها وسرعتها كالأشجار، المنشآت، والتضاريس الوعرة، ومخزون المواد المستخرجة الذي يكون على شكل كتبان. الشيء الذي يخفض من سرعة الرياح في بعض الأحيان ويؤدي إلى تراكم هذه الجزيئات وترسيبها على سطح الأرض بعد مسافات قصيرة من موقع المقلع مما يخلف انعكاسات بيئية خطيرة على التربة.<sup>(11)</sup>



دون أن ننسى عامل الحرارة، فكلما كانت درجة الحرارة مرتفعة زادت معها حدة الجفاف لترتفع بذلك شدة عنف الرياح وقدرتها على نقل هذه الجسيمات.

**1. تأثير غبار المقالع على جودة الهواء بإقليم بنسليمان:**

يختلف حجم التأثيرات البيئية للغبار المنبعث من مقالع إقليم بنسليمان حسب الخصائص الكيميائية للصخر الأصلي للمواد المستخرجة من المقلع من جهة، وحسب حجم الجسيمات المنبعثة من مختلف مراحل الإنتاج والتوزيع سواء غبار الترسب (Poussières sédimentables) الذي يبقى في مناطق قريبة من الموقع بحوالي 300 متر، أو الجسيمات الدقيقة PM10 و PM2.5 التي تنقل بواسطة الرياح لمسافات طويلة.

عند انبعاث الغبار يتم تعليقه في الجو لفترة من الزمن يمكن من خلالها أن يؤثر على جودة الهواء عن طريق تغيير الكيفية التي يمر بها الضوء والتفاعل مع المكونات الأخرى للغلاف الجوي، وبهذه الطريقة يؤثر على سلوك الغلاف الجوي اتجاه بياض الأرض مما يؤثر على درجة امتصاص وعكس أشعة الشمس وبالتالي التأثير على درجة حرارة المجال محليا. كما أن الغبار المنبعث في الغلاف الجوي يتفاعل مع جزيئات الأوزون (O<sub>3</sub>) التي تواجهها مما يؤدي إلى تقليل تركيز غاز الأوزون في طبقة التروبوسفير.<sup>(12)</sup>

<sup>(11)</sup> Les études de l'UNICEM – Impacts industriels (février 2011) : « Carrières, poussières et environnement », pages : 15.

<sup>(12)</sup> Maxime Descôteaux (2012) : « Diminuer les émissions de poussières d'un site d'extraction et de traitement de pierre calcaire », Essai présenté au Centre Universitaire de Formation en Environnement, Sherbrooke, Québec, Canada ; page : 20.

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م

صورة رقم (02): انتشار غبار المقالع في الجو بدوار الكدية



صورة رقم (01): انتشار غبار شاحنات المقالع بجماعة الزيادة



المصدر: تقرير بوشعيب الحمراوي حول استنزاف الثروات الغابوية والساحلية بإقليم بنسليمان خلال سنة 2021.

يتفق بعض الخبراء<sup>(13)</sup> على أن الجسيمات الموجودة في الغلاف الجوي تسمح للسحب بتجميع المزيد من الماء قبل أن تؤدي إلى هطول الأمطار، الشيء الذي يزيد من عمر السحابة وبالتالي يقلل من تواتر هطول الأمطار وفي بعض الأحيان هطول الأمطار قبل أوانها ونشر الضباب.

دون أن ننسى أن معظم مقالع إقليم بنسليمان تتموضع في مناطق مرتفعة خاصة بجماعة عين تيزغة بالضفة الغربية لواد شراط وقرب مرتفعات واد النفيفيخ مما يسهل عملية نقل الغبار بواسطة الرياح، الشيء الذي يزيد معاناة الساكنة ويتسبب بمشاكل صحية لهم.

### II. تأثير انبعاثات الغبار على جودة الغطاء النباتي:

أسفرت تحليلات المقارنة ما بين توزيع الغطاء النباتي الطبيعي بإقليم بنسليمان خلال الفترة الممتدة ما بين سنة 1997 وسنة 2021 على النتائج التالية:

يظهر من خلال الخريطة رقم (02) أن مجال إقليم بنسليمان عرف تغيرات كبيرة وواضحة خلال هذه 24 سنة على مستوى استغلال تربة المجال ومساحة المجالات الغابوية إذ نجد أن:

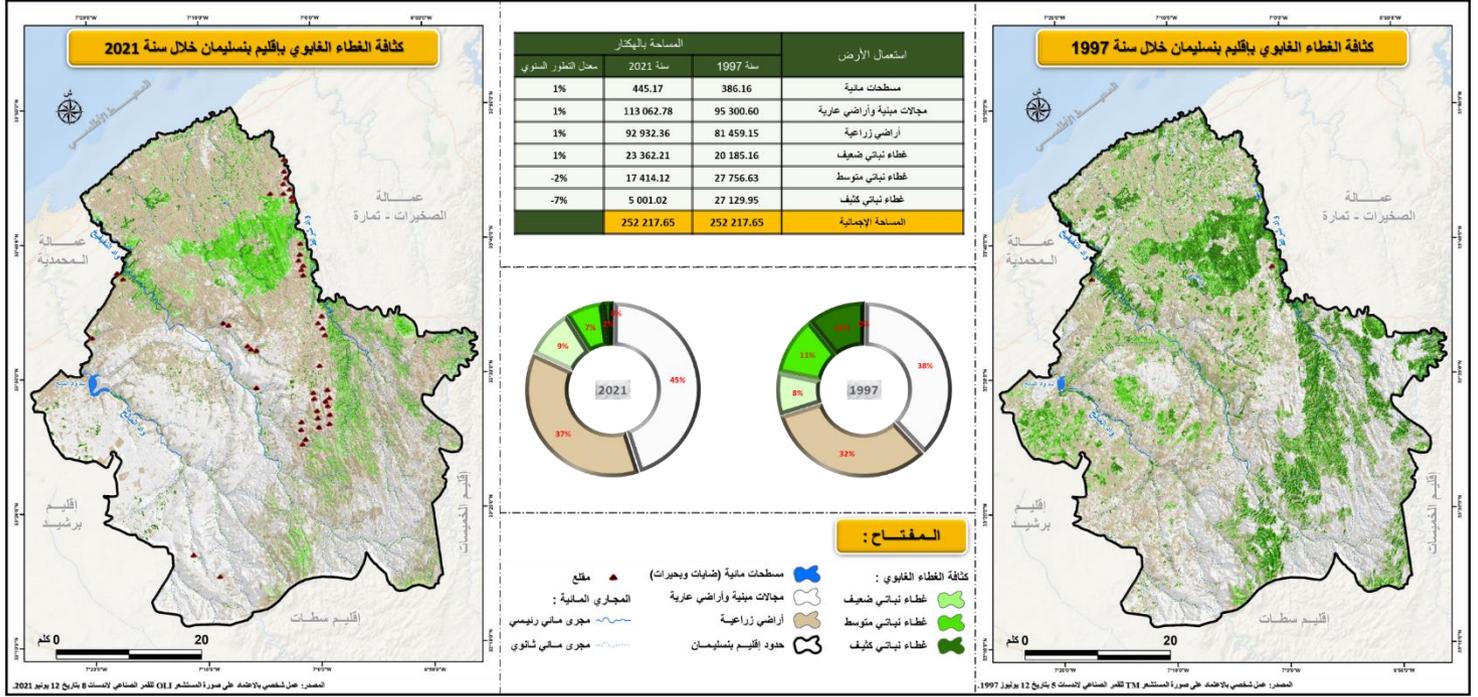
- ارتفعت نسبة المسطحات المائية بنسبة تصل ل 1% خلال كل سنة، حيث كان مجموع البحيرات والضيايات والأنهار والسدود يشكل ما مساحته 386,16 هكتار خلال سنة 1997 ليرتفع ويصل إلى ما مجموعه 445,17 هكتار خلال سنة 2021.
- فيما يخص المجالات العارية والأراضي المبنية والتجمعات السكنية بدورها ارتفعت بما نسبته 1% خلال كل سنة، إذ كانت تشكل مساحة تقدر 95300,60 هكتار لتصل خلال سنة 2021 إلى حدود 113062,78 هكتار، وهو أمر طبيعي بالنظر إلى حجم التطورات التي عرفتها المراكز الحضرية وتوسعها على حساب المجالات المجاورة بما فيها الأراضي الزراعية والغابات، خاصة بالجنوب الغربي للإقليم عند ضفاف واد المالح لتشكل بذلك ما نسبته 45% من مجموع تراب الإقليم.

(13) GIEC, 2001 ; Goudie et Middleton, 2006.

- تشير نتائج المقارنة إلى أن مساحة الأراضي الزراعية بالإقليم خلال هذه الفترة قد ارتفعت بدورها بنسبة 1% من 81459,15 هكتار إلى 92932,36 هكتار نتيجة مخططات التنمية التي كانت مسيطرة وتسير في اتجاه تحويل إقليم بنسليمان إلى إقليم فلاحي وزراعي بالنظر لحجم المؤهلات الترابية والموارد المائية التي يتوفر عليها.
- أما بخصوص مؤشرات الغطاء النباتي الضعيف من حيث الكثافة والجودة فقد زادت مساحته بحكم التدهور الذي عرفته مختلف المجالات التي كانت ذات غطاء نباتي كثيف، حيث تراجعت العديد من الغابات وأشجار البلوط لتتحول بذلك إلى مجالات واسعة من الماطورال وأجزاء من العرعار البري والبلوط الفليني المتدهورة، هذا الارتفاع عرف تطورا سنويا يقدر بنسبة 1% حيث كانت تشكل المساحة خلال سنة 1997 ما مجموعه 20185,16 هكتار لترتفع إلى 23362,21 هكتار خلال سنة 2021 مشكلة بذلك ما نسبته 9% من مجموع تراب إقليم بنسليمان.
- شهد الغطاء الغابوي ذو الكثافة المتوسطة تراجعا بنسبة 2% كل سنة خلال هذه 24 سنة الأخيرة، إذ نقصت مساحته بحوالي 10000 هكتار أثناء هذه الفترة، فقد شكلت مساحته ما يقدر بـ 27756,63 هكتار بسنة 1997 لتتخفض إلى 17414,12 هكتار خلال سنة 2021، هذا التراجع يهم مناطق مهمة بجنوب الإقليم: تيفساسين بجوار مقالع الزيادة وغابة المذاكرة بأقصى الجنوب، وأغلب هذه التشكيلات النباتية هي من البلوط الفليني والعرعار البري ومساحات مهمة متدهورة من الماطورال تشكل ما مجموعه 11% من مجموع تراب الإقليم.
- عرفت المجالات الغابوية التي كانت كثيفة خلال هذه الفترة تراجعا مهما وكبيراً يدل على حجم التدهور الذي يعرفه قطاع الغابة بالمجال وصل إلى حدود 7% من النقص وفقدان مجالات واسعة من البلوط الفليني بغابة بنسليمان والعرعار البري المحيط بضفة واد شراط على طول الشريط الشرقي للإقليم حيث تتركز أغلب وأهم مقالع الإقليم، وبالقرب من واد النفيفيخ حيث تتمركز مقالع جماعة فضالات. إذ نقصت كثافة هذه المجالات وتراجعت جودتها وتقلصت مساحتها بحوالي 22000 ألف هكتار، فانتقلت من 27130 هكتار خلال سنة 1997 إلى حوالي 5000 هكتار فقط خلال سنة 2021. لتشكل بذلك نسبة لا تتعدى 2% من مجموع تراب الإقليم بعد ما كانت تناهز 11% سابقا.

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م

خريطة رقم (02): تطور الغطاء الغابوي بإقليم بنسليمان خلال الفترة الممتدة ما بين 1997 و 2021.



لا يمكن تحميل أنشطة المقالع المسؤولة كاملة عن هذا التدهور الذي عرفه القطاع الغابوي بإقليم بنسليمان، إلا أنه لا بد من تحميلها جزءا من المسؤولية خصوصا بغابة بنسليمان بجماعة عين تيزغة وعلى طول الضفة الغربية لواد شراط حيث يتركز أعداد مهمة من المقالع يصل عددها إلى حوالي 19 مقلعا. فكما هو معلوم وسبق الإشارة إليه أن الأنشطة الاستخراجية للمقالع يرافقها نتائج سلبية تنعكس سلبا على البيئة المحيطة بالمجال، فقد ساهم وجود هذه المقالع بجماعات الإقليم خاصة عين تيزغة والزيادة وفضالات في تدمير والقضاء على العديد من النباتات الطبيعية بالمجال وتراجع مساحات مهمة من غابات البلوط الفليني والعرعار البري، وذلك إما بطريقة مباشرة عن طريق إزالتها للبحث عن المواد وإقامة المقالع وتعرية السفوح مما ينشط عمليات التعرية الهيدرولوجية والريحية بالمجال أو بطريقة غير مباشرة عن طريق انبعاثات الغبار المتطايرة من أفواه المقالع والآلات المستعملة في عملية إنتاج وتوزيع موادها المستخرجة. حيث عندما تكون تداعيات الغبار مهمة جدا، يمكن أن تكون النسبة التي ترسبت منه على النباتات كافية لتغيير تركيب مادة الكلوروفيل وإبطاء نمو النباتات، إذ أن تراكم هذا الغبار يؤدي إلى جفافها وتغير ألوانها من الأخضر إلى الأخضر المصفر نتيجة إعاقة عملية التركيب الضوئي واختناق النباتات بسبب إغلاق مسامات أوراقها.

تعتبر هذه الغابات مصدر عيش بالنسبة للسكان وبالنسبة لماشيئها، كما أن تعرية هذه المناطق الغابوية يؤثر على التماسك والحفاظ على العلاقة البيولوجية بين الإنسان والمجال الطبيعي، وبالتالي ظهور مجموعة من العواقب على الأحياء النباتية والحيوانية بالمجال.

### III. تأثير انبعاثات الغبار على جودة الشبكة الهيدرولوجية:

ترتفع نسبة عكارة مياه واد شراط بجوار مختلف مقالع جماعة عين تيزغة انطلاقا من مقالع دوار ولاد يونس، حيث قبلها كان يعرف الواد مستويات منخفضة من العكارة لكن بمجرد تجاوز هذا الدوار تبدأ هذه الأخيرة في الارتفاع بدرجات متصاعدة. وتستمر على نفس الدرجات بجوار مقالع دوار معيدنات، في حين تبلغ أقصاها بجوار دوار الكدية حيث يشكل الدوار نقطة الالتقاء والاتصال المباشر بين المقالع التسعة التي يتوفر عليها مع المجرى الرئيسي للواد. ونفس الشيء نلاحظه فيما يخص واد النيفيخ ومقالع دوار أولاد بوجمعة بالجماعة الترابية فضالات.

يعزى هذا الارتفاع في درجات العكارة إلى المواد الملوثة والزيوت المتسربة من جهة وإلى الغبار المتطاير على مسافات طويلة من جهة ثانية، حيث تتلقى المسطحات المائية المتواجدة حول المقالع رواسب من الغبار الناجم عن أنشطتها، الشيء الذي يقوم بتعديل بعض الخصائص الفيزيائية والكيميائية لهذه المياه، مما يتسبب في:

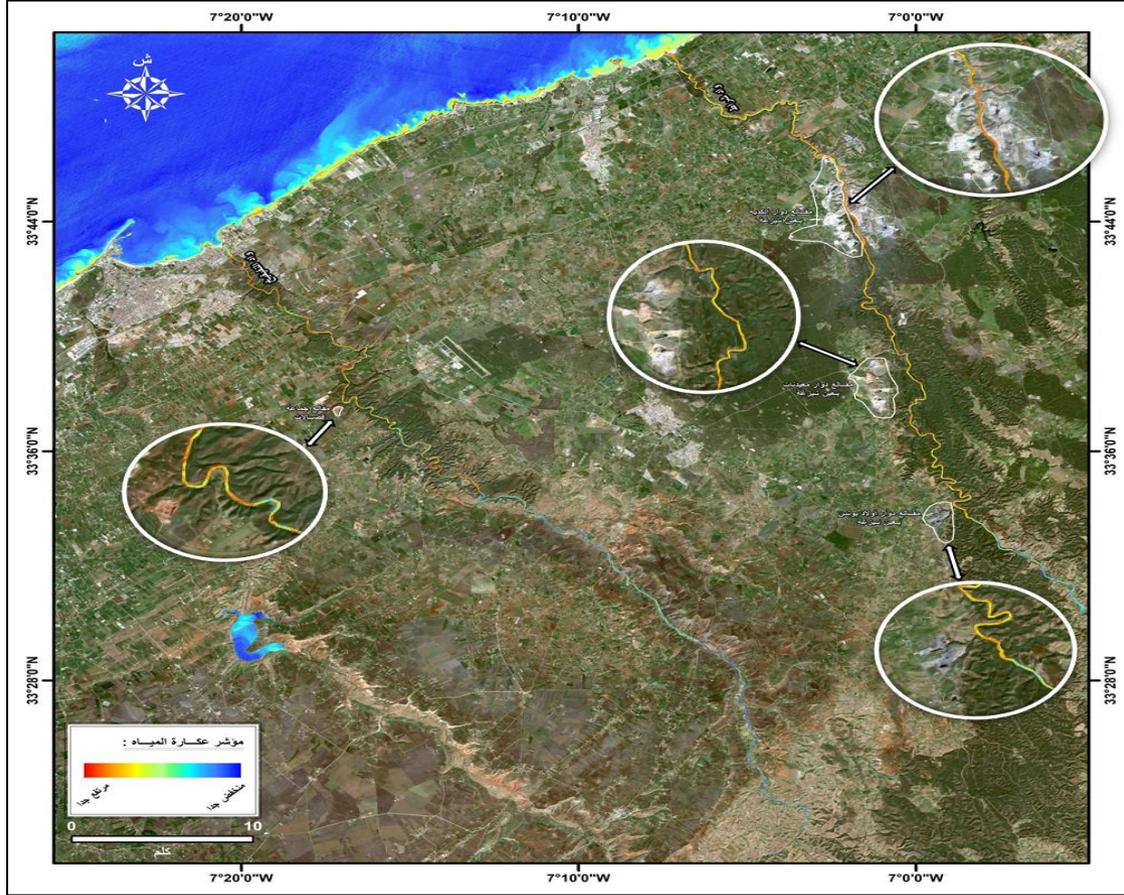
❖ **التغيير في حجم الإنتاجية:** تغيير الخصائص الفيزيائية والكيميائية للماء يؤدي إلى زيادة تركيز بعض العناصر في الماء والترية أو نقصانها كالحديد، المغنسيوم، الفوسفور وبعض المواد المغذية الأخرى، مما ينجم عنه آثار متباينة على إنتاجية النباتات التي تتغذى عليها.

❖ **سلوك الماء اتجاه الضوء:** أي عمليتي الاختراق والانعكاس، قد تكون إيجابية في بعض الأحيان حيث أن ترسب الجسيمات في الماء يؤدي إلى تغيير طريقة دخول الضوء إليه وكيفية انعكاسه مما يغير لون المياه وسلوكها اتجاهه.

❖ **زيادة درجة الحموضة PH:** حيث تقوم هذه الجسيمات بامتصاص المواد المتطايرة في الجو قبل ترسيبها بمياه الأودية الجارية. (14)

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م

خريطة رقم (03): درجة عكارة مياه واد شراط وواد النفييخ بإقليم بنسليمان.



المصدر: عمل شخصي بالاعتماد على صورة القمر الصناعي سننيل 2 بتاريخ 02 ماي 2022. (صلاح الدين كتابي)

### 1. تأثير انبعاثات الغبار على جودة وخصوبة التربة:

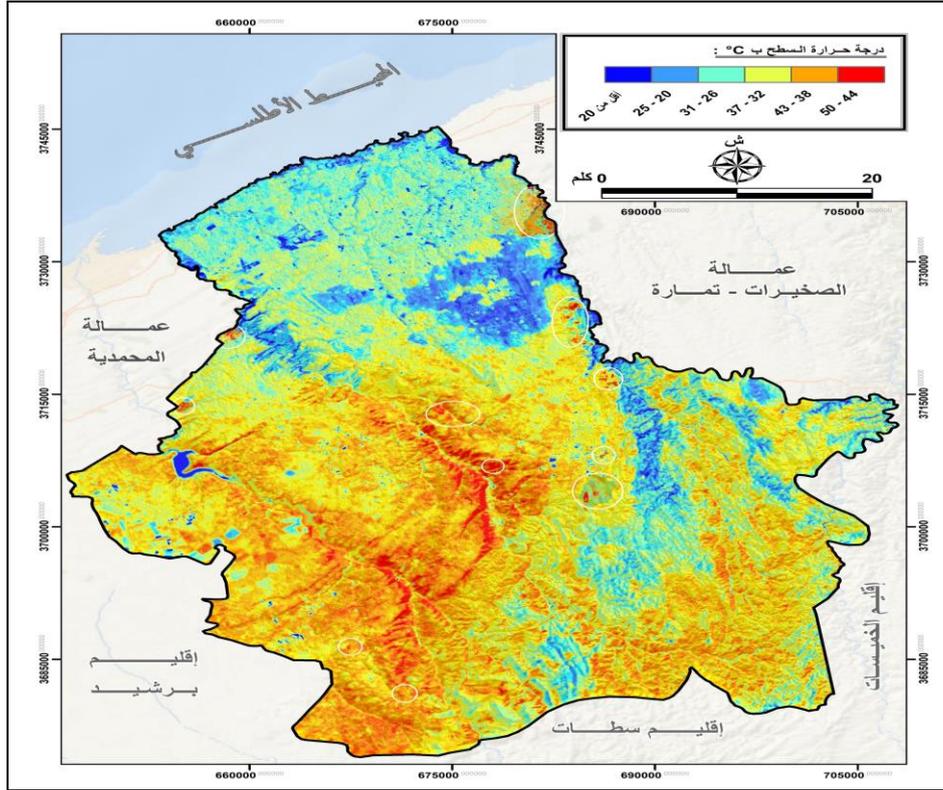
يتضح من خلال معطيات الخريطة رقم 4 تركيز التربة المتدهورة في المناطق المجاورة للمدن وبالمرتفعات الغربية الإقليم وبمحاذاة مواقع تركيز المقالع نتيجة الغبار المنبعث منها، حيث بمجرد ترسيبه على الأرض يقوم بتعديل الخصائص الفيزيائية والكيميائية للتربة، ويؤثر على التماسك بين جزيئاتها وعلى درجة حمضيتها (كما يحصل مع الماء تماما) الشيء الذي ينعكس على نباتات المنطقة والمحاصيل الزراعية.<sup>(15)</sup> فتراكم هذا الغبار على سطح التربة ينجم عنه إغلاق مساماتها مما يؤدي إلى انخفاض خصوبتها بسبب التلكس الناجم عنه. كما أن ارتفاع درجة حرارة السطح يترتب عنه التلوث الكيميائي وتدفق الغازات إلى التربة لاسيما التربة بالطبقات السطحية المكشوفة والغنية بالطبقة الدبالية الضرورية لقيام المحاصيل

<sup>(15)</sup> Maxime Descôteaux (2012), page : 11.

الزراعية والغابات. إذ تتعرض تربيات مناطق استخراج المواد إلى أخطار اختلال توازنها وذلك نظرا لتعرضها إلى المحروقات السائلة وبقايا زيوت الأجهزة التي تستخدم في الاستخراج والطحن والغبار.

خريطة رقم (04): توزيع درجة حرارة السطح بإقليم بنسليمان.

المصدر: عمل شخصي بالاعتماد على صورة القمر الصناعي لاندسات 8 للمستشعر OLI بتاريخ 12 يونيو 2021 بدقة مكانية ذات 30 متر. (صلاح الدين كتابي)



كما أن جسيمات الغبار العالقة في الجو تقوم بامتصاص الغازات العادمة وتؤثر على سلوك الغلاف الجوي اتجاه بياض الأرض مما يؤثر على درجة امتصاص وعكس أشعة الشمس وبالتالي التأثير على درجة حرارة المجال محليا، إذ يتضح من خلال الخريطة ارتفاع درجة حرارة السطح والتربة بالعديد من المناطق المحيطة بالمقالع خاصة بالجزء الشرقي للإقليم حيث تتموضع أهم وأكبر المقالع وأكثرها إنتاجا للمواد والغبار.

#### IV. تأثير انبعاثات الغبار على صحة الساكنة وممتلكاتهم:

تشكل عمليات الحفر على المنحدرات المرتفعة جدا على مستوى هذه المقالع خطرا على سلامة العمال والساكنة المحلية. كما أن الغبار المتطاير الناجم عن مختلف الأنشطة التي ترافق عملية استخراج وإنتاج المواد يحاصر ساكنة الدواوير

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م

المجاورة ويغطي آلاف الهكتارات الفلاحية والغابوية مما يشكل عائقا أمام مزاولة الأنشطة الزراعية والرعية. ناهيك عن عمليات نقل المواد عبر الشاحنات الضخمة التي تطلق دفعات أخرى من الغبار وتمثل تهديدا آخر يمنع الساكنة من مزاولة أعمالهم اليومية باطمئنان ويهدد أمنهم وسلامة أطفالهم.

### 1. تراجع جودة المحاصيل الزراعية:

كما وسبق الإشارة إليه فإن الأنشطة الاستخراجية للمقالع وكميات الغبار الناجمة عنها تؤدي إلى تراجع في جودة المياه وخصوبة التربة وتقوم بتدمير أجزاء مهمة من الغطاء النباتي بالمجالات المحيطة بالمقلع، فالغبار الناتج ينتقل بكميات كبيرة وعلى مسافات طويلة ويطرسب فوق المحاصيل الزراعية القريبة من المقلع التي يتشكل أغلبها من القمح، الشعير، الذرة والعنب... الشيء الذي يتسبب في تلفها وتغيير بعض خصائصها البيوكيميائية كتغير لونها الذي ينتج عن نقص في كمية الضوء التي تصل إلى هذه النباتات جراء تراكم الغبار والأتربة عليها وتلف أطرافها بحكم انغلاق أنسجتها مما يعرقل عملية نموها ويقودها نحو اصفرار أوراقها.

صورة رقم (03): تساقط الغبار على المحاصيل الزراعية بجوار أحد مقالع



المصدر: تقرير بوشعيب الحمراوي حول استنزاف الثروات الغابوية والساحلية بإقليم بنسليمان، 2021.

### 2. الأضرار الصحية جراء انتشار انبعاثات غبار المقالع:

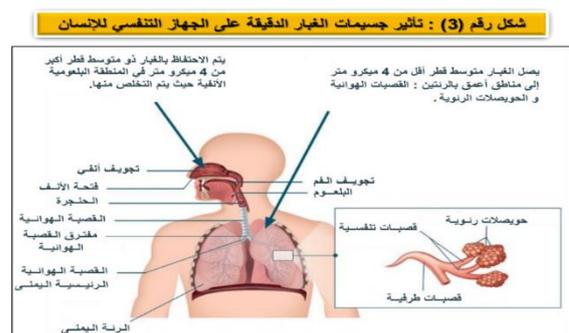
تخلف أنشطة استغلال المقالع واستخراج المواد ونقلها كميات مهمة من الغبار في الجو تختلف حسب نوع المواد، الظروف الجوية وعدد ساعات العمل المتواصلة. مما قد يسمح بتجاوز معايير الحفاظ على الصحة البشرية في بعض الأحيان كما حددها المكتب الأوروبي لقياس جودة الهواء المحيط (directive européenne sur la qualité de l'air ambiant):

- بخصوص جسيمات PM2.5 فقد حدد معدل 25 ميكروغرام/م<sup>3</sup> ( $\mu\text{g}/\text{m}^3$ ) كمتوسط خلال السنة.

- بخصوص جسيمات PM10 فقد حدد معدل 50 ميكروغرام/م<sup>3</sup> (µg/m<sup>3</sup>) كحد أقصى باليوم ومتوسط سنوي لا يتعدى 40 ميكروغرام/م<sup>3</sup> (µg/m<sup>3</sup>). (35 يوم كحد أقصى للاشتغال فقط خلال السنة).

يختلف تأثير هذه الجسيمات على صحة الإنسان حسب حجمها وطبيعتها تكوينها الكيميائي، والأهمية وحدة التعرض لها (الحدة والتكرار والشدة):

- الجسيمات الرسوبية ذات الأقطار الكبيرة (ما بين 50 و250 ميكرو متر) قابلة للاستنشاق، ولكنها لا تتعدى الأجزاء العلوية من الجهاز التنفسي: لذا فهي أقل ضررا على الصحة من الجسيمات الدقيقة.
- استنشاق جسيمات الغبار الدقيقة (PM2.5 وPM10) يكون تأثيرها أكبر على الجهاز التنفسي لأنها يمكن أن تتخطى أجهزة الفرز والتصفية الطبيعية في الجهاز التنفسي في الأنف وتصل إلى عمق الجهاز التنفسي والقصبات الهوائية الداخلية والحوصلات، خاصة الجسيمات الأقل حجمها من 2.5 ميكرون حيث يمكن للهواء حملها إلى مسافات بعيدة كما أن احتمال وصولها إلى الرئة في حال الاستنشاق يكون أكثر من الجزيئات الكبيرة التي تعلق في العادة في الجهاز التنفسي العلوي، ويمكن أن تنقل هذه الذرات أنواع من الأمراض مثل البكتيريا مما يزيد من التأثيرات الصحية على السكان كأمراض الجهاز التنفسي، الربو، ضيق التنفس، الجيوب الأنفية، التهاب القصبات الهوائية، الأزمات الصدرية، سرطان الحوصلات الرئوية، التهاب العيون والأمراض الجلدية...



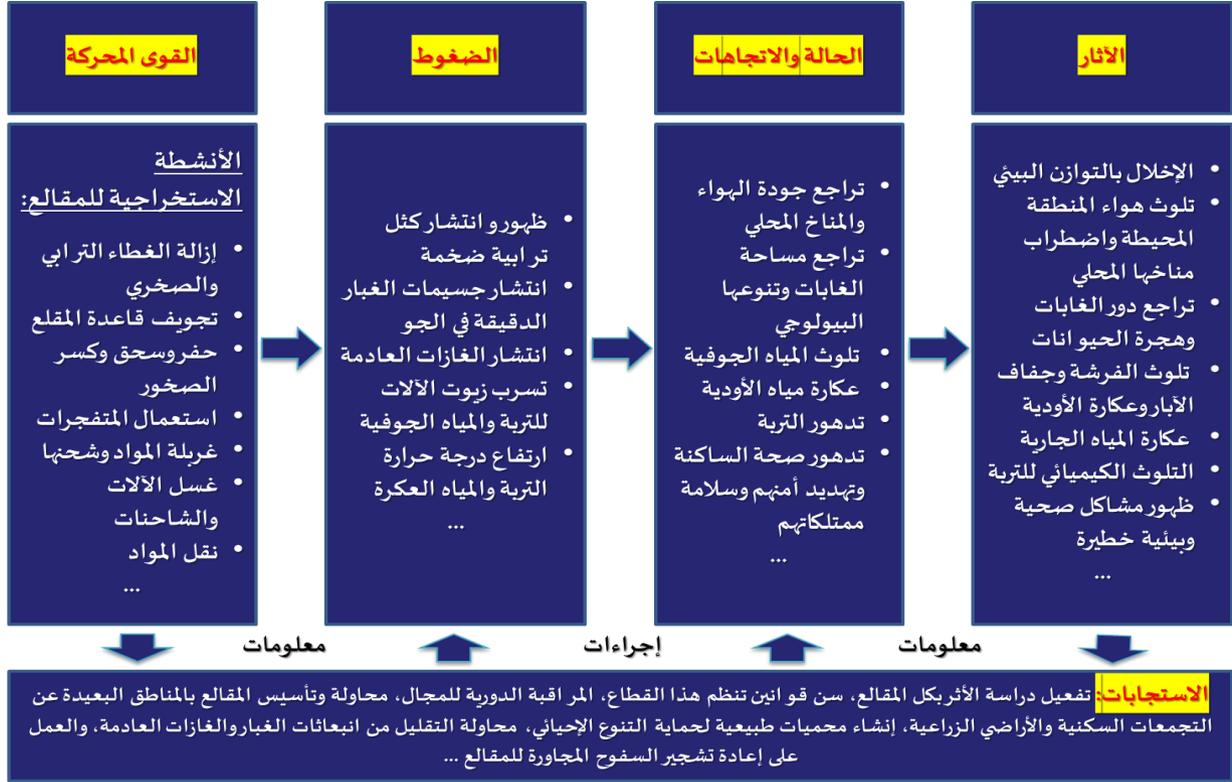
المصدر: (16) Perrine GARREAU (25 octobre 2019 – Tellin).

عموما تبقى أبرز الحلول نجاعة في التخفيف من تبعيات انبعاث غبار الأنشطة الاستخراجية للمقالع، استعمال الماء خلال مختلف مراحل إنتاج ونقل المواد المستخرجة، وتأسيس المقالع بالمناطق البعيدة عن التجمعات السكنية والأراضي الزراعية والمجالات الغابوية. وذلك كمحاولة لإيجاد مستقبل أكثر استدامة بالجماعات المحلية لإقليم بنسليمان، وتحقيق توازن بين طرفي المعادلة: التنمية المحلية والمحافظة على البيئة.

(16) Carrières unies de porphyre S.A. Perrine GARREAU (25 octobre 2019 – Tellin): « Analyse du risque lié à la poussière en carrière: Prévention et Environnement ».

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحض النيل يونيو 2022م

إطار DPSIR: انبعاثات غبار الأنشطة الاستخراجية للمقال



◀ خلاصة:

حاولنا التركيز في هذا المقال على دراسة الأثر البيئي الذي تخلفه انبعاثات غبار الأنشطة الاستخراجية للمقال على الوسط البيئي بإقليم بنسليمان ومختلف مكوناته من هواء، نبات، ماء، تربة وصحة الإنسان. حيث ينتج عن انبعاثات الجسيمات الدقيقة للغبار في الجو تداعيات سلبية تهم جميع هذه المجالات، إذ ينتج عن الغبار الصادر خلال جميع مراحل الإنتاج: أثناء عملية استعمال المتفجرات، أثناء عملية الكسر والاستخراج، وأثناء ملأ وإفراغ الشاحنات ونقل المواد... مجموعة من الأضرار سواء عبر تراجع جودة الهواء المحلي بالمنطقة وطريقة تفاعله مع الضوء، أو تعديله للخصائص البيولوجية والفيزيائية والكيميائية للغطاء النباتي والمحاصيل الزراعية، للماء والتربة. دون أن ننسى أن تصدير هذا الغبار يعد مصدرا للعديد من الأمراض والمخاطر الصحية بالمجالات المحيطة والقريبة من محيط هذه المقالع.

◀ المراجع:

• مراجع باللغة العربية:

- حسـن عبد المنعم الحلايقة، أثار مقالـ وصناعة الحجر على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والبيئية في محافظة الخليل، رسالة ماجستير في الجغرافيا بكلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين، 2010.
- عز الدين جمعة درويش – جزا توفيق طالب، تقويم حجم القدرة الحثية الريحية والمطرية لمنطقة خانقين (دراسة في العمليات الجيومورفولوجية)، منشور بمجلة ديالى، العدد التاسع والأربعون، 2011.
- سعيد رضى، الغابة المغربية بين الاستدامة والتراجع، حالة غابة بنسليمان، بحث لنيل شهادة الماستر في البيئة والتنمية المستدامة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 2012.
- العنانزة علي أحمد، الأثار البيئية والجيومورفولوجية للمقالع الحجرية في محافظة الكرك، مؤتمـ للبحوث والدراسات، المجلد الثامن عشر، العدد الثالث، جامعة مؤتمـ، الأردن، 2003.
- نافع رشيدة، دراسة جيومورفولوجية لهضبة سيدي بطاش، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في الجغرافية، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1987.

#### ● مراجع باللغة الفرنسية:

- **Carrières unies de porphyre S.A. Perrine GARREAU**, Analyse du risque lié à la poussière en carrière : Prévention et Environnement, Tellin, 25 octobre 2019.
- **Cyril Bouchet et Dany Bouchet**, La société Bouchet et voirie et environnement : Exploitation de carrière, Extraction de granulats, 2015.
- **Les études de l'UNICEM – Impacts industriels**, Carrières, poussières et environnement, février 2011.
- **Maxime Descôteaux**, Diminuer les émissions de poussières d'un site d'extraction et de traitement de pierre calcaire, *Essai* présenté au Centre Universitaire de Formation en Environnement, Sherbrooke, Québec, Canada, 2012.
- **Piédoue J.**, Le dépoussiérage en carrières, Mines et Carrières, volume 78, juin 1996.
- **Projet EMCAIR (Emissions des carrières dans l'AIR), Rapport, Eude**, Evaluation de la qualité de l'air sur le site et à proximité d'une carrière, version 0 du 06/02/18.
- **Rapport, Cadastre des émissions de La R.G.C**, Etude prospective d'évolution des émissions, 2010.



## مجلة الدراسات الإفريقية وحموض النيل يونيو 2022م

- SARL BOURJAC, – ZI La FITO – 04100 MANOSQUE, Carrière du Grand Bois – MONTFORT (04), Etude d'impact, 2012.
- **Thomas Martaud**, Evaluation Environnementale de la production de granulats en exploitation de carrières -Indicateurs, Modèles et Outils, *thèse pour obtenir le grade de Docteur* de l'Université d'Orléans, I.S.T.O, spécialité : Science de l'Univers, octobre 2008.

## العوامل المتحكمة في تدهور وتراجع المجال الغابوي للمعمورة وسبل الحماية والمحافظة

### Factors controlling the deterioration and decline of the maamora forest and ways to protect and preserve.

<sup>1</sup>البوعناني ربيعة، باحثة حاصلة على الدكتوراه، مختبر التراب، البيئة والتنمية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة ابن طفيل

القنيطرة المغرب. doctoranterabaa@gmail.com

<sup>2</sup>عرشان أوحمو، باحث حاصل على الدكتوراه، مختبر التراب بالبيئة والتنمية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل القنيطرة

المغرب. archanedarouhamou@gmail.com

<sup>3</sup>البوزيدي عيسى أستاذ التعليم العالي مختبر التراب، البيئة، التراب، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل القنيطرة

المغرب. [aissa.elbouzidi@uit.ac.ma](mailto:aissa.elbouzidi@uit.ac.ma)

#### الملخص:

تعاني غابة المعمورة من تأثير العوامل الطبيعية والتدخلات البشرية وعلى رأسها التغيرات المناخية، والاستغلال المفرط مما يؤدي إلى تدهورها وتراجعها بشكل مستمر. فقامت الدولة بوضع عدة مشاريع لإعادة التوازن البيئي لغابة المعمورة، ومنها مخططات التخفيف الطبيعي والاصطناعي للبلوط الفليني، وبرنامج محاربة الحرائق وغيرها  
الكلمات المفتاحية: غابة المعمورة، التخفيف الطبيعي والاصطناعي، التغيرات المناخية، البرامج التنموية.

**Abstract:** The Maâmora forest is subject to several risks caused by natural and human factors. These include climate change and overexploitation.

the state has developed a multitude of projects the sustainability and protection of the Maâmora. These projects are supported by natural or artificial regeneration plans and firefighting programs.

The key words: **Maâmora forest, climate change, natural and artificial regeneration, programs of development**

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحض النيل يونيو 2022م

### مقدمة

تعتبر غابة المعمورة من أكثر الغابات شساعة في العالم، تمتد مساحتها على حوالي 132000 هكتار، وتتوفر على تشكيلة نباتية متنوعة تتكون أساسا من البلوط الفليني بنسبة 60%، إضافة إلى أصناف أخرى كالأوكاليببتيس بنسبة 35% والصنوبر بنسبة 8% والأكاسيا ب 217% .

أهمية البحث: ينفرد مجال المعمورة، كوحدة جغرافية، بخصائص طبوغرافية، جيولوجية، جيومرفولوجية، ونباتية متميزة مما جعلها تكتسي أهمية طبيعية، تمثل من الناحية الاجتماعية منتجعا ترفهيا بامتياز لأكبر التجمعات الحضرية المجاورة والتي تضم حوالي مليوني نسمة، وتعتبر من الناحية الاقتصادية المصدر الرئيسي لمداخيل بعض السكان القاطنين داخلها أو بجوارها، الذين يقدر عددهم بحوالي 300000 نسمة. لكنها تعاني من التدهور والتراجع بشكل سنوي.

الإشكالية: تحظى غابة المعمورة بأهمية كبرى بفعل أدوارها البيئية والسوسيواقتصادية، إلا أنها تتعرض للتدهور المتزايد والاستنزاف نتيجة للتدخلات البشرية ولتأثير العوامل الطبيعية، عملت الدولة على مواجهتها بوضع عدة مشاريع للحفاظ عليها والرفع من مواردها.

### أسئلة البحث:

- ما هو الإطار الطبيعي الذي تحظى به غابة المعمورة؟
- ماهي العوامل الطبيعية والبشرية المتحكمة في تدهور المجال الغابوي للمعمورة؟
- ماهي الأهمية البيئية والاقتصادية والاجتماعية التي تكتسبها غابة المعمورة في المنطقة؟
- ما هي المشاريع التي وضعتها الدولة لتأهيل أشجار غابة المعمورة وسبل الرفع من مواردها؟

### أهداف البحث:

- تحديد الإطار الطبيعي للمجال الغابوي للمعمورة ( الجانب الطبغرافي، الجيولوجي، الجيومرفولوجي، والبيومناخي.
- تصنيف العوامل المتحكمة في تدهور وتراجع المجال الغابوي للمعمورة .
- تحديد الأهمية البيئية والاقتصادية والاجتماعية التي تكتسبها غابة المعمورة.
- جرد معظم المشاريع التي وضعتها الدولة لتخليف وتأهيل غابة المعمورة من خلال المخططات المتتالية التي رصدتها لها.
- للإجابة على إشكالية البحث وتحقيق الأهداف المعلن عنها مسبقا اعتمادنا مجموعة من الأدوات العلمية أهمها البحث الببليوغرافي، العمل الميداني، البحث عن المعطيات من مصادر موثوقة، إضافة إلى نظم المعلومات الجغرافية Arc gis

## 1. التوطن والإطار الإداري

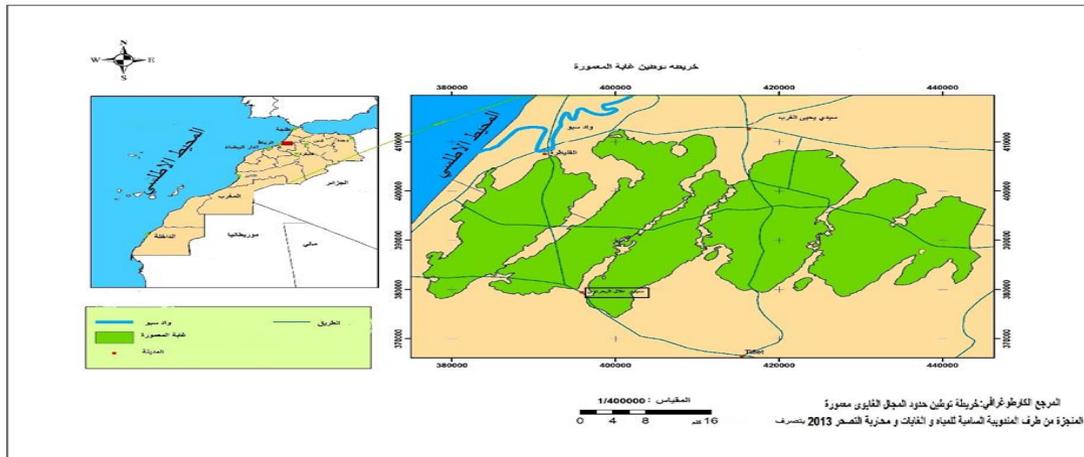
تعتبر غابة المعمورة من أهم غابات البلوط الفليني على مستوى حوض البحر الأبيض المتوسط. تتمتع بموقع جغرافي متميز، تقع على الساحل الإفريقي الشمالي للمحيط الأطلسي وتخضع لتقسيم وتسيير إداري يقنن استغلالها.

### 1 - الموقع الجغرافي

17- HCEFLCD المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر.

تحتل غابة المعمورة موقعا جغرافيا متميزا بفعل تواجدها شمال غرب المغرب ما بين خطي طول  $6^{\circ}$  و  $6^{\circ}45'$  غرب خط غرينتش و ما بين خطي عرض  $34^{\circ}$  و  $34^{\circ}20'$  شمال خط الاستواء. تمتد على شكل مستطيل طوله 60 كلم من الغرب إلى الشرق وعرضه حوالي 30 كلم من الشمال إلى الجنوب. تحد بواد بهت شرقا وبالمحيط الأطلسي غربا وشمالا بسهل الغربوجنوبابواد أبي رقراق<sup>18</sup>، مما يمنحها موقعا متميزا. تجاورها تجمعات حضرية مهمة مثلالقنيطرة في الشمال الغربي، وسيدي سليمان في الشمال الشرقي، سلا والرباط في الجنوب الغربي، وتيفلت والخميسات في أقصى الجنوب (شكل رقم 1)

شكل رقم 1 : خريطة الموقع الجغرافي لغابة المعمورة



## 2- الإطار الإداري

تشكل غابة المعمورة، جزءا من المجال الغابوي الخاص بالدولة، فهي تدخل ضمن الأملاك المخزنية التابعة للدولة، تم تحديدها بمقتضى وزاري مؤرخ في 27 مارس 1918، بعد إحداث المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر. أصبح تديرها يخضع للمديرية الجهوية للمياه والغابات بالشمال الغربي والقنيطرة بالنسبة لنصفها الشمالي، أما النصف الجنوبي فهو خاضع لتدبير مديرية الخميساتوسلا. تدير هذه الغابة سبع مراكز للحفاظ على الموارد الغابوية وتنميتها<sup>19</sup>، وهي: القنيطرة، سيدي يحيى الغرب، سيدي سليمان، سيدي علال البحراوي، تيفلت، الخميسات، سلا. تنقسم غابة المعمورة إلى خمسة أقسام يمكن تسميتها المقاطعات (les cantons) تفصل بينها خمس أودية، تمتد من الجنوب الغربي في اتجاه الشمال الشرقي، وهي: واد الفوارات، واد سمانطو، واد تيفلت، واد تويرزة، واد توغيريست، تطلق عليها حروف أبجدية مرتبة من الغرب إلى الشرق على هذا الشكل A, B, C, D, E (خريطة 2).

<sup>18</sup>- Aafi 2006

<sup>19</sup>- CCDRF مركز حماية و تنمية الموارد الغابوية

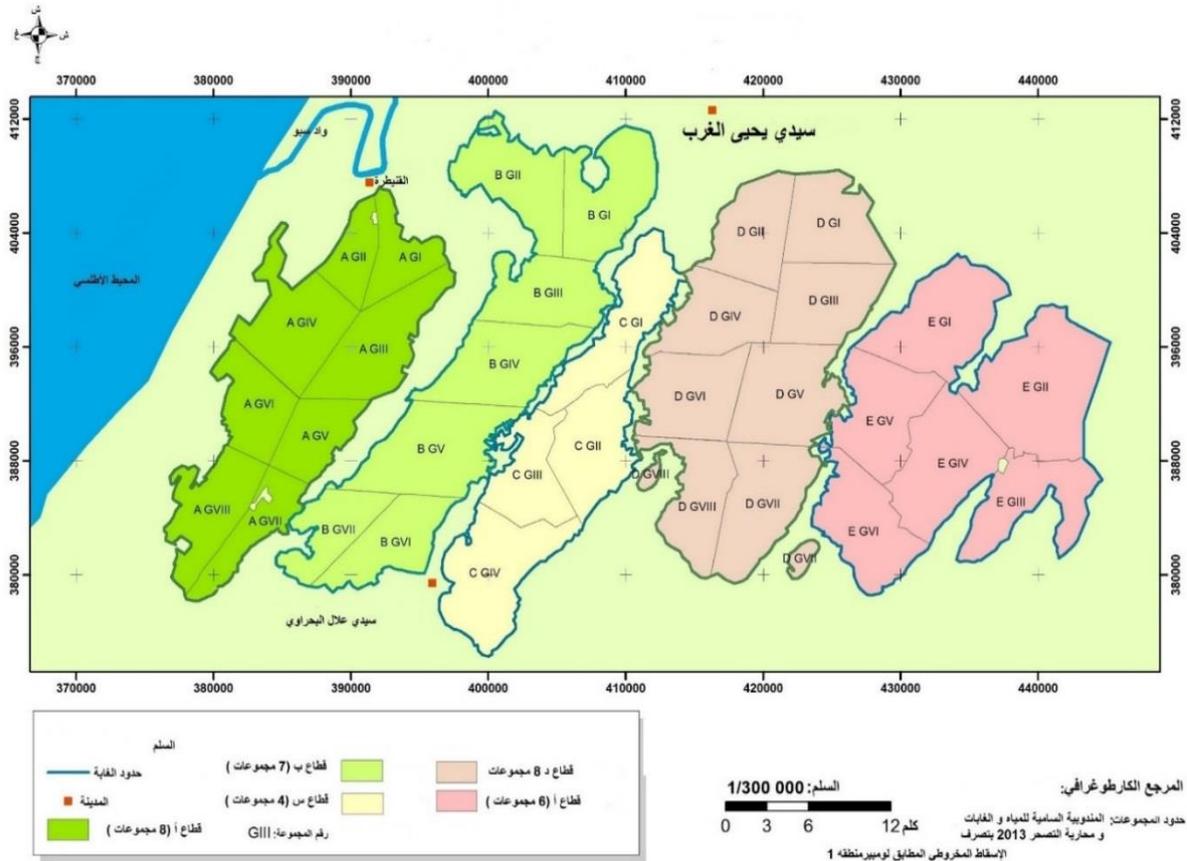
## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م

تنقسم هذه المقاطعات بدورها إلى 33 مجموعة (groupes) تتوزع هذه الأخيرة إلى وحدات تسمى قطع (parcelles) تصل إلى 460 قطعة في كل المعمورة<sup>20</sup>.

جدول 1: حدود ومساحة غابة المعمورة حسب المقاطعات

المساحة بالهكتار	الحدود من الغرب إلى الشرق	المقاطعات
23868	المحيط الأطلسي - واد الفوارات	القسم A(أ)
28460	واد الفوارات - واد سمانتو	القسم B(ب)
17220	واد سمانتو - واد تيفلت	القسم C(ج)
32446	واد تيفلت - واد تويرزة	القسم D(د)
30059	واد تويرزا - واد توغيريست	القسم E(هـ)
132053		المجموع

المصدر: المندوبية السامية للمياه والغابات 2019



شكل رقم 2 : خريطة التقطيع الغابوي لمعمورة

## II. الإطار الطبيعي

تشكل دراسة المعطيات الطبيعية المختلفة من طبغرافيا وهيدروغرافية وجيولوجية وحيومرفولوجية ومناخ أهمية كبيرة في تشخيص وضعية المجال الغابوي للمعمورة، ك مجال ذو موارد مهمة يساهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

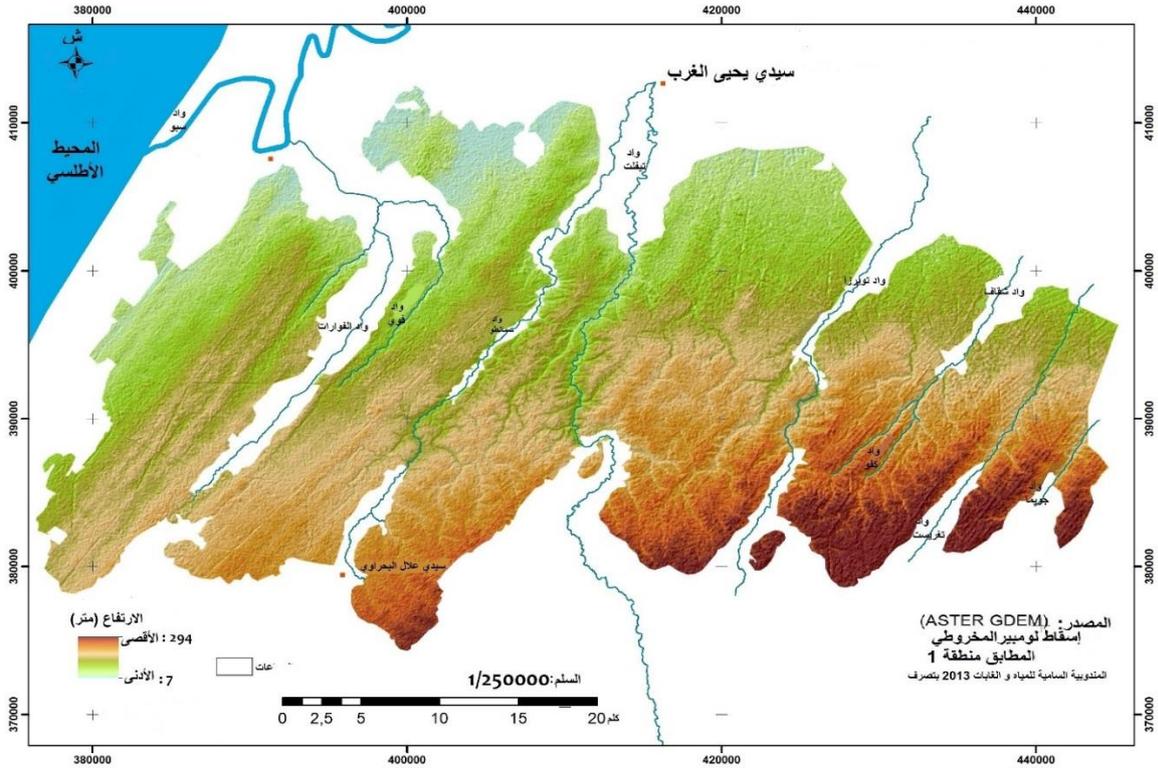
### 1-الطبغرافيا والهيدروغرافيا

من الناحية الطبغرافية، يعتبر المجال الغابوي لمعمورة عبارة عن وحدة هضبية، تتخللها تكوينات رملية تتوالى بشكل متوازي مع الأودية المذكورة من الغرب إلى الشرق مما يفسر تواجدها، يتراوح الارتفاع بها بين 300 متر في قسمها الجنوبي الشرقي و130 متر في قسمها الجنوبي الغربي، وتنحدر تدريجيا في اتجاه الشمال حتى سهل الغرب<sup>21</sup>.

توجد غابة المعمورة على مجال لا يتعدى انحداره 8 % فأعلى نقطة توجد في الجنوب الشرقي لغابة المعمورة حيث يبلغ ارتفاعها 300 متر في المقاطعة E (المجموعة 5 والقطعة 5) ، أما أخفض نقطة فلا تتجاوز 7 أمتار في المقاطعة B (المجموعة 2 والقطعة 5) (شكل رقم 2).

<sup>21</sup>-Le poutre1966

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحض النيل يونيو 2022م



شكل رقم 3 : خريطة المستويات الارتفاعية بغابة المعمورة

تنقسم المعمورة حسب الارتفاع والتكتونية إلى ثلاث مجالات مختلفة وهي :

1- معمورة كثيبيية غربية : (مقاطعة A;B) تتأثر قليلا بالتعرية، لكونها جد ضعيفة والانحدارات متوسطة وهي عبارة عن كتبان قديمة.

2- معمورة عليا في الوسط و الجنوب الغربي : مقاطعة C، وهي الأكثر ارتفاعا، تعرف انحدارات قوية والتعرية متقدمة.

3- معمورة منخفضة و شمالية شرقية: (مقاطعة D;E)، وهي الأكثر انبساطا وذات انحدار وتعرية ضعيفة<sup>22</sup>.

أما من الناحية الهيدروغرافية فإن غابة المعمورة تتميز بأحواض صرف واسعة تتجه من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي. لهذه الأحواض أشكال طولية متوازية فيما بينها، عملت على تقطيع مجال المعمورة، وهذه الأودية هي : وادي الفوارات، سمانطوا، تيفلت، تويرزا، توغيرست. حيث اعتمدت المجاري الرئيسية من الناحية الإدارية كحدود للأقسام الخمسة لغابة المعمورة (شكل رقم 3).

تتخلل الغابة مسطحات مائية على شكل ضايات موسمية، ناتجة عن تجمع مياه الأمطار فوق السطوح الطينية الضعيفة النفاذية، على شكل برك مائية تغذيها الفرشات الباطنية. تبلغ مساحة هذه المسطحات 10 كلم<sup>2</sup>.

22-AFMCC2015 تقرير تقني حول تحليل هشاشة الغطاء الغابوي معمورة في مواجهة التغيرات المناخية .

بالنسبة للفرشة الباطنية، توجد فرشة مائية مهمة يتراوح سمكها بين 10 و30 متر<sup>23</sup>. إلى جانب الخصائص الطبغرافية والهيدروغرافية التي تحظى بها غابة المعمورة، تتميز أيضا بخصائص جيولوجية، ومرفولوجية، ومناخية ترسم معالمها وتميزها عن باقي المجالات.

## 2- الإطار الجيولوجي والجيومرفولوجي

تتوفر غابة المعمورة على قاعدة جيولوجية عميقة، وتكوينات سطحية تعود للزمن الجيولوجي الرابع مما يفسر أنواع الأتربة التي تميزها، كما تخضع لتأثير مجموعة من العوامل المناخية التي تحدد خصائصها.

### 1.2 الأساس الجيولوجي والتكتونية

تشكل القاعدة الجيولوجية العميقة من الصلصال والطين الرمادي الذي يعود للميوسين وكذلك الرمال والحث اللذان يعودان للبلليوسين، وتوجد فوق الطبقات الصلصالية للميوسين توضعات قارية ذات سمك متفاوت قد يصل أحيانا إلى 20 مترويسى الطين الأحمر للفيلافرنشي .

توجد عموما بالمعمورة عدة مستويات من التكوينات السطحية :

- تشكيلات صفراء عبارة عن أطيان رملية تعود للفيلافرنشي الأسفل .

- رمال حمراء تعود إلى الفيلا فرنشي الأوسط .

- رمال حمراء مبقعة تعود إلى الفيلافرنشي الأعلى .

- رمال وردية وبني فاتح فيالسطحتعود إلى فترة البليوستوسين (le pléistocène) الحديث السلطاني<sup>24</sup>.

### 2.2 سطح المعمورة

تنتمي تكوينات المعمورة إلى الزمن الجيولوجي الرابع، الذي يشكل المرحلة النهائية التي رسمت معالم السطح في المنطقة . فقد عرفت منطقة المعمورة فترات غمر وتراجع بحريين، مما أعطى أشرطة كتبية موازية أو شبه موازية لخط الساحل، وتتكون أساسا من رمال صدفية كلسية تصلبت أثناء توضعها .

### 2.3 الأتربة

تمثل مجموع أتربة غابة المعمورة تجانسا على العموم، فنجد في السطح طبقة من الرمال سمكها ما بين 4 و50 سنتمتر. تستند على تكوينات طينية حمراء سميكة تنتهي للرباعي حيث السمك يتراوح سمكها ما بين 1 متر في الجنوب الغربي إلى أكثر من 10 متر على مستوى المحطة الغابوية لمشروع الكتان، والكل يستند على قاعدة بحرية طينية غير نفاذة<sup>25</sup>.

تعرف التربة بغابة المعمورة تجانسا شبه مطلق لكون سطحها يتكون من مسكة من الرمال يختلف سمكها من قطاع ترابي لآخر، وهي تتموضع فوق طبقة من الطين الأحمر تعود إلى الرباعي وعموما تختلف التربة بالمعمورة حسب ما يلي:

- موقعها الطبغرافي على قمة كثيب أو منخفض بيكثيبي .

- سمك الكثافة الطينية الرملية الحمراء .

23- LEPOUTRE 1966

24- وظيفة عبد الرحيم 1996

25 -BERNOUSSI, 1982

## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م

- الانتقال المفاجئ بين الرمال ذات اللون البني الفاتح و الكثافة الطينية الرملية الحمراء .

يمكن التمييز عموما بين عدة أنواع من التربة بغابة المعمورة :

- 1- التريات المتحدسلة الخشنة ( الرملية الحصوية) فوق سطح تيفلت .
- 2- التريات المهمة في مجالات الضايات و المنخفضات البيكثيبية .
- 3- التريات الطينية الرملية المسودة بمنخفضات الأودية والمتطورة فوق الصلصال الميوسيني
- 4- التريات الكلسية والمنغنيزية الضعيفة التطور في المجال الساحلي<sup>26</sup>

**3- المناخ:** تتميز غابة المعمورة بتنوعها المناخي، حيث تنتقل من مناخ أكثر رطوبة في بعض المناطق إلى شبه جاف و حار

بالأقسام الغابوية أو ب الواقعة في غرب الغابة و ج و د و ه إلى الشرق. وذلك حسب تصنيف الدليل التساقطي الحراري ل Emberger سنة 1955م. فتصنف المعمورة مناخيا ضمن طابقين بيومناخين:

- طابق شبه رطب ذو شتاء دافئ في المعمورة الغربية و الساحلية.

- طابق شبه جاف ذو شتاء معتدل في المعمورة الشرقية.

أ-التساقطات: يتراوح المتوسط السنوي للتساقطات بين 563 و 588 ملم على الساحل (محطتي الرباط والقنيطرة) و 436 ملم بمحطة سيدي سليمان. أما الواجهة المحيطية، فتتميز بوجود تساقطات غير مرئية عبارة عن ضباب و ندى.

ب- الحرارة: تتباين درجات الحرارة بالمعمورة من الغرب إلى الشرق، فترتفع وتطول مدتها في المعمورة الشرقية مقارنة مع المعمورة الغربية، ويمتد الفصل الجاف في الأولى بأكثر من شهر عن الثانية، فتتراوح المتوسطات الحرارية السنوية بين 12° في شهر يناير و 25° في يوليو و غشت، وتصل المتوسطات الشهرية القصوى الحرارية إلى 37° والمتوسطات الشهرية الدنيا إلى 5° درجات.

ج-الرياح: تتميز أغلبها بالسرعة الضعيفة، ويمكنها أن تكون عاصفية في فصل الشتاء، تهيمن الرياح الغربية والجنوبية الغربية، وهي رياح رطبة تصاحبها أمطار قادمة من المحيط الأطلسي، أما في فصل الصيف فالرياح تكون شرقية أو جنوبية شرقية حارة و جافة، وهي رياح قارية تصبح أكثر عاصفية عند التقائها بالمنخفضات المحلية.

3- الغطاء النباتي: تمثل غابة المعمورة وحدة نباتية هامة ومستقلة، تتحكم فيها نوعية الأتربة والطبيعة الرملية

من جهة، ومرفولوجية السطح من جهة أخرى، إضافة إلى خصوصية العناصر المناخية والتدخل البشري.

يمكن تصنيف غابة المعمورة<sup>27</sup> إلى نوعين: تشكيلات طبيعية مكونة من البلوط الفليني وتشكيلات

اصطناعية متنوعة كالأوكاليببتيس، صنوبر حلب، الأكاسيا، السنط، السنديان الفليني،

<sup>26</sup>- وطفة عبد الرحيم 1996

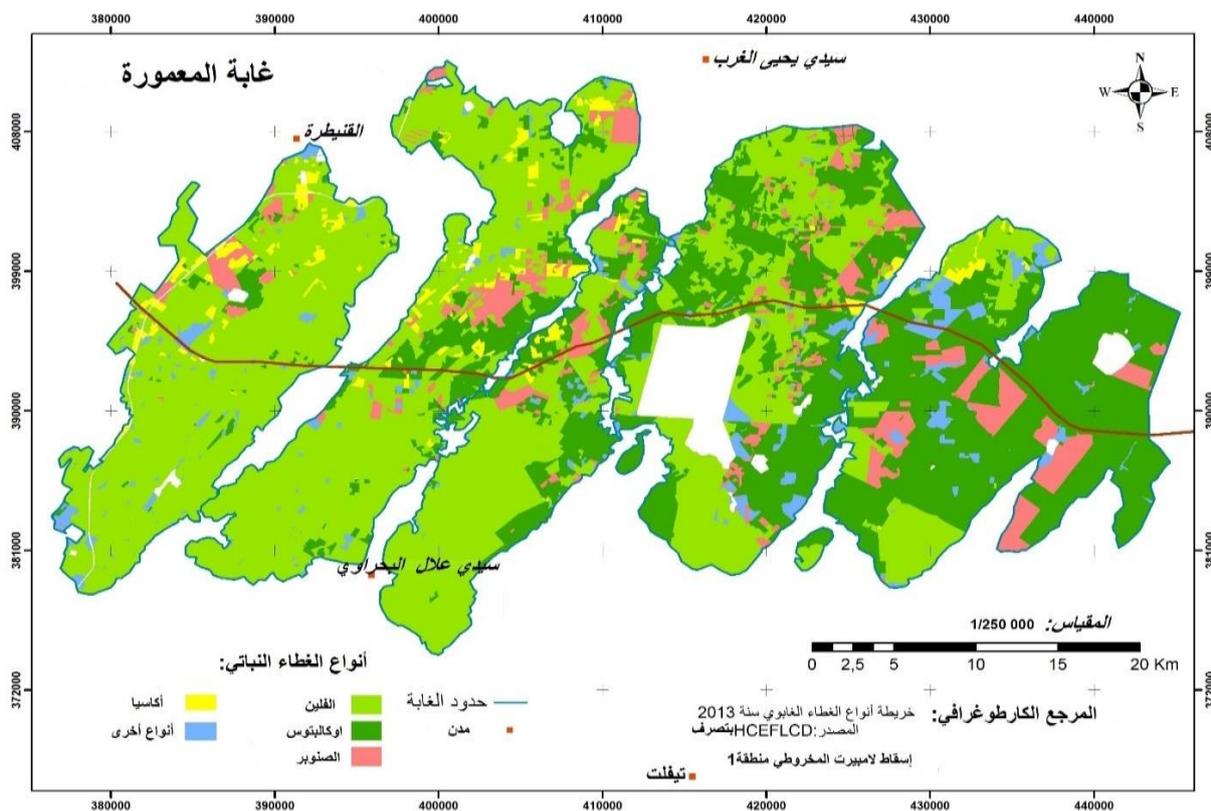
1990 - chelhy 27

جدول 1: التشكيلات النباتية بغابة المعمورة

النسبة المئوية	العدد	التشكيلات النباتية
54%	70383	البلوط الفليبي
2%	2523	الأكاسيا
31%	40938	الأوكالبتيس
7%	9442	الصنوبر
6%	8473	أخرى
100%		المجموع

المصدر: المديرية الجهوية للمياه والغابات القنيطرة 2019

تحتوي غابة المعمورة على أصناف نباتية متنوعة أهمها البلوط الفليبي الذي يغطي حوالي 54% من مجموع المساحة، ويمتد على مساحة تتجاوز 300000 هكتار<sup>28</sup>، أما الفصائل النباتية الاصطناعية فهي الأوكالبتيس 31% والأكاسيا والصنوبريات مساحتها ضعيفة كما يتضح من خلال الخريطة (شكل رقم 4).



## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل يونيو 2022م

شكل رقم 4 : خريطة التشكيلات النباتية بغابة المعمورة

يشغل القطاعين أ وب مساحة واسعة وكثافة مهمة لأشجار البلوط الفليني بفضل الظروف المناخية الملائمة والمتمثلة في القرب من المحيط الأطلنطي وتقل هذه الظروف في اتجاه الشرق، حيث تمثل المقاطعات ج ، ه و د مساحات ذات كثافات متوسطة إلى ضعيفة لبعدها عن التأثيرات المحيطية.



صورة رقم 4: شجر البلوط الفليني تتخلله مساحات فارغة وتشكيلات نباتية قصيرة

صورة رقم 3: أشجار الأوكالبتيس تكسو جوانبه خضرة مؤقتة

### III. أهمية غابة المعمورة

تشكل غابة المعمورة مجالاً بيئياً وسوسيو اقتصادياً هاماً، لكونها تحافظ على التنوع البيولوجي للعديد من الحيوانات والنباتات، وتلعب أدواراً اقتصادية واجتماعية هامة. تتجلى هذه الأهمية من خلال المؤشرات التالية<sup>1</sup>. من الناحية البيئية: تتوفر غابة المعمورة على منظومتين من التشكيلات النباتية الطبيعية منها البلوط الفليني والتشكيلات الاصطناعية مثل الأوكاليتوس، مما يجعلها تلعب أدواراً بيئية هامة كونها تساعد على تثبيت التربة بواسطة جذور الأشجار التي تقف حاجزاً أمام انجراف التربة، كما تعمل الجذور من جهة أخرى على تسريب مياه الأمطار إلى الطبقات الباطنية وبالتالي تغذي وتحافظ على الفرشة المائية. كما تساهم في تطهير الجو بإنتاجها للأكسجين، وامتصاصها لثاني أكسيد الكربون، مما يساهم في الحماية النسبية من التلوث للمدن المجاورة لها. أما من ناحية التنوع البيولوجي، فهي تحتوي على أصناف نباتية وحيوانية متعددة، كما تخلق فضاء هاماً للترفيه والاستجمام و ممارسة الرياضة من طرف الساكنة المحلية.

من الناحية الاقتصادية: تساهم غابة المعمورة في توفير مجموعة من المداخل تصل إلى 60 مليون درهم سنوياً من الإنتاج الوطني المرتبط خصوصاً باستغلال الأوكاليتوس، كما توفر 300000 م<sup>3</sup> من خشب الصناعة، و100000 م<sup>3</sup> من الفلين، و69000 م<sup>3</sup> من خشب التدفئة والفحم، ما يعادل على التوالي 67% -50% -10% من الإنتاج السنوي الوطني. تنتج المعمورة أيضاً 50000 طن سنوياً من ثمار البلوط، وتساهم في توفير الرأسمال الاقتصادي للمجموعات البشرية القاطنة داخلها أو بجوارها. بإنتاج 24 مليون وحدة علفية سنوياً، أي ما يعادل 75% من حاجيات ماشية المنطقة في إطار الرعي الجائر، كما تنتج حوالي 30 طن في السنة من الفطريات وحوالي 5000 طن في السنة من الأعشاب الطبية والعطرية، إضافة إلى ألف طن من العسل في السنة.

من الناحية الاجتماعية: تساهم غابة المعمورة في خلق العديد من فرص الشغل بمعدل 100 مليون يوم عمل موزعة كالتالي: 28000 يوم عمل لمستعملي الغابة، 14000 يوم عمل في قطاع المعالجة، 26000 يوم عمل في جمع خشب التدفئة. رغم هذه الأهمية التي تكتسبها غابة المعمورة، فإن هناك مجموعة من العوامل تساهم في تدهور تشكيلاتها النباتية وخاصة البلوط الفليني، وهي ظاهرة عامة تؤرق أغلب دول البحر الأبيض المتوسط، ومن الصعب تفسير عواملها بطريقة مدققة لمعرفة الأسباب الحقيقية وراء التراجع المستمر لمساحات البلوط الفليني، لأن عوامل التدهور والتراجع جد مركبة و متداخلة بالنسبة للمنظومة البيئية الغابوية للمعمورة.

#### 1- عوامل تدهور المجال الغابوي لمعمورة

تتداخل عدة عوامل طبيعية وبشرية في تدهور التشكيلات النباتية لمعمورة وخاصة منها البلوط الفليني.

<sup>1</sup> -Bendaamoun.1996

**1.1 العوامل الطبيعية:** تساهم عدة عوامل طبيعية في تراجع البلوط الفليبي بغابة المعمورة، وفي مقدمتها عامل المناخ، والتعرية، والأمراض النباتية.

- المناخ: يلعب المناخ دورا حاسما في تدهور البلوط الفليبي بفعل توالي فترات الجفاف والتي تدوم عدة أشهر، مما يتسبب في وفاة البراعم وأيضا في تفاقم عدم التوازن البيئي وإضعاف النباتات فتصبح أقل مناعة وذات حساسية لبعض الحشرات والفطريات.

تفاقمت هذه الأوضاع أكثر في الوقت الحالي بسبب ظاهرة الاحتباس الحراري، الذي بدأت تأثيراته تبرز منذ السبعينات من القرن الماضي بسبب ما يسمى بالتقلبات المناخية الناتجة عن ارتفاع المتوسطات الحرارية الكونية<sup>2</sup>.

تلعب التقلبات المناخية دورا حاسما في تراجع البلوط الفليبي بسبب طول فترات الجفاف التي تمتد لعدة شهور، مما يرفع من خطورة اختلال التوازن ويجعل من الغابة مجالا خصبا لاجتياح الحشرات والفطريات المسببة للأمراض.

- التعرية: تساهم التعرية المائية والريحية في تدهور التربة، لأنها رملية وغير متماسكة مما يسمح بالتسرب السريع للمياه، فتتسبب التعرية أكثر مما يضعف تثبيت التكوينات الترابية ويساهم بالتالي في تدهور البلوط الفليبي.

- الطفيليات والحشرات: تعاني أشجار غابة المعمورة من تكاثر الطفيليات والحشرات، والتي تمثل أكثر من 80% من الأنواع الحيوانية، فبعضها يمكن أن يكون ضروريا في الغابة لأنها تؤمن تلقيح النباتات وإعادة إنتاج المادة العضوية في التربة. إلا أن المضررة منها تؤثر على مختلف عناصر الشجرة (خشب، أوراق، ثمار...)، مما يتسبب في أمراض وعاهات للأشجار، وعلى رأسها أشجار البلوط الفليبي التي تهاجمها أعداد كثيرة من الحشرات، بأصناف مختلفة مما يؤثر على نموها ويضعف مناعتها ويعرضها لأمراض مزمنة تؤدي إلى موتها.

تتأثر غابة المعمورة إلى جانب العوامل الطبيعية بعوامل بشرية، بسبب الضغط البشري المكثف مما يعرضها للتدهور بفعل الرعي الجائر، الحرائق، جمع البلوط، التوسع الحضري، شق الطرق وغيرها.

### 1.2 العوامل البشرية

يعتبر التدخل البشري في غابة المعمورة عاملا حاسما في تدهور المجال الغابوي، ويتسبب في العديد من المشاكل البيئية، ترتبط هذه العوامل البشرية بمختلف الأنشطة والسلوكيات بوعي أو عن غير وعي ومنها:

- الرعي الجائر: يتسبب في تدهور النظم البيئية الغابوية وتنوعها البيولوجي، وخاصة في المناطق التي تعرف تركزا كبيرا للسكان التي تمارس نشاط تربية المواشي. يصل عدد رؤوس المواشي التي تتردد على غابة المعمورة حوالي 200000 رأس من الغنم و50000 رأس من الأبقار، وهذا يشكل حمولة رعوية ثقيلة لا تستطيع الغابة تحملها. كما تساهم المواشي في منع إمكانية التخليق الطبيعي بفعل اندكالك التربة واستهلاك ثمار البلوط والقضاء على بعض البذور التي نجحت في إخراج براعمها.

<sup>2</sup> - le poutre 1995

-الحرائق : تتعرض المجالات الغابوية للفلين، كجميع الغابات، للحرائق حيث أن البلوط الفليني يعتبر الشجرة الوحيدة الأكثر مقاومة للحرائق بفضل الحماية الطبيعية التي يوفرها لها الفلين كمادة لينة. رغم هذا، فإن الحرائق لها سلبيات على البلوط الفليني المميز لغابة المعمورة<sup>3</sup>.

-جمع البلوط : يشكل جمع هذه الثمار، عائقا أمام التخليف الطبيعي للبلوط الفليني مما يتسبب أحيانا في الإضرار بأغصان الأشجار، ويوفر مجالا لانتشار الفطريات بها. يصل متوسط الإنتاج إلى 2000 طن ويباع خاصة على طول المحاور الطرقية، وفي الأسواق، ويستغله أكثر القاطنين بجوار الغابة والرعاة.

-القطع غير القانوني للأشجار : تعاني المنظومات الغابوية دائما من القطع غير القانوني لأغصان الأشجار من أجل التدفئة والطهي وصنع الفحم، حيث توفر غابة المعمورة 30% من مجموع الطاقة الوطنية، مما يؤدي هذا إلى فقدان التنوع البيولوجي وتطور ظاهرة التصحر وما يرافقها من نقل للرمال بسبب الرياح والمياه عموديا وفوق المنحدرات...-التوسع الحضري: تشكل المعمورة مجالا هاما للتوسع الحضري وتوطين مشاريع سوسيواقتصادية لتنميتها نظرا لقربها من التجمعات السكنية، فالانفجار الديمغرافي فرض الحاجة للأراضي داخل وخارج الغابة، كشق الطريق السيار، مما يهدد الحيوانات البرية والفرشة المائية.... إلخ .

- ضخ المياه : تشكل الفرشة الباطنية للمعمورة خزاننا مهما لضخ المياه من أجل السقي مما يقلص مستواها بفعل الضغط المتزايد ويساهم بالتالي في جفاف جذور البلوط الفليني ويؤثر على النمو الطبيعي للنباتات، ولمواجهة هذه الإكراهات قامت الدولة بمجموعة من مشاريع التهيئة لتأهيل غابة المعمورة مثل برامج البحث والتنمية، ومشاريع التخليف والتشجير للحفاظ على نظامها الإيكولوجي والحد من تدهور وإتلاف غطاءها الغابوي.

#### IV. مشاريع تأهيل أشجار غابة المعمورة

تشهد غابة المعمورة تدهورا مستمرا رغم المجهودات المبذولة من طرف السلطات العمومية لحمايتها والحفاظ عليها، فوضعت للحد منه، مجموعة من المخططات والمشاريع و البرامج التي تسعى للحفاظ على غابة المعمورة وأهمها مخطط الإنقاذ 1918-1950، مشروع الإعداد لسنة 1951-1972، مشروع إعداد 1972-1992 ثم مشروع 1992-2012 وآخرها البرنامج العشري 2005-2014 وهي كالتالي:

-مخطط الإنقاذ 1918- 1950 : تم تجديد أشجار غابة المعمورة على مساحة تقديري حوالي 60000 هكتار كما قسم المجال الغابوي إلى خمس أقسام غابوية و33 مجموعة ، و460 قطعة أرضية على شكل مربعات تصل مساحتها إلى 9 هكتارات للوحدة من أجل إعادة تشجيرها، لكن النتائج كانت ضعيفة بفعل شيخوخة الأشجار وعدم احترام ضوابط التدخل في المجال الغابوي .

-مشروع الإعداد 1951-1972 Vidal

<sup>3</sup>(Eljawadi, Faiza Nazha.2009)

استهدف هذا المشروع الحفاظ على البلوط الفليني بالمعمورة بواسطة التخليف الطبيعي، مع رصد المجالات الفارغة وتعويضها بالتشكيلات الاصطناعية والعمل على إنتاج أكبر كمية من البلوط الفليني، كما أن أكثر من 99.643 هكتار تم تشجيرها بتشكيلات اصطناعية وهي: 29.598 هكتارا من الأوكاليبطيس، و1108 هكتارا من صنوبر حلب. في حين بقيت 450 هكتار لم يتم تشجيرها. من معوقات هذا المخطط عدم مرونة برنامج الهيئة وأشكال التدخل، مع عدم إتقان تقنيات التخليف الاصطناعي، فكانت النتائج جد ضعيفة<sup>4</sup>.

#### - مشروع إعداد Danois 1972-1992

استهدف هذا المشروع الحفاظ على البلوط الفليني بالأماكن ذات مردودية اقتصادية مرتفعة، أي بالمنطقتين الغربية والوسطى حيث تفوق الكثافة 100 شجرة في الهكتار، واستبدال البلوط الفليني بأصناف جديدة وسريعة النمو بالأماكن ذات كثافة أقل من 100 شجرة/ هكتار، وقد تضمن المشروع جملة من عمليات التشجير تهم الأصناف التالية:

- التخليف الاصطناعي للبلوط الفليني على مساحة 5000 هكتار،
- إعادة تشجير الأوكاليبطوس على مساحة 38.100 هكتار،
- إعادة تشجير صنوبر حلب على مساحة 10.100 هكتار،
- الأكاسيا على مساحة 6900 هكتار.

رغم المجهودات المبذولة في إطار تخليف البلوط الفليني، لم يتم حلها حيث تراجعت مساحة البلوط الفليني لتنتقل من 100000 هكتار إلى 60 ألف هكتار، بالمقابل ارتفعت نسبة التشجير الاصطناعي إذ انتقلت من 30 % سنة 1951 إلى 65 % سنة 1992 أي في ظرف 40 سنة .

#### - مشروع إعداد Agro-sylvo-pastoral 2012-1992 (الزراعة والحراثة والرعي)

ركز هذا المشروع على ضرورة إشراك الساكنة الفلاحية في المشاريع التنموية الغابوية من أجل الاستجابة للحاجيات البيئية والسوسيواقتصادية. في هذا الإطار تم تحديد مجموعة من الأهداف لهذا المشروع ومنها :

- 1- التخليف الاصطناعي بواسطة إعادة التشجير الاصطناعي للبلوط الفليني،
- 2 - تجديد الحفاظ على النظام البيئي لغابة المعمورة ،
- 3 - الحفاظ على المساحة الحالية للغابة،
- 4 - تشجيع المقاربة التشاركية للساكنة القروية في مشاريع تنمية الغابة،
- 5 - تطوير الرعي و الاستعمال العقلاني للمواد العلفية،
6. تعزيز تعدد وظائف الغابة،
7. تعزيز أدوار الاستجمام والترفيه بتناغم مع أدوار الصيد و القنص،

<sup>4</sup>-DREFLCDKénitra

8. التنمية البيئية،

9. التنمية والبحث.

حقق هذا المشروع نسبة نجاح وصلت إلى 86%، وهي مرضية بالرغم من مجموعة من المعوقات، كعدم انتظام جني البلوط والإفراط في الجني. ويتضح هذا جليا من خلال نتائج هذه البرامج منذ 1951 إلى سنة 2012.

جدول 2 : مساحة الأراضي المشجرة ما بين 1951 و 2012

المساحة بالهكتار				التشكيلات النباتية
2012	1992	1972	1951	
70572	60000	87000	100000	البلوط الفليبي
42672	53000	38000	31000	الأوكالبتيس
2816	55000	1000	0	الأكاسيا
9851	12500	6000	1000	الصنوبر
5827	2000	1000	1000	آخر
131738	133000	133000	133000	المجموع

المصدر: DREFLCD Kénitra programme Décennal 2015/2024

يتبين من خلال الجدول أن الفترة ما بين (1951- 1992) تراجعت فيها مساحة البلوط الفليبي إلى حد كبير بمعدل 840 هكتار في السنة. في المقابل عرفت التشكيلات الاصطناعية المذكورة ارتفاعا بنسبة 30% كما سجل ارتفاع في إعادة تخليف البلوط الفليبي منذ 1992، بمعدل 1000 هكتار في السنة.

- مشروع إنقاذ وتأهيل غابة المعمورة سنة 2005

يتضمن مشروع إنقاذ المعمورة، مجموعة من الإجراءات التقنية والسوسيواقتصادية والإدارية. للحد من التدهور الملاحظ بالغابة على المدى القصير والمتوسط، وكذا اقتراح مجموعة من الحلول للمشاكل المطروحة. فمن الناحية الاستراتيجية يقوم هذا المخطط على الأهداف التالية:

1. تأمين غابة المعمورة ك مجال اقتصادي واجتماعي،
2. العمل على تبني نظرة منهجية واقتصادية جديدة للتخليف وتنمية المجال الغابوي،
3. انخراط الاقتصاد الغابوي بشكل وازن في الاقتصاد الزراعي الرعوي في المجال الغابوي لمعمورة وهوامشه عن طريق البحث عن شراكات مناسبة وصياغة تصميم تطيري خاص،
4. دراسة تأثير مجال الترفيه على استدامة الموارد الغابوية.

- مشروع تأهيل غابة المعمورة سنة 2006: استهدف هذا المشروع إعادة تشجير غابة المعمورة على مساحة 20000 هكتار ، وكذا حماية الموارد الغابوية بتقوية البنيات التحتية ونظام مراقبة الغابة عن طريق التدبير عن قرب، إضافة إلى تقييم مجال الغطاء الغابوي بواسطة برنامج التدخلات الموجهة لحماية الغابة وعن طريق مخططات التدبير .

استهدف مشروع 2006 كذلك المساهمة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية للسكان المحليين عن طريق المقاربة التشاركية المسجلة في الاستراتيجية الجديدة للمندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر. وهي استراتيجية تهدف إدماج البعد الاجتماعي من أجل الاستجابة بشكل أفضل للسكان من جهة، ومن أجل ضمان الاستدامة للغابة من جهة أخرى .

تم توقيع مجموعة من الشراكات في شكل عقد اتفاقيات مع الجماعات المحلية والجمعيات الرعوية والتعاونيات الفلاحية ومختلف الشركاء. تتمثل هذه الاتفاقيات في:

- الاتفاقية المبرمة مع شركة الإلكترونيات الدقيقة لتشجير 10000 هكتار،

- اتفاقية الشراكة مع الجماعات المحلية لمعمورة سنة 2005 على مدة 3 سنوات حيث تم توقيعها مع 10 جماعة محلية،

-الاتفاقية المبرمة مع الجمعيات الرعوية سنة 2006 ومع المجموعات ذات الاهتمام الاقتصادي والتعاوني الغابوي في سنة 2007.

**البرنامج العشري 2005-2014:** بلورت المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر استراتيجية لمواجهة الإكراهات من خلال البرنامج العشري 2005-2014، والذي يسعى إلى إعادة تخليف الغابة بأكملها في أفق سنة 2014 وإعادة تأهيلها والحفاظ على نظامها الإيكولوجي، والمساهمة في الحد من تدهور وإتلاف غطائها الغابوي .

يرتكز هذا المخطط بالخصوص على إعادة تخليف 15331 هكتارا من أشجار البلوط الفليني وتشجير 12819 هكتارا ورسد 134 ألف و100 هكتار لتأمين الملك الغابوي، وتخصيص 377 كلم لفتح وصيانة المسالك الغابوية وبناء وصيانة 43 وحدة خاصة بأبراج مراقبة الحرائق. كما ارتكز هذا البرنامج على القيام بعملية تسييج المناطق التي تتم بها عملية التخليف للحد من ولوج القطعان إليها، وتطوير الشراكة وتشجيعها مع الجماعات المحلية والسكان القروية، فضلا عن تنظيم حملات تحسيسية بضرورة المحافظة على الغابة.

تم التوصل من خلال هذه البرامج، إلى أن هناك مكونين أساسيين هما المسؤولان عن نجاح أو فشل تخليف البلوط الفليني بالمعمورة ، وهي عوامل مرتبطة بتصريف المياه الأفقي (سبك التربة، وضعية الصخور الطينية، عامل التكوينات السطحية والتصريف العمودي والأفقي في اتجاه الانحدارات، حيث أن أحسن شروط التصريف المائي مرتبطة بانحدار المجال<sup>5</sup>.

<sup>5</sup>-Le poutre 1965

تؤكد مختلف الدراسات في المعمورة، على أن حظوظ التخليف الاصطناعي للبلوط الفليني تنخفض كلما اتجهنا من الغرب نحو الشرق بفعل تأثير القارية .

تم التوصل أيضا إلى أن التخليف الاصطناعي، جيد في الجزء الغربي من المعمورة ذات الرمال الحمراء أو البني الفاتح في المجالات الفارغة، حيث الكثافة السكانية منخفضة وحركة القطيع ضعيفة وسمك التربة أكثر من 2 متر. عرفت المعمورة الوسطى نجاحا أكثر، حيث يتراوح سمك التربة ما بين 0.5 و0.15 متر، والانحدار ما بين 3% و12% والكثافة السكانية أكثر من 100 ن/هكتار. أما المعمورة الشرقية فنجاح البذور يتركز في مجالات انحداراتها فتتراوح بين 3% و9% وسمك التربة بين 0.50 و1.70 متر. ما عدا ذلك فإن المجالات التي لها قيم خارج ما ذكر، تكون بها عملية التخليف فاشلة بشكل حتمي<sup>6</sup>.

أمام هذه الإكراهات عملت المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر على وضع استراتيجية جديدة لحماية المعمورة، رصدت من خلالها مجموعة من الأهداف المتوخاة، ومبالغ مالية هامة على مدى عشر سنوات وهي :

#### • عشرية 2015 – 2024 :مشروع استعادة وتثمين المنظومة البيئية لغابة المعمورة الغربية

تتميز المعمورة الغربية بمناخ شبه رطب حيث معدل التساقطات السنوية تصل إلى 600 ملم، ويتكون الغطاء النباتي من تشكيلات يهيمن عليها البلوط الفليني. قسم مخطط الإعداد هذا المعمورة الغربية إلى 4 مجموعات، بالنسبة لسلسلة البلوط الفليني التي تصل مساحتها إلى 27604 هكتار، وهي :

- مجموعة التخليف: 12478 هكتار،
- مجموعة الإعداد : 10642 هكتار،
- مجموعة التطوير: 3806 هكتار،
- مجموعة الترفيه: 678 هكتار،

بالإضافة إلى سلسلة الأوكاليبتوس 9530 هكتارا، سلسلة الصنوبر 2317 هكتارا ، سلسلة الأكاسيا ب511 هكتارا . رصدت المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر مجموعة من الأهداف لحل إشكالية تدهور الغابة التي تعاني من هشاشة منظومتها البيئية، والضغط الديمغرافي والمشاكل المذكورة سابقا، لذلك تم اقتراح مجموعة من الحلول،

استعادة النظام الإيكولوجي للبلوط الفليني وتثمين منتوج البلوط الفليني والغابات من خلال إعادة التحريج وتطوير التشكيلات النباتية وكذلك المساهمة في التنمية السوسيو اقتصادية للسكان المحلية .

في هذا السياق تم وضع مجموعة من التدابير المصاحبة لتحقيق هذه الحلول كمشاريع تساهم في المحافظة على غابة المعمورة منها، تنظيم الساكنة المستعملة للغابة ( الجمعيات الرعوية) ، وتقوية وتأطير الجمعيات المستفيدة من

التعويضات عن حماية الغابة كذلك تقوية الدعم للأنشطة الزراعية الرعوية بانخراط رعاة هوامش المجالات الغابوية في إطار دينامية التكثيف التي تقود إلى تطوير المداخل وظروف العيش، مع تخفيف الضغط الرعوي على المجال الغابوي، وتعزيز دور الجمعيات الرعوية من أجل إشراك الساكنة المحلية في تدبير وتقييم الموارد الغابوية للرفع من مداخيل السكان المحليين وبالتالي التخفيف من حدة اجتثاث الغابة مع متابعة الوضعية الصحية السليمة للغابة بواسطة شبكات منتظمة (8×8) والمساحة (4×4 كلم) للمعمورة وشبكة المراقبة الصحية، إضافة إلى التنسيق بين المراكز الجهوية الغابوية والمندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر.

وفيما يخص برامج البحث حول المنطقة من حيث التخليف، الزراعة الرعوية، إنتاج الشتلات والبذور .....)، تم تطوير العلاقات بين الجامعة ومؤسسات التكوين والبحث. فرصت لهذه العشرية عدة أهداف مستقبلية منها، إعادة تأهيل تشكيلات البلوط الفليني المتدهورة وتوسيع مساحة البلوط الفليني، وحماية التشكيلات النباتية الغابوية من النهب والسرقة.

مع الحفاظ على الأراضي ومحاربة التصحر والتعرية الريحية، وتمويل وحدات معالجة الفلين وتلبية حاجيات الدولة من المنتوجات الخشبية. كذلك خلق فرص العمل للساكنة المحلية (5800.000 يوم عمل خلال عشر سنوات)، والرفع من المداخل<sup>7</sup>.

خاتمة: تمتاز غابة المعمورة بتنوع التشكيلات النباتية خاصة البلوط الفليني، وتوفرها على فرشاة مائية باطنية، تعد هذه الغابة كذلك خزاناً للتنوع البيولوجي، وتوفر فضاءات للترفيه والاستجمام لسكان المناطق المجاورة لها، لكنها خارج هذا تتعرض باستمرار للتدهور جراء عوامل طبيعية وبشرية.

عملت الدولة على مواجهة هذه الإكراهات ببرامج ومخططات تنموية عديدة، وعلى رأسها مشاريع التخليف التي نهجتها المندوبية السامية للمياه ومحاربة التصحر إلا أنها لم تنجح في ذلك بنسبة مهمة إذ لا زالت هذه الغابة تعاني من الاستنزاف المستمر، مما جعلها تعرف تقلصاً في كثافتها خلال السنوات الأخيرة التي سجلت تراجعاً في مساحة البلوط الفليني.

تصل الخسائر السنوية الناتجة عن تقلص الكثافة 833 هكتاراً مما يهدد باختفاء 38035 هكتاراً خلال 76 سنة المقبلة، إذا لم تتخذ التدابير الاستعجالية اللازمة لإعادة تأهيل غابة المعمورة. فضلاً عن ذلك، عرف تخليف غابة البلوط الفليني إخفاقاً كبيراً قدر بـ 82% حسب تقرير المجلس الأعلى للحسابات سنة 2008.

تعاني الغابة أيضاً من عملية جمع البلوط قبل موسم الجني من طرف الساكنة المجاورة، مما يضر بأغصان الأشجار، وأيضاً مشكل اندكاك التربة بفعل الرعي المفرط، مما يستوجب وضع مقاربة تشاركية تقوم على مساهمة كل المتدخلين وإشراك الساكنة في تنمية وتدبير الموارد الغابوية، من خلال تنظيمها في جمعيات وتعاونيات معترف بها

<sup>7</sup>-HCEFLDD 2015



قانونيا، لتأمين المنتجات الغابوية من جهة، وتعزيز أسس الاقتصاد الاجتماعي والتضامني من جهة أخرى. لأن العنصر البشري له دور مهم في الحفاظ عليها، مما يبعد عن الغابة خطر التدهور و فقدان التنوع البيولوجي.

### لائحة المراجع

- وطفة عبد الرحيم : 1996 هضبة المعمورة وساحل سلا : التكوينات السطحية والتطور الجيومورفولوجي مطبعة المعارف الجديدة الرباط .
- Aafi. Abderrahmane 2007 : Etude de la diversité floristique de l'écosystème de chêne liège de la forêt de la Maamora. Rabat thèse de doctorat d'état en sciences agronomiques I.A.V Hassan 2 p 190
- Amghar 1997 : la régénération artificielle du chêne liège en relation avec les facteurs milieu. Cas de la forêt de la Maamora salé mémoire du 3<sup>ème</sup> cycle ENFI
- A.E.F.C.S.1973 : procès-verbal d'aménagement de l'administration des eaux et forêts forêts de la conservation des Sols (AEFCS)1973.
- Chelhy 1990 : documents scientifiques et techniques à la découverte de la forêt de la Maamora.
- Daali1987 : Contribution à l'étude de régénération naturelle par semis de chêne liège dans la Maamora central : cas de la réserve de la chasse royal d'Ainjohra Mémoire du 3-ème cycle I.A.V Hassan 2 p 139
- Emberger L1939 : Aperçu générale sur la végétation du Maroc avec phytogéographique. Bulletin société histoire naturelle, Toulouse p 97-124
- Eljawadi, Faiza, Nazha.2009.les risques d'incendies dans la forêt de la maamora2009.
- Fao. 2007.Food and agriculture organization of the UN. [ECOCROP] 2007
- HCEFLDD 2012 : Haut-commissariat aux Eaux et Forêts et la lutte contre la Désertification
- GIEC : Bilan 2007 des changements climatiques : Rapport de synthèse.



## مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل – العدد العاشر - ماي 2020م



- Gachi Mustapha ,Kerris Tayeb et Sai Karima 2001 « les insectes ravageurs et les Champignons pathogènes des forêts de chêne liège.
- Le poutre : « les cahiers de recherche agronomique n°24 1967 »
- Nafaà Rachida 1996 dynamique du milieu naturel de la Maamora, paléo environnement et évolution actuelle de la surface .pub, de l'université Hassan 2 FLSH Mohammedia p32.
- Organisations des Nations Unies pour l'alimentation et l'agriculture « Analyse de vulnérabilité au changement climatique du couvert forestier Forêt Maamora Maroc » rapport technique 2015.
- Rapport décennal 2015-2024 DREFLCD-NO-Kénitra.



وضعية التراث العمراني بولاية بشار واستراتيجيات تثمينه والحفاظ عليه

## The status of urban heritage in the Wilayat of Bashar and strategies for valorization and preservation

- د. سليم دهيمي: جامعة محمد بوضياف المسيلة [salim.dehimi@univ-msila.dz](mailto:salim.dehimi@univ-msila.dz)

- عبد الصمد صديقي: جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا [seddiki.a.ssm@gmail.com](mailto:seddiki.a.ssm@gmail.com)

- د. زهير النامي: جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس [zouhair.ennamy@usmba.ac.ma](mailto:zouhair.ennamy@usmba.ac.ma)

**المخلص:** يمثل التراث العمراني منظومة تعكس قصة التطور الحضاري للإنسان عبر التاريخ، كما يعدّ ثروة حضارية وثقافية تراكمت عبر القرون، فهو يشكل عنصراً مهماً من عناصر الهوية الثقافية والمعمارية، ويعد التراث العمراني في الصحراء الشاهد الأكبر على حضارة هذه الأمم وثقافة شعوبها، ويشكل رمزا لتطورها على مدى التاريخ وبجانب أنه موروث اجتماعي، فإنه تراث حضاري يجب المحافظة عليه وتجديده، وقد اختزن هذا العمران في طياته إرثا حضاريا زاخرا ببعده التاريخي ونمطه الحياتي المتميز ونسيج العمراني المتناسك، وبالتالي شكل حضارة متواصلة في المدينة الصحراوية، إلا أن هذا العمران التقليدي يواجه تحديات متنوعة أثرت في توازن الحياة الاجتماعية والاقتصادية للسكان.

تكمن إشكالية البحث في أن العديد من مواقع ومعالم هذه القصور تتعرض للتدهور والخراب، بفعل العوامل البشرية والطبيعية، مما أفقدها العديد من سمات عناصرها المعمارية والجمالية، وأدى إلى تردي حالتها وتغيير بيئتها الفضائية والاجتماعية، لتصل إلى الصورة التي هي عليها اليوم.  
الكلمات المفتاحية: التراث العمراني؛ القصور؛ العناصر المعمارية المحافظة؛ مدينة بشار.

**Abstract:** The urban heritage represents a system that reflects the history of the evolution of civilization throughout history and it is a cultural wealth that has accumulated over the centuries and an important element of cultural and architectural identity. Urban heritage is considered in the desert the greatest testimony of the civilization of these nations and the culture of their peoples and it is a symbol of its evolution through history in addition to being a social legacy, it is a cultural heritage that must be preserved and renewed. This urbanization has a rich cultural heritage with its historical dimension, distinctive way of life and cohesive urban texture. Thus forming a continuous civilization in the desert city however, this traditional architecture faces various challenges that have affected the social and economic balance of the population.

The problem of research is that many of the sites and monuments of these ksour and this urban heritage are degraded by human and natural factors that it has lost many architectural and aesthetic elements of the attributes and leads to the deterioration of the situation and change the environment and social space to the image that it is today

**Keywords:** Urban heritage; Ksour; architectural elements; tourism; Bechar city.

## مقدمة

يعد التراث العمراني أحد أهم مقومات المحافظة على الثقافة والهوية، لكونه شاهدا على تراكم خبرات المجتمعات عبر تاريخها، ويظهر ذلك في صورة بيئة عمرانية متكاملة تمثلها مختلف الفضاءات المكونة للمدينة، ورغم هذا المضمون الذي يحتويه هذا التراث، إلا أنه يعاني عدة مخاطر ويعيش أوضاع متدهورة بلغت حد لا يمكن تجاهله، فقد لوحظ تشوه العديد من المباني التراثية والتعدي على الأبنية التاريخية المتميزة أثريا ومعماريا وعمرانيا.

وتعتبر القصور إحدى المشاهد الصحراوية العتيقة التي تمثل ظاهرة معمارية فريدة من نوعها يتميز بها الجنوب الجزائري، وهي رموز ومعالم حضارية هامة جدا، تترجم عمق تاريخ مناطق برهنت عبر القرون على مدى قدرة الإنسان على التأقلم، وتعتبر أيضا مراكز تاريخية ذات بعد وأصالة متعلقين بالمنطقة كما أن لها جودة معمارية وفن وموروث شعبي يعكس الحياة اليومية والممارسات الاجتماعية، إلا أن هذه القصور تتعرض لعدة مخاطر مثل العوامل الطبيعية وهجرة قاطننها وتدهور وفقدان التراث المبني مما أفقدها العديد من سمات عناصرها المعمارية والجمالية و بالتالي عرفت هذه المعالم تغيرات عديدة.

### 1. التراث العمراني الصحراوي وخصائصه

لا شك أن دراسة مفهوم التراث العمراني مهما، حيث يمكننا من التعرف على معانيه، وكذلك أهميته والخصوصية العمرانية للمدن العتيقة بالجزائر.

#### 1. مفهوم التراث العمراني

التراث العمراني هو كلما شيده الإنسان من مدن وقرى وأحياء ومبان، مع ما تتضمنه هذه المدن من فراغات ومنشآت لها قيمة عمرانية أو تاريخية أو ثقافية، وإن امتد تاريخها إلى فترة متأخرة، تشمل مباني التراث العمراني والقصور والمباني التاريخية والأحياء التراثية ومراكز المدن القديمة وكل المباني التي كان تأسيسها مرتبطا بأحداث تاريخية أو دينية أو اجتماعية أو أمنية أو كان إنشاؤها يعكس أنماطا وطرزا فنية في العمارة أو الفنون الزخرفية المتصلة بها، بحيث تكون ذات دلالة على مدرسة فنية أو حضارة تاريخية لها جغرافية معينة أو فترة زمنية محددة. (علي فضل الله 2002 ص 11).

#### 2. أهمية التراث العمراني

- الأهمية التاريخية: يعد التراث العمراني من المنظور التاريخي الحضاري كنز حضاري ثمين فهو يشكل شاهدا ورمزا صادقا على الإبداع الإنساني ورؤاه الفنية عبر مسيره التاريخي الحضاري العمراني، فهو يعمل على إبراز عناصر الفن والجمال والتميز والإبداع والأصالة، فالتراث العمراني يعكس جانبا من جوانب الهوية الوطنية للدول. (اللحام 2007 ص 101).

- الأهمية الاجتماعية: تبرز أهمية التراث العمراني من المنظور الاجتماعي في المنافع والفوائد الاجتماعية المتعددة والمتنوعة فالتراث العمراني يغذي وينمي روح الانتماء والهوية للشعوب بتمسكها بحضارتها وأصالة تراثها العمراني.

- الأهمية الاقتصادية: يعد التراث العمراني ذا أهمية اقتصادية كبيرة عبر التركيز على السياحة الداخلية وتيسير السبل لتوطينها، ليكون مصدر دخل ثابت للمواطنين، كما يمكن للمواطنين والوافدين زيارة هذا التراث، فقد أصبح يمثل عنصر جذب سياحي مهما لجذب أموال المستثمرين لقيمتها الاقتصادية الفعلية، التي تنبع من ندرته وأصالة مكونات عناصره العمرانية التي تقدم فرصا كبيرة للريح. (Gunn 1994 ص 48).

### 3. الخصوصية العمرانية للمدن الصحراوية العتيقة

لقد استوطن الإنسان الصحراء منذ القدم ونظرا للظروف البيئية القاسية، استطاع التأقلم مع هذه الأخيرة وذلك من خلال إنشائه مدن ذات طابع خاص ومميز والذي يتمثل أساسا في القصر والواحة.

ويعتبر النسيج المبني للقصر كتلة موحدة ومتجانسة تربط بين أجزاءها شبكة ممرات تأخذ شكل شرايين تعتبر من المكونات الأساسية للقصر وتمثل عناصر الربط بين أجزاءه، وجميع هذه الطرق لا تتخذ شكل منتظم (دائري، مستقيم) إذ تتبع شكل التجزئات غير منظمة، كما يمكن اعتبار نسيج القصر وحدة متكاملة ومتراصة محاطة بواحات من النخيل تتصل بالوسط الخارجي عن طريق أبواب. ومن الواضح أن المدن الصحراوية العتيقة قد نشأت في الأصل عند طرق مرور القوافل التجارية والمسافرين والحجاج التي تخترق الصحراء الكبرى في مجالات سيرها، أو كمحطات لهذه القوافل حيث نجد القاعدة الثلاثية الماء والواحة والسكن وتلبية لمتطلبات وحاجيات المجتمع، أدى إلى إكسابها مجموعة من الخصائص وهي:

• العضوية: وهي تتمثل في النسق العضوي الذي يقوم على التكامل بين مجموعة من العناصر وهي الجامع الذي يعتبر العنصر المحوري الموحد والمهيكل للأعضاء والمنظم لحركته والأحياء التي يستمد منها المركز قوته وأسباب

وجوده واستمراريته، وأخيرا المسالك والأزقة التي تمثل الشريان الموصل بين الأعضاء التي تنتظم عبره الحركة وتبدو العناصر الثلاث متداخلة ومتكاملة ومنسجمة.

● المركزية: يعتبر مركز المدينة القلب المحرك للنشاطات الحضرية والمهيكل للنسيج العمراني الكلي للمدينة. ويقوم بدور الاستقطاب الكلي لما يحيط به، وهناك تنوع وتدرج هرمي في المراكز حسب الحجم بحيث يرتكز كل منها على مجال غير مبني فالمدينة ترتكز على الساحة الكبرى أو فناء المسجد، والحي يرتكز على فراغ يسمى الرحبة، والمنزل أو الدار ترتكز على الفناء أو الحوش المركزي.

● التدرج الهرمي للمجالات: استوجب مبدأ الحرمة محاولة حماية المكان واستتاره عن النظر الخارجي، ولهذا قد تم اعتماد مخطط عمراني للقصر يقوم على تدرج مجال محكم للمرور من المجال العمومي المتمثل في المسجد أو الميدان أو السوق إلى الدار التي تعتبر مجالا خصوصيا أو العكس من ذلك. وترسم الجدران الخارجية للدار حدود المجال المحرم الذي ينبغي مراعاته، والذي لا يفتح على الخارج إلا بمدخل أو فتوحات مدروسة.

## II. وصف وتحليل قصور منطقة الدراسة

خلال هذا المحور سنقوم بتقديم لمحة موجزة على مجال الدراسة (ولاية بشار) وتوطينه الجغرافيا، كما سنقوم بتشخيص وتحليل وضعية قصور ولاية بشار.

### 1. لمحة عامة عن المنطقة

تعتبر منطقة الساورة واحدة من أكثر المناطق جاذبية في جنوب الجزائر، وتعد ولاية بشار عاصمة لها وهي واحدة من أكبر ولايات الجنوب، يحدها شمالا كلا من ولايتي البيض والنعام، وغربا المملكة المغربية، جنوبا ولاية تندوف وشرقا ولاية أدرار، تضم 12 دائرة و21 بلدية، تتميز المدينة بموقع استراتيجي هام، ذلك أنها تشرف على أغلب طرق المواصلات بالجنوب الغربي للبلاد، وتعتبر همزة وصل ما بين الشمال والجنوب الغربي ونقطة ربط بين الجزائر وصحراء جنوب قارة إفريقيا الكبرى ناهيك عن دورها الإداري (PDAU 2012 ص 17)

خريطة رقم 1: التوطن الجغرافي لولاية بشار ضمن التراب الجزائري



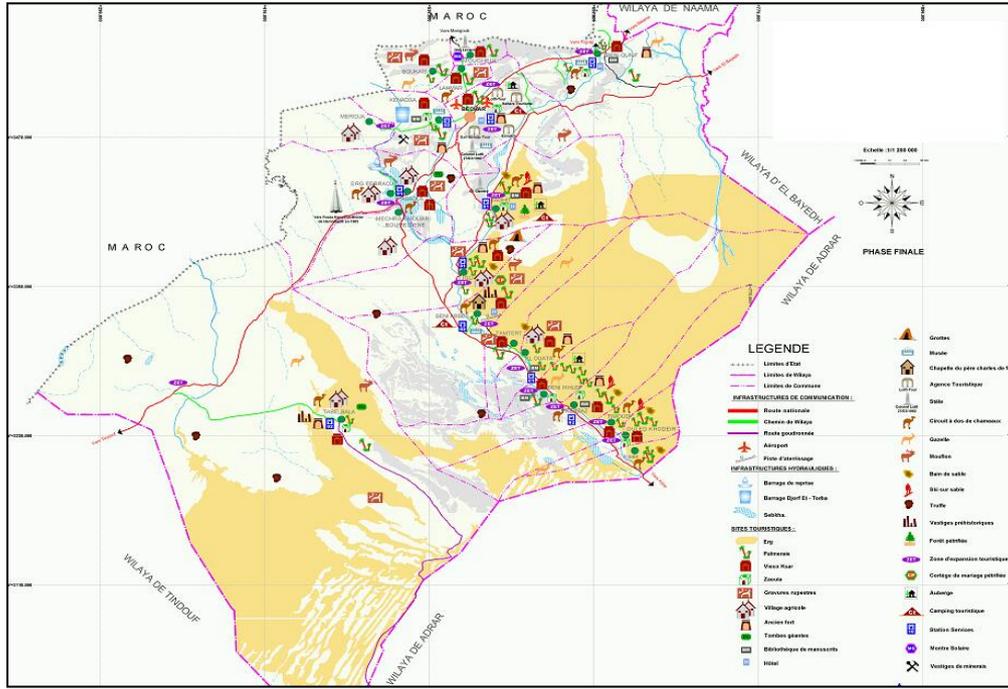
المصدر: PDAU 2012

تتميز ولاية بشار بإمكانات سياحية عديدة ومتنوعة، كالقصور والواحات والزوايا والأضرحة والوديان والجبال والمعالم الأثرية والمناطق الزراعية وغيرها من الإمكانيات السياحية.

جدول رقم (01): تراث ولاية بشار

العلاج التقليدي	المتاحف	الكهوف والمغارات	الحصون	النقش على الحجر	السدود	السدود الصغيرة	الزوايا	القصور	وحدات النخيل	كثبان رملية	
	x		x				x	x	x	x	بشار
			x				x	x	x		بني ونيف
				x				x	x		لحمر
								x	x		موغل
				x				x	x		بوكايس
			x	x		x	x	x	x	x	القنادسة
					x						المريجة
x			x					x	x	x	تاغيت
						x					العبادلة
			x	x				x	x	x	تيلبالة
		x	x	x				x	x		اقلي
	x			x				x	x	x	بني عباس
								x	x	x	تامرت
			x	x				x	x	x	الواتة
			x				x	x	x	x	كرزاز
									x	x	بني يخلف
x									x	x	تيمودي
									x	x	أولاد خضير
									x	x	القصابي

خريطة رقم 2: توزيع المآثر التاريخية بولاية بشار



المصدر: مديرية السياحة بولاية بشار

## 2. حالة قصور ولاية بشار

تمثل قصور الجنوب الغربي الكبير جزءاً أساسياً من التراث المادي الصحراوي النواة الاجتماعية والمرجع الثقافي لمناطق الجنوب، ومع ذلك تركت العديد من هذه التحف مهجورة لشح الانهيار والتلف بالرغم من عمليات الترميم العديدة التي شهدتها. وتعود هذه القصور المتمركزة في معظمها في منطقة الساورا إلى 15 قرناً تقريباً، وكانت تمثل النمط المعماري الذي كان متداولاً في الصحراء آنذاك، لقد صمدت هذه القصور طيلة 15 قرناً لمختلف الحرائق والتقلبات الجوية وفيضانات الوديان المجاورة.

بمجرد بناء المدن الصغيرة العصرية، سارع سكان القصور في هجرتها لتركيها عرضة للدمار والخراب، في الوقت الذي أصبحت فيه عمليات الترميم مكلفة، وتزخر بعض القصور بكنوز ثقافية لا تقدر بثمن على غرار قصر تاغيت والقنادسة وموغل وقصر بني عباس.

📍 قصر بشار

يعتبر هذا القصر من القصور العتيقة بالمدينة نظرا لبعده الثقافي والتاريخي، وهو معلم يعاني من عمليات حمايته من الدمار والترميم، ويبقى هذا القصر العريق الذي شيد خلال القرن 10 الميلادي على مساحة إجمالية تقدر بأكثر من هكتار عرضة لبعض العوامل السلبية بفعل سلوكيات الإنسان، إضافة إلى موقعه بمحاذاة السوق الكبير، وما ينجر عنه من مظاهر سلبية قد تشوه هذا التراث التاريخي، كما مست عوامل الإهمال التي يتعرض لها هذا القصر أيضا المقبرة التي تحولت بمرور الوقت إلى مفرغة.

### ❧ قصر تاغيت

تعتبر مدينة تاغيت بجمالها الفتان جوهرة الساورة، اختارت المدينة أن تتواجد بين شموخ العرق الغربي الكبير على ارتفاع 745 متر وامتداد الصحراء الصخرية، أو ما يسمى بالحمامة، حيث صنع وادي زوزفانة صورة طبيعية خلابة بفضل الواحات الموجودة على جانبيه على أكثر من 18 كيلومتر، وعلى الضفة اليمنى للوادي تتتابع قصور تاغيت.

		
صورة رقم (03): قصر بختي	صورة رقم (02): قصر بري	صورة رقم (01): قصر تاغيت (المركز)
		
صورة رقم (06): قصر الزاوية الفوقانية	صورة رقم (05): قصر بريكة	صورة رقم (04): قصر تاغيت (المركز):

## ٤٥ قصر القنادسة

قصر القنادسة واحد من القصور العتيقة الأكثر أهمية في المنطقة الجنوبية الغربية لبعده الثقافي والديني وهندسته المعمارية، وكان يعتبر مركز إقليمي ذو تأثير حضري على الناحية الغربية من المغرب، فأصبح اليوم يمثل إحدى ضواحي المدينة، نظرا لهجرة السكان وتدهور حالته الفيزيائية، فأصبح عرضة للعوامل الطبيعية من أمطار ورياح ورمال، وهذا ما يفسر مختلف أشكال التدهور التي آل إليها، وهو ما يظهر واضحا على مختلف أجزاءه التي عرفت إهمالا كبيرا. ويصنف القصر من بين القصور العتيقة، يحمل أروع نسق معماري تلاقت فيه العمارة المشرقية بالمغاربية والإفريقية في نسق جميل ومتكامل، فالزخارف والفسيفساء بأشكالها المتكررة تشكل أفق لا نهاية لها.



صورة رقم (07): قصر القنادسة

- مباني القصر: المباني السكنية التي توجد حاليا بالقصر تشهد حالة متدهورة ولا تلي الاحتياجات الحالية من الحياة، وقد استخدم في بناءها مواد محلية مما جعلها تتأقلم مع البيئة الصحراوية القاسية، ومن أهم هذه المواد الطين وجذوع النخل. وهي تعكس صورة متناثرة لنسيج القصر وبنائه التقليدي إلى حد ما، باستثناء بعض المنازل الواقعة على حواف أسوار القصر. ومنه نستنتج أن هناك اختلافا في الحالة الفيزيائية للمباني،

حيث نجد مباني في حالة متوسطة ومباني متدهورة ومباني آيلة للسقوط ومباني مهدمة كلياً. ومن الأسباب الرئيسية التي أدت إلى هذا التدهور وضعية القصر الحالية حيث أنه أصبح مهجوراً ومعرضاً للعوامل المناخية القاسية.

		
صورة رقم (10): مباني مهدمة كلياً	صورة رقم (09): مباني متدهورة	صورة رقم (08): مباني في حالة متوسطة
		
صورة رقم (13): مباني مهدمة كلياً	صورة رقم (12): مباني متدهورة	صورة رقم (11): مباني في حالة متوسطة

### ٥٥ قصر بني عباس

مدينة مبنية على تل صخري على الضفة اليسرى لوادي الساوره، تحيط بها من الجهات الثلاث الأخرى كثبان رملية، ويعتبر قصر بني عباس المصنف وطنياً واحداً من القصور المهمة من الناحية السياحية ومن ناحية عدد السكان، إلا أن هناك قصوراً أخرى هي قصور بني حسان، قصر أولاد مهد، قصر أولاد رحو، زقاق واروروت، قصر القصبية، وغيرها كثير، هذه القصور من أجمل ما بنى السكان في الإقليم، وبعضها لا يزال مسكوناً إلى اليوم، ولكن أجملها وأروعها هو القصر

الفريد من نوعه في كامل ربوع الصحراء والمتواجد بقلب واحة النخيل، تم إخلائه سنة 1957 للمحافظة عليه وتم تصنيفه معلماً هندسياً وطنياً.



صورة رقم (15): درب بالقصر



صورة رقم (14): قصر بني عباس

قصور الشمال: تقع شمال مدينة بشار عاصمة الولاية، قريبة من الحدود الجزائرية المغربية وهي قصور تاريخية رائعة تتميز ببرودتها.



صورة رقم (17): قصر موغل



صورة رقم (16): مدخل قصر موغل



صورة رقم (19): درب بقصر بوكايس



صورة رقم (18): قصر بوكايس



صورة رقم (21): قصر بني ونيف



صورة رقم (20): درب بقصر بني ونيف

هناك عدة قصور هي الأخرى تعاني من التدهور نذكر منها قصر كرزاز الواتة وتبليالة



صورة رقم (23): حصن تبليالة



صورة رقم (22): قصر الواتة

### III. القصور الصحراوية بين التدهور وإجراءات المحافظة عليها

يبقى البحث الجغرافي مطالبا بتقديم حلول واقتراحات من أجل معالجة الإشكاليات المطروحة، في هذا الإطار قمنا بتشخيص المخاطر التي تعدد التراث العمراني والإجراءات الكفيفة بالمحافظة عليها.

#### 1. المخاطر التي تهدد التراث العمراني

يتعرض التراث العمراني لعدد من العوامل المؤثرة التي تهدد بقاءه كتراث إنساني وتعرضه للتدمير أو التشويه جراء الأنشطة البشرية والطبيعية وتأخذ هذه العوامل أشكال متعددة منها:

- العوامل البشرية: تمثل الأخطار البشرية العامل الرئيسي الذي ساهم بصورة فاعلة في تعريض العديد من مواقع التراث العمراني للدمار والضياع، وهي أخطار تقع من جانب البشر بوعي أحيانا وبغير وعي في حالات كثيرة، مما كان له الأثر السلبي على التراث العمراني، وتتمثل في أعمال الهدم والتخريب والترميم الخاطئ والحرائق والحروب وغياب الوعي الثقافي... الخ.
- العوامل الطبيعية: تشكل الأخطار والأنشطة الطبيعية عوامل تلف رئيسة لمباني ومعالم التراث العمراني كالأمتار والسيول والرياح وزحف الرمال. (الزهراني، 2006، ص 515-557)

صورة رقم (24): توضح تأثير العوامل الطبيعية



## 2. سياسات الحفاظ على التراث العمراني

لقد أصبحت مسألة الحفاظ على القصور، أحد أهم الأهداف المطروحة في يومنا هذا أمام مسئولى الإدارة المحلية ومخططي المدن، حرصا على ضمان الاستمرارية التاريخية لتلك المدن، وحفاظا على عدم ضياع تراثها العمراني والحضاري، وهناك العديد من سياسات الحفاظ على التراث العمراني وهي تختلف من دراسة إلى أخرى:

❖ الحماية: يقتصر هذا النوع من السياسات على الأماكن التاريخية أو الأثرية، وأحيانا بالمناطق الحديثة ذات الطابع المميز، وتكون الحماية لمبانٍ معينة أو للنسيج العمراني أو للطابع المعماري، وتوسع الحماية أحيانا لكي تشمل حماية الهيكل الاجتماعي والاقتصادي جنبا إلى جنب مع الهيكل العمراني (موسى وعبد الغني، 1991، ص 34).

❖ الصيانة: هي عملية معالجة تلف أو خلل بالقصر وقع فعلا أو يحتمل وقوعه، وترمي إلى تحسين المظهر العام للقصر، وهي عمل دوري يجب أن يتم بصفة مستمرة للحفاظ على هذا التراث (السلفي، 2003)

❖ الترميم: وتهدف عملية الترميم إلى إعادة المباني والمناطق التاريخية إلى حالتها الأصلية عند إنشائها (اليزل، 1988، ص 3) وأيضاً هو إعادة تكوين الجزء المفقود أو التالف من العنصر المعماري للقصر، بالإضافة إلى منع التدهور وما يلزمه من عمليات ضرورية لصيانة العنصر التاريخي (عبد الرحمن، 2003، ص 70).

صورة رقم 25: عملية ترميم القصور بولاية بشار



- ❖ إعادة الاستعمال: عملية إعادة توظيف مباني وتجهيزات القصر ذات القيمة الأثرية والتاريخية في استعمالات جديدة تلائم التطور الحالي، وفي الوقت نفسه تضمن استمرار حياة تلك المباني، والمحافظة عليها بصورة عملية. (مدبولي، 1992 ص 26)
- ❖ التجديد: عادة ما تستخدم سياسة التجديد من أجل إضفاء مظهر شكلي جديد للقصر يتفق مع النمط والذوق العام لوقت إجراء تلك العملية، وهناك عدة عمليات أخرى كإعادة الاعتبار وإعادة التأهيل والتهيئة والتحسين الحضري.

### 3. إدراج التراث العمراني في تنمية المدينة

لإدراج هذا التراث العمراني في تنمية المدينة تم اقتراح عدة توصيات:

- ✓ ربط القصر بمحيطه الخارجي، من خلال تقوية عناصر الربط لتسهيل الحركة من وإلى القصر خاصة الميكانيكية منها، ويتم ذلك بإعطاء أهمية لنقطة الربط بين القصر والمدينة، وتوسيع مجال تأثير العناصر الأساسية في القصر.
- ✓ إعادة تطوير المناطق القديمة بإعادة توظيف واستعمال هذه القصور لتأكيد فعاليتها واستمرارية استعمالها، وذلك عن طريق تحسين النشاطات الاقتصادية والاجتماعية بها.
- ✓ ترميم المباني المهتمة والآيلة للسقوط، مع الحفاظ على الطابع المعماري القديم والاحتفاظ بالنسيج العمراني العتيق.
- ✓ تحديد المساكن والتجهيزات الضرورية للقصر الواجب ترميمها والمقترح إعادة بناؤها، وفق النمط المعماري القديم.
- ✓ تهيئة شبكة الطرق بالقصر في إطار إعادة هيكلته وجعله منسجما مع النسيج العمراني المحيط به، مع إحداث شبكة مياه صالحة للشرب وشبكة تطهير تتماشى والمخطط الشامل للمدينة، وكذا شبكة الإنارة العمومية مع إمكانية إنشاء ممر سياحي مع إشراك أفراد المجتمع في هذه التدخلات.

### خاتمة

بعد دراسة إشكالية التراث العمراني في المدينة الصحراوية، يتبين لنا أن القصور جاءت نتيجة لحياة فرضتها الظروف الطبيعية والاجتماعية، وقد اعتمدت في ذلك على العناصر الرئيسية المميزة لها، وهي تعبر عن مدى تفاعل الإنسان مع

الطبيعة واستخدامها لتحقيق أغراضه بأقل التكاليف، وتشهد هذه القصور وضعا متدهورا لعناصر ومكونات هيكلها العمراني ونسيجها العام، كما عملت العديد من الأنشطة البشرية والعوامل الطبيعية على تهديد الكثير من مكوناتها المعمارية، جراء المخاطر والمهددات التي تتطلب إجراء الكثير من المعالجات، التي تعمل على منع تزايد هذه المخاطر والمهددات الطبيعية.

لم تعمل الدولة على إنقاذ هذه الأحياء، بل كان جل اهتمامها يتركز على التخفيف من طلبات السكن فوجهت كل جهودها لهذه العملية، مما كانت له مضاعفاته وتأثيراته على الأحياء العتيقة بعدم الاهتمام والبحث عن ميكانيزمات عملية لإنقاذها، سواء بترميم أو إعادة هيكلته وأحيانا وإن وجدت هذه المحاولات فقد جمدت.

#### قائمة المراجع:

- بلدية بشار المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لبلدية بشار 2012.
- الزهراني عبد الناصر عبد الرحمن، 2006، "عوامل تلف المواقع الأثرية حالة دادان الخريبة"، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، سلسلة مداوات علمية محكمة للقاء السنوي للجمعية، البحرين.
- السلفي جميل وعبد الحميد أحمد، 2003، "الصيانة والترميم كوسيلة لحفظ التراث العمراني التجربة السعودية"، مؤتمر إنتريلد الدولي العاشر للبناء والتشييد، مصر.
- السواط علي بن محمد، 2003، "دور البلديات في الحفاظ على التراث العمراني في المملكة"، بحث مقدم لندوة التراث العمراني الوطني وسبل المحافظة عليه وتنميته واستثماره سياحياً، الرياض مركز الملك عبد العزيز التاريخي.
- عبد الرحمن أماني سيد، 2003، "المواثيق والتوصيات الدولية للتعامل مع التراث المعماري والعمراني"، رسالة ماجستير، كلية الهندسة، مصر.
- علي فضل الله، 2002، "تصميم البرامج التدريبية لحماية الآثار الإسلامية"، ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية حمايتها والمحافظة عليها، المجلد الأول، السعودية.
- اللحام نسرین رفیق، 2007، "التخطيط السياحي للمناطق التراثية باستخدام تقنية تقييم الآثار البيئية" دار النيل للنشر والطبع والتوزيع، مصر.



## مجلة الدراسات الإفريقية وحموض النيل - العدد السادس عشر - يونيو 2022م



- مدبولي مصطفى كمال، 1992، "إعادة تأهيل المناطق المركزية ذات القيمة التاريخية في الدول النامية"، دراسة حالة القاهرة، منطقة الدر بالأحمر، رسالة ماجستير، مصر.
- موسى مجدي محمد وعبد الغني جمال الدين، 1991، "فلسفة البناء بمناطق الآثار" منشورات المؤتمر العلمي الأول، كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان، مصر.
- اليزل سمير سيف، 1988، "الترميم المعماري لإحياء التراث المعماري والفني" الدار الفنية للطباعة، مصر.
- Gunn, C. 1994. Tourism Planning Basics, Concepts, Cases.
- Le guide touristique de la wilaya de Béchar.

شرق السودان والمطامع الإثيوبية  
(دراسة حالة منطقة الفشقة)

Eastern Sudan and Ethiopian ambitions  
(A case study of Al-Fashqa area)

أحمد سليمان أكبر (باحث في مجال العلوم السياسية) \_السودان Ahmedsoulim22@gmail.com

ملخص: تسعى هذه الدراسة إلى التعريف بمفهوم علم الجيوبوليتيك (علم سياسة الأرض) ومفهوم الاحتلال، ومن ثم تناول خليفة النزاع بين السودان وإثيوبيا، الذي هو في الأصل ليس نزاعًا كما يصوره البعض، بل احتلال واستيطان إثيوبي في الأراضي السودانية (ولاية القضارف) مع تسلط الضوء على منطقة الفشقة السودانية المتاخمة للحدود المشتركة بين البلدين، التي تحد شمالاً بنهر ستيت وجنوباً بنهر عطبرة شرقاً بإثيوبيا. لقد استخدم الباحث المنهج الوصفي الذي يعتمد على وصف الحقائق بإتباع أسلوب علمي وموضوعي دقيق، والمنهج التاريخي في الدراسة لتحقيق هدف البحث بتحليل واقع النزاع منذ نشوبه، الذي هو في الأصل احتلال إثيوبي لأراضي سودانية تسنده مطامع ظلت كل الحكومات الإثيوبية المتعاقبة تتبناها بصورة أو أخرى وإن أبدت غير ذلك، ويظهر ذلك جلياً في تلكاها عن عملية ترسيم الحدود بينها والسودان رغم اعترافها بكل الاتفاقيات التي بينت هذه الحدود منذ عام 1902م. وقد خرج البحث بعدد من النتائج التي تكشف عن مطامع إثيوبيا في الأرضي السودانية، خاصة منطقة الفشقة الخصبة. كلمات مفتاحية: شرق السودان، ولاية القضارف، مطامع إثيوبية منطقة الفشقة.

**Abstract:** This study seeks to define the concept of geopolitics (the science of land politics) and the concept of occupation. It then deals with the successor to the conflict between Sudan and Ethiopia, which is not originally a conflict as some portray it, but rather an Ethiopian occupation and settlement in Sudanese lands (Gadaref State) with a focus on The Sudanese region of Al-Fashqa is adjacent to the common border between the two countries, which is bordered to the north by the Setit River, to the south by the Atbara River, to the east by Ethiopia. The researcher used the descriptive approach, which depends on describing the facts by following a scientific and objective method, and the historical approach in the study to achieve the goal of the research by analyzing the reality of the conflict since its outbreak, which is originally an Ethiopian occupation of Sudanese lands, supported by ambitions that all successive Ethiopian governments have adopted in one way or another, even if She showed otherwise, and this is evident in her reluctance to demarcate the border process between her and Sudan, despite her acknowledgment of all the agreements that defined these borders since 1902. The research came out with a number of results that reveal Ethiopia's ambitions in the Sudanese lands, especially the fertile Al-Fashqa area.

**Keywords:** Eastern Sudan, Gadaref State, Ethiopian ambitions , Al-Fashqa area.

## مقدمة:

في خضم الصراع الدائر بين بريطانيا والدولة المهدية بهدف إسقاط الأخيرة وإعادة احتلال السودان، عمل الإمبراطور الإثيوبي منليك الثاني على استغلال الوضع طمعاً في توسيع حدوده على حساب حدود السودان، فبعث في 15 أبريل 1891م تعميماً إلى رؤساء الدول الأوروبية حدد فيه ما زعم أنها الحدود الفعلية لإمبراطوريته وأيضاً ما اعتبره منطقة نفوذه، وورد في التعميم أن الحدود الشمالية الغربية للحبشة تمتد من بلدة تومات الواقعة عند ملتقى نهري ستيت وعطبرة إلى كركوج على النيل الأزرق وتشمل مديرية القضارف، كما أعلن منليك عن عزمه استعادة حدوده القديمة التي تمتد غرباً حتى الخرطوم وجنوباً حتى بحيرة فكتوريا، ومن هنا تتضح المطامع الإثيوبية في أراضي شرق السودان (ولاية القضارف).

سوف يتطرق هذا البحث إلى مفهوم علم الجيوبوليتيك (علم سياسة الأرض) وهو علم يفسر حالة تأثير السلوك السياسي في تغيير الأبعاد الجغرافية للدولة، والذي يقود بدوره إلى مفهوم الاحتلال الذي يعني سيطرة دولة على أراضي دولة أخرى أو جزء منها. ومن ثم الوقوف على الأسباب الجذرية للاحتلال واخيراً سيتطرق إلى الحلول المقترحة مع الإسقاط على حالة منطقة الفشقة الواقعة على خط الحدود المشترك مع إثيوبيا ومعزولة عن بقية الأراضي السودانية المتاخمة لها بمجموعة من الأنهار التي تعزز هذه العزلة في موسم الفيضان، الأمر الذي يغري المزارعون الإثيوبيون (من قومية الأمهرة) بالتمدد فيها في كل موسم مع اعتقادهم الجازم أنها جزء لا يتجزأ من أرضهم<sup>8</sup>.

## الإطار المنهجي للبحث:

\*موضوع البحث وحدوده:موضوع البحث هو شرق السودان والمطامع الإثيوبية (دراسة حالة منطقة الفشقة)، أما حدود البحث المكانية هي ولاية القضارف(منطقة الفشقة بالتحديد)،وأما الزمانية ففي الفترة من أبريل 1891م إلى ديسمبر 2021م.

## \*إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث في مطامع إثيوبيا في الأراضي شرق السودان عامة وولاية القضارف خاصة وذلك من خلال الإعتداءات المتكررة للجماعات الإثيوبية المسلحة التي يساندها الجيش الإثيوبي على منطقة الفشقة منذ 1957م.

<sup>8</sup> لقاء عبر الهاتف(القضارف-أمدردمان) يونيو 2020م\_الأستاذ عثمان أحمد حسن\_نائب القنصل السوداني الأسبق في قببلا (إثيوبيا)1992م ومعتمد محلية القريشة الأسبق 2010م والخبير في الشأن الإثيوبي والإفريقي.

\* أسئلة البحث:

هل لإثيوبيا مطامع حقيقية في أراضي شرق السودان؟

هل يعد تدخل إثيوبيا في منطقة الفشقة السودانية احتلال؟

ما دقة المعلومات المطروحة من قبل البحوث والدراسات العلمية لتوضيح حالة الاحتلال التي تتعرض لها منطقة الفشقة من قبل إثيوبيا، ومدى القدرة على توضيح هذه المعلومات بوصفها أداة تبين حقيقة احتلال إثيوبيا لأراضي سودانية؟

ما هي الحلول التي تعيد للسودان أراضيهِ وتضع حدًا للمطامع الإثيوبية في أراضي الفشقة وغيرها من الأراضي السودانية؟  
\* منهجيات البحث وتقنياته:

منهج البحث هو المنهج الوصفي الذي يعتمد على وصف الحقائق بإتباع أسلوب علمي وموضوعي دقيق، والمنهج التاريخي الذي يبين مدى مطامع إثيوبيا في أراضي شرق السودان (ولاية القضارف) خاصة منطقة الفشقة الخصبة. أما تقنيات البحث وهي: القراءة المنظمة للوقائع اليومية، الرسائل العلمية والدراسات المتعلقة بموضوع البحث، الملاحظة الهادفة، الخبرة العلمية، الاستشارة.

\* فرضيات البحث:

1. ثمة مطامع إثيوبية واضحة في أراضي شرق السودان (ولاية القضارف) ولعل منطقة الفشقة التي استهدفتها إثيوبيا منذ منتصف الخمسينات من القرن الماضي، تمثل صور من صور هذه المطامع.
2. انشغال السياسة السودانية المتعاقبة بالتصارع فيما بينهم أثر سلبيًا في حسم ملف الحدود مع إثيوبيا التي استغلت الوضع وتمددت على الأرض، فإرضاء سياسية الأمر الواقع.
3. انشغال الجيش السوداني بخوضه نزاعًا أكبر وأخطر على أمن السودان القومي في جنوب السودان منذ قبيل الاستقلال، وسعي السودان بإنهاء هذا الصراع حربيًا أو تفاوضيًا مع متمردين، بجانب نشوب مشكلة دار فور التي عقدت مشاكل السودان الداخلية خاصة بعد تدويلها كتدويل مشكلة الجنوب من قبل حتى فصل، كل هذا جعل من الحدود الشرقية وخاصة منطقة الفشقة الخصبة لقمة سائغة لدي إثيوبيا لتمدد فيها كما تشاء.

4.. ضعف البينة التحتية في ولاية القضارف عامة ومنطقة الفشقة خاصة أسهم بصورة كبيرة في عدم ربط المنطقة بالداخل وبالتالي جعلها عرضة للمطامع الإثيوبية.

الإطار النظري للبحث:

مفهوم علم علم الجيوبوليتيك (علم سياسة الأرض):

للحديث عن الجيوبوليتيك لا بد من الإشارة إلى مصطلح الجغرافيا بصورة عامة الذي يعني دراسة الأرض وما يتعلق بها من تضاريس ومناخ وتربة ونبات وحيوان وسكان، وموارد بشرية وموارد طبيعية وتنقسم هذه الجغرافيا إلى قسمين: الجغرافية الطبيعية، وتندرج فيها دراسة قشرة الأرض والمياه على سطحها وتحتمها، ودراسة الغلاف الجوي المحيط بالأرض وعلاقته به، ودراسة التربة وتكوينها، ودراسة الحياة النباتية والحيوانية على الأرض. أما الثانية فهي الجغرافيا البشرية وهذه متعلقة بدراسة المجتمع البشري وعلاقته بالأرض من خلال جوانبه السكانية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ويتفرع عن السياسية فرعان مهمان، أحدهما هو علم (الجيوبوليتيك) وللحديث عنه لا بد من تناول الفرع الثاني الذي هو مرتبط به بصورة أساسية ألا وهو فرع الجغرافيا السياسية التي تهتم بدراسة علاقة الإنسان والأرض والزمن (الأبعاد الثلاثة للجغرافيا) فالإنسان بأفكاره وطموحاته وقدراته، هو صاحب القرار الذي يعظم من قيمة العنصر الثاني وهو الأرض كمساحة وموقع وتضاريس، وشكل ومناخ ونبات وحيوان، وحين يلتقي الإنسان بالأرض ومعطياتها وتحدياتها تبرز قدراته الإبداعية، وبقدر قوته الإبداعية واستجاباته يتموضع في التاريخ تقدماً وتخلّفاً. أما علم (الجيوبوليتيك) هو علم دراسة تأثير الأرض (برها وبحرها ومرتفعاتها وجوفها وثرواتها وموقعها) على السياسة في مقابل مسعى السياسة للاستفادة من هذه المميزات وفق منظور مستقبلي، وفي معناه البسيط هو (علم سياسة الأرض) أي دراسة تأثير السلوك السياسي في تغيير الأبعاد الجغرافية للدولة، ويتداخل هذا المفهوم مع مضمون علم الجغرافيا السياسية الذي يعني بدراسة تأثير الجغرافيا (الخصائص الطبيعية والبشرية) في السياسة، ولدى البعض فإن الجغرافيا السياسية تدرس الإمكانيات الجغرافية المتاحة للدولة، بينما الجيوبوليتيك تعنى بالبحث عن الاحتياجات التي تتطلبها هذه الدولة لتنمو حتى ولو كان وراء الحدود. إذن تكمن أهمية الجغرافيا السياسية في إهتمامها بدراسة الدولة باعتبارها الوحدة السياسية المنظمة التي تخضع لحكومة وبالتالي علاقة تنظيمها وسيادتها وعلاقة الحكومة بشعبها، أما الجيوبوليتيك (علم سياسة الأرض)<sup>9</sup> فهتم

<sup>9</sup> سلطان، جاسم\_ الجغرافية والحلم العربي القادم (جيوبوليتيك\_ عندما تتحدث الجغرافية) \_ دار تمكين للأبحاث والنشر\_ لبنان (بيروت)\_ الطبعة الأولى 2013م\_ ص 9 إلى 11.

بدراسة علاقة الدولة بمحيطها المحلي والعالمي، وعلاقة ذلك بتحركاتها وسياستها الخارجية، وعلاقتها بتنظيم المشهد الدولي. إذن إذا الجغرافية السياسية تصف وتستنج عوامل القوة والضعف كما هي في الحاضر، فالجيوبوليتيك تمثل ضمير الدولة وطموحاتها واحتياجاتها ومصالحها في المستقبل، وكيفية حمايتها والمحافظة عليها، فهي بالتالي مفتاح السياسة القومية، ومن هنا يكون توصيف الدولة لنقاط قوتها وضعفها (جغرافيا سياسية) أما رؤيتها المستقبلية وآمالها واحتياجاتها ومصالحها حتى التي تتعدى حدودها، فهذا هو علم (الجيوبوليتيك) الذي يمثل النظرة للمصالح القومية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

### مفهوم الاحتلال:

إنَّ كلمة الاحتلال، مأخوذةٌ في اللغة العربية، من الفعل احتلَّ؛ حيثُ يُقال احتلَّ المكانَ؛ بمعنى حلَّه، نزلَ به، وأخذه، واستولى عليه قهراً<sup>10</sup>، ويُعرَّف الاحتلال اصطلاحاً بأنه: سيطرةٌ دولةٌ مُعينة، على جميع أراضي دولةٍ أُخرى أو جزءٍ منها، خلال فترة غزوٍ أو حربٍ أو بعد انتهاء تلك الحرب<sup>11</sup>. ويتخذ الاحتلال صوراً، أو مآرب مُعينة كالاقتتال الاقتصادي وهو استيلاء دولة ما، على موارد دولةٍ أُخرى بطريقةٍ غير مشروعة<sup>12</sup>.

### أدبيات البحث (الدراسات السابقة):

دراسة مشابهة لموضوع البحث (الاحتلال الإثيوبي لأراضي الفشقة السودانية\_الدكتورة إكرام محمد صالح حامد دقاش أستاذ مساعد بكلية العلوم السياسية والدراسات الاستراتيجية\_ جامعة الزعيم الأزهرى\_السودان\_ يوليو 2007م).

الهدف من الدراسة: إيجاد إطار نظري متكامل للبعد التاريخي للمطامع الاثيوبية في أرض الفشقة، وذلك من خلال محورين ، محور سياسي وهذا يعتمد على كسب الوقت بالتفاوض الذي ينتهي دائماً إلى الإبقاء على الوضع الراهن ثم القيام بمزيد من عمليات التوطين والامتلاك للأرض يتبع ذلك عمل منظم لطمس هوية المواطنين السودانيين على الحدود لتحويلهم إلى مواطنين إثيوبيين في مرحلة لاحقة أو طردهم والتمهيد لذلك بمحاولات إدخال القوانين الأثيوبية للمنطقة، كما يقوم هذا

<sup>10</sup>.لسان العرب\_ للعلامة محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري\_ دار الكتب العلمية\_ لبنان(بيروت)2009م.

<sup>11</sup>.الجبوري، خلف رمضان محمد بلال\_ السيادة في ظل الاحتلال\_مجلة دراسات إقليمية (السنة(3)العدد(6)يناير2007م\_مركز الدراسات الإقليمية\_العراق\_ص7، ص8).

<sup>12</sup>.اتفاقية جنيف الرابعة 1949م(الخاصة بحماية المدنيين في وقت الحرب والاحتلال).

المحور على تخريب اقتصاد السودان عن طريق تشجيع تهريب البضائع السودانية إلى داخل إثيوبيا. أما المحور الثاني فهو عسكري يعتمد على فكرة التوسع بالقوة حتى يمكن الوصول إلى الحد الطبيعي وهو نهر عطبرة.

نتائج الدراسة: أن أفضل المعالجات بالنسبة للسودان في مسألة أراضي الفشقة المهددة من قبل إثيوبيا هو إقرار الاتفاقيات والمعاهدات والبروتوكولات الموروثة على ما بها من ملاحظات وقصور تفادياً للمشاكل التي يثيرها عدم الإقرار، وأن حدود السودان المترامية تمثل عائق كبير بالنسبة له ، وأن السودان حريص أن لا يدخل في مشاكل حدودية مع جيرانه لأنه يجاور تسع دول (قبل انفصال جنوب السودان كدولة)، وأن عامل الحدود غير وارد في علاقة السودان بجيرانه إلا في الحرب والنزوح. لقد تولد لدى السودان موقف مبدئي بإقرار الاتفاقيات واعتماد أسلوب التفاوض والتحاور للأسباب الآتية:

\*مجاورة السودان لتسع دول في اليابسة، طول الحدود المشتركة بين السودان ودول الجوار، وعورة المناطق الحدودية، تداخل القبائل على طول الحدود المشتركة، تعدد الدول التي اشتركت في التحديد، تعدد الاتفاقيات والمعاهدات والبروتوكولات، زوال المعالم في المناطق التي تم تخطيطها وزوال معالمها على الأرض بعامل الزمن أو فعل الإنسان<sup>13</sup>. وبالرغم من الدور المقدر الذي ظلت تقوم به اللجنة الوزارية واللجان المحلية على مستوى ولاية القضايف حالياً في الاجتماعات المشتركة في المحافظة على الهدوء والاستقرار على الحدود مع إثيوبيا لسنتين عديدة إلا أنه يلاحظ أن الأمر دائماً ما ينتهي بإقرار الوضع الراهن بإقرار الوضع الراهن بلا شك يعطيها الحق التاريخي الذي تسعى له دائماً.

\*ومن أسلم الطرق لحل النزاعات الحدودية هي البحث في المبادئ والنقاط التي يعتمد عليها الخصم والبحث عن ردود خاصة بها.

\*أن نزاعات الحدود من النزاعات الدولية التي يمكن أن يكون للسلوك اللاحق آثار قد تلغي كل أو بعض الحقوق الواجبة بمقتضى مبادئ القانون الدولي الأخرى.

\*إن ترسيم أو تخطيط الحدود وإن تم وفق القانون الدولي واعترف به طرفا النزاع قد تنعدم جدوى الاحتجاج به أمام القضاء الدولي بعض مضي فترة على الإذعان لممارسة الطرف الآخر تعدياً على إقليم الطرف الأول. كما يمكن أن يتم استقراء تصرفات الطرف الأول قبوله للممارسات السيادية للطرف الآخر في إقليمه<sup>14</sup>.

<sup>13</sup> دقاش، إكرام محمد صالح حامد\_ ورقة علمية بعنوان الاحتلال الإثيوبي لأراضي الفشقة السودانية (1957م-2007م) \_الخرطوم \_يوليو 2007م.

<sup>14</sup> . المرجع السابق.

\* إن الفشقة وإن لم يرد ذكر اسمها في كل الاتفاقيات الدولية بين السودان وأثيوبيا، إلا أنها أرض سودانية ويشهد على ذلك: المحاكمات القضائية ضد الإثيوبيين في الفشقة، دفع بعض الإثيوبيين للعوائد والضرائب للسلطات المحلية، انتخابات المجالس المحلية مجلس ريفي شمال القضارف ومجلس ريفي جنوب القضارف وانتخابات البرلمان وأوامر المحلية للمجالس المحلية آنذاك والتي توضح حدودها وسلطاتها وصلاحتها، إن أسماء المعالم الطبيعية على الحدود والتي وردت في تقرير الميجور قوتي للحدود لسنة 1903م (قلعة الزراف ، قلعة حماد ، قلعة إدريس ، قلعة اللبان ، خورشين جبل أبو طاقية ، جبل سنار ) كلها أسماء سودانية.

\* اعتراف إثيوبيا بالسودان كدولة مستقلة ذات سيادة من غير تحفظ على أي شيء من حدوده أو أقاليمه<sup>15</sup>.

البحث:

### الخلفية التاريخية:

في 15 أبريل 1891م بعث الإمبراطور منليك الثاني تعميماً إلى رؤساء الدول الأوربية حدد فيه الحدود الفعلية لإمبراطوريته أيضاً ما اعتبره منطقة نفوذه، ورد في التعميم أن الحدود الشمالية الغربية للحبشة تمتد من بلدة تومات الواقعة عند ملتقى نهري ستيت وعطبرة إلى كركوج على النيل الأزرق وتشمل مديرية القضارف، وأعلن عن عزمه استعادة حدوده القديمة التي تمتد غرباً حتى الخرطوم وجنوباً حتى بحيرة فكتوريا. ويبدو أن تعميم منليك لم يصل إلى الملكة فكتوريا ولم تعلم به الحكومة البريطانية التي كانت تسعى جاهدة لإسقاط الدولة المهديّة وإعادة استعمار السودان إلا إبان بعثة سير رينيل رود في عام 1897م للتباحث مع منليك حول بعض المسائل، ولكن لوحظ أنه عندما أبلغ ممثل بريطانيا في الحبشة جون هارنجتون منليك في 1 نوفمبر 1898م بأن القوات البريطانية\_المصرية قد احتلت مدينتي القضارف والروصيرص، لم يأبه منليك لاحتلال القضارف ولكنه استشاط غضباً لاحتلال الروصيرص بسبب موقعها الإستراتيجي على النيل الأزرق، وبعد سقوط السودان واحتلال بريطانيا بمساعدة مصر للسودان تحت مظلة (الحكم الثنائي الإنجليزي\_المصري)<sup>16</sup> بدأت المفاوضات لتحديد الحدود بين السودان والحبشة في 15 أبريل 1899م بين منليك وجون هارنجتون، وكان يؤازر الإمبراطور مستشاره السويدي المحنك المهندس ألفرد إيلق وسبق أن أبلغت الحكومة المصرية بأنه في سبيل الحصول على ضمانات

<sup>15</sup> . المرجع السابق.

<sup>16</sup>. رغم تسمية الحكم بـ(الثنائي الإنجليزي\_المصري) لكن واضح أن الهيمنة كانت للإنجليز.

بشأن مياه بحيرة تانا والنيل الأزرق، فسيكون من الضروري تقديم تنازلات معقولة في الأراضي لمنليك في مقابل الحصول منه على الضمانات المطلوبة، في ذات الوقت كانت التعليمات الصادرة لهارنجتون تقضي بأن لا يقبل أي مطالبات من منليك في وادي النيل وتحديداً في الغرب والشمال الغربي لأنه يخضع لسيطرة خديوي مصر، وأن يؤكد لمنليك هيمنة بريطانيا على مصر والسودان، وفي مسهل المفاوضات تمسك منليك بالحدود التي نص عليها تميمه إلى رؤساء الدول الأوروبية، ودافع بأنه طالما أن بريطانيا لم تعترض عليه فإنها تُعتبر قد قبلته «لأن السكوت يعني الموافقة» وردّ هارنجتون بأن بلاده لا تعترف بالتعميم ولا بالحدود التي نص عليها؛ وأضاف أنه لا يكفي أن يذكر منليك أن حدوده هي كذا وكذا، لأن القاعدة في إفريقيا هي الاستيلاء الفعال، ويبدو أن هارنجتون كان يشير إلى ما اتُفق عليه في مؤتمر برلين في 26 فبراير 1890م، فتراجع منليك عن التعميم ولكنه طفق يجادل بما اعتبره حقوقه التاريخية، ونسبة لتصلب موقف هارنجتون أبدى منليك استعداداً للتفاوض، وأثمرت المفاوضات عن الاقتراح الذي قدمه منليك في 26 مايو 1899م حيث وجد هذا الاقتراح قبولاً حسناً لدى هارنجتون ولكنه عُلق بإتمام الاتفاق مع الحكومة الإيطالية بشأن الجزء الشمالي للحدود لأنه يمس منطقة النفوذ المخصصة لإيطاليا وفقاً للبروتوكول الإنجليزي- الإيطالي المبرم في 15 أبريل 1891م. تم رسم خط الحدود الذي اقترحه منليك على خريطة (اسكتون) للحبشة والبلدان المجاورة بحيث يبدأ خط الحدود في ذلك في الشمال ويسير في اتجاه الجنوب إلى التقاء الستيت ومايتيب ويشمل في السودان كل إقليم قبيلة الحمران، أما في منطقة الكداوي فقد تُرك مسار خط الحدود مفتوحاً إلى أن يتم التيقن عم إذا كانت هذه المنطقة تقع بصفة رئيسة إلى الشرق أو الغرب من الخط الموضح على الخريطة، أما في منطقة القلابات فسارت الحدود إلى الشرق منها وجعلتها كلها في داخل السودان، لكن منليك كان تواقاً بشدة لأن يحصل على مدينة المتمة ذات الأهمية الإستراتيجية والتجارية، فناشد هارنجتون لاعتبارات عاطفية أن يُبقي على علمه مرفوعاً في المتمة، وطلب من هارنجتون إبلاغ حكومته بأنه لأجل اعتبارات الصداقة يود الاحتفاظ بالمتمة لارتباطه هو شخصياً وكذلك شعبه بالمتمة لأنه يوجد بها مسيحيون وقتل فيها الملك يوحنا<sup>17</sup> وأريقت فيها دماء شعبه؛ لذلك وافقت الحكومة البريطانية على تقسيم المتمة إلى قسمين: بحيث يبقى الجزء الواقع شرقي خور أبو نخرة في الحبشة ويبقى القسم الغربي في السودان، وأما في جنوبي المتمة فقد تبع الخط الحدود الشرقية لقبائل الضبانية ودار سوماتي، بينما ترك في الحبشة أراضي قبائل القبا والقمز واحتفظ للسودان بمنطقتي فامكا وفازوغي، أما منطقة بني شنقول فكانت مصدر قلق واهتمام بالنسبة لمنليك، وقد ردّت الوثائق البريطانية ذلك إلى موارد الذهب الموجودة فيها وموقعها الإستراتيجي المهمين بالنسبة للنيل الأزرق، ولقد رفض هارنجتون الاعتراف للحبشة بأي حقوق في بني شنقول، ولكنه في نهاية الأمر أبدى

<sup>17</sup>. قتل يوحنا ملك الحبشة في معركة القلابات مارس 1889م على يد الأنصار إبان فترة حكم المهدي في السودان.

استعداده للوصول إلى ترتيب ما يرضي رغبات منليك، وأخيرًا تم الاتفاق على أن تُترك بني شنقول للحبشة، وفي مقابل ذلك تُمنح امتيازات التنقيب عن الذهب في بني شنقول للشركات البريطانية.

وينبغي التنويه هنا إلى أن خط الحدود من النقطة التي تقاطع فيها حدود ولاية النيل الأزرق الجنوبية الحدود الإثيوبية وحتى بحيرة رودلف قد أصبح يشكل الآن الحدود بين إثيوبيا وجمهورية جنوب السودان. تم إفراغ خط الحدود الذي تمخض عن تفاوض هارنجتون مع الإمبراطور منليك الثاني في مسودة اتفاقية، وقد وصفت هذه المسودة في مادتها الأولى بالتفصيل الحدود بين السودان وإثيوبيا من تلك في الشمال، وجنوبًا إلى خط عرض 6 درجة شمال حيث تبدأ الحدود بين إثيوبيا والمحميات البريطانية في شرق أفريقيا وبوغندا.

لم يتم التوقيع على المسودة بسبب تدخل سيكوديكولا ممثل إيطاليا في أديس أبابا في مارس 1901م لدى منليك بأن اتفاقية الحدود المزمعة بين السودان وإثيوبيا والتي تبدأ من تلك تتعارض مع اتفاقية أبرمها هو مع منليك في 10 يوليو 1900م لتحديد الحدود بين إثيوبيا وإريتريا والتي تنص أيضًا على أن الحدود بين البلدين هي تومات - تلك - ماريب - مونا، ولكن تبين لاحقًا أنه عندما سجل المبعوث الإيطالي سيكوديكولا اعتراضه على مسار خط الحدود المقترح بين السودان وإثيوبيا لم يكن يعلم أن حكومته قد تنازلت للسودان عن كل الإقليم الواقع غربي الخط من تلك إلى تقاطع ستيت /مايتيب وذلك بموجب مذكرات تم تبادلها في 6 / 26 ديسمبر 1899م في روما بين لورد كري السفير البريطاني في إيطاليا، ووزير خارجية إيطاليا فيسكونتي - فنوستا. بعد فشل التوقيع على مسودة 1901م أدخلت بعض التعديلات على الخط الذي نُص عليه في المسودة، فقد تعدّل موقع نقطة بداية خط الحدود وفقًا للتنازلات المتبادلة بمقتضى الإعلان السري في 22 نوفمبر 1901م بين إيطاليا وبريطانيا، فأصبحت نقطة التقاء خور أم حجر مع نهر ستيت هي نقطة البداية بعد أن وافق الإمبراطور منليك على التنازلات. كذلك أدخلت بعض التعديلات على قطاع الحدود الواقع بين القلابات وجبل كرمك وذلك بعد بعثة المسح التي كلف بها الطرفان ميجر قوين، كما سحب منليك اعتراضه على استمرار بقاء قيسان في الجانب السوداني من الحدود. خلاصة القول، إن الحدود التي أوصى بها ميجر قوين في قطاع القلابات-الكرمك قد قبلها الإمبراطور منليك وضمّنت في الخريطة المرفقة باتفاقية 15 مايو 1902م لتحديد الحدود بين السودان وإثيوبيا والتي قام بالتوقيع عليها الإمبراطور منليك وهارنجتون، وقد أوضحت الاتفاقية في المادة 1 أن الحدود المتفق عليها بين الحكومتين ستكون الخط المعلم باللون الأحمر في الخريطة المرفقة بالاتفاقية من خور أم حجر إلى القلابات إلى النيل الأزرق، وأنهار بارو، وبيبور، وأكوبو، إلى مليلي، ومن ثم إلى تقاطع خط عرض 6 درجة شمال مع خط طول 35 درجة شرق غرينتش. ونصت المادة 2 على أن الحدود المحددة في المادة 1 ستؤشرها على الأرض لجنة حدود مشتركة يعينها الطرفان ويخطران رعاياهما بهذه الحدود

بعد تحديدها، ونصت الفقرة الثالثة من المادة 5 من النص الإنجليزي للاتفاقية ونفس الفقرة من الترجمة الإنجليزية للنص الأميري على أن تصبح الاتفاقية نافذة حالما يُخطر الأمبراطور منليك بتصديق ملك بريطانيا أدوارد السابع على الاتفاقية. وبموجب تعليمات وزير الخارجية البريطاني لورد لانسدون بتاريخ 28 أغسطس 1902م، سلم هارنجتون بنفسه تصديق ملك بريطانيا للاتفاقية للإمبراطور منليك في 28 أكتوبر 1902م وأصبحت الاتفاقية نافذة من ذلك التاريخ. وبتاريخ 3 نوفمبر 1902م أبلغ هارنجتون وزير خارجيته لورد لانسدون بأن تصديق الملك إدوارد السابع على الاتفاقية قد سُلم حسب الأصول إلى الإمبراطور منليك في 28 أكتوبر 1902م وأنه حصل كذلك على ختم الإمبراطور على نسخة الخريطة المذكورة في المادة 1 من الاتفاقية<sup>18</sup>.

تخطيط قوين للحدود 1903م: سبق أن الذكر أن المادة 2 من اتفاقية 15 مايو 1902م تقضي بأن تقوم بتأشير الحدود لجنة مشتركة يعينها الطرفان. ولكن في واقع الأمر فإن ميجر قوين هو الذي قام بالتخطيط منفردًا بالنيابة عن كل من إثيوبيا والسودان، وقد صدر اقتراح تعديل المادة 2 من الإمبراطور منليك. فخلال مقابلة أبلغ منليك هارنجتون بأنه ليس لديه أحد «قادر على فهم خريطة» لتعيينه في لجنة الحدود المشتركة، ولكن إذا قام ميجر قوين الذي يثق فيه «بوضع علامات حدود ويوضح الحدود للزعماء المحليين» فإنه يوافق على هذا المسار، وسيصدر أوامر لكل الزعماء على طول الحدود لاحترام الخط الذي يؤشره ميجر قوين. سعت الحكومة البريطانية باقتراح منليك وطلب كرومر من هارنجتون أن ينقل لمنليك أن حكومة صاحب الجلالة تقدر عاليًا الثقة التي وضعها في ضابط بريطاني. إن تخويل منليك لميجر قوين وصلاحياته قد وردت في الخطاب الذي بعث به منليك إلى الزعماء المحليين: «إن حامل هذا الخطاب هو ميجر قوين الذي ينتمي إلى الحكومة البريطانية. ونحن أرسلناه إليكم ليوضح لكم الحدود بين إثيوبيا والسودان. لذلك أرسلوا فورًا شخصًا مهمًا ليشاهد الحدود التي يوضحها له بعد أن تُوضح لكم لا تعبروها والآخرين لن يعبروها، لاحقًا سأرسل شخصًا يعرف الخريطة للتحقق». وقد صدر هذا الخطاب باللغة الأمهرية في أديس علم (مدينة في وسط إثيوبيا) بتاريخ 7 نوفمبر 1902م. تنفيذًا لخطاب منليك أرسل الزعماء المحليون في المناطق الحدودية ممثلين لمقابلة ميجر قوين ليوضح لهم الحدود التي تم تخطيطها، وقد أشاد قوين بروح الممثلين في تنفيذ الأوامر التي تلقوها من منليك والتي وصفها قوين بأنها كانت أوامر صارمة وصریحة، كما أشاد بالتزامهم بالمواعيد. أرفق ميجر قوين بتقريره عن تخطيط الحدود قائمة باسماء الممثلين الذي

<sup>18</sup>.Nur, Taha Hassan\_The Sudan-Ethiopia boundary: a study in political geography\_Durham E-Theses, Academic Support O\_ce, Durham University, University O\_ce, Old Elvet, Durham DH1 3HP.pages 136to166. <http://etheses.dur.ac.uk>.

رافقوه، وتبين كذلك الزعيم الذي يتبعونه وقطاع الحدود الذي وضع لهم تحسباً لأي مسألة قد تنشأ في المستقبل. في 18 نوفمبر 1903م وبناء على تعليمات وزير الخارجية لورد لانسدون، سلم كلارك القائم بالأعمال البريطاني في أديس أبابا الإمبراطور منليك نسخة من تقرير ميجر قوين عن تخطيط الحدود والخريطة المصاحبة له<sup>19</sup>.

### عرض الوضع العام لموضوع البحث:

تحاذي إثيوبيا أربع ولايات سودانية، هي القضارف وسنار وكسلا والنيل الأزرق، على مسافة 744 كيلومتراً، ويمتد شريط الحدود بين ولاية القضارف وإقليم تيغراي وأمهرة الإثيوبيين، نحو 265 كيلومتر.

فهذه الحدود الممتدة ظلت مهددة بمطامع إثيوبيا التي سعت وتسعي جاهدة للتمدد فما واءها منذ عام 1891م، يوم أن بعث الإمبراطور منليك الثاني تعميماً إلى رؤساء الدول الأوروبية حدد فيه الحدود الفعلية لإمبراطوريته التي تمتد من بلدة تومات الواقعة عند ملتقى نهري ستيت وعطبرة إلى كركوج على النيل الأزرق وتشمل مديرية القضارف، وأعلن عن عزمه استعادة حدوده القديمة التي تمتد غرباً حتى الخرطوم وجنوباً حتى بحيرة فكتوريا.

تعود مسألة الحدود بين السودان وإثيوبيا إلى أكثر من 120 عاماً وذلك عندما أتمت بريطانيا احتلالها للسودان، وبدأت في ترسيم حدوده مع جيرانه وفي ذلك الوقت مثلت إثيوبيا (حقبة الإمبراطورية الأمهرية منذ منليك الثاني عام 1882م وحتى هيللا سلاسي عام 1974م) طرفاً أصيلاً في التسويات الأوروبية التي صاغت الخارطة السياسية الجغرافية لدول القرن الأفريقي<sup>20</sup>، الأمر جعل إثيوبيا تعتبر نفسها حليفة الغرب وقلعته المسيحية في إفريقيا، وتدعمها في ذلك المنظمات الكنسية العالمية التي هدفها محاربة الإسلام وحصاره والقضاء عليه. وأن النظرة الغربية للسودان أنه يستطيع التأثير في المجتمعات من حوله، وهذا يفسر الاهتمام بما يدور في السودان لكي لا تمتد ظلالة على من حوله علماً بأن عدد المسلمين في إثيوبيا يمثل أكثر من نصف عدد سكانها.

هذه النظرة الغربية لإثيوبيا بوصفها المركز الإستراتيجي لهم في منطقة القرن الأفريقي كلها، ظهرت جلية في الموازنات السياسية التي قام بها البريطانيون، الذين يمكن القول إنهم صاغوا الاتفاقيات بصورة فيها تعاطف كبير مع إثيوبيا رغم

<sup>19</sup>. طه، فيصل عبد الرحمن علي-مقال(الحدود السودانية الإثيوبية في سياق تاريخي) -صحيفة السياسي السودانية 5 يونيو 2020م- السودان\_الخرطوم.

<sup>20</sup>. عبد الرحمن عياش، زهير حمداني، محمد العلي-تقرير(إثيوبيا والسودان مائة عام من النزاع الحدودي)-شبكة الجزيرة الإعلامية(موقع الجزيرة نت الإلكتروني)تاريخ النشر: 14 مارس 2021م-تاريخ التصفح: 24 مارس 2022م ، ساعة الدخول: 10:15ص.

ذلك قبل السودان بتلك الاتفاقيات التي تتهرب من الإلتزام إثيوبيا بحجج واهية تكذّبها الوثائق، وذلك بسبب نواياها التوسعية، خاصة أنها تعاني من عدد من المشاكل الداخلية، فمساحتها تعادل نصف مساحة السودان، وعدد سكانها هو ضعف عدد سكان السودان وأنها عبارة عن هضبة مقابل السهول المنبسطة والأراضي الخصبة الصالحة للزراعة في السودان بجانب مجابهتها لموجات الجفاف والتصحر وقلة الإنتاج الزراعي.

إذن الدعم الغربي لإثيوبيا والمشاكل التي تعاني منها في الداخل عزز مطامعها في أراضي السودان من خلال انتهاج علم (الجيوپولوتيك) علم دراسة تأثير الأرض على السياسة في مقابل مسعى السياسة لتغيير الأبعاد الجغرافية للدولة بالبحث عن الاحتياجات التي تتطلبها لتنمو حتى ولو كان وراء حدودها، وذلك تلبية لطموحاتها واحتياجاتها ومصالحها، بالطبع تنبني إثيوبيا لهذه السياسة التوسعية وهو سبب مشكلتها مع السودان رغم اعترافها باتفاقية 15 مايو 1902م بين الحكومة البريطانية والإمبراطور منليك الثاني التي حددت الحدود ورقياً وبالوصف العام في المادة 1 من الاتفاقية، التي أصبحت نافذة منذ 28 أكتوبر 1902م، ومنذ ذلك التاريخ البعيد وإلى اليوم لا تزال اتفاقية عام 1902م لتحديد الحدود، صحيحة ونافذة. ولم يحدث في التاريخ البعيد أو القريب أن طعنت إثيوبيا في صحة أو نفاذ هذه الاتفاقية، بل أكدت التزامها بهذه الاتفاقية في يوليو-أغسطس 1955م، وفي يونيو 1957م، وفي يوليو 1972م، ومن ثم من خلال تشكيل لجنة ترسيم الحدود بين البلدين في عام 1973م<sup>21</sup> التي قامت بعمل كل الإجراءات الفنية اللازمة، ووضعت جدولاً لعملها ولكن تجميدها بسبب تعطل وتماطل اثيوبيا حتى جاءت فترة حكم مليس زيناوي في 1991م لتبدأ المحادثات حول الترسيم مرة أخرى، لكنها أيضاً، وتحت ذريعة أنها حكومة ثورة جديدة ولا يتوفر لديها متخصصون في مجال الحدود المشتركة، ظلت تعتذر لمدة 10 سنوات، إلى أن وافقت أخيراً في العام 2001م، وأكملت اللجنة كل الإجراءات المكتبية والهندسية، وكل ما يتعلق بالخرائط وعلامات الحدود وأنواعها وأماكنها، ثم اختتمت بعمل مسح ميداني لعلامات الحدود الموجودة، الذي يسمى بعملية تأكيد الحدود، وتم التأكيد بالفعل وفقاً لبروتوكول 1903م، كما تم اعتماده بواسطة اللجنة السياسية المشتركة بين البلدين في 2001م، ولكن للأسف ظل الحال كما هو بسبب عودة اثيوبيا ثانية للمماطلة والتسويف<sup>22</sup>.

<sup>21</sup>. طه، فيصل عبد الرحمن علي\_مقال(الفسحة:حقائق وتسؤلات)\_موقع نادوس نيوز الإلكتروني\_تاريخ النشر:2يناير2021م\_تاريخ التصفح:24مارس2022م، ساعة الدخول: 10:30ص.

<sup>22</sup>.تنقو، معاذ محمد أحمد (رئيس مفوضية الحدود السودانية يكشف خفايا 50 عامًا من التفاوض مع أثيوبيا)\_حوار مع (صحيفة اندبندنت عربية البريطانية) رصد:جمال عبد القادر البدوي \_صحفي سوداني الخميس\_31 ديسمبر 2020م.

لا يخفى على المطلع أن بريطانيا قدمت تنازلات كبيرة عن مناطق سودانية كثيرة لصالح إثيوبيا، منها إقليم بني شنقول المتاخم لولاية النيل الأزرق، منطقة المتمة المحاذية لنقطة تلاقي حدود ولاية سنار ولاية القضارف بجانب مثلث تاية، جزيرة الدود، حمراية الرهد جنوب القلابات الذي يشهد وجود متكرر للمزاعين الإثيوبيين المحميين بالمليشيات المسلحة في كل موسم، كما لم تسلم منطقتي أم بريقة في ولاية كسلا، ومنطقة دبلو الكيلو 15 الواقعة في ولاية القضارف ومحاذتين لإقليم التيغري الإثيوبي، أيضاً من المطامع الإثيوبية.

### معالجة الحالة المدروسة في البحث:

منطقة الفشقة: هي تلك المنطقة المتاخمة للحدود المشتركة بين السودان وإثيوبيا، والتي تحد شمالاً بنهر ستيت وجنوباً بنهر عطبرة وشرقاً بإثيوبيا، وهي لفظة محلية اشتقت من وضع المنطقة الطبيعي إذ يقصد بالفشقة الأراضي التي تقع بين عوازل طبيعية (مائية) كالأنهار والخيران والمجاري وتبلغ مساحتها 251 كلم<sup>2</sup>، وتنقسم إلى قسمين: الفشقة الكبرى: وتحد شمالاً بنهر ستيت وجنوباً ببحر باسلام وجنوب غرب بنهر عطبرة وشرقاً بالحدود المشتركة بين السودان وإثيوبيا، أرضها طينية مسطحة صالحة للزراعة في مجملها. والفشقة الصغرى: هي المنطقة التي تحد شمالاً ببحر باسلام وجنوب غرب بنهر عطبرة وشرقاً بالحدود المشتركة بين السودان وإثيوبيا وتتخللها العديد من الجبال والخيران. هذا الوضع الانعزالي للمنطقة بسبب إحاطتها بالأنهار من كل الجوانب باستثناء خط الحدود المشترك مع إثيوبيا حتم عليها العزلة التامة عن الأراضي السودانية المتاخمة لها خلال موسم فيضان هذه الأنهار، هذا فضلاً عن كونها تتميز بخصوبة أرضها وأمطارها الغزيرة في فصل الخريف. فيما يميز موقعها هذا إغراء للإثيوبيين للاعتداء عليها متى ما شاءوا إذ لا يقف أمامهم أي مانع أو عازل يحول بينهم وبين الاستفادة من هذه الأراضي الخصبة.

لقد اعترفت إثيوبيا اعترافاً قانونياً في اتفاقية الحدود لعام 1902م وبروتوكول الحدود لسنة 1903م، واتفاقية عام 1972م بأن منطقة الفشقة أرض سودانية<sup>23</sup>، وتم بموجب ذلك توضيح الحدود على الطبيعة لتكون معلماً طبيعياً بين السودان وإثيوبيا في تلك المنطقة، من علامة الحدود الواقعة في الضفة اليمنى من خور القاش جنوب جبل قالا ثم إلى جبل أبو قمل ثم تلال البرك حيث وضعت علامة حدود في وسط صخرة ثم إلى جبل كورتيب ثم إلى جزع شجرة وسط حجارة وصخور ثم إلى جبل ثوار ، وبالقرب من شجرة هجليج وضعت صورة من بروتوكول الحدود لسنة 1903م وعلامة وكذلك وضعت علامة

<sup>23</sup>.دقاش، إكرام محمد صالح حامد\_ ورقة علمية بعنوان الاحتلال الإثيوبي لأراضي الفشقة السودانية\_مرجع سابق.

للحدود وصورة من بروتوكول الحدود سنة 1903م في صخرة عالية في الضفة اليمنى من نهر ستيت حيث يتقاطع خور الرويان مع نهر ستيت.

بداية المشكلة: يبلغ طول الحدود الدولية (ولاية القضارف وإقليم الأمهرة) المشتركة بين الجانبين السوداني والإثيوبي نحو 265 كلم<sup>24</sup> ويقدر حجم الأراضي الزراعية المعتدى عليها من قبل الإثيوبيين بنحو مليون فدان في منطقة الفشقة وما جاورها جنوبًا في كل من القلابات وتايه حتى جبل دقلاش.

إن التعدي الإثيوبي على الأرض السودانية في منطقة الفشقة لم يظهر بصورته الواضحة التي يستشف منها نية الاستحواذ على الأرض إلا بعد خروج البريطانيين من السودان<sup>25</sup>، فكان أول دخول إلى أرض الفشقة بدأ بتسلل للمزارعين الإثيوبيين للزراعة في الأراضي الواقعة ما بين جبل اللكدي وشجرة الكوكبة وحتى حمداييت وذلك في العام 1957م، وكان عددهم قد بلغ (7) مزارعين زرعوا في مساحة ثلاثة آلاف فدان في منطقة الفشقة الكبرى بجبل اللكدي، وقد حاولت سلطات الإدارة الأهلية في المنطقة المعنية تحصيل العشور منهم لكنهم رفضوا ونقلوا ذلك إلى المسؤولين الإثيوبيين، إلى أن تم عقد اجتماع مشترك بين المسؤولين في البلدين، اعترف فيه الإثيوبيين بالزراعة داخل الأراضي السودانية وطلبوا إعفاء المزارعين

<sup>24</sup>. الحدود السودانية الإثيوبية على الطبيعية حسب المعالم الطبيعية التي تم الاتفاق عليها في اتفاقية الحدود لسنة 1902م وبروتوكول الحدود لسنة 1903م (تقرير الميجور قوين المؤرخ في 27 يونيو 1903م) أو اتفاقية الحدود لسنة 1972م. تتضح حدود الفشقة والقرقف على النحو التالي: القسم الأول: مديرية كسلا - منطقة القرقف وشمال نهر ستيت - وهي من جبل أبو قمل متجهًا جنوبًا مع الحدود السودانية الإثيوبية إلى جبل البرك إلى تلال قرضة ومراويد إلى مرتفعات أم بريقة إلى تقاطع خور القرقف مع خط طول 29 - 36 إلى جبل كورتيب إلى جبل نوار إلى تقاطع نهر ستيت مع خور الريان.

القسم الثاني: منطقة الفشقة جنوب نهر ستيت وعطبرة وباسلام ، خط تمييز في إقليم ستيت حمرة، من تقاطع نهر ستيت مع خور الريان جنوبًا في خط مستقيم إلى قلعة الزراف شرق اللكدي ثم إلى قلعة حماد ثم إلى قلعة الفشقة الصغرى - من قلعة النحل إلى قلعة إدريس ثم إلى قلعة اللبان ثم إلى جبل همبرت ثم إلى خور الدوم إلى خور شين إلى جبل ناهض إلى جبل أبو طاقية ثم إلى القلابات إلى جبل جبارة إلى جبل ود الملك إلى جبل دقلاش.

منطقة الحدود على النيل الأزرق: من جبل دقلاش جنوبًا إلى جبل حلاوة إلى جبل أم دوقة إلى جبل المتان إلى جبل جيروك.

<sup>25</sup>.Containing the Volatile Sudan-Ethiopia Border Dispute Crisis Group Africa Briefing N°173, Khartoum/Nairobi/Brussels, 24 June 2021\_pages 2to 4.

الأثيوبيين من دفع العشور بحجة أن ما قاموا به من زراعة كان قليلاً وبطريقة بدائية ولم يتوصل الطرفان لاتفاق، غير أن المزارعين الإثيوبيين عادوا مرة أخرى في العام التالي 1958م بأليات واستعدادات كاملة للزراعة في المنطقة الواقعة بين نهري ستيت وباسلام التابعة لمجلس ريفي شمال القضارف السابق الذي كانت تتبعه له منطقة الفشقة، متجاهلين اتفاقيات الحدود بين البلدين. وبين عامي (1964م\_1967م) بلغ عدد المزارعين الإثيوبيين المتسللين (27) مزارع في مساحة 33 ألف فدان، أما في الفترة ما بين (1972م\_1991م) بلغ العدد 52 مزارع في مساحة قدرها 84.500 فدان وفي العام 2004م وحسب إحصائية رسمية مشتركة بين البلدين بلغ عدد المزارعين الإثيوبيين في الأراضي السودانية (1956) مزارعاً، يستغلون مساحة قدرها 754 ألف فدان<sup>26</sup> وقد بلغت مساحة المشاريع الزراعية التي أقامها المزارعون الإثيوبيون حتى عام 2020م أكثر من مليون فدان في منطقة الفشقة وما جاورها جنوباً، هذا فضلاً عن إزالتهم لبعض معالم الحدود التقليدية التي كانت موجودة. بجانب الاعتداءات الإثيوبية المتكررة على منطقة الفشقة من قتل للمواطنين العزل ونهب محاصيلهم ومواشيهم وممتلكاتهم بهدف ترويعهم وطردهم من الأرض، رغم نفي السلطات الإثيوبية المتكررة التي تزعم فيها أنها دائماً ما تبغ مواطنيها بعدم الزراعة في تلك الأراضي على أساس أنها أراضي سودانية. لكن حقيقة الأمر غير ذلك والدليل إقامة أكثر من 20 معسكر ومستوطنة<sup>27</sup> داخل أراضي الفشقة، محمية بمليشيات إثيوبية يساندها الجيش الإثيوبي الذي دائماً ما

<sup>26</sup>. عبد الهادي، عماد\_تقرير: مطالب بترسيم الحدود بين السودان وإثيوبيا/حديث صلاح الخبير(مدير إدارة الحدود في ولاية القضارف)\_موقع الجزيرة نت الإلكتروني \_ تاريخ النشر: 5 سبتمبر 2015م\_ تاريخ التصفح: 24 مارس 2022م، ساعة الدخول: 15:11 ص.

<sup>27</sup>. من هذه المعسكرات والمستوطنات: معسكر العلاو بحوالي 24 كيلومتر داخل الأراضي السودانية، ومعسكر تومات اللكدي بحوالي 5 كيلومترات، داخل أراضي السودان على الطريق المزفت الرابط بين اللكدي ومدينة الحُمرة الإثيوبية، وفي موقع تبة سربي بعمق 3 كيلومترات، ومعسكر هلكا عصارة بعمق 22 كيلومتراً، ومعسكر تسفاي كحساي بعمق 9 كيلومترات، ومعسكر قوات الشرطة الفدرالية الإثيوبية بعمق 5 كيلومترات، ومعسكر الجمارك الذي فيه قوة من الجمارك الإثيوبية بعمق 5.5 كيلومترات، ومعسكر جبل طيارة جنوب منطقة الأنفال بعمق 5 كيلومترات، ومعسكر شرق قرية جميلة بعمق كيلومتر واحد شرق نهر عطبرة، ومعسكر شرق بركة نورين بعمق 16 كيلومتر، وبعيد كيلومتر واحد شرق نهر عطبرة، ومعسكر مشروع سلمون بعمق نصف كيلومتر شرق ود كولي داخل أراضي السودان، ومعسكر في ود كولي بعمق 7.5 كيلومترات، ومعسكرين بخور حُمر بعمق كيلومتر واحد إلى كيلومتريين، ومعسكر تلدا بعمق 7 كيلومترات، ومعسكر نهاية الردمية الذي يؤدي إلى موقع الأسرة بعمق 10 كيلومترات، ومعسكر جبل أبو طيور بعمق 11 كيلومتر.

فقد شيد الإثيوبيون مستوطنة باسم "برخت" بعمق 5 كيلومترات داخل الأراضي السودانية، ومستوطنة "مارشايب" بعمق 8 كيلومترات، ومستوطنة "سفاري" بعمق 1.5 كيلومتر، ومستوطنة "شايبيت" وتضم مليشيات بعمق 14 كيلومتراً. أما المستوطنات فهي: مستوطنة برخت بعمق 5 كيلومترات داخل الأراضي السودانية، ومستوطنة مارشايب بعمق 8 كيلومترات، ومستوطنة سفاري بعمق 1.5 كيلومتر، ومستوطنة

يتخفي خلف هذه المليشيات، بجانب تزويد السلطات الإثيوبية هذه المستوطنات بالخدمات والبنية التحتية بما فيها الطرق المعبّدة، وهذه المطاعم الواضحة، ومنذ عام 1995م، استغل مزارعون إثيوبيون تحت حماية مليشياتهم المسلحة نحو مليوني فدان من أراضي الفشقة الشديدة الخصوبة، وساعدهم في ذلك انعزال الفشتين الصغرى والكبرى عن بقية السودان بسبب أنهار عطبرة وباسلام وستيت الموسمية، وانفتاح المنطقة على إثيوبيا بلا عوازل طبيعية بسطوا سيطرتهم عليها لأكثر من 25 سنة مستغلين انشغال السودان بمشاكله الداخلية، ولكن بعد سقوط نظام عمر البشير في أبريل 2019م وتوقيع سلام جوبا مع عدد من الحركات المسلحة السودانية في أكتوبر 2020م، التفت الجيش السوداني إلى الحدود الشرقية وإعاد انتشاره في منطقة الفشقة التي حررها بنسبة 95% ولم تتبق سوى منطقتين بمقدوره استعادتهما عسكرياً، لكن السودان يطالب إثيوبيا بإخلائهما عن طريق الحوار الدبلوماسي والسياسي تقديراً للعلاقات الأزلية التي تربط البلدين والشعبين<sup>28</sup>.

استنتاجات وتوصيات:

الاستنتاجات:

1. واضح جداً أن الموازنات السياسية التي كانت ينتهجها البريطانيون جعلتهم متعاطفين مع إثيوبيا على حساب السودان في مسألة الحدود بين الدولتين، ورغم ذلك إثيوبيا تطمع في المزيد.
2. طول حدود السودان مع إثيوبيا عبارة عن خطوط وهمية تمر عبر مناطق كاشفة لا تحددها معالم طبيعية واضحة مما يسهل التسلل من خلالها، بجانب ضعف السيطرة عليها وحمايتها بسبب غياب البنية التحتية كالطرق التي تسهل عملية ربط هذه المناطق الحدودية بالداخل، الأمر الذي ترتب عليه تمادى المطامع الإثيوبية في أراضي شرق السودان عامة وولاية القضارف خاصة.

---

شايبيت وتضم مليشيات بعمر 14 كيلومتر، أتلاي وبري إلى جانب مستوطنة قطران التي تضم مليشيات وتتمركز بعمر 10 كيلومترات. لكن بعد إعادة انتشاره في المنطقة تمكن الجيش السوداني من إحكام سيطرتها على الفشتين الصغرى والكبرى، وتبقت منطقتان فقط هما (القطران) و(خور حُمر)، يحذ السودان أن تخليهما إثيوبيا بصورة سليمة.

<sup>28</sup> أحمد فضل\_تقرير (المستوطنات الإثيوبية داخل السودان\_ نقلاً عن عضو مجلس السيادة الانتقالي السوداني والمتحدث باسم المجلس السابق محمد الفكي سليمان في حسابه الرسمي على فيسبوك)\_شبكة الجزيرة الاعلامية (موقع الجزيرة نت الالكتروني) تاريخ النشر: 16 يناير 2021م\_تاريخ التصفح: 24 مارس 2022م، ساعة الدخول: 11:35ص.

3. الانفجار السكاني وقلة الموارد والفقر الذي تعاني منهم إثيوبيا جعلها منذ بداية الاحتكاكات على أرض الفشقة تضع موضوع الحصول عليها أولوية في سياسة كل الحكومات التي تعاقبت على الحكم منذ العام 1957م، وهو في نظر كل حكام إثيوبيا موضوع مصيري يرتبط بحياة السكان الذين يعيشون على الهضبة الإثيوبية الجافة المجاورة لأرض الفشقة الخصبة استنادًا إلى نظرية التوسع على حساب الغير التي ظل يؤمن بها جميع أباطرة وحكام إثيوبيا حتى اليوم ، وللوصول إلى هدفهم المنشود أخذ الحكام الإثيوبيون عدة محاور منها السياسية فالاقتصادية والاجتماعية ثم العسكرية وساعدهم في ذلك انعزال المنطقة عن بقية الأراضي السودانية بسبب الأنهار المحيطة بها.

4. تساهل السلطات السودانية ومواطنيها في التعاطي مع مسألة الحدود، ولعل ذلك يستشف من محاولة سلطات الإدارة الأهلية في المنطقة المعنية تحصيل العشور من الإثيوبيين في أول تسلل لهم كمزارعين يرزعون في داخل الأراضي السودانية عام 1957م الأمر الذي أشعرهم بأنهم أصحاب حق، فعادوا بكثافة في العام التالي، أما تساهل المواطنين القاطنين في المنطقة يتمثل في مسألة إيجارات الأراضي للإثيوبيين التي ربما أغلبها لم يخضع للقوانين الواضحة التي تحكم عملية التعامل مع الأجنبي. كل هذا ساعد في عملية تمدد المزارعين الإثيوبيين في داخل أراضي الفشقة وهم يدفعهم الأمل في امتلاك هذه الاراضي كاملة يوما ما.

5. مساحة السودان الشاسعة،موارده الكبيرة،ثرواتها الطائلة الغير مستغلة،وعدد سكانه القليل نسبيًا مقارنة مع إمكانياته،وموقعه الجغرافي في محيط إقليمي يعاني من الانفجار السكاني(مصر،إثيوبيا) وقلة الموارد والفقر (إثيوبيا،إريتريا،تشاد)،بالإضافة إلى عدم الاستقرار السياسي الذي سببه اشغال الساسة السودانيين في كل الحقب منذ الاستقلال في 1956م بالصراعات السياسية بينهم،بعيدًا عن قضايا البلاد وهموم مواطنيها،وعلى رأس هذه القضايا حماية الحدود المترامية، كل هذه جعل السودان عرضة لأطماع جيرانه الذين من بينهم إثيوبيا التي تعمل على إبتلاع منطقة الفشقة.

التوصيات:

1. أن تلتزم إثيوبية باتفاقية عام 1902م لتحديد الحدود التي لم يحدث في التاريخ البعيد أو القريب أن طعنت في صحتها أو نفاذها، بل أكدته التزامها بها في يوليو /أغسطس 1955م، وفي يونيو 1957م، وفي يوليو م1972م. ويكون ذلك تأكيدًا منها أنها ليست لها مطامع في أراضي السودان.

2. أن تلتزم إثيوبية بالانسحاب من منطقة الفشقة مادامت معترفة بسودانيتها، وأن لا تقف حجرة عثرة في وجه الجيش السوداني الذي يلاحق عصابات الشفتا (التي هي نفسها تفر بأنهم خارجون عن القانون) وأن تعتبر ذلك حقًا مشروعًا

لحماية السيادة الوطنية للدولة السودانية، بأن يكون لها الحق في القضاء على المسلحين الذين يتجاوزون الحدود مدججين، وبطرق غير قانونية. لأن هذه العصابات أقلقت مضجع المواطنين السودانيين على الحدود، الرعاة والمزارعين والقرويين الأمنين، تنهب الأرض والمشاريع الزراعية والمحاصيل والماشية وتختطف رعاة أصحاب القطعان الكبيرة ومزارعون كبار وتبتز أهلهم، ولا تطلق سراحهم إلا بموجب فدية يدفعونها وإذا لم يفعلوا أو ماطلوا أو تجاوزوا الوقت الذي تحدده هذه العصابات مطلوقة اليد، فإن المختطف يقتل وتلقى بجثته في الطرقات أو وسط قريته أو مشروعة الزراعي، حتى يكون عبرة لغيره فلا يتأخر في سداد الفدية.

3. أما السودان فعليه أن يتصدي قانوناً للمزارعون السودانيون الذين يؤجرون الأراضي للإثيوبيين وينكرون ذلك، ويحملهم المسؤولية القانونية والأخلاقية لأنهم يمثلون خطراً داهماً على الأمن القومي للبلاد، وتضع الحكومة إجراءات قانونية صارمة تلزم كل مأجر لأرضه أن يحصل على ترخيص مسبق، ويوثق عقد الإيجار لدى السلطة القضائية أو لدى محامٍ وموثق معتمد، الأمر الذي يضمن حقوق الطرفين (السوداني والإثيوبي) ويقلل من النزاعات، بل يجعلها قانونية تقضي فيها المحاكم، لكن هذا يكون بعد خروج الوجود الإثيوبي بصورة كاملة وعودة الفشقة كمنطقة سودانية خالصة.

4. على السودان أيضاً العمل على ربط المناطق الحدودية بطرق معبدة خاصة منطقة الفشقة التي تعزلها الأنهار في فصل الخريف (ويبدو أن الجيش السوداني قد قطع شوطاً في ذلك) بجانب إقامة قرى دفاعية بوجود مواطنين ومزارعين سودانيين يدافعون عن أنفسهم، إلى جانب ممارستهم للزراعة بصورة مستمرة بصورة تمكثهم من السيطرة على هذه الأراضي من خلال رصد تحركات الجانب الإثيوبي، الذي يمارس حرب العصابات، وينفذ عمليات إجهاضية بهدف الضغط على المواطنين السودانيين وإجبارهم على التوجه غرباً نحو المدن الرئيسية، والابتعاد عن المناطق الخصبة الزراعية، أما من حيث التأمين الخارجي لمنطقة، فإن الجيش السوداني جاهز ومستعد لهذه المهمة.

5. يظل أفضل المعالجات بالنسبة للسودان هو إقرار الاتفاقيات والمعاهدات والبروتوكولات الموروثة على ما بها من ملاحظات وقصور تفادياً للمشاكل التي يثيرها عدم الإقرار.

#### الخاتمة:

إن مطامع إثيوبيا في أرضي شرق السودان توكده الوقائع على الأرض من خلال تسلل مواطنيها (مزارعين) إلى منطقة الفشقة وغيرها من المناطق الحدودية بعد خروج الإنجليز من السودان، مما يدل على نيتها في ربط اتفاقية عام 1902م بالاستعمار البريطاني الذي كان قائماً في السودان آنذاك، وقد بدأت تنكرها عن التزاماتهم تجاه هذه الاتفاقية من ذلك الحين، ولكن

بالدليل لم تشهد أروقة منظمة الوحدة الأفريقية أو منظمة الأمم المتحدة أي شكوى أو اعتراض إثيوبي على هذه الاتفاقية لأي سبب من الأسباب أو أي شكوى تهم فيها السودان بالاستيلاء على أرض إثيوبية كما إن السودان ظل قبل وبعد الاستقلال يمارس سلطاته الإدارية على مناطق حدوده الشرقية بما فيها منطقة الفشقة بجانب إجراءات الانتخابات للمجالس البرلمانية والمحلية دون أي اعتراض من قبل إثيوبيا كل ذلك يؤكد عدم وجود أي سند قانوني لدى إثيوبيا يمكنها أن تعتبره حجة لها في أي إدعاء بحق مشروع لها في أرض الفشقة أو غيرها من أراضي شرق السودان.

إن سياسة السودان القائمة على حل المنازعات الحدودية عبر التفاوض وبالطرق السلمية استطاعت أن تحافظ ولسنتين طويلة على الحدود الشرقية دون حدوث مواجهات عسكرية فيها تضاعف من مشاكل السودان الذي يعاني من عدم الاستقرار السياسي. غير أن هذه السياسة ولأسباب مقدره جدًا كانت تؤدي في كل مرة إلى تكريس بقاء الأمر على ما هو عليه، وبالطبع استفادت من هذه السياسة الأنظمة الإثيوبية المتعاقبة التي ظلت تهدف من وراء ذلك في كل مرة كسب مساحة جديدة من الأرض ومساحة جديدة من الزمن تمكنها من إدعاء الحق التاريخي في الأرض. أخيرًا إن العلاقات الإثيوبية السودانية يفترض أن تكون أكثر عمقًا من العلاقات الإثيوبية بأي دولة أخرى وبذات القدر بالنسبة للسودان، لأنها علاقة بين سكان المرتفعات والسهول، علاقة تاريخية أزلية ممتدة، ينبقى أن لا تفسدها المطامع السياسية من خلال التوسع على حساب الغير. وعلى هذا الأساس فإن الأهمية المتبادلة للدولتين السودان وإثيوبيا يلزم أن تكون ذات طابع تعاوني تكاملي وليس مطمعي عدائي.

#### المصادر والمراجع:

1. لقاء عبر الهاتف (القضارف-أمدردمان) يونيو 2020م\_الأستاذ عثمان أحمد حسن\_نائب القنصل السوداني الأسبق في قببلا (إثيوبيا) 1992م ومعتمد محلية القريشة الأسبق 2010م والخبير في الشأن الإثيوبي والإفريقي.
2. سلطان، جاسم\_الجغرافية والحلم العربي القادم (جيوبولتيك\_عندما تتحدث الجغرافية) \_دار تمكين للأبحاث والنشر\_لبنان (بيروت)\_الطبعة الأولى 2013م\_ص 9 إلى 11.
3. لسان العرب\_للعلامة محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري\_دار الكتب العلمية\_لبنان(بيروت) 2009م.
4. الجبوري، خلف رمضان محمد بلال\_السيادة في ظل الاحتلال\_مجلة دراسات إقليمية (السنة 3) العدد (6) يناير 2007م\_مركز الدراسات الإقليمية\_العراق\_ص 7، ص 8.
5. اتفاقية جنيف الرابعة 1949م (الخاصة بحماية المدنيين في وقت الحرب والاحتلال).



## مجلة الدراسات الإفريقية وحموض النيل - العدد السادس عشر - يونيو 2022م



6. دقاش، إكرام محمد صالح حامد\_ ورقة علمية بعنوان الاحتلال الإثيوبي لأراضي الفشقة السودانية (1957م-2007م)\_ الخرطوم\_ يوليو 2007م.

7. Nur, Taha Hassan\_ The Sudan-Ethiopia boundary: a study in political geography\_ Durham ETheses, Academic Support O\_ce, Durham University, University O\_ce, Old Elvet, Durham DH1 3HP. pages 136to166. <http://etheses.dur.ac.uk>.

8. طه، فيصل عبد الرحمن علي\_ مقال (الحدود السودانية الإثيوبية في سياق تاريخي) \_ صحيفة السياسي السودانية 5 يونيو 2020م\_ السودان\_ الخرطوم.

9. عبد الرحمن عياش، زهير حمداني، محمد العلي\_ تقرير (إثيوبيا والسودان مائة عام من النزاع الحدودي)\_ شبكة الجزيرة الإعلامية (موقع الجزيرة نت الإلكتروني) تاريخ النشر: 14 مارس 2021م\_ تاريخ التصفح: 24 مارس 2022م ، ساعة الدخول: 10:15 ص.

الرابط: [www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)

10. طه، فيصل عبد الرحمن علي\_ مقال (الفشقة: حقائق وتسؤلات)\_ موقع نادوس نيوز الإلكتروني\_ تاريخ النشر: 2 يناير 2021م\_ تاريخ التصفح: 24 مارس 2022م، ساعة الدخول: 10:30 ص.

الرابط: [www.nadosnews.com](http://www.nadosnews.com)

11. تنقو ، معاذ محمد أحمد (رئيس مفوضية الحدود السودانية يكشف خفايا 50 عامًا من التفاوض مع أثيوبيا)\_ حوار مع (صحيفة اندبندنت عربية البريطانية) رصد: جمال عبد القادر البدوي \_ صحفي سوداني الخميس\_ 31 ديسمبر 2020م.

12. Containing the Volatile Sudan-Ethiopia Border Dispute Crisis Group Africa Briefing N°173, Khartoum/Nairobi/Brussels, 24 June 2021\_pages 2to 4.

International Crisis Group Headquarters:

Avenue Louise 235, 1050 Brussels, Belgium [brussels@crisisgroup.org](mailto:brussels@crisisgroup.org)

New York Office

[newyork@crisisgroup.org](mailto:newyork@crisisgroup.org)

Washington Office

[washington@crisisgroup.org](mailto:washington@crisisgroup.org)

London Office

[london@crisisgroup.org](mailto:london@crisisgroup.org)



## مجلة الدراسات الإفريقية ومحض النيد- العدد العاشر - ماي 2020م



Regional Offices and Field Representation

Crisis Group also operates out of over 25 locations in Africa, Asia, Europe, the Middle East and Latin America.

13. عبد الهادي، عماد\_تقرير: مطالب بترسيم الحدود بين السودان وإثيوبيا/حديث صلاح الخبير(مدير إدارة الحدود في ولاية القضارف)\_موقع الجزيرة نت الإلكتروني \_ تاريخ النشر:5سبتمبر2015م\_تاريخ التصفح:24مارس2022م، ساعة الدخول:11:15ص.

- [www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net): الرابط

14. أحمد فضل\_تقرير (المستوطنات الإثيوبية داخل السودان\_ نقلاً عن عضو مجلس السيادة الانتقالي السوداني والمتحدث باسم المجلس السابق محمد الفكي سليمان في حسابه الرسمي على فيسبوك)\_شبكة الجزيرة الاعلامية (موقع الجزيرة نت الإلكتروني) تاريخ النشر: 16يناير2021م\_تاريخ التصفح:24مارس2022م، ساعة الدخول:11:35ص.

[www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net): الرابط



## الحضور الاقتصادي للمغرب بإفريقيا

### Morocco's economic presence in Africa

د: عبد الحق بوصحبا-معهد الدراسات الإفريقية، كلية علوم التربية، الرباط، المغرب

[boushaba04.ar@hotmail.fr](mailto:boushaba04.ar@hotmail.fr)

#### ملخص:

تمتلك القارة الإفريقية إمكانات للتنمية معتبرة، متمثلة في مواردها الطبيعية والبشرية الهائلة، إضافة إلى الروابط الثقافية واللغوية التي تجمع مجموعة من المجالات الجهوية. في مقابل ذلك، تبقى إفريقيا إحدى جهات العالم الأقل اندماجا، مما يفسر عدم استغلال إمكاناتها في التنمية والتطور.

من هذا المنظور، يجعل المغرب، تدعيم علاقات التعاون مع إفريقيا من بين أولوياته، في إطار دينامية الاندماج الإفريقي والتعاون جنوب-جنوب. يبرز النموذج المغربي للتعاون، بالمقارنة مع النماذج الأخرى المقدمة من طرف الدول الكبرى، فإذا كان المغرب يدعو إلى تعاون متعدد الأبعاد ينبي على علاقات اقتصادية متوازنة وعادلة، فإن القوى الكبرى تقيم تعاونها على المساعدات والشروط<sup>29</sup>.

الكلمات المفتاح: الاستراتيجية الاقتصادية، إفريقيا، التعاون جنوب-جنوب.

**Abstract:** The African continent has significant potential for development, represented in its vast natural and human resources, in addition to the cultural and linguistic ties that unite a number of regional areas. On the other hand, Africa remains one of the world's least integrated regions, which explains why its potential for development and development has not been exploited.

From this perspective, Morocco makes strengthening cooperation relations with Africa among its priorities, within the framework of the dynamic of African integration and South-South cooperation. The Moroccan model of cooperation stands out, compared to other models presented by the major countries. If Morocco calls for multi-dimensional cooperation based on balanced and fair economic relations, the major powers base their cooperation on aid and conditions.

**Key words:** economic strategy, Africa, South-South cooperation.

<sup>29</sup> يونس زكاري، دينامية الدبلوماسية المغربية بإفريقيا جنوب الصحراء: الرهانات والتحديات، جزء من كتاب: المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، نحو علاقات استراتيجية جديدة، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الندوة رقم 20، الرباط، 2017/2018، ص.67.

### 1- تقديم:

يشكل توسط الموقع الجغرافي للقارة في العلمين القديم والجديد أهمية بالغة، حيث تلعب دورا حاسما في حركة النقل الدولي في المجالين المدني والعسكري، بما يتضمنه الأول من نشاطات اقتصادية وتجارية، وبما يشملها الثاني من توازنات استراتيجية للدول الكبرى، تتعلق بمناطق الحضور طبقا لمتطلبات المصالح الغربية بشكل عام. فالقارة مطلة على الممر النفطي العالمي ومتحكمة فيه عبر قناة السويس وطريق رأس الرجاء الصالح. وطبقا لأهمية مصادر الطاقة للعالم الغربي، خصوصا بالنسبة للاقتصاد الأمريكي، الذي يستهلك حوالي 20 مليون برميل نفط يوميا، فإن إفريقيا بموقعها الوسطي هذا دفع بالدول الغربية إلى إنشاء العديد من القواعد العسكرية لتأمين وصول النفط إليها.

تتوفر إفريقيا على عدة مقومات ومؤهلات طبيعية وبشرية، جعلت منها مجالا حيويا وقبلة مفضلة للشركات والاستثمارات العالمية وسوقا عالمية واعدة للاستهلاك والإنتاج، يمكن أن تساهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية لدول القارة.

أولى المغرب دول إفريقيا جنوب الصحراء اهتماما كبيرا، هذا الاهتمام يبنى على أسس سياسية، جيوسراتيجية، ثقافية، إضافة إلى الأسباب الاقتصادية. ذلك أن المغرب في حاجة إلى أسواق لتصريف منتجاته من جهة، ثم من جهة أخرى هو في حاجة إلى مواد أولية لتأمين صناعته خصوصا الصناعة المعدنية، فالمغرب يريد الاستفادة من الفرص التي تتيحها دول إفريقيا جنوب الصحراء، خصوصا في ظل المناخ الدولي المطبوع بالمنافسة الشرسة على أسواق دول الشمال، مما يجعل السوق الإفريقي بديل استراتيجي بالنسبة للشركات المغربية.

في هذه الدراسة، سوف أحاول التطرق لمركزات الاستراتيجية الاقتصادية للمغرب بإفريقيا (المبحث الثاني)، لكن قبل ذلك، يقتضي الأمر معرفة وضعية العلاقات الاقتصادية للمملكة مع عمقها الإفريقي (المبحث الأول).

### 2- إشكالية البحث:

تحدد إشكالية البحث الحالي، في الإجابة عن السؤال المحوري التالي: كيف يمكن للمغرب أن يحقق حضورا اقتصاديا وازنا في القارة الإفريقية؟

انطلاقا من هذا السؤال المركزي، تتفرع عنه مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- ما هو واقع التعاون الاقتصادي للمغرب مع أشقائه الأفارقة؟
- ماهي نقاط القوة التي تساعد المغرب على تسجيل حضور اقتصادي بالقارة؟
- ما هي الآليات التي يعتمد عليها المغرب لتعزيز حضوره الاقتصادي في الدول الإفريقية؟
- ما هي مركزات الاستراتيجية الاقتصادية للمغرب، لتعزيز التعاون مع دول العمق الإفريقي؟

### 3- منهجية الدراسة:

ارتباطا بالإشكالية المطروحة، وبغية معالجتها، اعتمدت على المقاربة القانونية، من خلال تحليل النصوص القانونية المرتبطة بالاتفاقيات الاقتصادية التي أبرمها المغرب مع عدد من الدول الإفريقية، وتحليل مضامينها والمجالات التي تغطيها. كما اعتمدت على المنهج المقارن، من خلال استحضار نماذج من العلاقات الاقتصادية لدول أجنبية مع دول القارة، بهدف الاستفادة منها، وتبيان السلبيات التي تعتمدها. إضافة إلى المنهج الوصفي، عن طريق تحليل المعطيات والبيانات المتعلقة بالعلاقات الاقتصادية للمغرب مع دول القارة، بهدف الحصول على نتائج تساعد في الخروج بتوصيات، من شأنها تدعيم الحضور الاقتصادي للمغرب في دول العمق الإفريقي.

#### 4- هيكل الدراسة:

لمعالجة الإشكالية المطروحة، عملت على تقسيم الموضوع قيد الدراسة إلى مبحثين رئيسيين:

**المبحث الأول: و اقع التعاون الاقتصادي بين المغرب وبلدان إفريقيا**

**المطلب الأول: اتفاقيات التعاون بين المغرب ودول إفريقيا جنوب الصحراء: إطار للتعاون جنوب-جنوب**

**المطلب الثاني: المبادلات التجارية بين المغرب ودول إفريقيا جنوب الصحراء**

**المبحث الثاني: الاستراتيجية الاقتصادية للمغرب بإفريقيا**

**المطلب الأول: الإمكانيات الاقتصادية للمغرب بإفريقيا.**

**المطلب الثاني: السياسة الاقتصادية للمغرب بإفريقيا.**

**المبحث الأول: و اقع التعاون الاقتصادي بين المغرب وبلدان إفريقيا**

غداة حصول الدول الإفريقية على استقلالها، جعل القادة الأفارقة من الاندماج الجهوي ركيزة أساسية لاستراتيجيتهم التنموية. تحقيقا لهذا المسعى، تم إنشاء مجموعات اقتصادية ونقدية على صعيد القارة بهدف تسهيل التعاون الاقتصادي وتحقيق الاندماج بين شعوب القارة.

إن الهدف من هذه السياسات الاندماجية هو الرفع من وثيرة النمو الاقتصادي لبلدان هذه المجموعات الاقتصادية خصوصا، وبإفريقيا عموما، إضافة إلى إرساء تعاون اقتصادي فعال بين دول المجموعة.

ترجع العلاقات المغربية الإفريقية جنوب الصحراء إلى قرون عديدة، فالمجال الصحراوي كان مجالا للاتصال، وعبور القبائل من مختلف الأجناس، إضافة إلى كونه مجالا للتبادل التجاري. هذا التواصل لم يكن ذو طابع اقتصادي فقط، وإنما كان أيضا يأخذ طابعا ثقافيا، فنيا وروحيا. استنادا إلى هذا الإرث التاريخي والثقافي مع إفريقيا، يعمل المغرب على توطيد علاقته بالبلدان الإفريقية، وهو الذي كانت تجمعه مع هذه البلدان طرق القوافل الصحراوية والتي كانت تنطلق من مدنه لتعبر الصحراء وصولا إلى مدن إفريقيا الغربية. يحاول المغرب أن يربط الماضي بالحاضر ويحافظ على ذلك

الدور الذي لعبه منذ القدم كشريك أساسي وحيوي في التعاون مع بلدان القارة. فهو فاعل مؤثر في الارتقاء بقيم التضامن والتآزر بغية تحقيق أهداف الألفية للتنمية (OMD) على المستوى الإفريقي. في المقابل يبرز السوق المغربي كسوق أكثر جاذبية في شمال إفريقيا، يغري الكثير من المستثمرين والذين يجدون فيه ضالتهم، بالنظر للاستقرار السياسي الذي ينعم به المغرب<sup>30</sup>. للتعاون الاقتصادي للمغرب مع دول القارة الإفريقية إطار قانوني ينظمه، هذا الإطار يتمثل أساسا في اتفاقيات التعاون.

**المطلب الأول: اتفاقيات التعاون بين المغرب ودول إفريقيا جنوب الصحراء: إطار للتعاون جنوب-جنوب**  
انخرط المغرب منذ سنوات الثمانينيات في سيرورة تحرير تجارته الخارجية عن طريق تبني مجموعة من الإجراءات من أجل الرفع من صادراته وتحرير وارداته، عن طريق تعليق العمل بلائحة المواد الممنوعة من الاستيراد أو تلك التي يتم استيرادها حسب سقف محدد مسبقا، إضافة إلى تخفيض الرسوم الجمركية<sup>31</sup>. على الصعيد السياسي، فإن الاستراتيجية الحكومية مدعومة بانخراط كامل للسلك الدبلوماسي بالقارة. هذا الأخير يصل إلى 25 تمثيلية دبلوماسية. إن التعاون مع الدول الإفريقية يأخذ طابعا متعدد الأبعاد، ويستهدف مجالات متنوعة: كالمجال السياسي، الاقتصادي، التجاري والاجتماعي، إضافة إلى المبادرات المغربية الساعية إلى الحد من النزاعات واستتباب السلم والأمن بالقارة.

خلال النصف الأول من سنوات 1990، عدد الاتفاقيات المبرمة مع الدول الإفريقية لم يكن يتجاوز 150 اتفاقية، لكن في سنة 2003، تم الوصول إلى إبرام 270 اتفاقية<sup>32</sup>. هذه الاتفاقيات جاءت لتدعيم الإطار القانوني العام والذي يصل إلى 480 اتفاقية<sup>33</sup> توطر العلاقات المغربية مع دول إفريقيا. هذه الفترة سوف تكون بداية تبني دبلوماسية اقتصادية مبادرة تجاه دول الجوار الجنوبي، هدفها تعزيز الحضور الاقتصادي للمملكة في الأسواق الإفريقية، خاصة في القطاع البنكي، النقل (Royal Air Maroc)، التأمينات، الاتصالات (اتصالات المغرب)، إضافة إلى مجهودات كل من المكتب الوطني للكهرباء و الماء الصالح للشرب ومكتب التكوين المهني وإنعاش الشغل (OFPPPT) واللذان تبنا سياسة عالمية لمواكبة السياسة الاقتصادية للمملكة على الصعيد الإفريقي.

<sup>30</sup>Le cabinet de consulting américain « Pyramid Research » basé au Massachussets (nord-est des Etats Unis).

<sup>31</sup>Ministère de l'Economie et des Finances du Royaume du Maroc, la politique commerciale extérieure du Maroc, mai 2009.

<sup>32</sup>Alain Antil, la Royaume du Maroc et sa politique envers l'Afrique subsaharienne, institut Français des relations internationales, Paris, Novembre 2003.

<sup>33</sup> تصريح لوزير الشؤون الخارجية والتعاون، طيب الفاسي الفهري، خلال اللقاء المنظم بالرباط بمناسبة اليوم العالمي لإفريقيا، ماي 2011.

ملاحظات	طبيعة الاتفاقية	تاريخ دخول حيز التنفيذ	تاريخ التوقيع	البلد
برتوكول إضافي سنة 1981	تجارية	1963/02/13	1963/02/13	السنغال
	تجارية	1974/10/13	1972/10/17	الغابون
	تجارية	1993/03/11	1982/11/07	النيجر
	تجارية وتحديد التعريف الجمركية	1980/12/16	1973/09/22	الكوت ديفوار
	تجارية	1978/07/05	1977/04/04	نيجريا
	تجارية	1993/05/28	1987/04/16	الكامرون
	تجارية	2003/04/29	1987/09/17	مالي
	تجارية	1989/10/23	1988/10/06	أنغولا
في طور المصادقة	تجارية		1991/03/07	البنين
في طور المصادقة	تجارية		1996/06/26	بوركينافاسو
في طور المصادقة	تجارية		1996/09/18	الجمهورية الديمقراطية للكونغو
	تجارية وجمركية	2000/02/15	1997/12/04	تشاد
	تجارية وتحديد التعريف الجمركية	2003/07/09	1997/04/12	غينيا
	تجنب الازدواج الضريبي	2006/05/19	2002/03/01	السنغال

المصدر: وزارة الشؤون الخارجية والتعاون

يهدف الرقي دائما بالعلاقات الاقتصادية والتجارية مع الشركاء الأفارقة، تم إنشاء لجان مختلطة وتم تفعيل أخرى خلال الكثير من الزيارات التي قامت بها الوفود الرسمية المغربية لبلدان إفريقيا، بمناسبة المشاركة في المنتديات والمعارض

الدولية وملتقيات رجال الأعمال، خاصة " قافلة التصدير"، القيام بدراسات للبحث عن أسواق تجارية جديدة بالقارة الإفريقية من طرف مكاتب الاستشارة الوطنية المغربية لفائدة رجال الأعمال.

قام المغرب كذلك بالتوقيع على اتفاق تجاري واستثماري مع الاتحاد الاقتصادي والنقدي لغرب إفريقيا<sup>34</sup> (UEMOA) سنة 2002 بالرباط، وذلك بعد 4 سنوات من المحادثات المبدئية. لكن هذا الاتفاق لم يدخل حيز التنفيذ، لأن بعض دول الاتحاد تعتبر اقتصاداتها غير مؤهلة بعد لمنافسة المقاولات المغربية، وتريد الاستفادة من آليات تفضيلية، فيما يخص الضرائب الجمركية قبل الشروع في تنفيذ بنود الاتفاق.

من جهته، اقترح المغرب دخول المنتوجات الصناعية القادمة من الاتحاد بدون رسوم جمركية، واستفادة المنتوجات الفلاحية من تخفيض في قيمة هذه الرسوم. في المقابل، طالب دول الاتحاد تطبيق تخفيض تدريجي في الرسوم الجمركية على دخول المنتجات الصناعية المغربية، في أفق إلغاء الضرائب الجمركية على المنتوجات المغربية بعد بضع سنوات من الإلغاء النهائي للرسوم الجمركية على بضائع الاتحاد.

منذ اعتلائه العرش، والملك محمد السادس يتبنى دبلوماسية مبادرة تجاه دول إفريقيا جنوب الصحراء. خلال أول قمة لإفريقيا والاتحاد الأوروبي، سنة 2000 في القاهرة، أبان الملك محمد السادس عن رغبة المملكة المغربية في تدعيم علاقاتها مع الدول الإفريقية، من خلال الإعلان عن قرار إلغاء ديون الدول الإفريقية الأقل نموا (PMA) وإعفاء منتوجاتها من أداء الضرائب الجمركية لدخول السوق المغربي، وذلك في إطار مبادرة الدول الفقيرة الأكثر مديونية. إضافة إلى المساعدات العاجلة، كمنح المغرب 300 مليون دولار في السنة لأصدقائه الأفارقة، وذلك في إطار المساعدة العمومية للتنمية (APP)، أي 10% من مجموع المبادلات مع إفريقيا<sup>35</sup>.

خلال زيارته لدول القارة الإفريقية<sup>36</sup>، أشرف الملك محمد السادس على التوقيع على اتفاقيات للتعاون الثنائي في مجالات التعليم، السياحة، الفلاحة، الماء، البحث العلمي، الصحة، إنعاش الاستثمارات... حيث تعمل الوكالة المغربية للتعاون الدولي (AMCI) على الإشراف ومتابعة تنفيذ هذه الاتفاقيات لتبرئ الأرضية الملائمة للمقاولات الوطنية.

تحتل القارة الإفريقية أهمية استراتيجية في الاختيارات الجهوية للمملكة، لأن الموقع الجيوسياسي الذي يشغله المغرب في المنطقة، يفتح له الباب للحصول على مكانة متقدمة في الاتحاد الاقتصادي والنقدي لغرب إفريقيا. يشكل المغرب حلقة

<sup>34</sup> تم تأسيسه سنة 1994، UEMOA يضم 8 دول بإفريقيا الغربية (البنين، بوركينا فاسو، كوديفوار، غينيا بيساو، مالي، النيجر، السنغال، الطوغو).

<sup>35</sup> « Point sur les relations du Maroc avec les pays de l'Afrique Subsaharienne », direction des Etudes et des Prévisions Financières (Ministère de l'économie et des finances- Maroc), Mai 2010.

<sup>36</sup> منذ اعتلائه عرش أسلافه الميامين، قام الملك محمد السادس بالكثير من الجولات الإفريقية (21 زيارة، 8 رسمية، زار خلالها 13 بلدا إفريقيا، من سنة 2001 إلى 2009).

وصل بين قارتين أوروبا وإفريقيا، فوزارة التجارة الخارجية المغربية تنظم منذ دجنبر 2009 قافلة التصدير<sup>37</sup>، في الجهات الرئيسية للقارة. تهدف هذه القافلة إلى تنمية المبادلات التجارية والاستثمارات مع الدول الإفريقية. إضافة إلى البحث عن أسواق للسلع والخدمات، يرغب المغرب كذلك في بيع خبرته في كهربية الأرياف ومدتها بالماء الصالح للشرب، بناء السدود، مد الطرق وسكك الحديد، الاتصالات والتكنولوجيا الجديدة. فالمغرب يسوق لنموذجه في التنمية الاقتصادية بالقارة السمراء، معتمدا في ذلك على ثلاث مقومات رئيسية: القرب الجغرافي، الخبرة، التجربة، والثمن التنافسي.

يعمل المغرب على استثمار موقعه كمدخل للعبور إلى إفريقيا، بهدف تصدير خبرته، حيث يتيح لشركائه الأوروبيين إمكانية ولوج السوق الإفريقي، وإن كان هذا السوق يعاني من عدة مشاكل، لكنه يتوفر على إمكانات اقتصادية واعدة. في هذا الإطار، تسعى المملكة المغربية إلى لعب دور لوسيط الصناعي، التجاري والمالي للشركات المتعددة الجنسيات، التي تستهدف الأسواق الإفريقية، فموقع المغرب الاستراتيجي كملتقى للطرق التجارية، يغري المستثمرين المباشرين الأجانب (IDE)، ويبقى الميناء المتوسطي بطنجة، أفضل دليل على الإرادة المغربية لجعل البلاد محور الحركة التجارية للقارة الإفريقية مع أوروبا وباقي العالم.

إن الهدف من اعتماد هذه الدبلوماسية الاقتصادية، هو تدعيم مكانة المغرب في أسواق بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، وجعل القطاع الخاص يستغل الفرص المتاحة بهذه الأسواق، ودفعه للدخول في النسيج الاقتصادي للتعرف عن المجالات الأكثر ربحية والمهمة للبلدان الإفريقية.

لعل اتفاقية محاربة الازدواج الضريبي، وتشجيع وحماية الاستثمارات، أبرز الاتفاقيات التي وقعتها المملكة المغربية مع البلدان الإفريقية. ثم هناك اتفاقيات همت قطاعات واعدة، يتعلق الأمر بالخصوص باتفاقيات في مجال الملاحة البحرية، قطاع المعادن، الهندسة المعدنية، السكن، التكوين<sup>38</sup>...

إن رغبة المغرب في تعزيز علاقته الاقتصادية مع البلدان الإفريقية، يملها إيمانه الراسخ بوحدة المصير وتقاطع المصالح المغربية الإفريقية، لذلك يمكن تسمية هذا النموذج من التعاون الاقتصادي بالشراكة الذكية، المبنية على استراتيجية ترابية، تهدف إلى خلق شبكة من الدول الإفريقية القوية.

## المطلب الثاني: المبادلات التجارية بين المغرب ودول إفريقيا جنوب الصحراء

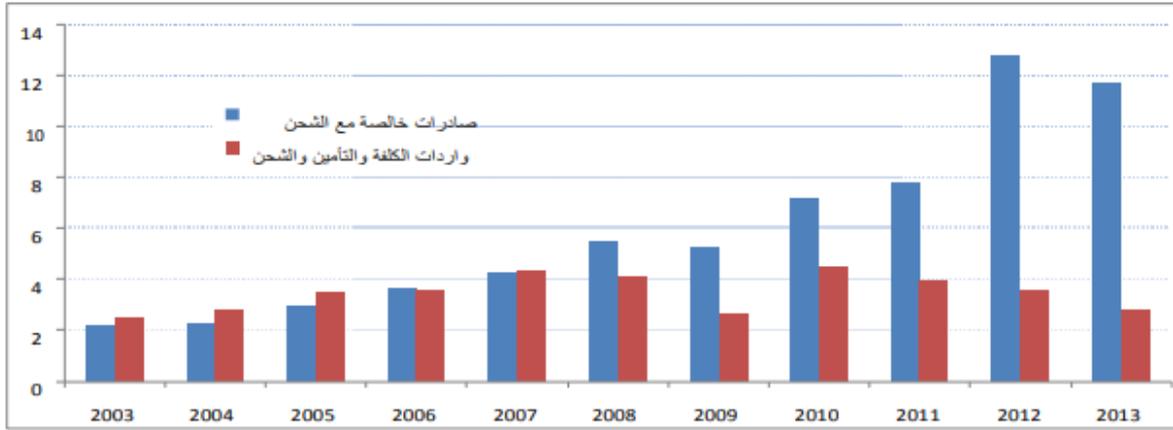
<sup>37</sup>هدف الرفع من حجم الصادرات، أعلنت السلطات المغربية في سنة 2009، عن استراتيجية "المغرب الأكثر تصديرا"، مدعومة بمخططات طموحة للإقلاع، والميثاق الوطني للإقلاع الصناعي، هذه الاستراتيجية تم اعدادها بين 2005 و 2009 من أجل تنشيط النسيج الصناعي، إضافة إلى إيلاء عناية خاصة للمنتوجات المعدة للتصدير، كما عمل المغرب على تعزيز نفوذه في الأسواق التقليدية، إضافة إلى استكشاف الأسواق الواعدة، ثم العمل على مصاحبة المقاولات المصدرة.

<sup>38</sup>Mostafa Nachoui, fondement et caractéristiques de la politique Africaine du Maroc, partie du livre : Maroc-Afrique subsaharienne ; vers de nouvelles relations stratégiques, publications de l'Institut des Etudes Africaines, colloque n°20, Rabat, 2018, P.43.

في سياق عالمي مضطرب، مطبوع بالتوتر السياسي والعسكري، ثم مخلفات جائحة كورونا، وما تسببت فيه من انكماش في معظم اقتصاديات العالم، تعاني المبادلات التجارية للمغرب مع الدول الإفريقية نفس الإكراهات التي تميز العلاقات التجارية بين دول الجنوب.

باستثناء جنوب إفريقيا، فإن المزودين الأساسيين للمغرب هم الغابون، الكونغو، جمهورية إفريقيا الوسطى والكويت ديفوار، بينما نجد الأسواق المستقبلية لصادراته، تتكون أساسا من السوق السنغالي، غينيا الاستوائية والكويت ديفوار.

الرسم البياني 2: مبادلات المغرب التجارية مع إفريقيا جنوب الصحراء (بملايير الدراهم)



المصدر: مكتب الصرف، إنجاز م.د.م.

عرفت المبادلات التجارية للمغرب مع شركائه الأفارقة تطورا في الزمان والمكان. فمن حيث الزمان، سجل ارتفاع في حجم المبادلات التجارية منذ سنة 2000. في هذه السنة، كانت قيمة هذه المبادلات 3.1 مليار درهم، ثم انتقلت إلى 4 مليار درهم في سنة 2001، لتصل في سنة 2002 إلى 5.2 مليار درهم، قبل أن تنخفض إلى 4.7 مليار سنة 2003، لتعاود الارتفاع بعد ذلك حتى وصلت إلى 8.6 مليار درهم سنة 2007، ثم واصلت الارتفاع لتصل سنة 2010 إلى 11.7 مليار درهم، أما في سنة 2013، فتخطت سقف 14 مليار درهم<sup>39</sup>.

بعدها كان الميزان التجاري للمغرب مع دول إفريقيا جنوب الصحراء يعاني من عجز منذ سنة 2000 إلى حدود 2005، أصبح يحقق فائضا ابتداء من سنة 2008. في سنة 2010، كان الميزان التجاري لصالح المغرب أيضا، فإذا كان حجم المبادلات التجارية هو 11.7 مليار درهم، استورد المغرب ما قيمته 4.5 مليار درهم من الدول الإفريقية جنوب الصحراء، فيما صدر 7.2 مليار درهم، مما مكنه من تحقيق فائض قيمته 2.7 مليار درهم. أما في سنة 2013، فإن المغرب لم يستورد

<sup>39</sup> وزارة الاقتصاد والمالية، مديرية الدراسات والتوقعات المالية، العلاقات المغربية الإفريقية: طموح نحو "حدود جديدة"، [www.finances.gov.ma](http://www.finances.gov.ma)، شتنبر 2014.

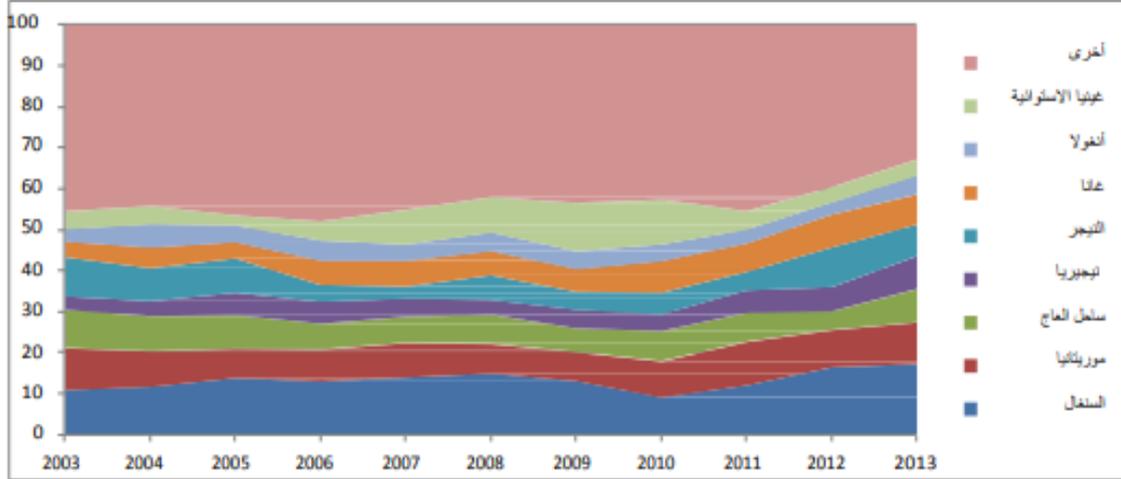
سوى 2.7 مليار درهم من الدول الإفريقية جنوب الصحراء، بينما صدر 11.7 مليار درهم، أي أنه حقق فائضا في الميزان التجاري قدره 8.9 مليار درهم.

رغم هذا التطور الإيجابي لصالح المغرب، فإن هذه المبادلات لا تمثل سوى 2.6% من التجارة الخارجية للمغرب. أما فيما يخص فضاء هذه المبادلات، فإن المغرب يصدر مختلف البضائع والسلع إلى جل الدول الإفريقية، كما يستورد في المقابل المواد الخام والمنتجات الفلاحية على الخصوص من شركائه الأفارقة:

#### ➤ الصادرات المغربية إلى الدول الإفريقية جنوب الصحراء.

ارتفعت الصادرات المغربية إلى الدول الإفريقية جنوب الصحراء من 1.2 مليار درهم سنة 2000 إلى 2.2 مليار درهم سنة 2003، قبل أن تقفز إلى 11.7 مليار درهم سنة 2013، مسجلة نموا سنويا يقدر ب 18%. هذا النمو، جعل نسبة الصادرات المغربية إلى إفريقيا تنتقل من 2% من مجموع صادرات المغرب إلى الخارج، سنة 2000، إلى 6.3% سنة 2013. تشكل صادرات المغرب المتوجهة إلى دول إفريقيا جنوب الصحراء 4.9% من حجم مبيعاته في الخارج. عموما، فإن صادرات المغرب إلى دول الغرب الإفريقي تمثل 60% من مبيعاته بإفريقيا جنوب الصحراء، في حين تمثل صادراته إلى إفريقيا الوسطى 28%، أما إفريقيا الشرقية 5.3، وإفريقيا الجنوبية 6.7%. بإفريقيا الغربية، تبقى الصادرات المغربية متمحورة على 5 دول: السنغال بنسبة 17%، موريتانيا 10%، الكوت ديفوار 8.1%، غينيا الاستوائية 8%، نيجريا 7.7%، وذلك حسب إحصائيات 2013، هذه الدول مجتمعة تمتص 50.6% من مجموع المبيعات المغربية بإفريقيا الغربية. أما فيما يخص إفريقيا الوسطى، فإن الصادرات المغربية تبقى مركزة في ثلاث دول، وهي غانا 7.3%، أنغولا 4.8% وغينيا الاستوائية 3.9%، هذه الدول الثلاث تمتص 16.2% من مجموع مبيعات المغرب بإفريقيا الوسطى<sup>40</sup>.

الرسم البياني 3: صادرات المغرب نحو بلدان إفريقيا جنوب الصحراء (الحصة %)



المصدر مكتب الصرف، إنجاز م.د.ت.م.

إجمالاً، 5/3 من الصادرات المغربية تذهب إلى غرب إفريقيا، مما يبرز أهمية القرب الجغرافي والعلاقات التاريخية والروحية التي تجمع المغرب بهذه المنطقة. لكن المغرب مطالب بالرفع من صادراته إلى المناطق الإفريقية الأخرى، والعمل على الزيادة من حصته في السوق الإفريقي. هذا لن يتحقق إلا بتدخل الدولة من خلال التسريع في سيرورة التصديق على الاتفاقيات التجارية الجهوية مع UEMOA<sup>41</sup> و CEMAC<sup>42</sup>، وخاصة العمل على مد طريق بحري لربط الموانئ المغربية مع مختلف الموانئ الإفريقية، إضافة إلى إطلاع الفاعلين المغاربة بالفرص الواعدة التي تتيحها المبادلات التجارية مع القارة الإفريقية.

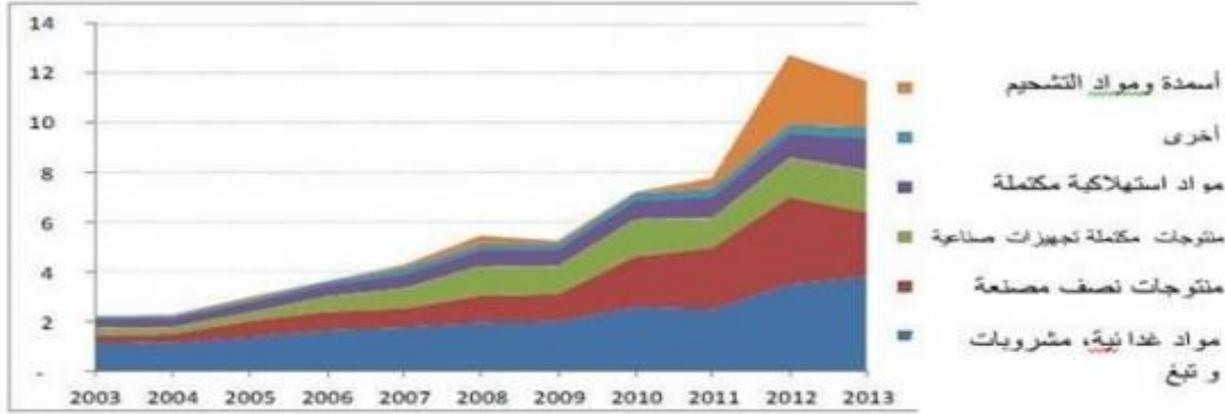
فيما يخص بنية الصادرات المغربية إلى دول إفريقيا جنوب الصحراء، فتتكون أساساً من منتجات غذائية 'عصائر' وسجائر (33%)، مواد نصف مصنعة (22%)، منتجات الطاقة ومواد التشحيم (16%)، ومنتجات مصنعة، خصوصاً الأدوات الصناعية (14%)<sup>43</sup>.

<sup>41</sup> الاتحاد الاقتصادي والنقدي لغرب إفريقيا.

<sup>42</sup> المجموعة الاقتصادية والنقدية لوسط إفريقيا.

<sup>43</sup> وزارة الاقتصاد والمالية، مديرية الدراسات والتوقعات المالية، العلاقات المغربية الإفريقية، موقع سابق.

الرسم البياني 4: صادرات المغرب التجارية نحو إفريقيا جنوب الصحراء (بملايير الدراهم)



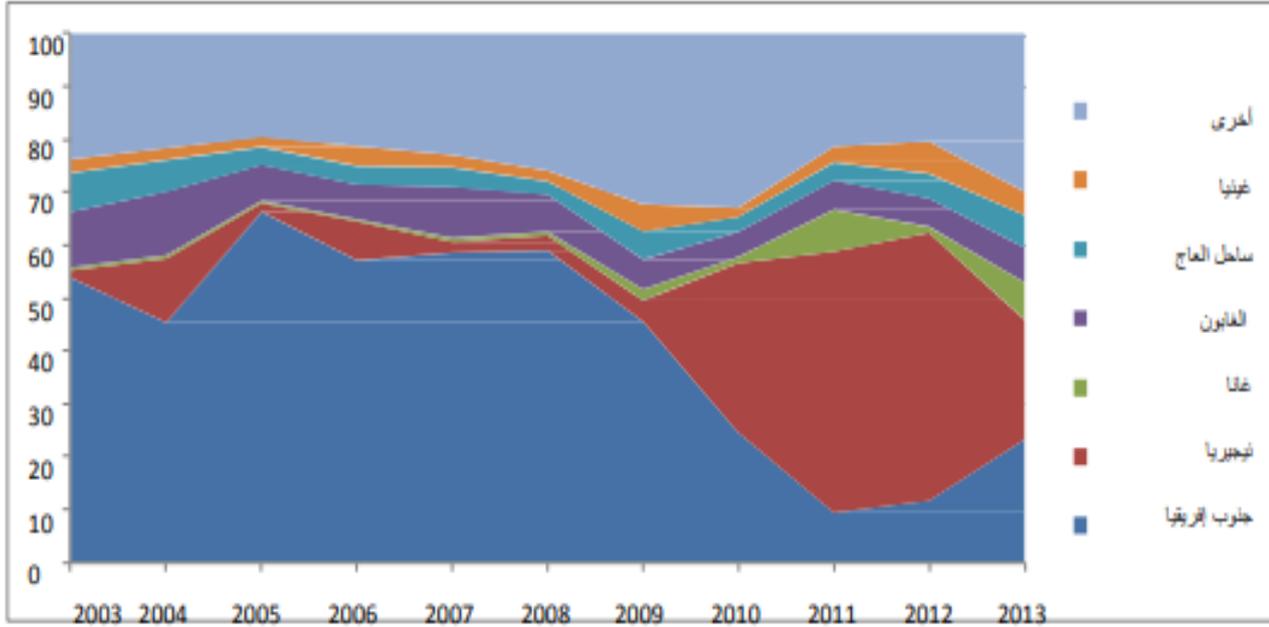
المصدر مكتب الصرف، إنجلز م. د. ت. م.

➤ الواردات المغربية القادمة من دول إفريقيا جنوب الصحراء.

تبقى الواردات المغربية من إفريقيا جنوب الصحراء جد محدودة. ففي سنة 2000، كانت قيمة واردات المغرب لا تتجاوز ملياري درهم، أما في سنة 2010 فقفزت إلى 4.5 مليار درهم، قبل أن تنخفض في سنة 2013 وتستقر في 2.8 مليار درهم، حيث تشكل 0.7% من حجم واردات المغرب من الخارج.

للمغرب مزودين رئيسيين أفارقة، ويتعلق الأمر بجنوب إفريقيا، نيجيريا، الغابون، الكوت ديفوار، غينيا وغانا. في بداية الألفية الثالثة، كانت دولة جنوب إفريقيا تستحوذ على نسبة 51% من واردات المغرب من دول إفريقيا جنوب الصحراء، قبل أن تنخفض هذه النسبة إلى 20%، ثم عاودت الارتفاع إلى 30% في سنة 2013، متبوعة بنيجيريا خصوصا ما بين 2010/2012 بنسبة تقارب 20% سنة 2013، أما الباقي فموزع بين كل من غانا، الغابون، الكوت ديفوار.

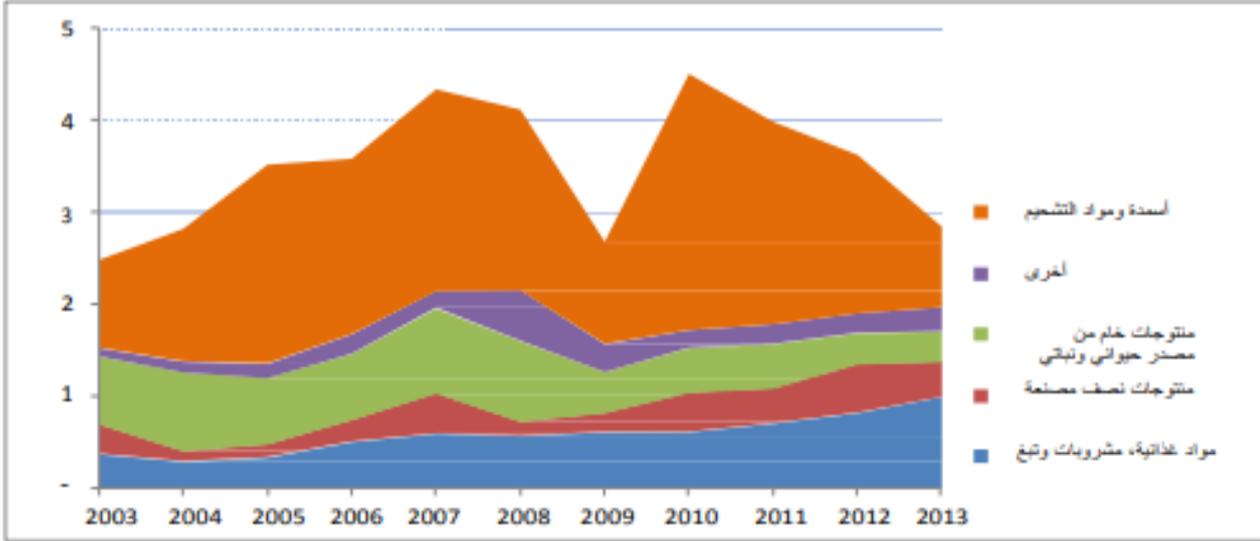
الرسم البياني 5: الواردات القادمة من بلدان إفريقيا جنوب الصحراء (الحصة %)



المصدر مكتب الصرف، إنجاز م.د.ت.م.

تشكل الواردات المغربية من هذه الجهة، من المنتجات الأساسية، خاصة المحروقات، المنتجات الغذائية والمنتجات المصنعة.

الرسم البياني 6: الواردات القادمة من إفريقيا جنوب الصحراء (بملايير الدراهم)



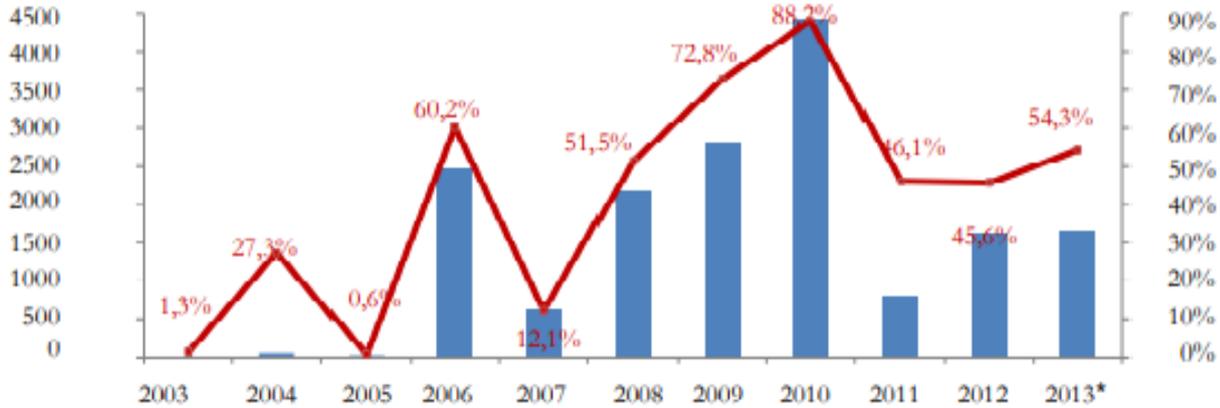
المصدر مكتب الصرف، إنجاز م.د.ت.م.

تحتل المنتوجات الطاقية المرتبة الأولى، بنسبة 49%، فيما تحتل المنتوجات من أصل حيواني ونباتي المرتبة الثانية ب (25%). أما المنتوجات الغذائية فتأتي في المرتبة الثالثة ب 18% من مجموع الواردات المغربية من إفريقيا في 2013.

➤ الاستثمارات المغربية بإفريقيا.

باشرت المقاولات المغربية، منذ عدة سنوات، استثمارات بإفريقيا جنوب الصحراء، عبارة عن خلق فروع في تلك البلدان أو شراء شركات متواجدة في تلك الأسواق. هكذا صار المغرب ثاني مستثمر بإفريقيا والأول بإفريقيا الغربية، باستثمار حوالي 2 مليار درهم سنويا منذ 2008. من بين العوامل المؤدية إلى هذه الدينامية الجديدة، نجد التحرير التدريجي لتقنين تحويل الأموال، حيث أصبح بإمكان المغاربة المقيمين بإفريقيا استثمار 100 مليون درهم. في سنة 2010، وصلت الاستثمارات المغربية المباشرة بإفريقيا إلى مستوى قياسي قدره 4.6 مليار درهم، أي 92% من مجموع الاستثمارات المغربية المباشرة بالخارج.

الرسم البياني 7: تطور تدفقات الاستثمارات الخارجية المباشرة للمغرب نحو إفريقيا جنوب الصحراء وحصة المنطقة من مجموع التدفقات



\* تدفقات الاستثمارات الخارجية المباشرة للمغرب في إفريقيا جنوب الصحراء بملايين الدراهم (المحور الأيسر)  
حصة إفريقيا جنوب الصحراء في الاستثمارات الخارجية المباشرة المغربية (المحور الأيمن)

\* : أرقام أولية المصدر مكتب الصرف.

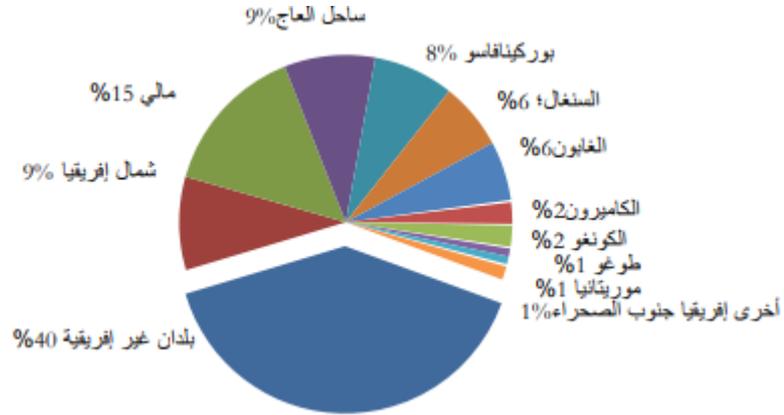
أما في سنة 2013، فقد قاربت الاستثمارات المغربية المباشرة بإفريقيا 1.2 مليار درهم، حيث مثلت 44.1% من مجموع الاستثمارات المباشرة للمغرب في الخارج.

✓ البنية الجغرافية للاستثمارات الخارجية المباشرة المغربية بإفريقيا.

تشكل إفريقيا جنوب الصحراء، الوجهة الأولى للاستثمارات المغربية المباشرة في إفريقيا، من خلال استثمارات بأربعة عشر بلدا من بينها أحد عشر بلدا بإفريقيا الغربية وإفريقيا الوسطى، كغانا ونيجيريا<sup>44</sup>.

<sup>44</sup> وزارة الاقتصاد والمالية، مديرية الدراسات والتوقعات المالية، العلاقات المغربية الإفريقية، موقع سابق، ص. 17.

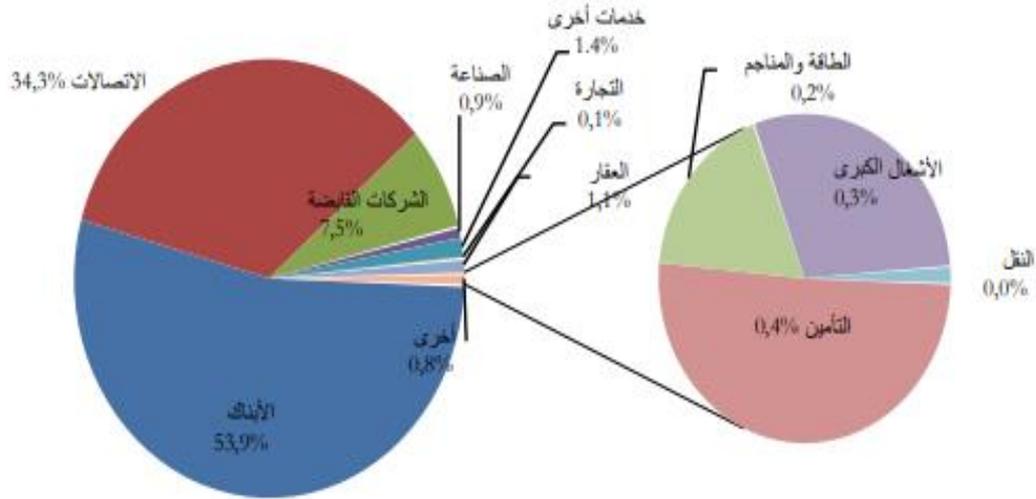
الرسم البياني 8: البنية الجغرافية لتدفقات الاستثمارات الخارجية المباشرة المغربية الموجهة إلى الخارج، خلال الفترة ما بين 2003 و2013



✓ البنية القطاعية للاستثمارات المغربية في إفريقيا.

يشكل قطاع الأبنك نصف التدفقات الخارجية من الاستثمارات الخارجية المباشرة للمغرب ما بين 2007 و 2012 بنسبة 52%، متبوعا بالاتصالات بنسبة 32%، ثم الشركات القابضة ب 7% وأخيرا الصناعة ب 3%. تبقى بنية الاستثمارات المباشرة المغربية حسب القطاع متشابهة بالنسبة لإفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء، التي أخذت حصة الأسد من التدفقات الموجهة نحو القارة خلال نفس الفترة.

الرسم البياني 9: بنية تدفقات الاستثمارات الخارجية المباشرة للمغرب في إفريقيا جنوب الصحراء حسب القطاع (2008-2012)



مديرية الدراسات والتوقعات المالية

#### المبحث الثاني: الاستراتيجية الاقتصادية للمغرب بإفريقيا

أمام العوامل الداخلية والخارجية، إضافة إلى السياق الدولي الصعب، أصبح تنوع الشركاء الاقتصاديين والانفتاح على أسواق خارجية ضرورة ملحة ومستعجلة بالنسبة للمغرب، مما يمكنه من التصدي لمختلف التحديات الاقتصادية. يبقى التعاون الاقتصادي المغربي-الإفريقي واعداء وناجعا نظرا لأنه ينبني على شراكة تجمع طرفين كليهما من بلدان الجنوب. معلوم أن الشراكة بين المغرب ودول إفريقيا جنوب الصحراء تتأسس على الإرث التاريخي والثقافي المشترك، كما أنها تدخل في إطار التعاون جنوب-جنوب. إنها تنبني على شراكة راجح-راجح، وتسعى إلى:

- ✓ تقاسم التجربة والخبرة.
- ✓ الرفع من المبادلات التجارية.
- ✓ التنمية البشرية والحد من الفقر.
- ✓ تثمين الموارد الفلاحية وتحقيق الأمن الغذائي.
- ✓ التضامن جنوب-جنوب.

يقتضي التطرق للاستراتيجية الاقتصادية للمغرب بإفريقيا، الوقوف عند إمكاناته بهذه القارة، من خلال رصد نقاط الضعف التي تعتريه، ثم نقاط القوة التي يتمتع بها (المطلب الأول)، قبل التطرق لمقومات السياسة الاقتصادية للمغرب بإفريقيا (المطلب الثاني).

### المطلب الأول: الإمكانيات الاقتصادية للمغرب بإفريقيا.

من خلال عديد الشراكات الاقتصادية التي أسسها المغرب في العقد الأخيرة مع أغلب بلدان إفريقيا الغربية والوسطى، ما فتى يعبر بوضوح عن طموحه للتموضع كقوة اقتصادية جهوية. يمثل الموقع الجغرافي للمغرب على المستوى الاقتصادي، مقوما لا يمكن تجاهله، جذابا للاستثمارات ومشجعا للسياحة، إضافة لكونه عامل في إشعاع المملكة كقوة اقتصادية جهوية، بحكم ما يسجله اقتصاده من نمو متزايد بفضل الاستثمار العمومي والإصلاحات الاقتصادية، عن طريق عديد برامج الإنعاش القطاعية.<sup>45</sup>

إذا كان للأزمة الاقتصادية العالمية لسنة 2008 أثار وخيمة على جل الاقتصاديات، فإنها لم تستثن المغرب، حيث ظهرت مظاهرها في سنة 2009 من خلال تراجع طلبات الشركاء التجاريين الأساسيين للمملكة، خاصة الدول الأوروبية، كما سجل نقص حاد في رؤوس الأموال الضرورية للاستثمار.

هذه الأزمة الاقتصادية والمالية والمطبوعة بالعمولة<sup>46</sup>، دفعت بالدبلوماسية الاقتصادية إلى الواجهة، فأصبح المغرب مطالب بإعمال العامل الاقتصادي في التعاطي مع الشأن الخارجي.

أبانت الاستراتيجية الاقتصادية للمغرب عن إرادته القوية في رفع التحديات، لكن يظهر أنه يفتقر للإمكانيات المالية لبلورتها على أرض الواقع. فهو ليس باستطاعته منافسة القوى التقليدية التي تقدم مساعدات لتنمية دول القارة. مما اضطر المغرب إلى تبني استراتيجيات مختلفة مبنية على المبادرة والقوة الناعمة. عرف المغرب كيف يمكن استثمار العلاقات الشخصية والأخوية التي ربطت ملوكه بالقادة الأفارقة واستعمال قنوات غير مؤسسية<sup>47</sup>. فقد حرص المغرب دائما على تقوية علاقاته مع دول القارة الإفريقية، حيث توجد جذوره ويتقاسم مع بلدانها إرثا تاريخيا مشترك. هذا التعاون جنوب-جنوب، أكد عليه الملك محمد السادس في رسالته الموجهة إلى الندوة الأولى للسفراء في شتنبر 2013: " يتعين على دبلوماسيتنا الاستثمار الأفضل لكل الآليات المتاحة، ونخص بالذكر الوكالة المغربية للتعاون الدولي، التي يتعين عليها متابعة العمل بكل فعالية ودون كلل من أجل مواكبة جهودنا من أجل تعزيز علاقاتنا مع إخواننا في القارة". يرجع هذا الاختيار أيضا، إلى كون سوق إفريقيا جنوب الصحراء، يمثل أرضية مفضلة لاستثمارات الفاعلين الاقتصاديين المغاربة، بالنظر للثروات الطبيعية الغير مستغلة والفرص الواعدة التي تتحها لهم. يوفر هذا السوق مجالا خصبا ومحفزا لمختلف الفاعلين الاقتصاديين لدخولهم إياه لتحقيق أرقام معاملات مهمة.

<sup>45</sup>Fatima Zohra Azizi, Maroc en Afrique : Quelle stratégie pour devenir une puissance économique régionale ? Une partie d'un ouvrage : Le Maroc dans son environnement Africain : Les domaines et les enjeux de la nouvelle stratégie, université Mohammed 5, première édition, 2017, P.40.

<sup>46</sup>Mohammed Harakat « Du gouvernement à la gouvernance de la diplomatie économique » in « Diplomatie économique en Afrique, quelle gouvernance en période de crise et d'instabilité ? » REMA, N° 40, 2014.

<sup>47</sup>Bakary Sambe : « Le Maroc au sud du Sahara ; Une stratégie d'influence à l'épreuve des mutations géopolitiques », cité in « Le Maghreb et son Sud ; Vers des liens renouvelés », ouvrage sous la direction de Mansour Mokhefi et Alain Antil ; CNRS édition, Paris, 2012.

يؤمن المغرب بالأفاق الاقتصادية الواعدة لإفريقيا، والتي تزخر بثروات طبيعية مختلفة، وموارد بشرية نشطة، والأكثر من ذلك، تتوفر القارة على إرث ثقافي عريق. فبمناسبة انعقاد المؤتمر العالمي حول أهداف الألفية للتنمية (OMD)، أكد صاحب الجلالة، أن المغرب يضع التنمية البشرية، وتحقيق أهداف الألفية للتنمية، في صلب سياسة ملموسة وخلاقة للتعاون جنوب-جنوب، خاصة مع الدول الإفريقية الشقيقة<sup>48</sup>. هذا الاختيار، يبرز العلاقات التاريخية، الثقافية، الروحية والهوية المشتركة التي تجمع المغرب بالقارة الإفريقية. هذه الروابط، تنضاف إلى الموقع الجغرافي للمغرب والذي يمثل عنصرا استراتيجيا وجيوسياسيا مهما، مما يغري الأشقاء الأفارقة في الدخول معه في شراكات استراتيجية<sup>49</sup>.

لبناء هذه الشراكة، دعا الملك محمد السادس الجهاز الدبلوماسي المغربي إلى مواكبة الدينامية السياسية والاقتصادية التي يعرفها المغرب<sup>50</sup>، مما يمكنه من تحقيق الرهانات الاستراتيجية، من خلال العمل على إرساء اندماج جهوي وقاري، عن طريق تشجيع الاستثمارات بالدول الإفريقية جنوب الصحراء.

في الوقت الذي تعتبر فيه إفريقيا محط اهتمام وتقاطع مصالح كل من الفاعلين الدوليين التقليديين والشركاء الجدد في ظل احتدام التنافس بين القوى الأوروبية، الولايات المتحدة الأمريكية، الصين وتركيا<sup>51</sup>، فإن الدبلوماسية المغربية تطمح إلى دعم ولوج المقاولات والأبنك المغربية إلى الأسواق الإفريقية، خاصة بإفريقيا الغربية، حيث يطمح المغرب إلى إرساء شراكات صلبة ومتينة.

### المطلب الثاني: السياسة الاقتصادية للمغرب بإفريقيا.

وضعت الدبلوماسية المغربية نصب عينها هدفا استراتيجيا، تمثل في الرقي بالتعاون مع الدول الإفريقية إلى مستوى شراكة حقيقية وتضامنية، وذلك في إطار مقارنة جديدة للتنمية<sup>52</sup>، وفي هذا السياق بالذات، اندرجت الزيارات المتعددة التي قام بها الملك محمد السادس، منذ اعتلائه عرش المملكة، للعديد من الدول الإفريقية، حيث خلقت هذه الزيارات ديناميكية جديدة في العلاقات مع هذه الدول، كما أعطت دفعة قوية للتعاون بين دول الجنوب، الذي شكل خيارا استراتيجيا للمملكة.

<sup>48</sup> مقتطف من خطاب الملك محمد السادس، أمام قمة أهداف الألفية للتنمية: "إن المغرب، وانخراطا منه في تعزيز شراكة عالمية تضامنية، وضع التنمية البشرية، وتحقيق أهداف الألفية للتنمية، في صلب سياسة ملموسة وخلاقة للتعاون جنوب-جنوب، خاصة مع الدول الإفريقية الشقيقة."

<sup>49</sup>Mounia SLIGHOUA, « Le Maroc et l'espace africain; une coopération Sud-Sud », Annuaire Marocain de la stratégie et des relations internationales ; AMSRI ; 2012.

<sup>50</sup> خطاب الملك محمد السادس بمناسبة الندوة الأولى للسفراء والمنعقدة في شتنبر 2014 بالرباط.

<sup>51</sup>Sébastien SANTANDER, « L'Afrique, nouveau terrain de jeu des émergents », édition Khartala, 2014.

<sup>52</sup>Nazha Alaoui M'hammedi, coopération économique et financière Maroc/Afrique et perspectives de son développement, journée études de l'Institut Royal d'Etude Stratégique, Rabat, 20 Juillet 2010.

تنوع الزيارات الملكية دائما للدول الإفريقية بسلسلة من اتفاقيات التعاون في مجالات التنمية الاقتصادية والتقنية والاجتماعية والثقافية، من قبيل مكافحة الفقر والأمراض وتأهيل الزراعة وتدبير المياه والري وتطوير الصناعات الغذائية، إضافة إلى البنيات الأساسية والتهيئة الحضرية وتكنولوجيا الاتصال والتدبير المالي والأبنك<sup>53</sup>، ومن أجل توطيد هذه العلاقات الاقتصادية، تم استثمار رؤوس أموال مغربية في قطاعات حيوية كثيرة ومهمة، تعزيزا للحضور الاقتصادي للمملكة، وخلقاً لأفاق جديدة للمسارات والفرص الاقتصادية<sup>54</sup>.

تدرك المملكة المغربية أهمية الأطراف الفاعلة في الواقع الجديد اقتصاديا وسياسيا ودينيا وثقافيا في ظل بيئة دولية لا يحكمها إلا منطق المنافسة، والذي يتحول بدوره إلى سياسات متفاعلة إيجابا وسلبا، مما يعطيها الأولوية لحماية حدودها ومكتسباتها، والعمل على تحقيق مصالحها واستراتيجياتها، متسلحة بامتلاك القوة الاقتصادية والسياسية والأمنية، والسعي الدائم إلى تعزيزها إلى أبعد مدى ممكن، في إطار شرعي يخدم السلم والأمن الدوليين<sup>55</sup>.

من أجل إنجاح هذه السياسة، طرح الملك محمد السادس، خلال حفل افتتاح المنتدى الاقتصادي المغربي الإفريقي نموذجاً مبتكراً وأصيلاً للتنمية في إفريقيا، يقطع مع النماذج والتصورات التي كانت تأتي منذ ستينات القرن الماضي من خارج القارة، لتعيد إنتاج مفاهيم تنموية ماضوية، أثبتت عجزها في مسيرة التطور الذي تشهده القارة السمراء، منذ بداية الألفية الجديدة، فأول العناصر التي يقوم عليها هذا النموذج التنموي هو أن تتخلص إفريقيا من رواسب الماضي، وأن تستعيد ثقتها في إمكاناتها ومواردها وفيما تزرع به من كفاءات بشرية، هذا ما أكد عليه الملك محمد السادس في خطابه الموجه إلى المشاركين في القمة العربية الإفريقية سنة 2013: "إن الموقع الجغرافي للمغرب يجعله يوضع القارة الإفريقية، التي تشكل أحد جذوره العميقة، في صلب سياسته الخارجية، كما يسعى إلى تسخير علاقاته وشركائه في سبيل مد جسور التقارب والتعاون بين أشقائه الأفارقة، يحدوه في ذلك طموح واقعي وواعد لإنجاز مشاريع مشتركة ومتنوعة، تهم شتى المجالات الحيوية، وتدعمها الصداقة الراسخة والثقة المتبادلة التي تربط دولنا العربية بالبلدان الإفريقية الشقيقة، ومن هذا المنطلق قطعت المملكة المغربية أشواطاً هامة في تعاون مع أشقائها جنوب الصحراء، وما الزيارات المتعددة التي قمنا بها لعدد من البلدان الإفريقية، إلا دليل على رغبتنا الأكيدة في إعطاء دينامية جديدة لعلاقاتنا مع هذه الدول الشقيقة، وتجسيدها لروح التعاون جنوب-جنوب، خاصة في مجالات التنمية البشرية وتطوير المبادلات التجارية والنهوض بالاستثمارات<sup>56</sup>.

<sup>53</sup> يونس دافير، خيار استراتيجي ينتج قيمة رمزية، الملك الإفريقي، جريدة الأحداث المغربية، عدد خاص، الاثنين 13 شتنبر 1436، الموافق ل 01 يونيو 2015، ص.03.

<http://middle-east->

<sup>54</sup> محمد بن محمد العلوي، المملكة المغربية بين زمام المبادرة وانهز الفرصة في العمق الإفريقي:

[www.online.com/?id=151800](http://www.online.com/?id=151800)، 13 يونيو 2020.

<sup>55</sup> Visite royale en Afrique : Bilan exceptionnel ; [www.challenge.ma](http://www.challenge.ma), 14 Juin 2020.

<sup>56</sup> خطاب الملك محمد السادس الموجه إلى المشاركين في القمة العربية الإفريقية الثالثة المنعقدة بالكويت، بتاريخ 20 نونبر 2013، انبعاث أمة، القسم الثاني، منشورات القصر الملكي، المطبعة الملكية، الجزء 58، 2013، ص. 424.

لقد عمل المغرب على تطوير استراتيجية للتعاون مع بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، وذلك عن طريق التركيز على بعدين أساسيين ومتكاملين:

- البعد الأول يتجلى في التعاون الثنائي، بتكثيف التعاون مع البلدان الإفريقية الشقيقة، وتوسيع إشعاع المغرب على صعيد القارة، بفعل دينامية علاقته السياسية والاقتصادية. ولتفعيل هذه الاستراتيجية، عمل المغرب على توسيع تمثيلاته الدبلوماسية المتواجدة في 25 دولة إفريقية، منها 21 دولة توجد بجنوب الصحراء، كما عمل على توقيع 500 معاهدة واتفاقية تعاون، همت مختلف المجالات.
  - البعد الثاني، يتعلق بالتعاون الثلاثي الذي يتمحور حول إنجاز مشاريع تنموية، تستفيد منها الدول الإفريقية، عن طريق التمويل الدولي ومساهمة المغرب بخبرته وتجربته. ساهم هذا النموذج من التعاون في تحقيق عدد من المشاريع المرتبطة بالتجهيزات والبنيات التحتية وبالقطاعات الاجتماعية بعدد من الدول الإفريقية<sup>57</sup>.  
فإذا كان القرن الماضي، بمثابة قرن الانعتاق من الاستعمار بالنسبة إلى الدول الإفريقية، فإن القرن الحادي والعشرين، ينبغي أن يكون قرن انتصار الشعوب على آفات التخلف والفقر والإقصاء ومواجهة العديد من التحديات التي تهدد الاستقرار السياسي في إفريقيا وتعيق النمو الاقتصادي والاجتماعي بها، وذلك من خلال التعاون والتضامن بين الشعوب الإفريقية واحترام سيادة الدول<sup>58</sup>.
- فالتعاون في الوقت الحاضر، أصبح يعتمد إضافة إلى روابط الثقة والشائج التاريخية، على النجاعة والمردودية والمصادقية، ذلك أن النجاعة تعطي ثمارها على الدوام، كما أنها تعد الضمانة الحقيقية لبلوغ نتائج ملموسة وتحقيق تطور قابل للقياس واكتساب القدرة على الاستجابة للتطلعات، فضلا عن كونها تكفل الجودة وتساهم في ترسيخ الثقة، فيما تقتضي المصادقية تسخير الثروات التي تزخر بها قارتنا في المقام الأول لصالح الشعوب الإفريقية، وهو ما يستوجب وضع التعاون جنوب-جنوب في صلب الشراكات الاقتصادية بين بلدانها، لذا وجب على إفريقيا الاستفادة من الفرص التي يتيحها التعاون الثلاثي كآلية مبتكرة لتضافر الجهود والاستثمار الأمثل للإمكانات المتوفرة<sup>59</sup>.

### 5- النتائج:

يعد البعد الديني والروحي ثم الرصيد التاريخي للمغرب، إضافة إلى موقعه الاستراتيجي إحدى المحددات المتحكممة في علاقات المغرب بدول القارة الإفريقية. عمل المغرب بعد انسحابه من منظمة الوحدة الإفريقية سنة 1984 على استعادة

<sup>57</sup> يحيى أبو الفرح، علاقات المغرب مع بلدان إفريقيا جنوب الصحراء: الخصوصيات والدينامية الحالية، جزء من كتاب: إفريقيا كأفق للتفكير، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الدورات، الجزء الأول، الدورة 43 لأكاديمية المملكة المغربية، الرباط، دجنبر 2015، ص. 208.

<sup>58</sup> Lahcen Oudoud, les relations économiques Maroc-Ivoiriennes accèdent à un nouveau cycle de développement, Le Matin,

www.lematin.ma/specil/2013.

<sup>59</sup> أي مكاسب ستحققها الجولة الملكية في إفريقيا؟ <http://m.alrai.com/2015/05/23/40853>، 13 يوليوز 2020.

دوره التاريخي والاستراتيجي بالقارة، وذلك من خلال مشاركته الفعلية في بعثات الأمم المتحدة لإحلال الأمن والاستقرار في العديد من المناطق التي تشهد توترات وصراعات بالقارة الإفريقية. بالرغم من محدودية إمكانيات المغرب المادية، باستطاعته النهوض بدوره الريادي والمحوري الذي يؤهله له رصيده الحضاري المؤسس على مجموعة من الدعامات الأساسية والتي من بينها على الخصوص مؤسسة إمارة المؤمنين الضامنة للأمن الروحي واستمرار الأمة المغربية. من العائدات الإيجابية لتفعيل الدبلوماسية الدينية للمملكة المغربية في الفضاء الإفريقي، تعبئة مجموعة من الدول الإفريقية داخل أجهزة الاتحاد الإفريقي لقبول عودة المملكة للبيت الإفريقي في 30 من يناير 2017، هذه العودة من شأنها أن تساهم في تحقيق المغرب لمسعاها لأن يصبح قوة اقتصادية وسياسية في المنطقة، وجسرا للتبادل التجاري وتدفق الاستثمارات بين ضفتي المتوسط.

إن الأهمية التي تتمتع بها القارة الإفريقية، كونها محط أنظار اقتصاديات العالم سواء التقليدية منها أو الصاعدة، تعطي للمغرب إمكانية سانحة للعب دور بارز في الربط بين المنطقة الأورو متوسطية وإفريقيا جنوب الصحراء، وذلك من خلال التعاون ثلاثي الأبعاد، حيث يعمل المغرب على لعب دور الوساطة في إيصال المساعدات المالية الدولية الموجهة للقارة الإفريقية، بغية تمويل مشاريع التنمية هناك. هذا الدور يمكن أن تضطلع به المقاولات المغربية لعدة اعتبارات، فمن جهة كونها على دراية بالواقع الإفريقي وبالاحتياجات والأولويات الراهنة للقارة، ثم من جهة أخرى، بالنظر للثقة والمصادقية التي يتمتع بها المغرب في محيطه الإفريقي كرائد للتعاون جنوب-جنوب.

#### 6- التوصيات:

إن التوجه المغربي حيال القارة الإفريقية صار واضحا، حيث ينبني على خصوصية العلاقات التاريخية والدينية والثقافية بين المغرب وإفريقيا، كما يركز على مسعى تحقيق التعاون البيئي والتضامن جنوب-جنوب، إضافة إلى الاهتمام بالأبعاد الاجتماعية.

لكن هذا التوجه، ينبغي أن يكون مصحوبا بتبني استراتيجية شاملة ودامجة للمملكة في محيطها الإفريقي. هذه الاستراتيجية يجب أن تنبني على مجموعة من المبادئ كالأستدامة ومردودية الشراكة جنوب-جنوب، مما يستوجب اعتماد مجموعة من الآليات والإجراءات:

1. تكثيف عقد الاتفاقيات الثنائية والجهوية مع الدول الإفريقية، ثم التسريع في إنشاء مناطق للتبادل الحر.
2. تقوية حضور الفاعلين العموميين المغاربة في الدول الإفريقية جنوب الصحراء: ارساء شبكات دبلوماسية، تعيين أطر في السفارات المغربية للنهوض بالتعاون الاقتصادي مع هذه البلدان الإفريقية، توطين غرف تجارية مغربية ووكالات مغربية للتصدير في تلك المناطق، إضافة إلى استحداث بنيات مصاحبة للمقاولات المغربية لمواكبة ودعم الاستثمارات التي تباشرها في مختلف أرجاء القارة.

3. تأهيل المقاولات المغربية حتى تصير مقاولات عالمية قادرة على كسب حصص كبيرة في السوق الإفريقية وذلك من خلال: تقديم الدعم لهذه المقاولات ومساعدتها على إعادة الهيكلة، وتشجيعها على الاندماج أو على الأقل التعاون والتنسيق مع مقاولات موجودة أصلا في السوق الإفريقية أو تود الدخول إلى نفس السوق.
4. تدعيم التعاون والشراكة مع بلدان إفريقيا من أجل تنمية القارة من خلال تمكين الوكالة المغربية للتعاون الدولي AMCI بالكفاءات والإمكانيات المادية اللازمة.
5. تأهيل البنية التحتية الإفريقية، خصوصا مجال النقل البري، البحري والجوي. هذا المجال يعد من معيقات الاستثمار بالقارة بالنظر للخصائص الكبيرة الذي يعرفه.
6. توسيع مجال التعاون ليشمل جهات أخرى بالقارة الإفريقية كإفريقيا الشرقية والجنوبية.

#### المراجع:

#### المراجع باللغة العربية:

1. محمد بن امحمد العلوي، المملكة المغربية بين زمام المبادرة و انتهز الفرص في العمق الإفريقي: <http://middle-east-online.com/?id=151800>، 13 يونيو 2020.
2. وزارة الاقتصاد والمالية، مديرية الدراسات والتوقعات المالية، العلاقات المغربية الإفريقية: طموح نحو " حدود جديدة"، [www.finances.gov.ma](http://www.finances.gov.ma)، شتنبر 2014.
3. يحيى أبو الفرح، علاقات المغرب مع بلدان إفريقيا جنوب الصحراء: الخصوصيات والدينامية الحالية، جزء من كتاب: إفريقيا كأفق للتفكير، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الدورات، الجزء الأول، الدورة 43 لأكاديمية المملكة المغربية، الرباط، دجنبر 2015.
4. يونس دافقي، خيار استراتيجي ينتج قيمة رمزية، الملك الإفريقي، جريدة الأحداث المغربية، عدد خاص، الاثنين 13 شتنبر 1436، الموافق ل 01 يونيو 2015، ص.03.
5. يونس زكاري، دينامية الدبلوماسية المغربية بإفريقيا جنوب الصحراء: الرهانات والتحديات، جزء من كتاب: المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، نحو علاقات استراتيجية جديدة، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الندوة رقم 20، الرباط، 2017/2018.

#### لائحة المراجع باللغة الفرنسية:

1. Alain Antil, la Royaume du Maroc et sa politique envers l'Afrique subsaharienne, institut Français des relations internationales, Paris, Novembre 2003.



مجلة الدراسات الإفريقية وحموض النيل - العدد السادس عشر - يونيو 2022 م



2. Bakary Sambe : « Le Maroc au sud du Sahara ; Une stratégie d'influence à l'épreuve des mutations géopolitiques », cité in « Le Maghreb et son Sud ; Vers des liens renouvelés », ouvrage sous la direction de Mansour Mokhefi et Alain Antil ; CNRS édition, Paris, 2012.
3. Fatima Zohra Azizi, Maroc en Afrique : Quelle stratégie pour devenir une puissance économique régionale ? Une partie d'un ouvrage : Le Maroc dans son environnement Africain : Les domaines et les enjeux de la nouvelle stratégie, université Mohammed 5, première édition, 2017.
4. Lahcen Oudoud, les relations économiques Maroco-Ivoiriennes accèdent à un nouveau cycle de développement, Le Matin, [www.lematin.ma/specil/2013](http://www.lematin.ma/specil/2013).
5. Le cabinet de consulting américain « Pyramid Research » basé au Massachussets (nord-est des Etats Unis).
6. Ministère de l'Economie et des Finances du Royaume du Maroc, la politique commerciale extérieure du Maroc, mai 2009.
7. Mohammed Harakat « Du gouvernement à la gouvernance de la diplomatie économique » in « Diplomatie économique en Afrique, quelle gouvernance en période de crise et d'instabilité ? » REMA, N° 40, 2014.
8. Mostafa Nachoui, fondement et caractéristiques de la politique Africaine du Maroc, partie du livre : Maroc-Afrique subsaharienne ; vers de nouvelles relations stratégiques, publications de l'Institut des Etudes Africaines, colloque n°20, Rabat, 2018.
9. Mounia SLIGHOUA, « Le Maroc et l'espace africain; une coopération Sud-Sud », Annuaire Marocain de la stratégie et des relations internationales ; AMSRI ; 2012.
10. Nazha Alaoui M'hammedi, coopération économique et financière Maroc/Afrique et perspectives de son développement, journée études de l'Institut Royal d'Etude Stratégique, Rabat, 20 Juillet 2010.
11. « Point sur les relations du Maroc avec les pays de l'Afrique Subsaharienne », direction des Etudes et des Prévisions Financières (Ministère de l'économie et des finances- Maroc), Mai 2010.
12. Sébastien SANTANDER, « L'Afrique, nouveau terrain de jeu des émergents », édition Khartala, 2014.



## مجلة الدراسات الإفريقية ومحض النيل – العدد العاشر - ماي 2020م



الإطار القانوني لعمل الشباب في تشريعات الاستثمار- دراسة مقارنة

### The legal framework for youth in investment legislation- Comparative study

د. علي حسين الجيلاني حسين

أستاذ مشارك- جامعة الجزيرة= السودان

[aljeilani2014@gmail.com](mailto:aljeilani2014@gmail.com)

المخلص: تمثلت أهمية الدراسة في المكانة التي تحظى بها فئة الشباب في المجتمع من حيث القدرات الكبيرة والطاقات المتجددة، بالإضافة إلى أنها الفئة الأكثر عدداً- في الغالب- في المجتمع، بجانب حاجتها إلى العمل، وارتفاع نسبة البطالة داخل هذه الفئة، ومساهمة تشريعات الاستثمار للاستفادة من تسخير قدرات الشباب وجلب فرص العمل وتشغيلهم بصورة تحقق التنمية الاقتصادية والاجتماعية  
الكلمات المفتاحية: "تشريعات الاستثمار" – "عمل الشباب" – "الموارد البشرية" – "البطالة" – "فرص العمل"

**Abstract :** The importance of the study is represented in the position that the youth group enjoys in society in terms of great capabilities and renewable energies, in addition to being the most numerous group - mostly - in society, along with their need to work, the high unemployment rate within this category, and the contribution of investment legislation to benefit from harnessing Youth capabilities, bringing job opportunities, and employing them in a manner that achieves economic and social development

**Key Words :** Investment Legislation - Youth Employment - Human Resources - Unemployment - Job Opportunities



## مقدمة:

أصبح تدفق الاستثمار الأجنبي ظاهرة عالمية بحيث أصبحت مختلف الدول المتقدمة والنامية على السواء تنافس للحصول على أكبر نصيب من هذا التدفق، وتهدف الدول النامية إلى تحقيق معدلات تنمية اقتصادية واجتماعية من أجل حل المشكلات التي تجابهها، مثل مشكلات البطالة وعجز موازين المدفوعات، وضعف معدلات الادخار والاستثمار في عديد من الدول، ويعبر الاستثمار الأجنبي وسيلة هامة لدفع التجارة والنمو الاقتصادي، لما يوفره من الحصول على التكنولوجيا المتقدمة ورأس المال والتعرف على الممارسات الحديثة في الإدارة والاتصال بأسواق الدول المتقدمة.

ينظر إلى الشباب في المجتمع باعتبارها الفئة العمرية المهمة في حياة الإنسان، وذلك من خلال الدور الفعال لإحداث التغيير والتطور في أي مجتمع، وتوضع عليهم عدة آمال لتمكينهم لكونهم قوة اجتماعية حاملة لمعايير وقيم جديدة، إضافة إلى كونهم قوة عاملة لها خصائص ومميزات، كما أن ارتفاع نسبة الشباب وسط السكان تعد مصدر قوة، ولكن في الوقت ذاته يمكن أن تمثل مصدر ضغط على سوق العمل، ففي حال عدم حصولهم على فرص عمل يؤدي ذلك إلى انتشار البطالة التي تعد من أخطر المشكلات التي تواجهها دول العالم على حد السواء، فحرصت كثير من الدول على تكثيف الجهود لمواجهة ظاهرة البطالة وسط الشباب، في الوقت الذي لا يخفي الدور الذي يمكن أن يلعبه الاستثمار لمعالجة هذه الظاهرة، من خلال توفير فرص العمل والتدريب والتأهيل والكفاءة لفئة الشباب.

## أهمية الدراسة:

تمثلت أهمية الدراسة في الأهمية الكبيرة للاستثمار في تحقيق التنمية خاصة في بعدها الاقتصادي، وتحتاج الدول النامية لهذا الاستثمار في تعزيز تنميتها الاقتصادية ليس لحاجتها إلى رأس المال فحسب وإنما يوصف الاستثمار أبرز أوجه العلاقات الاقتصادية الدولية. بالإضافة إلى المكانة التي تحظى بها فئة الشباب في المجتمع من حيث القدرات الكبيرة والطاقات المتجددة، بالإضافة إلى أنها الفئة الأكثر عددًا- في الغالب- في المجتمع، بجانب حاجتها إلى العمل، وارتفاع نسبة البطالة داخل هذه الفئة، ومدى مساهمة تشريعات الاستثمار للاستفادة من تسخير قدرات الشباب وجلب فرص العمل وتشغيلهم بصورة تحقق التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلدان وتساهم في إرساء قواعد قانونية راسخة تدفع إلى الحفاظ على حقوق المستثمرين وتحسين فرص الاستثمار في الوقت ذاته تراعي حق المجتمع في الاستفادة من موارده البشرية

## أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

1/ معرفة الدور الذي يمكن أن تلعبه تشريعات الاستثمار في جذب رؤوس الأموال وإنشاء المشاريع وبالتالي توفير فرص العمل للشباب.

2/ إمكانية وضع الشباب من ضمن أولوياتها في العمل داخل المجتمعات، ووضع البرامج والخطط لتمكينهم من العمل.

3/ معرفة مكان القوة والضعف في التشريعات المنظمة للاستثمار لمعالجة مشكلة البطالة وسط الشباب وتوفير فرص العمل.

منهج الدراسة:

انتهجت الدراسة المنهج الوصفي، والمنهج الاستقرائي التحليلي، والمنهج المقارن

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة التالية:

- 1- ما مفهوم الاستثمار وأهميته والمزايا والانتقادات التي توجه له في ضوء ما يتعلق بتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع؟
- 2- ما هو الدور الذي يمكن أن تلعبه تشريعات الاستثمار في تحقيق التنمية وتحسين مستوى الدخل للأفراد بصورة عامة وللشباب بصورة خاصة؟
- 3- كيف تناولت تشريعات الاستثمار تنظيم القوى العاملة الأجنبية والوطنية في قواعدها؟

المحور الأول: مفهوم الاستثمار وأهميته:

أولاً: مفهوم الاستثمار:

الاستثمار لغة: ثمر الشجر ثموراً؛ ظهر ثمره قبل أن ينضج فهو مثمر، وشجرة ثمراء: أي ذات ثمر، والثامر الذي بلغ أوان الاستثمار ونضج، والمثمر الذي فيه ثمر<sup>60</sup>، ويقال أثمر الرجل: كثر ماله، وثمر الرجل ماله: أحسن القيام عليه، مال ثمر: مال كثير، واستثمر المال: ثمره وجعله يثمر، وثمار المال: ما ينتجه في أوقات دورية<sup>61</sup>، والثمر، حمل الشجرة، والثمر: أنواع المال، أثمر الرجل: كثر ماله/ ثَمَرَ الرجلُ ماله: نماه وكَثَرَهُ<sup>62</sup>.

ويلاحظ من هذه التعريفات اللغوية أن مصطلح الاستثمار يدور حول تنمية المال والعمل على زيادته.

<sup>60</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والتوزيع، بيروت، دت، 4/107.

<sup>61</sup> أبو الحسن بن فارس ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هرون، دار الفكر العربي، بيروت، دت، 1/84.

<sup>62</sup> الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دت، 1/388.

هناك عدة تعريفات للاستثمار، ويمكن أن يعود ذلك إلى الزاوية التي ينظر بها لتعريف الاستثمار، فمنها ما ينظر إليه من جانب اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي أو قانوني، وعرف الاستثمار بأنه استخدام المال أو تشغيله بقصد تحقيق ثمرة هذا الاستخدام فيكثر المال، وينمو على مدى الزمن<sup>63</sup>.

كما عرف الاستثمار بأنه: (الإنفاق على الأصول الرأسمالية خلال فترة زمنية معينة بمعنى الإضافة إلى أصول المؤسسة وتشمل المعدات والآلات والإصلاحات الجوهرية التي تؤدي إلى إطالة عمر الآلة وغيرها من الأصول أو زيادتها، وبالتالي فهو يعتبر الزيادة الصافية في رأس المال الحقيقي للمجتمع)<sup>64</sup>.

ويعرف بأنه: كل اكتساب لأموال من أجل الحصول على منتج أو استهلاكه<sup>65</sup>. والاستثمار هو توظيف المال بهدف تحقيق العائد أو الربح والمال عموماً، وقد يكون الاستثمار على شكل مادي ملموس أو على شكل غير مادي<sup>66</sup>.

و كما هو متعارف بارتباط الاستثمار بمصطلح المخاطرة والتضحية فمن الممكن أن يعرف الاستثمار بأنه: التضحية بإنفاق مالي معين الآن في مقابل عائد متوقع حدوثه في المستقبل<sup>67</sup>.

ويمكن القول بأن الاستثمار هو "عملية تحويل ما لدى الشخص من أموال عامة وعاطلة إلى أصول أخرى"<sup>68</sup>.

الاستثمار هو العامل الرئيسي للتنمية والنمو الاقتصادي في الأجل الطويل، فقد ساهمت الاستثمارات في الوصول إلى مستوى معيشة مرتفع في الدول المتقدمة وبعض الدول النامية، فالاستثمار يخلق أساسيات التنمية، وندرة رأس المال والاستثمار يؤثر في التنمية، وكذلك على عوامل الإنتاج الأخرى، وللإسراع في التنمية لا بد أن تواكبه زيادة الاستثمارات واستغلال الطاقات والإمكانيات المتاحة للمجتمع أحسن استغلالاً<sup>69</sup>.

عرفه معهد القانون الدولي بأنه: (توريد الأموال والخدمات بهدف تحقيق ربح مادي أو سياسي، ويمكن أن يكون الاستثمار من أموال معنوية)<sup>70</sup>.

<sup>63</sup> إبراهيم متولي المغربي، دور حوافز الاستثمار في تعجيل النمو الاقتصادي، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2011م، ص 22.  
<sup>64</sup> فهدى هيكيل عبد العزيز، موسوعة المصطلحات الاقتصادية والإحصائية، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة (2)، 1985، ص 956.  
<sup>65</sup> قريوع عليو، قانون الاستثمار في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص 20.  
<sup>66</sup> طاهر حيدر جردان، مبادئ الاستثمار، المستقبل للنشر والتوزيع، عمان، 1997م، ص 30.  
<sup>67</sup> منصور الزين، تشجيع الاستثمار وأثره على التنمية الاقتصادية، دار الراجحة للنشر والتوزيع، عمان، 2012م، ص 17.  
<sup>68</sup> إبراهيم متولي المغربي، دور حوافز الاستثمار في تعجيل النمو الاقتصادي، مرجع سابق، ص 23.  
<sup>69</sup> منصور الزين، آليات تشجيع وترقية الاستثمار كأداة لتمويل التنمية الاقتصادية، دكتوراه، جامعة الجزائر، 2006، ص 20.  
<sup>70</sup> عبد العزيز سعد يحي، المركز القانوني للمستثمر الأجنبي في اليمن ومصر، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة (1)، 1999، ص 21-22.

المشرع السوداني لم يعرف الاستثمار إنما عرف (المال المستثمر) في المادة (2/5) من قانون تشجيع الاستثمار لسنة 1999م تعديل لسنة 2003م بأنه: (المال المستثمر يقصد به النقد الأجنبي القابل للتحويل، المحول عن طريق أحد المصارف المسجلة لدى بنك السودان، الذي يستخدم في إنشاء المشروع أو تشغيله أو تحديثه أو إعادة تعميمه أو التوسع فيه)<sup>71</sup>.  
ثانياً: أهمية الاستثمار:

الاستثمار له أهمية كبيرة في الحياة الاقتصادية للمجتمع، فهو يساهم في زيادة الدخل القومي وزيادة الثروة الوطنية، وذلك لأن الاستثمار يمثل نوعاً من الإضافة إلى الموارد المتاحة أو تعظيم هذه الموارد أو تعظيم درجة المنفعة التي تنجم عن الموارد المتاحة، ومساهمة الاستثمار في إحداث التطور التكنولوجي وذلك من خلال إدخال التكنولوجيا الحديثة والمتطورة، وتكيفها مع الظروف الموضوعية للمجتمع، ومساهمة الاستثمار في محاربة الفقر والجهل وبعض أشكال التخلف ومكافحة البطالة من خلال استخدام الأيدي العاملة، وذلك لأن للعمل انعكاسات هامة على حياة الأفراد ومستقبلهم، وأن العمل يمكن العامل من الحصول على دخل يستطيع به أن يعيش من ناحية وأن ينفق على التعليم<sup>72</sup>.

يعد الاستثمار في البلاد نشاط اقتصادي يستند إلى المدخرات الوطنية سواء كانت لدى الأفراد أو المؤسسات أو المنشآت العامة والخاصة، ويؤدي إلى زيادة المقدرة الإنتاجية<sup>73</sup>.

يؤدي الاستثمار إلى زيادة الناتج المحلي الإجمالي في البلد المضيف للاستثمار وتحسين نوعية المنتجات بخاصة في حالة المشاريع الاقتصادية المشتركة كشركات فرعية للشركات متعددة الجنسيات مع شركات البلد النامي أو من خلال إقامة مشروعات جديدة للشركات الأجنبية في البلد المضيف، والذي يتميز بمواصفات الجودة العالية ومزايا الحجم الكبير، وهذا يؤدي إلى فتح الأسواق العالمية أمام تلك المنتجات، الذي يؤدي إلى تطوير القطاعات الاقتصادية ذات الإنتاجية العالية ويعدل الاختلالات الهيكلية في الاقتصاد، ولذلك فإن الاستثمار الأجنبي يحفز الاستثمار المحلي من خلال آثار الروابط الصناعية أي شراء المنتجات المحلية و تجهزها بالمدخلات الوسيطة<sup>74</sup>.

كما أن للاستثمار أهمية كبيرة في التأثير على التنمية والنمو الاقتصادي فهو يؤدي إلى استغلال الموارد المتاحة وزيادة الطاقة الإنتاجية وتنوعها، ويسهم الاستثمار في تشجيع المنافسة وبالتالي زيادة تكوين الثروات وتنميتها على مستوى الدولة والأفراد<sup>75</sup>.

<sup>71</sup> قانون تشجيع الاستثمار السوداني لسنة 1999م تعديل لسنة 2003م، المادة (2/5).

<sup>72</sup> سعدية غالم، السياسة المالية ودورها في تفعيل الاستثمار المحلي، رسالة ماجستير، جامعة البويرة، 2015م، ص 47.

<sup>73</sup> عدنان مناتي، مبادئ علم الاقتصاد (الجزئي والكلي)، مطبعة المروعة، 2015م، ص 176.

<sup>74</sup> هناء عبد الغفار، الاستثمار الأجنبي المباشر والتجارة الدولية، بيت الحكمة، بغداد، 2002م، ص 1.

<sup>75</sup> منصور الزين، تشجيع الاستثمار وأثره على التنمية الاقتصادية، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، 2012م، ص 23.

ومن المنافع التي يحققها الاستثمار للدول النامية توفير فرص العمل وتخفيض نسبة البطالة<sup>76</sup>، وتنمية رأس المال البشري، ورفع مستوى القوى العاملة بحيث يؤدي إلى الحصول على التقدم العلمي والتكنولوجي في البلد المضيف، بوصف هذا التقدم عاملاً مهماً في العملية الإنتاجية، ويتم الحصول على هذا التقدم من خلال تقديم حزمة من نظم وأساليب الإنتاج والتسويق والمعرفة الفنية بخاصة إذا ما اتجهت التكنولوجيا إلى القطاعات التحويلية<sup>77</sup>.

تحرص الدول على الاندماج في كيانات اقتصادية كبيرة كمحصلة للمكاسب العديدة التي تحصل عليها نتيجة لوفورات الحجم والتخصص الإنتاجي الذي يستند إلى المزايا النسبية التي تتمتع بها كل دولة من دول التكتل وهو ما يعمل على ارتفاع القدرة التنافسية لمنتجات هذه الدول ومن ثم زيادة معدلات النمو الاقتصادي بها وتوفير المزيد من فرص العمل ومعدلات البطالة، هذا بالإضافة إلى المزايا التي تجنّبها من وراء تحسين شروط التبادل التجاري وتيسير انتقال السلع والخدمات والأفراد ورؤوس الأموال والمعرفة الفنية<sup>78</sup>.

#### ثالثاً: مزايا الاستثمار وعيوبه:

ومن المزايا التي يحققها الاستثمار تدريب العمالة المحلية التي تتاح لها فرص العمل بفروع الشركات الأجنبية وإكسابها المهارات التكنولوجية الحديثة باستخدام أحدث أساليب العمل والتدريب، ويقوم العاملون بهذه الفروع بنقل واستخدام مهاراتهم ومعرفتهم العلمية والفنية والإدارية إلى الشركات الوطنية عندما يلتحقون بالعمل بها. في حين يؤخذ على ذلك أنه في بعض الحالات لا يؤدي الاستثمار الأجنبي إلى دور ملحوظ في مجال إكساب العمالة الوطنية المهارات التكنولوجية الحديثة بسبب ضآلة فرص العمل التي تنتجها تلك الاستثمارات لاستخدامها تكنولوجياً كثيفة رأس المال<sup>79</sup>.

الاستثمار الأجنبي له تأثير إيجابي على تطور رأس المال البشري من خلال التدريب، وتحويل المهارات، المعرفة الإدارية والخبرة للعمال والموظفين المحليين، وللموردين الذين يتعاملون معهم، لذلك يعتمد الأثر الكلي للاستثمار الأجنبي في البلد المضيف على الأهمية الكمية النسبية لإمكانية هذه الطرق، ولكي تعمل أداة الترابط الإيجابي ورأس المال البشري فإن حداً معيناً من قدرة الامتصاص للبلد المضيف من حيث مستوى التقنية، مستوى التعليم للقوى العاملة، مستوى البنية التحتية، والتطور المؤسسي والمالي تعتبر الان مهمة، مثلاً – الافتقار إلى مؤسسات مالية متطورة سوف يحرم المنشآت المحلية والأجنبية من الحصول على موارد مالية لرفع مستوى التقنية المرغوب فيها الذي حفزت بواسطة أداة الترابط، وفي المقابل فإن أسواق المال تعمل بشكل جيد سوف تسمح بالتخصيص الكفاء للتقنية الذي يحسن الاستثمار، بالإضافة إلى

<sup>76</sup> محمد طاقة وآخرون، الاستثمار العربي وأثره على الاقتصاد الجزئي، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد (17)، 2008م، ص 24.

<sup>77</sup> عدنان مناتي، أهمية الاستثمار الأجنبي المباشر في تعزيز التنمية المستدامة (البعد الاقتصادي)، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد (52)، 2017م، ص 9.

<sup>78</sup> معاوية أحمد حسين، الاستثمار الأجنبي المباشر وأثره على النمو والتكامل الاقتصادي بمجلس التعاون لدول الخليج العربية، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الاقتصاد والإدارة، مجلد 28، العدد (2)، 2014م، ص 126.

<sup>79</sup> حسين عبد المطلب الأسج، الاستثمار الأجنبي المباشر في الدول العربية: الواقع والطموحات، مجلة شئون اجتماعية، السنة (23)، العدد (92)، 2006م، ص 13.

أن الافتقار للتعليم الكافي للقوى العاملة المحلية قد يخفي التحول السهل للمهارات من الشركات متعددة الجنسيات إلى العمالة المحلية التي حفزت بواسطة أداة رأس المال البشري، لذلك في ظل الافتقار إلى مستوى كاف من قدرة الامتصاص وفي حالة التأثير السالب لهذه الأدوات فإن الاستثمار الأجنبي قد يكون له أثر سلبي على النمو الضعيف، ولكن إذا كان مستوى قدرة الامتصاص كافياً للاستثمار الأجنبي ليكون له مردود إيجابي من خلال أداتي الترابط والمهارات فإن ذلك قد يؤدي إلى أثر إيجابي للاستثمار الأجنبي على النمو<sup>80</sup>.

ولا يمكن تجاهل دور الاستثمارات الأجنبية في تحقيق معدلات نمو ملحوظة وسريعة في حصص تصدير السلع الصناعية للدول النامية مما يؤثر على النمو الاقتصادي لتلك الدول، وهذا ما يفسر تنافس الدول النامية للفوز بأكبر حصة ممكنة من الاستثمارات الأجنبية، واعتمادها الكثير من الامتيازات والتسهيلات والحوافز لجذب المستثمرين، وفي حين فتحت بعض الدول المجال أمام الاستثمار الأجنبي في كافة القطاعات،، فقد قامت دول أخرى باستثناء بعض القطاعات باعتبارها إستراتيجية أو تمس الأمن القومي والاقتصادي للدولة.

أما الانتقادات الموجهة للاستثمار الأجنبي تتمثل في تمييز الشركات الأجنبية في الدول المضيفة بين العمالة الأجنبية ومثيلاتها في الدول المضيفة فيما يتعلق بالأجور، إذ يمنح العاملون الأجانب أجوراً عالية مقارنة بتلك الممنوحة لعمالة الدول المضيفة، كما أن جزءاً كبيراً من تلك الأجور يوجه إلى منتجات تلك الشركات وما ينطوي عليه من حدوث تغيير في النفط الاستهلاكي للدول المضيفة تجاه المنتجات الوطنية، لقد أشارت إحدى الدراسات التي أجريت في هذا الإطار على بنوك الاستثمار والأعمال في مصر عام 1994م إلى أن أجر الموظف الأجنبي وصل إلى أكثر من ضعف الموظف المصري في تلك البنوك، وحوالي ثلاثة أمثاله في البنوك المشتركة.

وعيوب الاستثمار على البلد النامي يمكن أن تتمثل في استخدام الشركات الأجنبية إنتاج كثيف رأس المال بخاصة في البلد النامي المضيف ذي الكثافة السكانية العالية لا يؤدي إلى معالجة البطالة وتوفير فرص العمل، وربما يؤدي إلى زيادة حجم البطالة، كما يؤدي الاستثمار إلى خلق أعباء على الاقتصاد النامي المضيف كمسألة تحويل الأرباح وتحويل جزء من مرتبات العاملين الأجانب إلى دولهم، مما يشكل عبئاً على موارد النقد الأجنبي وعلى ميزان المدفوعات.

**المحور الثاني: مفهوم عمل الشباب:**

**أولاً: مفهوم الشباب:**

يعرف الشباب بأنه: ( قطاع من المجتمع وصل إلى درجة النضج باحثاً عن تشكيل هويته، وتحديد دوره في مجتمعه وفقاً لأساليب التنشئة الاجتماعية والقيم التي يعتنقها عن اقتناع)<sup>81</sup>.

<sup>80</sup> معاوية أحمد حسين، الاستثمار الأجنبي المباشر وأثره على النمو والتكامل الاقتصادي بمجلس التعاون لدول الخليج العربية، مرجع سابق، ص 125.

<sup>81</sup> سعدي غالم، السياسة المالية ودورها في تفعيل الاستثمار المحلي، مرجع سابق، ص 21.

والأسرة بدورها تنظر عموماً إلى الشباب من زاوية السن، وقلة التجربة في الحياة ومحدودية الإدراك والتفكير، وعدم الاتزان فيما يخص توجهات المجتمع وقيمه<sup>82</sup>.

فمصطلح الشباب عند الباحثين العرب يتردد بين مفهومين اثنين هما مفهوم الفئة العمرية أو المرحلة العمرية، ومفهوم الفئة الاجتماعية<sup>83</sup>.

فمرحلة الشباب صعبة التحديد وهي تختلف من فرد لآخر ومن جنس إلى جنس، ومن ثقافة إلى ثقافة وتكون هذه الفروق من خلال المعايير التي يركز عليها الدارسون المختلفون<sup>84</sup>.

تعتبر فئة الشباب من المراحل العمرية المهمة في حياة الإنسان، وذلك من خلال النمو في جميع النواحي سواء الجسمية أو العقلية أو النفسية، كما لهذه الشريحة المجتمعية دور فعال من خلال إحداث التغيير والتطور في أي مجتمع، كما يمكن أن يكون الشباب عاملاً مؤثراً في ضعف القيم المجتمعية<sup>85</sup>.

ومن المعروف أن مرحلة الشباب خصائص مرحلية، فمن ناحية الجسمية يبدأ الجسم في الشكل لأخذ الصورة الكاملة للإنسان، ومن الناحية العقلية تتميز هذه المرحلة بيقظة عقلية كبيرة، فالمرهق يحتاج إلى حرية عقلية تمكنه من تلقي وترتيب وتحليل المعلومات، كما تتميز بطرح الأسئلة على نفسه والتشكك في المعتقدات والمبادئ والقيم، وفي هذه المرحلة يصعب إقناعه إلا بما يراه صحيح، فالشباب يكوّن فلسفة حياته الخاصة في هذه المرحلة، أما في مرحلة المراهقة يظهر اختلال التوازن ما بين الدوافع والإرادة وذلك من خلال ظهور المميزات الجنسية الثانوية، فيحتاج المراهق إلى إعادة التكيف وتحقيق توازن جديد بين دوافعه النفسية وبين ما يجب أن يفعله لإشباع هذه الدوافع<sup>86</sup>.

ومن الخصائص ذات الأهمية في مرحلة الشباب خاصية الفضول وحب الاستفسار بحثاً عن إجابات مقنعة للكثير من القضايا رمادية اللون بالنسبة له، هذا فضلاً عن ميل للاستقلال وتكوين رأي خاص في الموضوعات التي تهمهم وشعورهم بالتفكير وارتفاع مفاهيم ومحاولة معالجة الأمور والقضايا الاجتماعية والفكرية التي تمسه، بالإضافة للبحث عن المثل العليا والقيم الأخلاقية التي يرضي بها الجنس الآخر، كما يتسم الشباب بسرعة التغيير والميل للعنف وحب التجربة والمخاطرة والظهور والاهتمام بجسمه ومظهره وملبسه وأناقته.

<sup>82</sup> عيسى بوزغينة، قطاع الشباب واقع وآفاق، طبعة الرهبان الرياضي الجزائري، الطبعة الأولى، 2003م، ص13.

<sup>83</sup> محمد بشوش، ملامح الشبيبة العربية، في الخطب العلمي العربي، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، أشغال ملتقى الشباب والتغير الاجتماعي، تونس 8-14 نوفمبر 1982م، ص9.

<sup>84</sup> عزت حجازي، الشباب العربي ومشكلاته، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990م، ص28.

<sup>85</sup> سامية الساعاتي، الشباب العربي والنمو الاجتماعي، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة (1)، 2003م، ص78.

<sup>86</sup> أحمد كمال أحمد، منهاج الخدمة الاجتماعية في خدمة الجماعة، مكتب الخانجي، القاهرة، 1979م، ص190.

لا تزال غالبية الدراسات والإحصائيات تعتمد تعريف الجمعية العامة للأمم المتحدة لعام 1985م الذي حدّد مفهوم الشباب: بأنهم الأفراد الذين تقع أعمارهم ما بين 15 إلى 24 سنة، وقد أثار هذا التعريف- ولا يزال- نقاشاً واسع النطاق حول مدى ملاءمته للواقع العملي المتنوع في مختلف دول العالم، كما أن نقاشاً حيويّاً قد جرى خلال عامي 1997-1998 إعداد نص اتفاقية رقم (182) الخاصة بمنع أسوأ أشكال عمل الأطفال حول الفرق بين تعريف (الطفل) و (الشاب)، وقد تم خلال منتدى الشباب الدولي في داكار- السنغال، في أغسطس 2001م الطلب من الأمم المتحدة إعادة النظر في تعريف الشباب، برفع الحد الأقصى للسّن ليصل إلى (30) عاماً، حتى يفي بمتطلبات تعريف الشباب خاصة في البلدان النامية، وقد كان الهدف من مرونة التعريف توسيع نطاق الحماية الاجتماعية خاصة في المراحل الانتقالية للفرد من عالم الطفولة إلى عالم غير الشباب بالإضافة إلى ذلك فإن عوامل ذات صلة مباشرة بعناصر سوسولوجية واقتصادية وسياسية في مختلف المجتمعات تلعب دوراً أساسياً في تعاملها المعياري والفعلي مع فئة الشباب، ويمكن القول بأن النقاش والجدل حول النطاق العمري لفئة الشباب يعكس بالفعل ديناميكية وحركية هذه الفئة الاجتماعية، ويدفعنا إلى تجنب النظرة الجامدة لها بوصفها قالب- عمري- منسجم وموحد يمكن التعامل معه وفق أسلوب واحد فقط، هناك فئات مختلفة داخل (فئة الشباب) ومراحل تحول ضمن المرحلة المسماة بالشباب، تجعل من حجم التحديات وتنوع المسؤوليات التي واجهها ذات طبيعة مركبة وشاملة<sup>87</sup>.

الشباب قد يكون طالب العمل لأول مرة، وقد قد يكون قد ألتحق بعمل وتعطل بعد ذلك، أو قد يكون قد ألتحق بأعمال هامشية ليس لها أي مردود مادي وهي تعد في حكم البطالة، ويمكن أن يصنف الشباب أيضاً باعتبار المؤهل الأكاديمي إلى الشباب من خريجي الجامعات والمعاهد العليا، والشباب الذين تلقوا تعليم دون المستوى الجامعي، والشباب الذين لم يتلقوا أي تعليم.

ثانياً: أهمية عمل الشباب:

الشباب هم القوة الأساسية وبناء المستقبل، ويعرف الشباب بأنه الحلقة بين مرحلة الطفولة ومرحلة اكتمال النضج الجسدي والنفسي والاجتماعي للإنسان، حيث تبدأ مرحلة الشباب بتطورات المراهقة والبلوغ وتنتهي بالنضج والاستقرار<sup>88</sup>، كما يعرف علماء الاجتماع الشباب بأنه ظاهرة اجتماعية من خلالها يكتسب الفرد المكانة الاجتماعية المخصصة له في المجتمع، وعموماً فإن الشباب مرحلة انتقالية لها مقوماتها النفسية والاجتماعية والبيولوجية والتاريخية سواء كانت هذه المرحلة الانتقالية هادئة أم عاصفة فإن فهمها ومواجهتها مرتبط بفهم كل مرحلة من مراحل العمر على حدة ومقارنتها بالمراحل الأخرى.

<sup>87</sup> أحمد خطابي، بطالة الشباب في الوطن العربي - دراسة تحليلية إحصائية، سلسلة تحديات المجتمع العربي، ص 110.

<sup>88</sup> محمد سلامة غباري، الخدمة الاجتماعية ورعاية الشباب في المجتمعات الإسلامية، المنكب الجامعي الحديث، الإسكندرية، الطبعة (2)، 1989م، ص 20.

الشباب هم أهم شريحة في المجتمع، لذا توضع عليهم عدة آمال لكونهم يمثلون قوة اجتماعية حاملة لمعايير وقيم جديدة، إضافة إلى كونهم قوة عاملة لها خصائص ومميزات<sup>89</sup>.

فالشباب ينتظر ضمان نوع من مستقبله الذي يؤهله إلى العيش في رفاهية، وبالتالي يسعى إلى الحصول على نوع من التكوين المساعد على ضمان مستقبله<sup>90</sup>.

تؤكد كافة الوثائق الصادرة عن منظمة العمل الدولية والمؤتمرات والندوات الدولية التي عالجت موضوع الشباب في عالمنا الراهن على ضرورة اعتبار الشباب مصدر قوة للمجتمعات والدول وليس عبئاً عليها، ونقطة البداية في محاولة صياغة منظور جديد عن الشباب تركز على الجوانب الإيجابية المميزة لسن الشباب، كإكتشاف الطاقات الكامنة فيهم، وإتاحة الفرصة لإشراكهم في حل المشكلات التي يعانون منها، وهذا هو الأسلوب الذي يعبر عنه بمفهوم تمكين الشباب<sup>91</sup>.

فشل برامج تشغيل الشباب في الوطن العربي، ففي إطار الحملة العالمية لتشغيل الشباب طالبت الأمم المتحدة دول العالم بالشروع في إعداد خطط عمل قطرية، لمواجهة تحدي تشغيل الشباب، حيث قام فريق رفيع المستوى تابع لشبكة عمالة الشباب للأمم المتحدة، بتحديد أربع أولويات عليا لجميع خطط العمل القطرية المتعلقة بعمالة الشباب، وهي: أولاً، الإعداد للعمل من خلال الاستثمار في التعليم وفي التدريب المهني للشباب.

ثانياً، المساواة في فرص العمل الجديدة بين الشباب والشبان.

ثالثاً: استحداث المشاريع والتحكم في إدارتها بحيث تعطي مزيداً من فرص العمالة الأفضل للشابات والشبان.

رابعاً: توليد فرص العمل ينبغي أن توضع مسألة توليد فرص العمل في مركز السياسات الاقتصادية الكلية<sup>92</sup>.

وتعتبر البطالة- وبطالة الشباب على وجه الخصوص إحدى أخطر المشكلات التي تواجهها دول العالم على حد سواء، والتي تعد آفة ومعضلة العصر، فمعدل بطالة الشباب في العالم حسب التقديرات الدولية وصلت إلى نسبة عالية تفوق 13%، ويعاني الشباب من البطالة مما يتطلب الوقوف عنده، وإعطائه قدراً من الأهمية، وتعتبر مشكلة بطالة الشباب في أي بلد ظاهرة من أهم التحديات التي تواجهها في المرحلة الراهنة، إضافة إلى الرصيد المتراكم من المتعطلين، ومن أهم الأسباب المؤدية إليها حدوث خلل كمي بين قوة العمل المتوفرة وفرص العمل المتاحة في سوق العمل، إذ يزداد الاعتراف في

<sup>89</sup> مليكة لعقاب، التصورات الاجتماعية للبطالة لدى الشباب الجزائري- دراسة لعينة من الشباب العاملين والبطالين، المجلة الجزائرية للطفولة والتربية، المجلد (4) العدد (1) يناير 2016م، ص60.

<sup>90</sup> زواوي بن كروم، الشباب والعمل في الجزائر، مجلة أبعاد، عدد خاص يناير 2014م، ص142.

<sup>91</sup> أحمد خطابي، بطالة الشباب في الوطن العربي - دراسة تحليلية إحصائية، مرجع سابق، ص110.

<sup>92</sup> توصيات فريق العمل التابع لشبكة عمالة الشباب، الأمم المتحدة سبتمبر 2001م.

جل بلدان العالم بأن كلا من البطالة والفقر هما عاملان متلازمان، وان البطالة تعتبر تهديداً مباشراً لاستقرار السياسي في أي بلد، وتؤثر على خطط التنمية الاقتصادية<sup>93</sup>.

كل ذلك يستوجب وضع خطط وسياسات لتشغيل فئة الشباب داخل المجتمع وتوفير وخلق فرص العمل لهم، ويجب أن تكون هذه الخطط على المدى القصير والبعيد، وتكون هذه الخطط والسياسات مدعومة من جانب التشريعات باعتبارها أحد أهم الآليات التي تساهم في وضعها موضع التنفيذ من قبل الجهات المختصة.

**المحور الثالث: دور تشريعات الاستثمار في عمل الشباب:**

تشكل قوة العمل عنصر مهماً من عناصر تكلفة الإنتاج، بحيث أن تحقيق الاستثمار أعلى الأرباح الممكنة يتوقف على هذا المحدد، فحينما تكون هذه التكلفة عالية عامل غير مشجع لقيام هذا الاستثمار، وبالعكس حينما تكون هذه التكلفة منخفضة تؤدي إلى تشجيع الاستثمار، بجانب إنتاجية عنصر قوة العمل فإذا كانت هذه الإنتاجية عالية تجذب الاستثمار الأجنبي وبالعكس حينما تكون منخفضة.

يؤثر الاستثمار الأجنبي المباشر بصورة إيجابية على الإنتاج والتوظيف، ولكن بدرجات متفاوتة من دولة مضيضة إلى أخرى، ففي اقتصاديات الدول النامية قد تكون هناك فرص استثمارية عديدة، ولكن الشركات الوطنية لا تستطيع أن تستغل هذه الفرص الاستثمارية الوطنية المتاحة، لأسباب تتعلق بضعف إمكانياتها المالية والفنية، في حين تتوفر لدى المستثمر الأجنبي القدرات المالية والفنية اللازمة لاستغلال هذه المشاريع لما يتوفر لديه من خبرة ومعرفة بالفنون الإنتاجية والتسويقية، وبذلك سيكون أكثر كفاءة في تنفيذ المشروعات في الدول المضيفة، مما يؤدي إلى خلق فرص عمل ودخول جديدة، وتزداد العمالة مع تصدير السلع الكثيفة العمالة نسبياً، ويختلف حجم المساهمة للاستثمار الأجنبي المباشر في الإنتاج والتوظيف بحسب مدخلات الإنتاج ذات المصدر الوطني وليس الأجنبي، وكذلك العمالة الوطنية وليس الأجنبية، أي حسب حجم القيمة المضافة المتولدة من خلال عناصر إنتاج وطنية وليس أجنبية<sup>94</sup>.

الاستثمارات الأجنبية لها دور هام في النهوض بمستويات التوظيف من خلال فرص العمل المباشر التي يتيحها تدفق رؤوس الأموال الأجنبية إلى داخل الدول المضيفة، وكذا حجم الفوائض والأرباح المعاد استثمارها محلياً، بل والأهم من ذلك من خلال ما توفره من فرص عمل غير مباشرة والتي تتحقق عن طريق الروابط مع الصناعات المحلية، ورفع مستوى الإنتاجية في المجتمع، وتغيير نمط توزيع الدخل لصالح الفئات ذات الميل المرتفع للدخار والاستثمار، كما أن دراسات أخرى تشير إلى عكس ذلك<sup>95</sup>.

<sup>93</sup> بوعلام معوشي - و ليندة كحل الرأس، التجربة الجزائرية في تشغيل الشباب، مجلة الأبحاث اقتصادية لجامعة البليدة، العدد (19)، ديسمبر 2018م، 2018م، ص33.

<sup>94</sup> منصور الزين، آليات تشجيع وترقية الاستثمار كأداة لتمويل التنمية الاقتصادية، دكتوراه، جامعة الجزائر، 2006، ص324.

<sup>95</sup> محمد فتحي صقر، الأنماط السلوكية للشركات المتعددة الجنسيات وتأثيرها على مستويات التشغيل، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 1989م، ص7.

يلقى الاستثمار في الموارد البشرية اهتماماً متزايداً من المنظمات المعاصرة باعتباره الوسيلة الأفضل لإعداد وتنمية الموارد البشرية وتحسين أدائها، وينطلق هذا الاهتمام المتزايد بالموارد البشرية من الاعتراف بأهمية الدور الذي تلعبه الموارد البشرية في تنمية وتطوير القدرات التنافسية للمنظمات وابتكار السلع والخدمات وتفعيل الاستخدام المناسب للتقنيات والموارد المتاحة للمنظمات، وذلك لأن المورد البشري هو مصدر الأفكار والأداة الرئيسية في تحويل التحديات إلى قدرات تنافسية، والمشاركة الفعالة للعقل البشري وطاقتها الذهنية هي مصدر المعرفة وأساس القدرة الابتكارية وتحويل الأفكار إلى منتجات وخدمات ترضي العملاء. كما أن الاستثمار يؤدي لتحسين وتطوير الأداء هو استثمار وتنمية قدرات الأفراد وتحفيزهم للإجادة في الأداء حيث تبنى القدرات للأفراد وتنمو بالتخطيط والإعداد والعمل المستمر للتحسين والتطوير في كل مجالات الأفراد<sup>96</sup>.

لا شك أن جذب مزيد من الاستثمار الأجنبي يتطلب تنمية العنصر البشري ونوعيته والارتقاء بمستوى مهارته وبصفة خاصة تطوير وخلق الكفاءات والكوادر (رأس المال البشري) القادرة على توليد التكنولوجيا الأكثر ملاءمة للظروف المحلية، وتؤكد ورقة نشرها صندوق النقد الدولي بوجود علاقة طردية بين الاستثمار الأجنبي والنمو في الدول النامية تبعاً لما يطلق عليه (محددات رأس المال البشري)<sup>97</sup>.

تقوم كافة السياسات على افتراض أن الشباب يمثلون شركاء أساسيين وعناصر فاعلة من أجل التنمية المستدامة والسلم وتكوين المجتمعات وتطويرها وتجديدها، وذلك بسبب اعتماد كافة الأعمار الأخرى على أفراد هذه الشريحة، حيث تُوفر الزيادة النسبية في عددها فرصة للنمو الاقتصادي.

إن موضوع الشباب يحظى بأهمية خاصة، لأنه يتعلق بفئة عمرية مهمة في الاستراتيجيات، وحصص الفئة المستهدفة من الشباب عنصر حاسم لتحقيق هدف نهوض الشباب وبعث مشاركتهم في المجتمع<sup>98</sup>.

ويتطلب توظيف الشباب توجيه الاستثمارات نحو قطاعات المستقبل، وخاصة قطاع تقنيات المعلومات والاتصالات الذي يستوعب عدداً كبيراً من الشباب المتعلم، أنه القطاع الذي يضم الأنشطة التي تسهل عبر استخدام الوسائط الإلكترونية، حصر وتخزين ومعالجة ونقل وعرض المعلومات، وقد أكد تقرير الشباب للأمم المتحدة على ضرورة الاستثمار في هذا المجال، مع التحذير في عدم المبالغة باعتباره "العلاج الشافي" لمشاكل البطالة، المهم هنا هو إدراك الخيارات المتاحة، حيث توجهه الاستثمارات الهادفة لتوليد فرص العمل وعدم النظر في اتجاه واحد فقط، إن السعي المطلوب سيكون في بحث التكامل والتوازن الممكنين بين الاستثمارات الكثيفة العمالة والاستثمارات في قطاع التقنيات المتطورة وتواجه البلدان العربية هذا التحدي بدرجات متباينة انطلاقاً من اختلاف البنية الاقتصادية وتركيب أسواق العمل لديها.

<sup>96</sup> عبد الله بن عبد العزيز آل الشيخ، الاستثمار بالموارد البشرية، سلسلة محاضرات وندوات مركز الجلد والحساسية، 6 نوفمبر 2008م، ص1.

<sup>97</sup> حسين عبد المطلب الأسرج، الاستثمار الأجنبي المباشر في الدول العربية: الواقع والطموحات، مرجع سابق، ص20.

<sup>98</sup> خالد صديق خوجة- يعي لعمارة محامد، تطور فئة الشباب في الجزائر (1966-2018) مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد (6)، العدد (1) يناير 2020م، ص69.

إن اهتمام الدولة بقضايا التشغيل وتكثيف الجهود لمواجهة ظاهرة البطالة والفقر، ونظراً لأهمية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في اقتصاديات الدول بمختلف درجات نموها لما لها من قدرات على المساهمة في امتصاص البطالة كهدف أساسي، إضافة إلى مساهمتها في تحقيق الناتج الوطني، فإن الجزائر كغيرها من الدول وضعت أجهزة لدعم هذه المؤسسات، والوكالة الوطنية لدعم الشباب تعتبر من أهم هذه الأجهزة والتي خصصت لفئة الشباب الراغبين في إنشاء مؤسسات ذات طابع إنتاجي أو خدماتي من أجل إيجاد مناصب الشغل<sup>99</sup>.

هناك بعض الدول حرصت على نص في تشريعاتها الخاصة بالاستثمار على تقييد المستثمرين بتوظيف نسبة من الأيدي العاملة الوطنية بشروط محددة، خاصة في حالة توافر الخبرات لدي القوي العاملة الوطنية، فهي بذلك تسعى إلى الاستفادة من عمليات الاستثمار التي تجري داخل أراضيها لتحسين دخل الأفراد، ومعالجة مشكلة البطالة، والاستفادة من الخبرات والتكنولوجيا للكوادر الوطنية، وقد جاءت هذه النصوص بصورة عامة ولم تخصص فئة من الأيدي العاملة دون أخرى، لكن هذا لا ينفي استفادة فئة الشباب من مثل هذا القيد على المستثمر، بحيث تشكل فئة الشباب نسبة كبيرة من فئات القوي العاملة، وهي بالتالي تكون حاضرة في مثل هذا التوظيف، ومن ذلك ما جاء في قانون الاستثمار الأجنبي الكويتي بالقانون رقم (10) لسنة 1999 في المادة (1/13) حيث نصت على: (على المستثمر الأجنبي: إعطاء الأولوية للعمالة الوطنية في حالة توافرها والعمل على تدريبها وإكسابها المهارات اللازمة)<sup>100</sup>.

فيما نص المشرع المصري في قانون الاستثمار رقم (72) لسنة 2017م في المادة (2/2) على المبادئ التي تحكم الاستثمار بالآتي: (دعم الدولة للشركات وزيادة الأعمال والمشروعات متناهية الصغرة والمتوسطة لتمكين الشباب وصغار المستثمرين)<sup>101</sup>. ونجد أن هذا المبدأ قد خصص فئة الشباب بضرورة دعم الدولة له من خلال دعم مشاريع الاستثمار الصغيرة والمتوسطة.

لم تشر المادة (28) من قانون تشجيع الاستثمار القومي السوداني لسنة 2013م (واجبات المستثمر) على أي واجب يتضمن تشغيل عمالة وطنية ولو بنسبة معينة أو بشروط محددة، وفي تقديرنا أن هذا القانون قد أفرط كثيراً في التحفيز وتشجيع الاستثمار بصورة لم تمكنه من فرض المزيد من القيود والواجبات على المستثمر فيما يخص الأيدي العاملة الوطنية، فيما نصت المادة (29) (ضمانات وتسهيلات الاستثمار) في الفقرة (3) إلى أبعد من ذلك، حيث نصت على الآتي: (يتمتع المستثمر بالآتي: أ/ إستجلاب العمالة المرخص لها، وفقاً للشروط والضوابط التي تحددها القوانين واللوائح المنظمة

<sup>99</sup> نمر محمد الخطيب- شريفة جعدي- ريمة هيدوب، أثر التحفيز الجبائية على دعم سياسة الاستثمار في الجزائر، مجلة الأعمال والدراسات الاقتصادية، مجلد (6)، العدد (1)، يونيو 2020م، ص144.

<sup>100</sup> قانون الاستثمار الأجنبي الكويتي بالقانون رقم (10) لسنة 1999م، المادة (1/13)

<sup>101</sup> قانون الاستثمار المصري رقم (72) لسنة 2017م، المادة (2/2).

لذلك<sup>102</sup>. فهي بذلك ترخص للمستثمر أن يستجلب معه العمالة بالكيفية التي يراها، ولا يقيد في ذلك سوى الضوابط والقيود التي تحددها القوانين الخاصة بالأجانب، ولا شك أن المستثمر يسعى إلى استجلاب أرخص العمالة من البلدان الأخرى، ولأنه يهدف إلى تقليل تكلفة الانتاج وتحقيق أفضل الأرباح.

#### الخاتمة:

وتشمل النتائج والتوصيات على النحو التالي:

#### أولاً: النتائج:

- 1- هناك شبه اجماع على أن الاستثمار هو العامل الرئيسي للتنمية والنمو الاقتصادي في الأجل الطويل، وقد ساهم في الوصول إلى مستوى معيشة مرتفع في الدول المتقدمة وبعض الدول النامية، وبالتالي له تأثير كبير في التنمية البشرية وخلق فرص العمل ومعالجة مشكلة البطالة.
- 2- أن تشريعات الاستثمار في الكثير من البلدان ظلت تهتم بالاعتبارات الاقتصادية لجذب الاستثمار والسعي إلى تذليل العقبات أمام المستثمرين في حين أنها لا تراعي للجوانب الاجتماعية والثقافية والبيئية للمجتمع مما قد يؤثر سلباً على قدرة هذه التشريعات على أداء الدور المنوط بها.
- 3- علي الرغم من الاختلاف في تعريف مرحلة الشباب، إلا أن هناك اتفاق على ان فئة الشباب من الفئات بالغة الأهمية في المجتمع، ويقع على عاتقها بناء مستقبل البلدان، في الوقت الذي يعاني فيه الشباب عدة المشكلات أخطرها مشكلة البطالة وعدم توفر فرص العمل التي تؤمن لهم احتياجاتهم وتساهم في تحسين مستوى دخلهم.
- 4- يؤثر الاستثمار الأجنبي المباشر بصورة إيجابية على الإنتاج والتوظيف، ولكن بدرجات متفاوتة من دولة مضيفة إلى أخرى، وهو بذلك يؤثر على فئة الشباب بحيث يوفر لهم فرص عمل في المشاريع الاستثمارية.
- 5- هناك بعض التشريعات حرصت على وضع بعض القيود على المستثمرين تتعلق بتشغيل الأيدي العاملة الوطنية بشروط محددة في حالة توافرها، والبعض الآخر من التشريعات خصّ فئة الشباب بمزايا في تشريعات الاستثمار، في حين أهملت تشريعات الاستثمار في بعض الدول مثل تلك المزايا نظراً لإفراطها في تشجيع الاستثمار بصورة لم يتثنى لها وضع هذه القيود.

#### ثانياً: التوصيات:

- 1- السعي من جانب الدول لتشجيع الاستثمار باعتباره عنصر من عناصر التنمية الاقتصادية، ومراعاة الجوانب الاجتماعية والصحية للمجتمعات.

- 2- ضرورة مراعاة المشرعين لحقوق المجتمع في الاستفادة من الموارد البشرية المتمثلة في فئة الشباب وذلك بوضع قواعد قانونية تكفل لهم الحق في فرص العمل والحصول على حقوقهم الاجتماعية والاقتصادية.
- 3- السعي من خلال نصوص تشريعات الاستثمار لإيجاد توازن لحقوق المستثمرين في ضمان الحصول على ما هدفوا إليه نتيجة عملهم وحق المجتمع في الاستفادة من موارده الطبيعية والبشرية.
- 4- ضرورة وضع قواعد ومبادئ قانونية في تشريعات الاستثمار تراعي خصوصية الشباب في مجال تشغيلهم وحصولهم على نسبة من فرص العمل وتوفير قدر من التدريب الذي يؤهلهم لاكتساب الخبرات.

## المراجع:

### أولاً: كتب:

- 1/ إبراهيم متولي المغربي، دور حوافز الاستثمار في تعجيل النمو الاقتصادي، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2011م.
- 2/ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والتوزيع، بيروت، د.ت.
- 3/ أبو الحسن بن فارس ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هرون، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت.
- 4/ أحمد خطابي، بطالة الشباب في الوطن العربي - دراسة تحليلية إحصائية، سلسلة تحديات المجتمع العربي.
- 5/ أحمد كمال أحمد، مناهج الخدمة الاجتماعية في خدمة الجماعة، مكتب الخانجي، القاهرة، 1979م.
- 6/ توصيات فريق العمل التابع لشبكة عمالة الشباب، الأمم المتحدة سبتمبر 2001م.
- 7/ سامية الساعاتي، الشباب العربي والنمو الاجتماعي، المصرية اللبنانية، الطبعة (1)، 2003م.
- 8/ فهمي هيكمل عبد العزيز، موسوعة المصطلحات الاقتصادية والإحصائية، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة (2)، 1985م.
- 9/ الفيروزابادي، القاموس المحيط، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ت.
- 10/ قربوع عليو، قانون الاستثمار في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.
- 11/ طاهر حيدر جردان، مبادئ الاستثمار، المستقبل للنشر والتوزيع، عمان، 1997م.
- 12/ عبد العزيز سعد يحي، المركز القانوني للمستثمر الأجنبي في اليمن ومصر، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة (1)، 1999م.
- 13/ عبد الله بن عبد العزيز آل الشيخ، الاستثمار بالموارد البشرية، سلسلة محاضرات وندوات مركز الجلد والحساسية، 6 نوفمبر 2008م.



## مجلة الدراسات الإفريقية ومحوض النيل - العدد السادس عشر - يونيو 2022م



- 14/ عدنان مناتي، مبادئ علم الاقتصاد (الجزئي والكلي)، مطبعة المروءة، 2015م.  
15/ عزت حجازي، الشباب العربي ومشكلاته، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990م.  
16/ عيسى بوزغينة، قطاع الشباب واقع وآفاق، طبعة الرهبان الرياضي الجزائري، الطبعة الأولى، 2003م.  
17/ نمر محمد الخطيب- شريفة جعدي- ريمة هيدوب، أثر التحفيزات الجبائية على دعم سياسة الاستثمار في الجزائر.  
18/ محمد سلامة غباري، الخدمة الاجتماعية ورعاية الشباب في المجتمعات الإسلامية، المنكب الجامعي الحديث، الإسكندرية، الطبعة (2)، 1989م.

- 19/ منصور الزين، تشجيع الاستثمار وأثره على التنمية الاقتصادية، دار الراية، عمان، 2012م.  
20/ هناء عبد الغفار، الاستثمار الأجنبي المباشر والتجارة الدولية-، بيت الحكمة، بغداد، 2002م.

### ثانياً: الدوريات:

- 1/ بوعلام معوشي - و ليندة كحل الرأس، التجربة الجزائرية في تشغيل الشباب، مجلة الأبحاث اقتصادية لجامعة البليدة، العدد (19)، ديسمبر 2018م، 2018م.  
2/ زواوي بن كروم، الشباب والعمل في الجزائر، مجلة أبعاد، عدد خاص يناير 2014م.  
3/ حسين عبد المطلب الأسرج، الاستثمار الأجنبي المباشر في الدول العربية: الواقع والطموحات، مجلة شئون اجتماعية، السنة (23)، العدد (92)، 2006م.  
4/ خالد صديق خوجة- يحي لعمارة محامد، تطور فئة الشباب في الجزائر (1966-2018) مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد (6)، العدد (1) يناير 2020م.  
5/ عدنان مناتي، أهمية الاستثمار الأجنبي المباشر في تعزيز التنمية المستدامة (البعد الاقتصادي)، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد (52)، 2017م.  
6/ مجلة الأعمال والدراسات الاقتصادية، مجلد (6)، العدد (1)، يونيو 2020م.  
7/ محمد بشوش، ملامح الشببية العربية، في الخطب العلمي العربي، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، أشغال ملتقى الشباب والتغير الاجتماعي، تونس 8-14 نوفمبر 1982م.  
8/ محمد فتحي صقر، الأنماط السلوكية للشركات المتعددة الجنسيات وتأثيرها على مستويات التشغيل، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 1989م.  
9/ محمد طاقة وآخرون، الاستثمار العربي وأثره على الاقتصاد الجزئي، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد (17)، 2008م.  
10/ معاوية أحمد حسين، الاستثمار الأجنبي المباشر وأثره على النمو والتكامل الاقتصادي بمجلس التعاون لدول الخليج العربية، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الاقتصاد والإدارة، مجلد 28، العدد (2)، 2014م.



## مجلة الدراسات الإفريقية ومحض النيدل - العدد العاشر - ماي 2020م



11/ مليكة لعقاب، التصورات الاجتماعية للبطالة لدى الشباب الجزائري- دراسة لعينة من الشباب العاملين والبطالين،  
المجلة الجزائرية للطفولة والتربية، المجلد (4) العدد (1) يناير 2016م.

ثالثاً: الرسالة الجامعية:

1/ سعدية غالم، السياسة المالية ودورها في تفعيل الاستثمار المحلي، رسالة ماجستير، جامعة البويرة، 2015م.  
2/ منصوري الزين، آليات تشجيع وترقية الاستثمار كأداة لتمويل التنمية الاقتصادية، رسالة دكتوراه، جامعة  
الجزائر، 2006.

رابعاً: القوانين:

- 1/ قانون الاستثمار الأجنبي الكويتي بالقانون رقم (10) لسنة 1999م.
- 2/ قانون الاستثمار المصري رقم (72) لسنة 2017م.
- 3/ قانون تشجيع الاستثمار القومي السوداني لسنة 2013.
- 4/ قانون تشجيع الاستثمار السوداني لسنة 1999م تعديل لسنة 2003م.



التنمية في حوض سبو: صعوبات الواقع، ومطلب الجهوية المتقدمة

## Development in the Sebou Basin: Reality Difficulties, and the Demand for Advanced Regionalization

1. سهيل بوعاملات، طالب دكتوراة، الكلية المتعددة التخصصات تازة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس.

ouhayl.bouaamlat@usmba.ac.mas(المغرب)

ملخص: يعتبر حوض سبو من أهم الأحواض المائية بالمغرب، حيث يشتمل على 30% من مجموع الموارد المائية بالمملكة (حسب معطيات وكالة الحوض المائي لسبو). وتضم مساحته جتي فاس- مكناس والرباط - سلا - القنيطرة. إن هذين العنصرين جعلوا الحوض يكتسي طابعا استراتيجيا في الموقع والموارد، لعل السمة الاستراتيجية التي يحضى بها الحوض، هي التي وضعت أمامنا فكرة مقارنة موضوع الموارد الطبيعية لهذا المجال، والتساؤل عن جهد الفاعلين في استثمارها لتحقيق التنمية. لا شك أن رصد مؤهلات الحوض وإكراهات واقعه الحالي، وسبل تجاوز الصعوبات، سينير السبيل أمام وضع خطط النمو للنهوض بساكنة هاتين الجهتين. أما الوقوف على نقط القوة والضعف التي يعرفها حوض سبو، فستكشف لنا عما تتميز به المنطقة من إمكانات متنوعة، تسمح لنا بتحديد طبيعة العلاقة بين المجالات الحيوية ومطلب التنمية المحلية، كما أن تدخل الدولة، سيظهر من خلال استطلاع إمكانات حوض سبو واستشراف آفاقه في إطار الجهوية المتقدمة.

الكلمات المفتاحية: الجهة، الجهوية المتقدمة، التنمية، حوض سبو، نقط القوة والضعف.

**Abstract:** The Sebou basin is one of the most important hydrological basins in Morocco, as it contains 30% of the Kingdom's total water resources (according to the Sebou Hydrological Basin Agency), its areas include Fez-Meknes and Rabat-Sale-Kenitra. These two elements have given the basin a strategic character in terms of location and resources. Perhaps the strategic characteristic of the basin is what put us in front of the idea of addressing the issue of natural resources to this area, and the issue of actors' efforts to invest in it to achieve development. Monitoring the basin's qualifications and the constraints of its current situation, as well as ways of overcoming the difficulties, will undoubtedly be the basis for developing growth plans to improve the populations of these two regions. As for the identification of the strengths and weaknesses of the Sebou basin, it will show to us the diverse potential of the region, which will allow us to determine the nature of the relationship between vital areas and local development needs. State's intervention will also be shown through the exploration of the Sebou basin's potentialities and the exploration of its prospects within the framework of advanced regionalism

**.Keywords:** The region, advanced regionalism, development, Sebou basin, strengths and weaknesses.

## مقدمة

يقع حوض سبو، الغني بتنوعه الجيولوجي، شمال غرب المغرب، ويضم جهتي فاس- مكناس وهي عالية الحوض، وجهة الرباط-سلا-القنيطرة وهي سافلة الحوض، مما جعله يحظى بموقع استراتيجي. إن استفادة حوض سبو من هذا الوضع المتميز، استدعى تطوير جميع خدماته الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، والانخراط في سيرورة الجهوية المتقدمة كركيزة أساسية للرفع من جودة هذه الخدمات قصد التحقق التنمية.

تحضر الجهوية المتقدمة كتصور في ذهن الفاعلين وعلى جميع مستوياتهم، فهي عنصر أساسي للاستجابة لإنتظارات المجتمع، وهي فرصة بالنسبة للسكان لتوفير حاجاتهم ومتطلباتهم بأنفسهم، والبحث عن حلول لمشاكلهم المطروحة والتي تكون الدولة قد عالجتا بطريقة غير كافية. تتوخى الجهوية المتقدمة، بكل أبعادها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية تعزيز وزيادة رفاهية الفرد، وتأمين موارد المجال لصالح الساكنة<sup>103</sup>، فهي تقتضي منح صلاحيات التسيير ومسؤولية القرار للفاعلين المحليين مما يتيح نمو المجتمع. لا تبتعد التنمية عن هذا المبتغى، فإذا كانت الجهوية هي إعادة توزيع الصلاحيات المركزية نحو الجهات، فإن التنمية تقوم على التشاركية والتوافقية<sup>104</sup>، فهي ممارسة حضارية تكمل الأولى وتدعمها خدمة للمجتمع.

بمقتضى هذا الحال، يبرز حوض سبو كمجال يضم جهتين مهمتين (فاس-مكناس) و(الرباط -سلا- القنيطرة)، مما يتطلب منا الوقوف على الثوابت والمتغيرات التي تعرفها كل جهة، وتحديد طبيعة العلاقة بين المجالات الحيوية ومطلب التنمية فيها، مع التركيز على تدخل الدولة ومدى نجاعتها في تقليص الفوارق المجالية بهاتين المنطقتين.

## إشكالية الدراسة

تروم تساؤلات هذه الدراسة، تناول القضايا البنوية لحوض سبو، إذ نعتقد أن الإمساك بمفتاح النهوض بالمجال، يستوجب، حتما اعتماد الجهوية المتقدمة. للبحث في هذا الموضوع، قسمناه حسب الطبيعة الجغرافية للحوض وهي:

- ✓ عالية سبو: جهة فاس - مكناس؛
- ✓ سافلة سبو: جهة الرباط - سلا - القنيطرة.

انطلاقا من هذا التقسيم الجغرافي، ستركز دراستنا بالأساس على مقارنة الإشكالية التالية:

<sup>103</sup> المملكة المغربية: تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، متطلبات الجهوية المتقدمة وتحديات إدماج السياسات القطاعية، ص.61، (2016).  
<sup>104</sup> أحمد سعيد الكتي، مفهوم التنمية: الدلالات والأبعاد، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية (المجتمع المدني والتنمية، أسئلة ومقاربات متقاطعة)، العدد العاشر، ص.21، (2020).

إلى أي حد يستطيع حوض سبو، بإمكاناته الطبيعية المتوفرة، وقدراته الاقتصادية الحالية تحقيق تنمية مجالية وأن تكون الجهوية المتقدمة رافعة أساسية في كسب هذا الرهان؟

إن تفكيك هذه الإشكالية يحتم علينا طرح الأسئلة التالية:

- 1) ماهي مميزات حوض سبو، وكيف تبدو وضعية مقدراته؟
- 2) كيف يمكن لتفاعل مختلف موارد حوض سبو والجهوية المتقدمة تحقيق تنمية مستدامة بالحوض؟
- 3) ألم يكن احتضان الجهوية المتقدمة لأسباب التنمية بهذا الحوض ضرورة اجتماعية واقتصادية لمواجهة الإكراهات المجالية في حوض سبو؟

### الفرضيات

تطرح هذه الدراسة ثلاث فرضيات أساسية:

- 1) حوض سبو يتوفر على مقدرات طبيعية واقتصادية وبشرية مهمة؛
- 2) يعاني حوض سبو من تفاوتات مجالية واضحة بين العالية والسافلة؛
- 3) تستطيع الجهوية المتقدمة أن تضع قواعد الحكامة الجديدة لتحقيق التنمية بالمجال.

### أهداف الدراسة

ترمي هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف نلخصها في النقاط التالية:

- ❖ رصد واقع الحال الاقتصادي والاجتماعي لحوض سبو؛
- ❖ تسليط الضوء على التفاوتات المجالية بين العالية والسافلة؛
- ❖ إبراز دور الجهوية المتقدمة في خلق التنمية.

### هيكلية الدراسة

لنتناول هذه القضايا، دراسة وتحليلا ارتأينا أن نقسم هذا البحث إلى ثلاثة عناصر أساسية وهي:

1. الجهوية المتقدمة: المفهوم، التطور التاريخي والمبادئ؛
2. حوض سبو: الواقع الطبيعي وأبعاده السوسيو-اقتصادية؛
3. حوض سبو، رافعة الجهوية المتقدمة وتقليص الفوارق المجالية.

## 1. الجهوية المتقدمة: المفهوم، التطور التاريخي والمبادئ

شغل مفهوم "الجهوية" وتعبير أدق "الجهوية المتقدمة" حيزا كبيرا في الأدبيات السياسية الوطنية والجهوية، واستقر هذا المصطلح في الجغرافيا التي استعانت بمفاهيمه الأساسية كاللامركزية واللاتركيز، لتحديد ما جنته التنمية باقتراها بالجهوية.

سنحاول من خلال هذا العنصر، رصد مراحل تطور مفهوم الجهوية المتقدمة، وتحديد مسارها بكل ما تحمله من تغيرات، ومن ثمة الكشف عن مميزات ومدى مساهمتها في تنمية المجال.

### 1.1. المفهوم والتطور التاريخي للجهوية المتقدمة

إن الخوض في التطور التاريخي للجهوية المتقدمة، يفرض علينا أولا تعريف هذا المفهوم وتحديدته، فهو يحظى باهتمام واسع من طرف الباحثين المعاصرين سواء في الاقتصاد أو السياسة المحلية. ثانيا، إن فهم هذا المصطلح في جميع تجلياته ضرورة علمية، فهو يشكل الإطار المناسب لبلورة الاستراتيجيات الجديدة في التنمية.

#### أ. الجهوية والجهوية المتقدمة

تتطور بنيات المجتمعات وتتداخل الصلاحيات فتتشد الحاجة إلى التنمية المحلية بوصفها رافعة للتنمية على المستوى الوطني وضامنة لقدر مناسب من التوازن بين الجهات، وإلى تفادي بروز مناطق مزدهرة جدا ومنتجة، مقابل مناطق مهمشة تعيش عالية على الأخرى. في هذا الخضم برز مفهوم الجهوية وتأكدت الحاجة إلى تطويره لخلق تنمية اقتصادية واجتماعية<sup>105</sup> محلية.

يشير مفهوم الجهوية بمعناه الواسع إلى ذلك النمط الجديد من التفكير، الذي يركز على الديمقراطية المحلية، ويهدف إلى تطوير المحيط بإقرار مزيد من الحرية السياسية على المستوى الجهوي والمحلي. كما تعتبر الجهوية، هيكل لامركزي يقوم على ترقية الجهة إلى مكانة متقدمة في التنظيم الإداري للدولة، مع يتعزز هذا البناء بالديموقراطية التشاركية المتجلية في إعداد التراب وتنظيم المدن.

إذن، الجهوية هي رؤية جديدة لتدبير الحكامة الترابية، وتعبير عن عصرنة الدولة، وتحديث آليات سيرها. إضافة إلى هذه القيمة السياسية ذات الطابع المحلي الذي تتمتع بها الجهوية، فهي على المستوى العملي، عند الفاعلين، وسيلة أساسية لبلوغ مستوى مقبول من التماسك، ليس الاجتماعي فحسب، بل حصول ذلك الاتساق والانسجام بين مختلف المناطق

المملكة المغربية: تقرير حول الجهوية المتقدمة للجنة الاستشارية للجهوية، الكتاب الأول: التصور العام. ص، 8، (2015).<sup>105</sup>

المكونة لتراب الجهة، والذي ينتج عنه بالضرورة التوازن السوسيو-اقتصادي المناطق الذي يخدم التنمية الجهوية، ويحقق التكامل القطاعي فيها.

لعلنا نستخلص من التحليل السابق ما يفيد بأن الجهوية هي التوجه نحو نقل بعض الصلاحيات الإدارية المركزية إلى الجهات التي ستتولى مهمة التدبير المحلي الذي يؤطره التشاور والتشارك. ستتحمّل الجهات اتخاذ القرارات في عدة مجالات للنهوض بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية اعتمادا على مواردها المحلية.

من هنا برز مفهوم الجهوية المتقدمة كإطار سياسي وتنظيم إداري يستوعب مفهوم اللامركزية بكل أبعادها المتمثلة في اللاتمركز، النقل، والتفويض. تعتمد الدولة، السلطة المركزية على الجهوية المتقدمة لوضع مخططات وبرامج تنمية استراتيجية تشمل جميع مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية على المستوى الجهوي. الواقع أن الدولة تعزز دور الفاعل المحلي الذي يتحمل مسؤولية أجراء مقتضيات الجهوية المتقدمة ليحقق التكامل الاجتماعي والاقتصادي جهويا، ويعمل على توفير الخدمات، ويحقق التنمية المجالية لفائدة الجهات المكونة للتراب الوطني.

الواضح، أن مفهوم الجهوية المتقدمة، الذي يشتغل اليوم كأداة للتنمية المحلية من خلال ظهور استراتيجيات التنوع الجهوي وتثمين إمكانات كل جهة، قد عرف مجموعة من التحولات وشهد تطورا كبيرا خلال السنوات الأخيرة، سنحاول رصد أهم محطاتها في العنصر التالي:

### ب. التطور التاريخي للجهوية المتقدمة

الجهوية المتقدمة، مفهوم حديث ظهر في المجتمعات الغربية التي عاشت تحولات سياسة وحضارية مهمة، أدت إلى بروز قضايا ومشاكل وحاجيات جديدة مرتبطة بهذه التغيرات، وساهمت في خلق عوائق اقتصادية واجتماعية وثقافية حقيقة. لم يكن من السهل معالجة هذه الصعوبات مركزيا، مما فرض على السلطات تبني مقاربة جهوية جديدة تساهم في إيجاد حلول تنموية تعتمد على اختيارات تدييرية محلية ملائمة.

عرفت فرنسا "الجهوية" منذ خمسينيات القرن الماضي<sup>106</sup>، ومع عودة الجنرال شال ديغول إلى السلطة، بدأ النقاش حول هذا التنظيم الإداري الجديد، مما سمح له بأن يتطور كمفهوم في التدبير المحلي، ويتوطد في المنظومة المؤسسية الفرنسية. لقد قطع هذا المفهوم أشواطاً من التطور، فكربا، وبدأت دلالاته تمتد إلى جميع مقومات الحياة الاقتصادية. أما سياسا، فمنذ 1982، عندما اقترت فرنسا الإصلاح الترابي القائم على اللامركزية، تم منح الجهات والبلديات صلاحيات

<sup>106</sup> Pierre Bodineau, Michel Verpeaux, Histoire de la décentralisation, librairie presse universitaire de France, (1993).

ذات طابع إداري. في سنة 2010<sup>107</sup>، توسع دور الجهات في المخططات التنموية، وتم إعطائها مزيدا من الصلاحيات خاصة في قطاع التعليم والتخطيط التنموي.

في سياق هذا التطور التاريخي المختصر لنموذج فرنسا، يبرز المغرب كأولى الدول العربية التي نهجت هذا المسار، إذ تطور هذا الهيكل الإداري الجديد بالمغرب من خلال عدة مستويات وهي:

دستور 1962 الذي يشكل اللبنة الأساسية للوعي بمفهوم الجهوية المتقدمة، إذ نص الفصل 92 فيه، على تدعيم سلطة الإقليم والتركيز على التحديث الإداري<sup>108</sup>.

ظهير<sup>109</sup> 1971، المتعلق بتنظيم الجهات والمحدثة بمجوبه سبع جهات اقتصادية، كان الهدف منها تصحيح الاختلالات التي عرفتها تجارب سابقة، وتجميع مقومات التنمية الاقتصادية مع ضبط توزيع الموارد على المستوى الجهوي. اصطدمت هذه التجربة بمجموعة من العوائق جعلتها غير قادرة على إحداث توازن تراخي وتحقيق نتائج ملموسة في مجال التنمية الجهوية. أمام هذه الصعوبات البنيوية، أصبح من الضروري إعادة النظر في الأهداف الرئيسة لتلك الجهوية، والبحث عن تجارب جديدة تسمح بانتقال تنموي في جميع القطاعات على المستوى الجهوي.

إن محدودية تجربة 1971 في التنمية الجهوية، ظهرت مع مقتضيات دستوري 1992 و1996 اللذين تجاوزا هفوات التجارب السابقة وذلك بوضع الأسس القانونية للجهوية، وتمت ترقية الجهات لتصبح جماعات محلية ذات شخصية معنوية واستقلال مالي، وتم أحداث ستة عشرة جهة.

مع بداية الألفية الجديدة، أرسى الدستور المغربي الجديد لسنة 2011 أرضية لبناء جهوية متقدمة، كانت إحدى سماتها هو تقليص عدد الجهات من ستة عشرة جهة إلى اثنتا عشرة جهة مع ترفيتها إلى جماعات ترابية<sup>110</sup>. ستستفيد الجهوية المتقدمة من مزيد من الصلاحيات، وستتمكن من العمل باستقلالية وتجاوز أسلوب "العودة إلى المركز في كل شيء"، تدعيما للمبادئ الأساسية للجهوية المتقدمة.

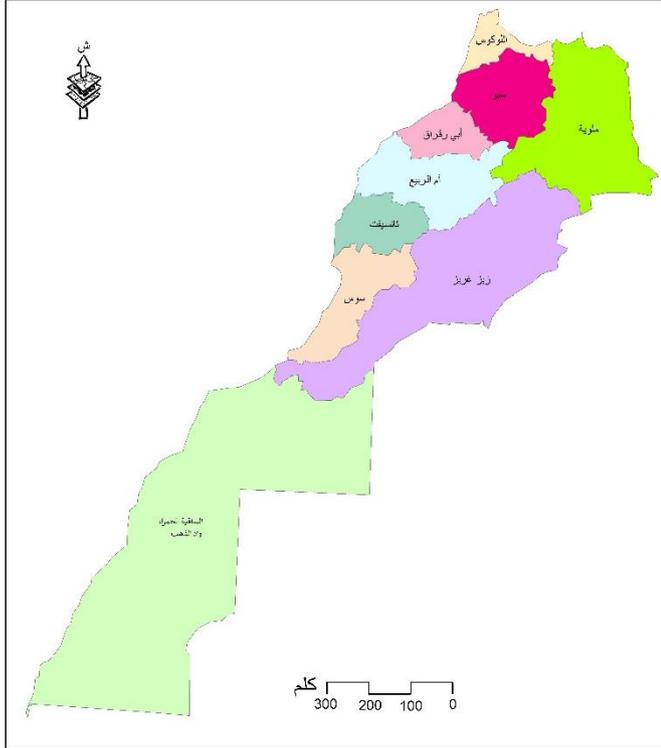
<sup>107</sup> La république du France, ministère de l'intérieur, le portail officiel de la région de France, le lien électronique : [www.regions-france.org](http://www.regions-france.org).

<sup>108</sup> إبراهيم الصراج، صناعة القرار المحلي: بين رهان الحكامة الترابية وإكراهات التنمية، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية (المجتمع المدني والإيكولوجيا السياسية)، العدد الثامن، ص. 114، (2019).

<sup>6</sup> ظهير أو ظهير شريف هو مرسوم ملكي يعطي القوة الإلزامية للقرارات التي يصدرها الملك في المغرب لممارسة السلطات المخولة له بمقتضى الدستور، سواء في المجال المحفوظ أو للتعيين في المناصب العليا المدنية والعسكرية، كما أن تصدير أو تنفيذ القانون يتم بمقتضى ظهير.

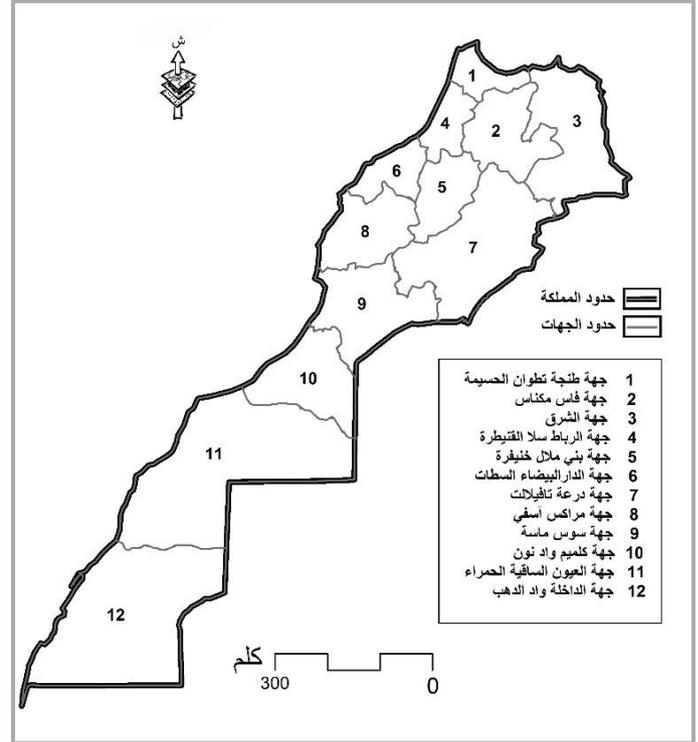
<sup>110</sup> الباب التاسع من الدستور المغربي لسنة (2011).

خريطة 2 تقسيم الأحواض المائية بالمغرب



المصدر: معطيات الوكالة المائية لحوض سبو (بتصرف)

خريطة 1: التقسيم الجهوي للملكة المغربية



المصدر: معطيات وزارة الداخلية (بتصرف)  
2.1. المبادئ الأساسية للجهوية المتقدمة

تستهدف الجهوية المتقدمة في المغرب، غرس وتثبيت فكرة "نقل الصلاحيات" إلى الجهات المكونة للتراب الوطني. إن تركيز هذه الرؤية المحورية كتصور عام، سيجعل تدبير الفاعلين المحليين، وتنفيذ المشاريع يتم وفق إطار مبادئ الجهوية الذي يجمع بين صرامة الأسس ومرونة التطبيق المنفتح على التصورات الناجعة لتحقيق التنمية المجالية. تتمثل هذه المبادئ في:

- مبدأ المشاركة: وتنبع أهميته من إشراك المواطنين في اتخاذ القرارات، وقد اعتمدت الدول المقدمة هذه المقاربة التشاركية في بناء نماذجها التنموية.
- مبدأ التفريع: من المبادئ الأساسية لتوزيع الاختصاصات والصلاحيات بين أجهزة الدولة؛

- مبدأ التدبير الحر: يهدف السماح للجهات بالعمل بكل استقلالية فيما تسمح به قوانين البلاد، ودون العودة إلى المركز؛
- مبدأ المعادلة بين الموارد والاختصاصات: يقوم هذا المبدأ على وضع المواد المالية اللازمة رهن إشارة الجهات من أجل ممارسة اختصاصاتها؛
- مبدأ التعاون والتضامن: يركز على التعاون والتعاقد بين الجهات من أجل تحقيق تنمية جهوية متكافئة؛
- مبدأ ربط المسؤولية بالمحاسبة: يشكل الدعامة الأساسية للتدبير الجيد داخل الجهات، من خلال إخضاع الجميع لمعايير الشفافية والمحاسبة وربطها بالمسؤولية.

أصبح رهان الفاعلين اليوم، لتحقيق تنمية اقتصادية جهوية حقيقية، هو تفعيل هذه المبادئ، وتطوير مضامينها وتحسين أساليبها حسب ما تمليه ضرورة التنمية الاقتصادية المحلية.

ينبغي القول، إن استحضار هذه النبذة من تاريخ مفهوم الجهوية المتقدمة، يسعى إلى الاستفادة من الحمولة الفكرية لهذا المفهوم واستغلال أبعاده العلمية في دراستنا هذه، حول حوض سبو، يبدو أن تسليط الضوء على هذا المجال الغني بموارده المتنوعة. التي تتوفر عليهما جهتيه، يدعونا إلى صياغة أولا تساؤلات عن كيفية تغلب الجهوية المتقدمة على عوائق التنمية المحلية في الحوض، ثانيا تصورات لتسهيل تفاعل السياسات القطاعية وتحقيق التقائية البرامج الجهوية في أفق خلق تنمية محلية مستدامة.

## 2. حوض سبو: الواقع الطبيعي وأبعاده السوسيو-اقتصادية

يعد حوض سبو من أهم الأحواض المائية بالمغرب، وأهميته نابعة من ضمه لجهتي فاس-مكناس والرباط-سلا-القنيطرة، المتميزتين بمواردهما الطبيعية والبشرية. رغم هذه القدرات المادية والإنسانية الهائلة، فإن الحوض يعرف تباينا اقتصاديا واجتماعيا بين عاليته وسافلته. سنحاول الوقوف على محددات الضغوط التي يعاني منها الحوض والتي تحد من مسار تنميته المجالية.

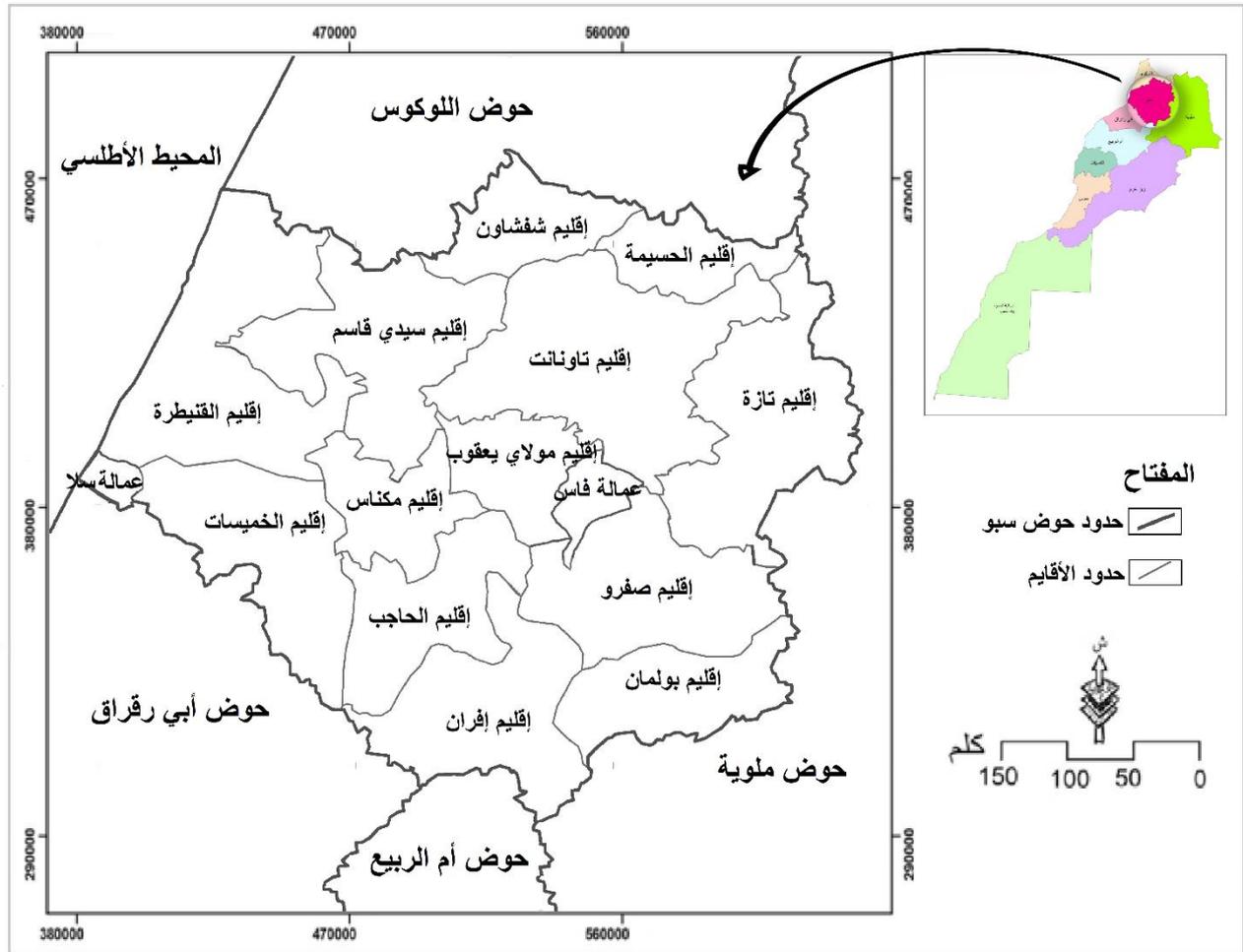
### 1.2. الموقع الجغرافي والمقدرات الطبيعية

يحظى حوض سبو بمكانة مهمة على الصعيد الوطني المغربي، وذلك راجع لعدة عوامل أهمها العامل الطبيعي، الذي يتميز به الحوض ويجعله محط اهتمام جميع الفاعلين.

## أ. الموقع الجغرافي

ينتهي حوض سبو إلى منطقة الشمال الغربي للمغرب، يحده من الشمال حوض اللوكوس، جنوبا حوض أبي رقراق وحوض أم الربيع، شرقا حوض ملوية، أما غربا فيحده المحيط الأطلسي.

خريطة 2: الموقع الجغرافي لحوض سبو



المصدر: إنجاز شخصي اعتمادا على معطيات وكالة حوض سبو

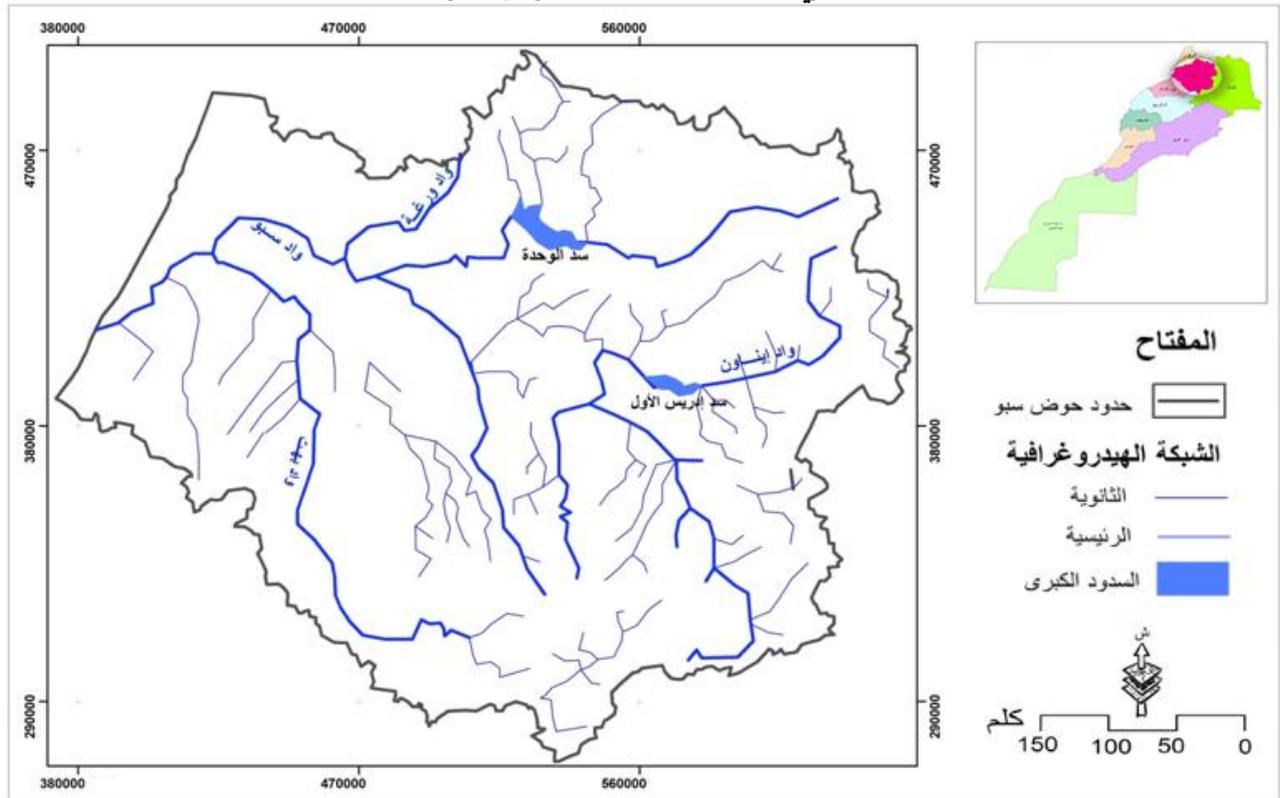
يمتد حوض سبو على مساحة 40 ألف كلم مربع، أي 6% من مجموع التراب الوطني المغربي، ويضم 30% من الموارد المائية بالمغرب. وينقسم حوض سبو إلى جزأين:

عالية حوض سبو: تشمل جهة فاس - مكناس وتضم الأقاليم التالية (تازة، تاونانت، مولاي يعقوب، فاس، صفرو، بولمان، إفران، الحاجب، ومكناس)، مع اعتبار مدينتي فاس ومكناس مجالا انتقاليا بين العالية والسافلة؛  
سافلة حوض سبو: تشمل جهة الرباط - سلا - القنيطرة وتضم الأقاليم التالية (الخميسات، القنيطرة، سيدي سليمان، سيدي قاسم، وسلا).

### ب. المقدرات الطبيعية

ينبع ماء حوض سبو من الأطلس المتوسط، ويتغذى من مجموعة من الروافد النهرية التي تنبع بدورها من جبال الريف الأوسط أو من جبال الأطلس المتوسط، ويعتبر نهر ورغة وواد بهت ثم إيناون من أهم هذه الروافد. يستمر مسير نهر سبو إلى حوالي 500 كلم ليصب في المحيط الأطلسي بالقرب من مدينة القنيطرة.

خريطة 3: الشبكة المائية لحوض سبو



المصدر: إنجاز شخصي اعتمادا على معطيات وكالة حوض سبو

يتميز حوض سبو بتنوعه الطبيعي، إذ يضم ثلاثة أنواع من التضاريس وهي:

**الجبال:** تطل جبال الأطلس المتوسط على الحوض من جهتها الشمالية-الشرقية، وتعلوه بقممها البالغة 3 آلاف مترا (جبل بويبلان)، أما شمال الحوض فيضم جزءا غير يسير من تلال مقدمة جبال الريف؛  
**الهضاب:** إنها مجال انتقالي من عالية سبو إلى سافلتة. تتوزع هذه الهضاب في منطقتي فاس ومكناس، وتعتبر هضبة سايس أهم هضبة في هذا النطاق؛  
**السهول:** هي عبارة عن أراضي منخفضة، تنبسط من مجال سيدي قاسم إلى القنيطرة، وتعرف بسهول الغرب.

## 2.2. الموارد البشرية

يعد حوض سبو تجمعا سكانيا مهما، إذ يبلغ عدد سكان جهتيه، فاس-مكناس والرباط-سلا-القنيطرة، حوالي 7,4 ملايين نسمة حسب إحصاء 2014<sup>111</sup>، أي ما يعادل 20% من مجموع سكان المغرب. إن دراسة الجانب الديموغرافي للسكان من حيث توزيعها، وممارستها لمختلف الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية التي تخدم المجال، هي الكفيلة بأن تعرفنا على كيفية انخراط هذا الحوض في التنمية، وتحدد لنا مستوى استجابته لأسبابها.

من أهم مناطق العيش في الحوض، مدن القنيطرة، مكناس، فاس وسلا، إذ يصل عدد السكان بهذه المناطق السهلية إلى ما يزيد عن 4 ملايين نسمة، وهو ما يمثل 54% من مجموع سكان الحوض. واضح أن هذه التجمعات الحضرية لها تأثير كبير على الساكنة إضافة إلى جذبها الاقتصادي والسياحي. إن التمرکز الكبير لسكان الحوض بهذه المناطق (فاس، مكناس، سلا، القنيطرة) دون أخرى، يؤكد على ما تتطلبه هذه المجالات السهلية من يد عاملة كبيرة ضرورية لأنشطتها الفلاحية.

الواقع، أن هذا التزايد السكاني الكبير بمناطق سافلة سبو والفرغ الترابي بعالية سبو، سيفضي إلى تكديس بشري بالمناطق السهلية ستولد عنه مشاكل اقتصادية واجتماعية كبيرة.

## 3.2. الإمكانيات الاقتصادية

يتوفر حوض سبو على مؤهلات اقتصادية مهمة، خاصة الموارد المائية والأراضي الخصبة وهي حجر أساس تنمية الحوض، فالأنشطة الفلاحية من غرس وزراعة وسقي تشكل قاطرة التنمية المحلية بهذا المجال. إضافة إلى ذلك، يوفر

<sup>111</sup> الإحصاء العام للسكان والسكنى، هو عملية إحصاء وطنية تجرى على الأقل مرة كل عشر سنوات، وقد أنجزت المملكة المغربية سادس إحصاء عام للسكان والسكنى خلال الفترة الممتدة من 1 شتنبر إلى 20 شتنبر سنة 2014، ويتم إجراء هذه العملية من قبل المندوبية السامية للتخطيط.

القطاع الصناعي نصيبه في التنمية بما تنتجه وحداته الصناعية في النسيج أو قطاع السيارات، كما تساهم التجارة والاستثمار في الدينامية الاقتصادية بالحوض.

يساهم حوض سبو في الناتج الداخلي الخام الوطني بـ 209 مليار درهم أي بنسبة 25%، إذ نجد أن كل جهة من جهات الحوض تتسم بميزات اقتصادية خاصة تحدد مستوى ديناميتها، لذا فإن المعطيات المتوفرة تمكننا من وضع التوزيع التالي:

جدول 1: توزيع الناتج الداخلي الخام الوطني حسب القطاعات

التجارة	الصناعة	الفلاحة	الجهات
( 4154% مليار درهم )	( 23% 17 مليار درهم )	( 23% 17 مليار درهم )	فاس – مكناس (عالية حوض سبو)
( 9470% مليار درهم )	( 16% 21 مليار درهم )	( 1914% مليار درهم )	الرباط – سلا – القنيطرة (سافلة حوض سبو)

المصدر: مذكرة معلوماتية متعلقة بالحسابات الجهوية

يتضح من خلال الجدول رقم 1، المتعلق بتوزيع الناتج الداخلي الخام حسب الجهات، أن التجارة هي القطاع المهيمن في كلتا الجهتين والتي فاقت 50 في المائة، وذلك راجع للممر التجاري الممتد من العالية إلى السافلة، الذي ساهم في خلق توازن فيما بينهما، مما يتيح نقل الإنتاج نحو أكبر المعابر التجارية المطلة على المحيط الأطلسي. رغم "شبه التوازن" على مستوى التجارة، فهناك تفاوت فيما يتعلق بمداخيل الجهتين، حيث نجد أن جهة فاس مكناس تساهم بـ 76 مليار درهم أي 9,4 في المائة على المستوى الوطني، مقارنة مع جهة الرباط سلا القنيطرة التي يتعدى دخلها الإجمالي 136 مليار درهم بـ 16,3 في المائة. والواقع أن، جهة الرباط سلا القنيطرة يمكن اعتبارها قطبا اقتصاديا مهما إضافة إلى كونها قطبا مركزيا، جعلها تهيمن على جل الموارد التي تقدمها جهة فاس مكناس، فبرز التفاوت المعيشي بين الجهتين.

لعل ما يحد من الانطلاق التنموي، في إطار دراستنا هي الإكراهات البنوية التي يعاني منها الحوض، كانهدام التوازن في استغلال الثروات بين الجهتين، والتوسع العمراني غير العقلاني على الأراضي الفلاحية، والاستغلال المفرط للموارد الطبيعية، إضافة إلى زيادة ظاهرة الهجرة من العالية نحو السافلة.

لقد دفعنا هذه العوامل مجتمعة، إلى البحث عن دور الدولة في دعم هذا المجال، من خلال تطبيق الجهوية المتقدمة على أرض الواقع وإيجاد حلول ملائمة للصعوبات القائمة على حوض سبو.

3. حوض سبو، رافعة الجهوية المتقدمة وتقليص الفوارق المجالية

تظهر المؤشرات الاقتصادية لحوض سبو وجود فوارق شاسعة بين كل من العالية والسافلة، والتي أظهرها الناتج الداخلي الخام، ولتجاوز هذه الاختلالات، كان لزاما على المغرب تبني سياسة جهوية جديدة، إذ نص الدستور المغربي لسنة 2011 في الفقرة الأخيرة من الباب الأول، الفصل الأول، على أن التنظيم الترابي للمملكة لتنظيم لامركزي يقوم على الجهوية المتقدمة، حيث أصبح التركيز بالأساس يتمحور حول نقطتين أساسيتين هما:

- اللامركزية على مستوى اتخاذ القرار؛
- إستراتيجيات ملائمة لجلب الاستثمارات في المجالات المحلية.

### 1.3. حوض سبو، معايير التقطيع الترابي

إذا كان الإطار البشري، والطبيعي، والتاريخي، من المعايير التي تم اعتمادها في التقطيع الترابي لكل من جهة فاس - مكناس وجهة الرباط - سلا- القنيطرة، المكونتين لحوض سبو، فيمكن اعتبارهما كأرضية لبناء مرتكزات الجهوية المتقدمة والتي تتجلى في:

- التجانس: حيث نجد أن جهة فاس - مكناس مكونة من جبال الأطلس المتوسط وتلال مقدمة جبال الريف إضافة إلى هضبة سايس، أما بالنسبة لجهة الرباط - سلا - القنيطرة، فهي تعرف أيضا تنوعا في وحداتها التضاريسية، واليت تتضمن هضبة زعير وسهل الغرب؛
- القرب: نتحدث هنا عن الولوجية، فحوض سبو يضم الطريق السيار الممتدة من الرباط إلى وجدة، الذي يساهم في الربط بين مناطق الحوض؛
- التوازن: فاس - مكناس يمكن اعتبارهما قطبين حضريين بوظيفة سياحية لتوفرهما على مآثر تاريخية، بالإضافة للمنتجعات السياحية التي تتوفر عليها إفران، في حين نجد الرباط - سلا - القنيطرة كقطب مركزي إداري يتخذ القرار السياسي (الرباط العاصمة)، وكقطب صناعي (القنيطرة) الواقعة ضمن المحور الأطلنטיكي؛
- الفعالية: تظهر من خلال مساهمة كل جهة بناتج داخلي خام مهم في إطار الجهوية المتقدمة.

إن هذه المعطيات الجغرافية والاقتصادية التي تجمع بين الجهتين، قد تم استحضارهما في إطار التقطيع الإداري للجهتين.

### 2.3. وكالة حوض سبو، آلية أساسية للتفعيل مقتضيات الجهوية المتقدمة

يعد حوض سبو فضاء مهما للاستقرار البشري، وقنطرة أساسية تمكن من تنمية الاقتصاد والنهوض به، غير أن وجود مشاكل داخل هذا المجال نتيجة تداخل العوامل البشرية والطبيعية، دفع المغرب إلى تنمية هذه المنطقة وحمايتها من العوائق التي تعاني منها. في هذا السياق، ظهرت وكالة الحوض المائي لسبو سنة 1995، والتي تم إحداثها بمقتضى الفرع

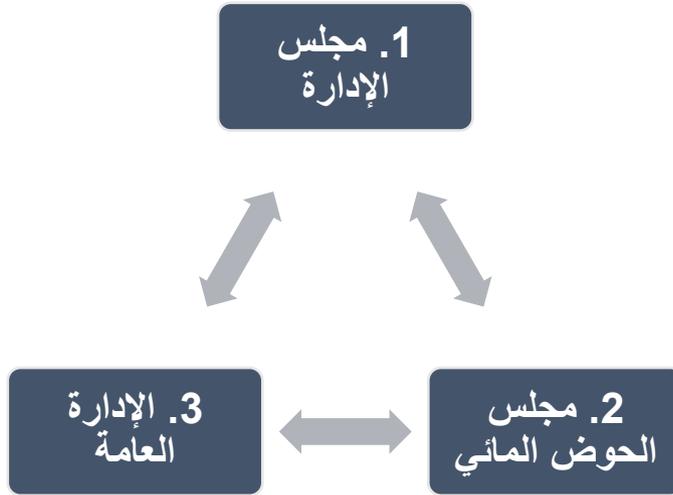
## مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل - العدد العاشر - ماي 2020م

الثالث من الباب الثاني من قانون الماء السابق 10.95، وتم التنصيب عليها في الفرع الثاني من الباب السادس من قانون الماء الحالي 36.15. تعتبر هذه الوكالة مؤسسة عمومية تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي وتخضع لوصاية الدولة. والغاية من هذه الوصاية هو السهر على احترام الأجهزة المختصة بالوكالة، للقوانين المرتبطة بمهامها وأدوارها، مع الحرص على تطبيق النصوص التشريعية والتنظيمية المتعلقة بالمؤسسات العمومية.

### أ. الهيكل الإداري لوكالة حوض سبو

إن وكالة الحوض المائي لسبو هي كغيرها من المؤسسات لها جهاز تنظيمي يحكمها ويتولى تسييرها ويضبط شؤونها والمهام المنوطة بها، ويتكون هذا الجهاز من<sup>112</sup>:

1. مجلس الإدارة ترأسه السلطة الحكومية المكلفة بالماء؛
  2. مجلس الحوض المائي، يتكون من ممثلين عن الإدارة، ورؤساء مجالس الجهات الواقعة في دائرة النفوذ الترابي لمجال تدخل الوكالة، ممثلين عن رؤساء الغرف الفلاحية والتجارية والصناعية، وممثل عن رؤساء جمعيات مستعملي المياه؛
  3. مدير الوكالة مدير تنفيذي ويتمتع بكل الصلاحيات اللازمة لتسيير الوكالة والنيابة عنها وفقا لصلاحيات مجلس الإدارة.
- ب. مهام وكالة حوض سبو



تهدف هذه الوكالة التي أضحت مكونا أساسيا في مجال حوض سبو إلى:

<sup>112</sup> المملكة المغربية، ظهر شريف رقم 113.16.1 صادر في 6 ذي القعدة 1437 بتنفيذ القانون رقم 15.36 المتعلق بالماء، الجريدة الرسمية عدد 6494 بتاريخ 25 غشت 2016، ص. 6305. الباب السادس من قانون 15.36، الفرع الثاني، من المادة 80 إلى المادة 87.

- الموافقة على المخطط التوجيهي للتهيئة المندمجة للموارد المائية والمخططات المحلية لتدبير المياه بعد دراستها وإبداء الرأي فيها؛
- الدراسة والموافقة على البرامج العامة للأنشطة السنوية والمتعدد السنوات للوكالة قبل المصادقة عليها من طرف الإدارة؛
- إنجاز القياسات والأبحاث بالدراسات الضرورية لتقييم وتتبع تطور حالة الموارد المائية؛
- المصادقة على عقود الامتياز والاتفاقيات التي تبرمها وكالة الحوض؛
- تدبير وتخطيط وتتبع الموارد المائية للحوض؛
- حماية جودة المياه وتتبع وصيانة السدود.

منذ إنشاء هذه الوكالة، راهنت على تتبع واقع حال الحوض، فعملت على محاربة التلوث المائي ومراقبة وصيانة السدود وتنفيذ مجموعة من البرامج، وواصلت عملها لتحقيق مجموعة من الأهداف، كالمساهمة في مشروع يهم إنشاء محطة لتصفية المياه العادمة بفاس بتكلفة تصل لـ 1,08 مليار درهم<sup>113</sup>.

في هذا الصدد، تعمل وكالة الحوض المائي لسبو في تعاون وثيق وبكل مسؤولية مع جميع القطاعات الموجودة في التراب المكون لحوض سبو، على تحقيق التفائية في جميع البرامج القطاعية، مما ساهم في خلق الثقة بين الفاعلين من أجل تنمية وتطوير الحوض.

نظرا لهذه الخطوات الكبيرة التي تم إنجازها في نطاق هذا التدبير المحلي، يمكن اعتبار حوض سبو نموذجا للامركزية المرفقية<sup>114</sup>. رغم أن هذه الوكالة لديها مهام تتعلق بضبط استعمال الملك العمومي المائي، وتجويده، وتدبيره، إلا أنها تمثل التوجه الأمثل للدولة في نهج مسار الجهوية المتقدمة. لقد حظي الفاعل الجهوي بحوض سبو بمزيد من الصلاحيات، مما فتح المجال أمامه لتدبير مشاكل وصعوبات المحيط الجهوي بنفسه دون الرجوع إلى المركز.

### 3.3. حوض سبو: مجال حاضن للمشاريع الاستثمارية الكبرى

إن تعزيز أهداف الجهوية المتقدمة يستلزم تعزيز الموارد المالية للجماعات الترابية وتنوعها ومشاركتها فيما بينها فضلا عن تنمية مواردها البشرية<sup>115</sup>، وفي هذا السياق، نص الفصل 141 من الدستور على أن الجهات تتوفر على موارد مالية

<sup>113</sup> المملكة المغربية، وزارة الشباب والثقافة والتواصل قطاع التواصل، البوابة الوطنية الخاصة بالأنشطة الملكية، الموقع الإلكتروني: <http://www.maroc.ma/>

<sup>114</sup> Pierre Bodineau, la régionalisation, librairie Eyrolles France, (1995).

المملكة المغربية: التقرير العام للنموذج التنموي الجديد. ص. 120، (2021).<sup>115</sup>

ذاتية، وموارد مالية مرصودة من قبل الدولة. إذ أن كل اختصاص تنقله الدولة إلى الجهات والجماعات الترابية الأخرى يكون مقترنا بتحويل الموارد المطابقة له.

في هذا الجانب، خصصت الدولة في إطار قانون الميزانية لسنة 2022 مجموعة من الموارد المالية لتنفيذ عدة مشاريع بجتي فاس - مكناس والرباط - سلا - القنيطرة، والتي توزعت على الشكل التالي:

جدول 2: الميزانية المخصصة لكل جهة لسنة 2022

الميزانية المخصصة	الجهة
44 مليار و 229 مليون درهم	الرباط - سلا - القنيطرة (سافلة حوض سبو)
11 مليار و 556 مليون درهم	فاس - مكناس (عالية حوض سبو)

المصدر: قانون الميزانية لسنة 2022

يسمح لنا الجدول رقم 2 باستخلاص النتائج التالية:

- حصلت جهة الرباط - سلا - القنيطرة على ما يزيد عن 44 مليار درهم لإنشاء مجموعة من المشاريع التنموية المتنوعة على مستوى الجهة؛
- خصصت لجهة فاس - مكناس 11,5 مليار درهم لإنجاز عدة برامج جهوية تهدف لتحقيق التنمية المستدامة.

تبين هذه المعطيات، غياب التوازن بين الميزانيات المخصصة لكل جهة، إذ نجد أن الفارق بين ميزانية الجهتين يزيد عن 30 مليار درهم، مما يساهم في تعميق مشاكل حوض سبو وتوسيع الفوارق المجالية بين العالية والسافلة.

إن هذا التفاوت بين الجهتين، يدفعنا للحدوث عن إعادة النظر في كيفية توزيع هذه الموارد المالية بين جتي فاس - مكناس والرباط - سلا - القنيطرة بصفة خاصة، وبين كل جهات المغرب بصفة عامة. فالجهوية المتقدمة تدعو إلى تطبيق العدالة المجالية في توزيع الموارد، واعتماد مقتضياتها من طرف جميع الفاعلين سيضع الحوض، بكل تأكيد، على سكة تنمية جهوية مستدامة.

4.3. الجهوية المتقدمة بحوض سبو، رهان تقليص الفوارق المجالية بين جتي الحوض

ينطلق التصور الأساسي لتحقيق التنمية بمجال دراستنا، من العمل على تجاوز السلبيات التي يفرضها ويعاني منها حوض سبو، لقد سمحت لنا هذه الدراسة من الوقوف على الثوابت والمتغيرات التي يعرفها هذا المجال، من خلال الكشف عما يتميز به من إمكانيات، وتحديد ما يعانیه من صعوبات، والتركيز على ما يفرضه من إكراهات. على ضوء ما سبق، فإن تجاوز هذه المشاكل، ينطلق من خلال:

- ✓ تحديد واستشراف آفاق الحوض؛
- ✓ اقتراح نموذج تنموي قابل للتحقق، يركز على المقاربة التنموية.

إن نجاح جميع هذه المكونات التنموية، يبنى أساسا على ضمان اعتماد جهوية متقدمة تستغل جميع الإمكانيات المتوفرة<sup>116</sup>، وتجسد توقعات وانتظارات هذا المجال، مع دمج في ورش ورهان التنمية المجالية للحوض. المشكل المطروح اليوم ليس في حاجة إلى سياسة ظرفية محددة لمعالجتها، بل إن الحاجة تدعو إلى اعتماد مقاربات مندمجة تبني الاقتصاد والمجتمع، والبيئة والديموغرافيا في إطار تشاركي-تساوري بين جميع الفاعلين الاقتصاديين والاجتماعيين، والقائمين على الشأن المحلي<sup>117</sup>. بناء عليه، فإن إعادة "إنتاج" حوض سبو، إن صح التعبير، بالمفهوم المعاصر والذي يشمل تطوير الاقتصاد والمجتمع معا، يقتضي بالضرورة اعتماد حكمة جيدة تتضمن مجموعة من التدابير والإجراءات نلخصها في:

- ✓ اعتماد توصيات النموذج التنموي الجديد لسنة 2021، الذي يتضمن رؤية واختيارات استراتيجية جديدة، ويؤكد على ضرورة تسريع عملية الجهوية المتقدمة موازاة مع لا تركز فعلي والعمل على انبثاق "مغرب الجهات"؛
- ✓ العمل بتوصيات تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي لسنة 2019، الذي ينص على اعتماد حكمة ترابية تهدف إلى ضمان تنمية منصفة ومستدامة<sup>118</sup>؛
- ✓ وضع آليات تمكن الجهة من الاضطلاع بمكانة الصدارة المخولة لها بالنسبة للجماعات الترابية الأخرى، في عمليات إعداد وتتبع برامج التنمية الجهوية، والتصاميم الجهوية لإعداد التراب، في نطاق احترام الاختصاصات الذاتية لهذه الجماعات الترابية. وهي آليات ينبغي أن تسمح للجهة بتنظيم تدخلات مختلف الفاعلين بشكل منسجم؛
- ✓ ضمان توزيع جغرافي أفضل للمشاريع الكبرى المهيكلة لفائدة جهة فاس - مكناس التي تعرف تنمية أقل، مع تمكين مدنها المتوسطة من خدمات القرب؛

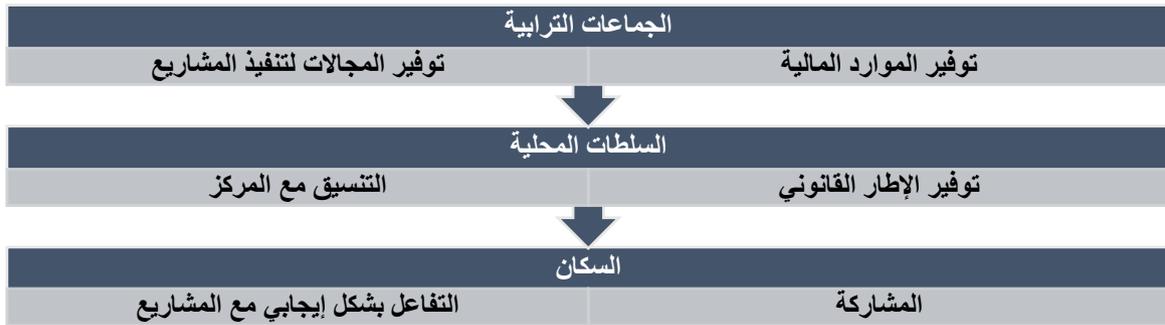
<sup>116</sup> Pierre-yves chicot, paméla obertan, La régionalisation à l'aune de l'évolution législative de la décentralisation, librairie l'harmattan France, (2021).

<sup>117</sup> Lhassan Badri, La décentralisation au Maroc : quelles perspectives pour la gouvernance locale et le développement territorial ? : (Cas de la régionalisation avancée), thèse de doctorat, Université Grenoble Alpes, (2019).

<sup>118</sup> المملكة المغربية: تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، الحكامة الترابية: رافعة للتنمية المنصفة والمستدامة، ص.24، (2019).

- ✓ الإسراع بتفعيل الصندوقين المخصصين لدعم تنمية الجهات، وهما صندوق التضامن بين الجهات وصندوق التأهيل الاجتماعي؛
- ✓ تعزيز سلطة وكالة الحوض المائي لسبو ومنحها مزيدا من الصلاحيات لتمكين من تحقيق أهداف إضافية تصب في التنمية المستدامة.

لتفعيل هذه الاجراءات يجب اعتماد مقاربة تشاركية ما بين جميع الفاعلين الجهويين<sup>119</sup> والمتمثلين في:



#### خاتمة

يتمتع حوض سبو بجميع المقومات الضرورية والأساسية للتنمية: الثروة المائية، والطاقة البشرية، إضافة إلى موارد غابوية وفلاحية مهمة. بفضل هذه الإمكانيات المائية، أصبح هذا الحوض ركيزة أساسية يعتمد عليها المغرب في اقتصاده، فهو يساهم بنسبة 25% في الناتج الداخلي الخام على المستوى الوطني.

الواقع أن حوض سبو يتوفر على تنوع طبيعي غني من جبال (جبال الأطلس المتوسط) وهضاب (هضبة سايس وزعير) وسهول (سهل الغرب)، وغابات (البلوط، الفلين، الأرز...). أما مياه نهر سبو، فإنها تغذي السدود المشيدة على النهر، وهي تخزن حوالي 4 ملايين متر مكعب.

رغم غنى هذا المجال بموارده الطبيعية المختلفة، فالظاهر أنه يتعرض إلى إتهالك للثروة على مستويين:

- 1) الإفراط في استغلال الموارد بشكل عام، وعدم عقلنة استعمالها خاصة ساقلة سبو، حيث تسود الفلاحة المخصصة للتصدير...
- 2) عدم استغلال مقدرات بعض مناطق الحوض واستثمارها في السياحة (تازة مثلا...)

<sup>119</sup> للأنجاء المهداوي، استراتيجيات تدخل الفاعلين في خلق التنمية الترابية نموذج جنوب مدينة مراكش، مجلة المجال والتنمية: الفاعل المحلي والتنمية الترابية، العدد السادس، ص، 54، (2020).

نعتقد أن اعتماد الجهوية المتقدمة في مجال دراستنا، سيدفع بعجلة التنمية إلى مزيد من التطور. رغم أن هذه السياسة في مرحلتها الجينية، إلا أن ديناميتها ستفرض شروطها على مدبري الشأن المحلي للنهوض بحوض سبو. فمقومات الجهوية المتقدمة هي الحكامة الجيدة التي تدعو إلى التشاور والتشارك<sup>120</sup>...، من أجل استغلال موارد المجال للرفع من الناتج الداخلي الخام، وتأهيل الساكنة وامتصاص جميع مظاهر الهشاشة الاجتماعية. إن جميع هذه المستلزمات ستمنح لحوض سبو فرص اكتسابه لمقومات التنمية الحقيقية والولوج إلى فضاء تحقيق الإنتاجية، وتوفير الخدمات وضمان رقي ساكنة المجال المدروس.

### لائحة المراجع

- أحمد سعيد الكتبي، مفهوم التنمية: الدلالات والأبعاد، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية (المجتمع المدني والتنمية، أسئلة ومقاربات متقاطعة)، العدد العاشر، (2020).
- إبراهيم الصراج، صناعة القرار المحلي: بين رهان الحكامة الترابية وإكراهات التنمية، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية (المجتمع المدني والإيكولوجيا السياسية)، العدد الثامن، (2019).
- الدستور المغربي لسنة (2011).
- المملكة المغربية: تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، متطلبات الجهوية المتقدمة وتحديات إدماج السياسات القطاعية، (2016).
- المملكة المغربية: تقرير حول الجهوية المتقدمة للجنة الاستشارية للجهوية، الكتاب الأول: التصور العام. (2015).
- المملكة المغربية، ظهير شريف رقم 113.16.1 صادر في 6 ذي القعدة 1437 بتنفيذ القانون رقم 15.36 المتعلق بالماء، الجريدة الرسمية عدد 6494 بتاريخ 25 غشت 2016، ص.6305. الباب السادس من قانون 15.36، الفرع الثاني، من المادة 80 إلى المادة 87.
- المملكة المغربية، وزارة الشباب والثقافة والتواصل قطاع التواصل، البوابة الوطنية الخاصة بالأنشطة الملكية، الموقع الإلكتروني: <http://www.maroc.ma>
- المملكة المغربية: التقرير العام للنموذج التنموي الجديد، (2021).

<sup>120</sup> إبراهيم الصراج، صناعة القرار المحلي: بين رهان الحكامة الترابية وإكراهات التنمية، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية (المجتمع المدني والإيكولوجيا السياسية)، العدد الثامن، ص.111، (2019).



## مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل - العدد العاشر - ماي 2020م



- المملكة المغربية: تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، الحكامة الترابية: رافعة للتنمية المنصفة والمستدامة، (2019).
- للانجاة المهداوي، استراتيجيات تدخل الفاعلين في خلق التنمية الترابية نموذج جنوب مدينة مراكش، مجلة المجال والتنمية: الفاعل المحلي والتنمية الترابية، العدد السادس، (2020).
- La république du France, ministère de l'intérieur, le portail officiel de la région de France, le lien électronique : [www.regions-france.org](http://www.regions-france.org).
- Lhassan Badri, La décentralisation au Maroc : quelles perspectives pour la gouvernance locale et le développement territorial ? : (Cas de la régionalisation avancée), *thèse de doctorat*, Université Grenoble Alpes, (2019).
- Pierre Bodineau, Michel Verpeaux, Histoire de la décentralisation, librairie presse universitaire de France, (1993).
- Pierre-yves chicot, paméla obertan, La régionalisation à l'aune de l'évolution législative de la décentralisation, librairie l'harmattan France, (2021).
- Pierre Bodineau, la régionalisation, librairie Eyrolles France, (1995).



## النخبة السياسية المغربية بالمنطقة الخليفية

### Political elite in khalifa area

عبد الفتاح ايت ادري، طالب دكتوراه تاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق ، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء

ملخص المقال: يتوخى هذا المقال إبراز مختلف المداخل التي تمكن صاحبها من الولوج إلى دائرة النخبة، مسلطا الضوء على المنطقة الخليفية بمغرب الاستعمار التي تتميز بقلّة الدراسات التاريخية مقارنة بالمنطقة السلطانية، هذه المداخل هي مدخلي العلم والنسب. كما يعالج المقال مختلف الوسائل التي اعتمدها النخبة في المنطقة الشمالية للتأثير في الجماهير وتوعيتهم بأهمية النضال من أجل استقلال المغرب. كما يعرض المقال لأهم الخصائص التي طبعت فكر النخبة الشمالية إبان فترة الاحتلال الإسباني.

الكلمات المفتاحية: النخبة – المنطقة الخليفية

**Abstract :** This article is intended to clear up different entrances that allow its owner to get into elite circle ; and try to shed light on khalifa area during colonizing Moroccan area. These entrances are the entrance of science and the entrance of family. This article deals also with different means that were used by elite in the north area to have an impact on the public, and raising the awareness of struggle to get Moroccan independence. Finally this article shows the main characteristics that distinguished the north elite thinking during spanish colonization.

**Key word :** Elite – khalifa area

### مقدمة:

ما زالت منطقة الحماية الإسبانية بالمغرب تعاني من نقص الدراسات التاريخية بالمقارنة مع المنطقة الفرنسية، وهو ما ينعكس سلبا على أية دراسة تتوخى دراسة النخب بالمنطقة الخليفية. سنحاول في هذا المقال ملامسة موضوع النخبة السياسية بهذه المنطقة محاولين الإجابة عن التساؤلات التالية: ماهي جذور وامتدادات النخبة الشمالية؟ ما هي آليات تأثيرها؟ و ماهي أبرز خصائصها؟

### المحور الأول: الجذور والامتدادات:

يعتبر العلم مدخلا مهما يمكن صاحبه من الولوج الى دائرة النخبة، لكون العلماء كان لهم وما زال وجود قوي في الساحة، ويمتلكون صوتا مسموعا لدى الخاصة والعامة، وفي غالب الأحيان يكون العلم مجرد عامل إضافي، لا يكون له دور مهم إلا إذا اقترن بعوامل عائلية، فالعلم والنسب يشكلان جواز مرور إلى النخبة .

لقد كان الجمع بين العلم والاشتغال في بعض الوظائف أو ممارسة أنشطة اقتصادية من الأمور المعروفة في القرن التاسع عشر، وكمثال على ذلك نجد في المنطقة الشمالية للمغرب عائلة الطريس، التي أنجبت العديد من الفقهاء الذين زاولوا مهام متعددة داخل المخزن، بداية بالفقيه المهدي بن محمد الطريس الذي عين في سلك أمناء الديوانة زمن السلطان سيدي محمد بن عبد الله، مروراً بابنه محمد الذي زاول منصب أمين الديوانة في كل من تطوان وطنجة والصويرة والدار البيضاء، وخلفه ابنه عبد الخالق بن محمد في نفس المنصب، وهو نفس المنصب الذي ورثه لابنه العربي بن عبد الخالق. ومن أهم المناصب التي تقلدها فرد من هذه العائلة كذلك نجد منصب النائب السلطاني في الشؤون الخارجية الذي تقلده محمد بن العربي الطريس في عهد السلطان الحسن الأول، وورثه ابنه الحاج احمد بن محمد الطريس أيام السلطان مولاي عبد العزيز، والذي تولى في عهد الحماية منصب باشا مدينة تطوان، مما مكن ابنه عبد الخالق الطريس من ايجاد ظروف جيدة لتحصيل العلم، حيث التحق بأول مدرسة أنشأتها الحماية الإسبانية بالمنطقة واستطاع متابعة دراسته بالقاهرة، ثم سافر إلى باريس ليكمل دراسته للفلسفة في جامعة السوربون التي قضى بها سنتين، انتقل بعدها إلى سويسرا. وفي باريس تعرف على العديد من قادة جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين، ولما عاد إلى تطوان انضم إلى الكتلة الوطنية، وأصبح جزءاً من النخبة السياسية بالمنطقة الخليفية<sup>121</sup>.

لكن هذا لم يمنع من تواجد أسر لم تكن تتوفر على معيار العلم، لكنها استطاعت أن تجد لنفسها موطئ قدم داخل النخبة السياسية، وذلك راجع كما يقول مصطفى الشابي في كتابه "النخبة المخزنية في القرن التاسع عشر" إلى خدمتهم المتفانية للمخزن خصوصا خلال حركاته، وبالتالي تمكنا من الحصول على موقع اجتماعي وسياسي

121 أحمد زيادي، مادة عبد الخالق الطريس، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، ج 2، المجلد 5، منشورات المندوبية السامية للمقاومة وأعضاء جيش التحرير، 2009، ص ص 588 589.

تمتيز،<sup>122</sup> وهذا ينطبق على أسرة أشعاش التي احتكر أفرادها لمدة طويلة منصب قائد تطوان كما أشار إلى ذلك عبد العزيز السعود،<sup>123</sup> ومن وجوه هذه الأسرة نجد عبد الرحمان بن عبد القادر أشعاش الذي تولى ولاية تطوان على عهد مولاي اليزيد ومولاي سليمان، ثم ابنه محمد بن عبد الرحمان أشعاش الذي خلف والده في نفس المنصب، وهو نفس المنصب الذي تولاه محمد بن عبد القادر أشعاش، كما استطاع محمد بن محمد أشعاش أن يتولى منصب باشا تطوان ما بين سنتي 1937 و1951.

من الأسر العريقة كذلك التي وجدت لها مكانا داخل النخبة السياسية بالمنطقة الخليفية نجد أسرة بنونة، حيث كان الحاج العربي بنونة أب عبد السلام بنونة من كبار موظفي الدولة في عهد السلطان مولاي الحسن الأول ومولاي عبد العزيز، مثلما كان أيضا حفيدا لأحد كبار الدبلوماسيين المغاربة السفير الحاج عبد الكريم بريشة جده من أمه،<sup>124</sup> وترجع الأصول البعيدة لهذه الأسرة إلى الأندلس، في حين أن أصولها القريبة المعروفة ترجع إلى جددهم الفقيه المحدث الحاج محمد بن عبد الواحد والذي قدم من فاس إلى تطوان أوائل القرن الثامن عشر،<sup>125</sup> واستطاعت هذه الأسرة المصاهرة مع أسرة تطوانية عريقة هي أسرة بريشة حيث لم يترك عبد الكريم بريشة خلفا، غير أنه أصهر إحدى بناته للعربي بن المهدي بنونة، ونتج عن هذا الزواج الحاج عبد السلام بنونة،<sup>126</sup> الملقب بأب الحركة الوطنية، وهو والد الطيب بن عبد السلام بنونة الذي كان من ضمن البعثات الأولى التي أرسلت إلى المشرق خلال فترة الحماية<sup>127</sup>.

وبالطبع هناك أسر لم يكن لها ماض عريق لكنها أصبحت خلال عهد الحماية تحتل مكانة سياسية مهمة، وعلى رأسها في المنطقة الخليفية نجد أسرة داود، وشخصيتها البارزة محمد داود الذي ولد بتطوان سنة 1901 من أم من عائلة داود أيضا، وحفظ القرآن وما تيسر من المتون العلمية، لينتقل سنة 1920 إلى فاس فأتم على علمائها دراسته، ليعود إلى مسقط رأسه، ويزاول التدريس والعدالة والكتابة في عدة صحف مثل صحيفة الأهرام المصرية التي كان مراسلا لها بالمغرب،<sup>128</sup> كما درس العديد من رواد الحركة الوطنية أمثال عبد الخالق الطريس .

### المحور الثاني: أليات التأثير:

<sup>122</sup> مصطفى الشابي، النخبة المخزنية خلال القرن التاسع عشر، ترجمة أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الطبعة الأولى، المحمدية، مطبعة فضالة، 1995، ص 109

<sup>123</sup> عبد العزيز السعود، تطوان خلال القرن التاسع عشر مساهمة في دراسة المجتمع المغربي، مطبعة الحداد، تطوان، 1996، ص 12

<sup>124</sup> محمد زاد، مادة عبد السلام بنونة، موسوعة الحركة الوطنية ...، م س، ج 2 المجلد 3، ص 218

<sup>125</sup> أورده محمد ابن عزوز حكيم، مادة بنونة، معلمة المغرب، ج5، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، 1992، ص 1490.

<sup>126</sup> مصطفى الشابي، م س، ص 157

<sup>127</sup> محمد ابن عزوز حكيم، معلمة المغرب، م س، ص 1491

<sup>128</sup> محمد الأمين بوخيزة، مادة محمد داود، معلمة المغرب، ج 12، نشر مطابع سلا، 2000، ص 3947

عملت النخبة المغربية في المنطقة الخليفة على التأثير في الجماهير، اعتمادا على ثلاث وسائل أساسية، وهي التعليم، وإصدار الجرائد، وتأسيس أحزاب سياسية. فبخصوص الآلية الأولى، اقتنعت هذه النخبة بلا جدوى العمل المسلح في الوقت الراهن، خاصة بعد اندحار مقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي، واقتنعت بأن لا سبيل لمواجهة الاسبان إلا بنهج طريق العلم وتطويره ليواكب مسيرة المجتمع المعاصر، وربطت التقدم بنشر العلم والوعي بأسباب التخلف الفكري والاجتماعي والاقتصادي، فكانت ضد الجمود والتقليد، وأدركت أن نشر التعليم هو أساس كل إصلاح، وهذا ما يؤكد الأستاذ المهدي بنونة في مذكراته حيث يقول: "اعتقد والدي أن احتلال المغرب نتج عن تدهور اقتصادي وعلمي وثقافي، وكان يرى أن المغرب لن يسير التطور العلمي إلا بنهضة اقتصادية وعلمية وثقافية، لذلك ارتأى ضرورة مقاومة السيطرة والاحتلال الأجنبي بمكافحة الأسباب التي قادت إلى تلك السيطرة، ولم يكن ذلك متاحا إلا بوضع الأسس السليمة لاقتصاد مغربي وطني وبتلقي المغاربة العلوم الحديثة".<sup>129</sup>

وهكذا فكر رواد النخبة السياسية الشمالية في النهوض بأوضاع التعليم بإنشاء مدارس حديثة، وهكذا ساهم عبد السلام بنونة في تأسيس المدرسة الأهلية ورعايتها، وساهم ماليا لتغطية مصاريف انشائها وتطوع للتدريس بها وحرص على جعل اللغة الاسبانية ضمن المواد المدرسة بها، وفكر كذلك في طبع كتب مدرسية عصرية على منوال تلك المعتمدة في المدارس الابتدائية المصرية، وأمام الخصاص الذي كانت تعانيه المنطقة الخليفة أرسل ابنه الطيب رفقة محمد المصطفى أفيال إلى مدرسة النجاح بنابلس، وشجع أصدقائه على إيفاد أبنائهم إلى هذه المدرسة. كما تقدم بمقترحات متتالية إلى السلطات الاسبانية للمطالبة بحق المغرب في التوفر على مؤسسات تعليمية بمختلف مستوياتها، ودعى سنة 1928 إلى انشاء كلية عربية جامعة بتطوان، وصاغ في ذلك تقريرا مفصلا حول التخصصات الدراسية والمواد وهياكل التدريس، لكنه بقي حبرا على ورق، كما صاغ تقريرا لإصلاح المدارس القرآنية، لكن السلطات الاسبانية لم تستجب لطلباته،<sup>130</sup> بالمقابل استطاع فتح المدرسة الأهلية بتطوان سنة 1924 وكانت أول مدرسة ابتدائية عصرية عربية حرة بشمال المغرب بإدارة الفقيه محمد داود<sup>131</sup>.

كما أسسوا المعهد الحر بمبادرة من عبد الخالق الطريس، وكان من أهدافه المباشرة إقامة مبادئ التعليم الحديث بالمغرب، وسد الفراغ الحاصل فيما يتعلق ببعض النشاطات الثقافية، أما أهدافه الغير المباشرة فتتمحور حول تكوين طبقة من الموظفين الممتازين وجمهور من المترجمين، الذين يستفاد منهم عمليا وفكريا

<sup>129</sup> عبد العزيز خلوقة التمساني، "تقويم سياسي عام لنظام الحماية الاسبانية على المغرب الشمالي (1912-1956)", ضمن مدخل إلى تاريخ المغرب الحديث من

عصر الحسن الأول إلى عصر الحسن الثاني، إشراف عبد الحق المريني، مركز الدراسات والبحوث العلوية، 1996، ص 103 104

<sup>130</sup> محمد زاد، موسوعة الحركة الوطنية...، م 2 ج 3 ص 221

<sup>131</sup> ابن عزوز حكيم، م 3 ص 1493.

ويعطي للوطنية قسما مع الدعاة يعرفون تاريخ بلادهم وأحوالها، ويجدون المقدره التامة على التعبير عن آلامها وأحزانها، ويخلف جماعة من الشباب تجمع بين ثقافتين<sup>132</sup>.

كما عملت النخبة الشمالية على تكوين خير خلف لخير سلف بإرسال بعثات طلابية إلى المشرق، أولها كما سبق الذكر تلك البعثة المكونة من الطيب بنونة ومحمد أفيال، ولحق بهم في السنة الموالية سبعة طلاب، وساهم ذلك في تطوير معارف الطلبة وربط اتصالات بجمعيات الطلبة من الدول الشقيقة وبوطني الدول المجاورة، وكذا بوطني المنطقة الفرنسية، والمشاركة في بعض الجمعيات والعصب المناهضة للاستعمار<sup>133</sup>.

أما فيما يخص الآلية الثانية، فقد انتبه الوطنيون في المنطقة الخليفية إلى أهمية الجرائد في نشر الوعي الوطني والقومي، وهكذا كانوا يستقدمون الجرائد المشرقية عبر البريد الانجليزي، قبل أن يؤسسوا المطبعة المهديّة التي لعبت دورا هاما في إصدار الصحف والنشرات باللغة العربية<sup>134</sup>، وهكذا أصدر محمد داود مجلة السلام سنة 1933 والتي منعتها السلطات الاستعمارية بعد صدور عشرة أعداد، ليعود سنة 1936 لينشئ جريدة الأخبار التي لقيت نفس المصير بعد صدور خمسة أعداد<sup>135</sup>، وأصدر عبد الخالق الطريس سنة 1934 جريدة الحياة الأسبوعية التي أرهقت بالغرامات مما ساهم في توقيفها، ليعود سنة 1937 ليصدر جريدة الحرية.

ويشير الصحفي جان وولف في كتابه ملحمة عبد الخالق الطريس إلى أن جرائد الشمال كانت تقرأها الأوساط السياسية بشره، في كل مكان يمكن العثور عليها، وبما أن دخولها للمنطقة الشمالية كان سريرا، فإن أثمانها كانت تتضاعف عدة مرات، فالجريدة التي كانت تساوي بسيطة واحدة في الشمال كان يعاد بيعها ب 20 بسيطة في المنطقة الجنوبية<sup>136</sup>.

وتبقى أهم آلية للتأثير نهجتها النخبة الشمالية هو تأسيسها لأحزاب سياسية، حيث كانت البداية بتأسيس حزب الإصلاح الوطني سنة 1936 والذي كان من أهدافه التي جاءت في قانونه الأساسي: إيصال الأمة المغربية إلى جميع حرياتها وكامل استقلال أراضيها، وتحقيق الوحدة المغربية سياسيا ولغويا، وإكتساب سائر الحقوق الضائعة لغويا وسياسيا، وإبلاغ الأمة إلى مركز سام من الحضارة والقوة. وفي 3 مارس 1938 أعد الحزب وثيقة مطالب الشعب المغربي<sup>137</sup>. كما أسس المكي الناصري حزب الوحدة المغربية في 3 فبراير 1937، وأصدر جريدة ناطقة

<sup>132</sup> عثمان أشقري، الفكر الوطني من 1930 إلى سنوات الاستقلال الأولى (مقاربة سوسيولوجية)، بحث لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم

الإنسانية بالرباط 2002-2003، ص 231 232.

<sup>133</sup> عبد الرحيم يرادة، إسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية 1931 - 1956، ج 2، إفريقيا للنشر، ط1، 2007، ص 232.

<sup>134</sup> عبد العزيز خلوق التمساني، م س.

<sup>135</sup> حسناء داود، مادة محمد داود، موسوعة الحركة الوطنية .... م س، ج 2، م 4، ص 403.

<sup>136</sup> جان وولف، ملحمة عبد الخالق الطريس حقيقة الحماية الفرنسية الإسبانية بالمغرب، ترجمة محمد الشريف، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان 2003،

ص 176.

<sup>137</sup> أشقري، م س، ص 182.

باسمه وهي جريدة الوحدة المغربية، وهذان الحزبان دخلا في تنافس شديد إلى غاية سنة 1942 حيث اتحدا في الجبهة القومية الوطنية المغربية ورفعا يوم 14 فبراير 1943 وثيقة المطالبة بالاستقلال ووحدة المغرب الترابية مع وجوب اسقاط نظام الحماية<sup>138</sup>.

#### المحور الثالث: خصائص النخبة الشمالية:

ما يلاحظ هو أن أغلب أعضاء هذه النخبة السياسية ينتمون إلى تطوان، وهذا لم يمنع وجود أسر أخرى، لكنها لم تترك صدى مثلما كان للأسر التطوانية، وربما يرجع هذا إلى الجاه والنسب الذي كان للأسر التطوانية، والتي حافظت على أنسابها عن طريق علاقات تصاهيرية منغلقة على ذاتها.

ما يميز أيضا هذه النخبة الشمالية هو تأثيرها بشكل كبير بالأفكار السائدة في المشرق آنذاك وعلى رأسها أفكار السلفية والقومية العربية، وهي أفكار كان يروجها أعلام مثل محمد عبده ورشيد رضا وشكيب أرسلان الذي زار المنطقة الخليفية سنة 1930، ونقل هذه الأفكار إلى المغرب في مرحلة أولى كل من أبو شعيب الدكالي ومحمد بلعربي العلوي، قبل أن يلتحق رواد هذه النخبة السياسية بأنفسهم إلى المشرق للدراسة.

وعلى إعتبار أنه كان للسلطان سلطة اسمية على رعاياه في المنطقة الخليفية، وكان الخليفة هو الذي يتولى السلطة الرسمية المباشرة بالنيابة عن السلطان، فقد كانت النخبة السياسية بالشمال تتعامل مع الخليفة والسلطان معا، وتشبهتها بسلطة السلطان هو في الوقت ذاته حسب رأيها تشبث بالعمل الوطني الموحد.

أما علاقتها بالحركة الوطنية في المنطقة الفرنسية فقد كانت النخبة السياسية في الشمال مستقلة عن الحركة الوطنية في المنطقة الجنوبية، وتتخذ قراراتها بناء على الظروف التي تمر منها المنطقة، كما كانت لها تنظيماتها المستقلة ولا يجمعها بالنخبة السياسية في المنطقة الفرنسية إلا وحدة الهدف، كما كانت متأثرة بالثقافة الإسبانية والجو اللاتيني الإسباني التقليدي المتمثل في سيطرة الجيش والكنيسة، لذلك غلب عليها التعريف بالهوية المغربية فأعطت للثقافة وتقويم الأخلاق والتعليم ومحاربة البدع اهتماما كبيرا.

واستطاعت في نفس الوقت أن تؤمن لنفسها تعايشا مع الأنظمة الإسبانية الأربعة التي تعاقبت على الحكم في مدريد خلال فترة الحماية، ذلك التعايش كان يستمد مفهومه من سعي الأنظمة المذكورة لبسط سيطرتها على المنطقة الخليفية مقابل التفاهم مع الوطنيين على إدخال الإصلاحات المناسبة بالتعاون مع حكومة الخليفة.

ولكن هذا لا يعني أنها كانت نخبة إصلاحية فقط بل تحركت وفق ما تسمح به الظروف، كما إنها استطاعت تحقيق سبق وطني تجلى في إصدار الصحف والمجلات، والعمل العلني وتأسيس الأحزاب، وجاء تعاملها بنوع من المرونة

مع الاسبان، في حين وجهوا سهام النقد لفرنسا نظرا لوعيمهم بأن الاستعمار الفرنسي هو الأصل والاسباني هو الفرع، وإذا سقط الأصل سقط الفرع<sup>139</sup>.

خاتمة :

إن موضوع النخب السياسية يعتبر مدخلا هاما لدراسة التاريخ السياسي والثقافي وحتى الاقتصادي، وهو موضوع ما زال مهما في الدراسات التاريخية المغربية، وربما سيؤدي الاهتمام به إلى تسليط الأضواء على زوايا ما زالت مظلمة في التاريخ المغربي .

المراجع:

1- كتب:

- عبد العزيز السعود، تطوان خلال القرن التاسع عشر مساهمة في دراسة المجتمع المغربي، مطبعة الحداد، تطوان، 1996.
- جان وولف، ملحمة عبد الخالق الطريس حقيقة الحماية الفرنسية الإسبانية بالمغرب، ترجمة محمد الشريف، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان 2003.
- عبد الرحيم برادة، إسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية 1931 – 1956، ج 2، إفريقيا للنشر، ط1، 2007.
- مصطفى الشابي، النخبة المخزنية خلال القرن التاسع عشر، ترجمة أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الطبعة الأولى، المحمدية، مطبعة فضالة، 1995.

2- موسوعات

- معلمة المغرب، ج 12، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، 2000.
- معلمة المغرب، ج5، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، 1992.
- موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، ج 2، المجلد3، 4، 5، منشورات المندوبية السامية للمقاومة وأعضاء جيش التحرير، 2009.



## مجلة الدراسات الإفريقية ومحض النيد- العدد العاشر - ماي 2020م



### 3- أطاريح:

- عثمان أشقري، الفكر الوطني من 1930 إلى سنوات الاستقلال الأولى ( مقارنة سوسولوجية )، بحث لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط 2002-2003 .

### 4- مقالات

- حكيم محمد بن عزوز: موقف الحركة الوطنية في شمال المغرب من الاستعمار الفرنسي، ضمن تطوان في عهد الحماية، أعمال ندوة مجموعة البحث في التاريخ المغربي والأندلسي بكلية الآداب بتطوان، تطوان، المجلس البلدي، 1992.
- عبد العزيز خلوq التمساني ، تقويم سياسي عام لنظام الحماية الاسبانية على المغرب الشمالي (1912-1956)، ضمن مدخل إلى تاريخ المغرب الحديث من عصر الحسن الأول إلى عصر الحسن الثاني، إشراف عبد الحق المريني، مركز الدراسات والبحوث العلوية، 1996.



مجلة الدراسات الإفريقية وحموض النيل – العدد السادس عشر - يونيو 2022م



التوجهات الثقافية للسياسة الإفريقية للمملكة المغربية

## CULTURAL ORIENTATIONS OF THE AFRICAN POLICY OF THE KINGDOM OF MOROCCO

د. رضوان الوهابي. أستاذ باحث بالمعهد الجامعي للدراسات الإفريقية والأورومتوسطية والإيبيروأفريقية – جامعة محمد الخامس –

الرباط – المغرب. البريد الإلكتروني: elouahhabi1@gmail.com

الملخص: تعتبر التوجهات الثقافية من الرهانات التي أصبحت أكثر وضوحا وقوة ضمن التوجهات الخارجية للمغرب تجاه إفريقيا. فارتباطا بالزخم التاريخي الذي تستند إليه هذه التوجهات، تسعى الدبلوماسية المغربية لترسيخ النفوذ الديني والروحي للمملكة إفريقيا ومأسسته، وذلك في إطار تعاون متعدد الأبعاد غايته خدمة المصالح الوطنية العليا للمملكة وعلى رأسها قضية الصحراء. الكلمات المفتاحية: المغرب، التوجهات الثقافية، الدبلوماسية الدينية، تكوين النخب، السياسة الإفريقية.

**Abstract :** Cultural orientations are among the bets that have become more clear and powerful within the foreign policy orientations of the Kingdom of Morocco towards the countries of sub-Saharan Africa. In connection with the historical momentum on which these trends are based, Moroccan diplomacy seeks to consolidate and institutionalize the religious and spiritual influence of the Kingdom in Africa, within the framework of multi-dimensional cooperation aimed at serving the higher national interests of the Kingdom and at its main issue: the Sahara's case.

**Key Words :** Morocco, cultural orientations, religious diplomacy, elites formation, african policy.

### مقدمة

قديمًا، قال وزير خارجية فرنسا في عهد نابليون لسفرائه: "اجعلوا فرنسا محبوبة"، موجزا بهذه العبارة ما يجب أن يكون الهدف من الدبلوماسية بشكل عام. وبالتالي، من أجل تكوين صداقات في الخارج، غالبًا ما يبرز استخدام الثقافة كواحد من أكثر الموارد إثارة للاهتمام التي يمكن أن يستخدمها بلد ما وأجهزته الدبلوماسية.<sup>(140)</sup>

ويمكن القول إن الرهانات الثقافية تعتبر من الرهانات التي تحظى بأهمية خاصة في توجهات السياسة الإفريقية للمملكة المغربية لارتباطها من جهة بالزخم التاريخي الممتد إلى قرون عديدة ترسخت خلالها أو اصر التواصل بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، ومن جهة ثانية بالدور الحضاري الذي يسعى المغرب لتكريسه في علاقاته الإفريقية منذ الاستقلال إلى اليوم، والذي يجد سنداً له في الرأسمال الرمزي الذي تتمتع به الملكية المغربية في المنطقة، ولاسيما في إفريقيا الغربية وفي منطقة الساحل.

وقد ظل عامل الثقافة دائماً حاضراً كعنصر محدد لتوجهات السياسة الخارجية للمغرب عموماً وسياسته الإفريقية على الخصوص. وأصبح التعاون المغربي الإفريقي في المجالات الثقافية يحظى باهتمام أكبر من طرف المغرب في علاقاته مع بلدان إفريقيا جنوب الصحراء منذ بداية عقد السبعينيات، بفعل رغبة القادة من الجانبين في إقامة تعاون حقيقي تأكيداً على التضامن فيما بين بلدان الجنوب من جهة، ورغبة في تعزيز العلاقات الثنائية من جهة أخرى.<sup>(141)</sup>

ولقد شهدت سنوات ما بعد انسحاب المغرب من منظمة الوحدة الإفريقية تكريساً للبعد الثقافي في علاقات المغرب ببلدان إفريقيا جنوب الصحراء، كما أكد الملك محمد السادس تشبثه بهذا الجانب من التعاون؛<sup>(142)</sup> حيث أضحت الرهانات الثقافية تحتل موقعا هاما ضمن توجهات السياسة الإفريقية للمملكة المغربية، فالدبلوماسية المغربية اليوم تراهن بقوة على البعد الثقافي من أجل تقوية الحضور المغربي إفريقيا في شتى المجالات.

<sup>(140)</sup> François Chaubet, Laurent Martin, « Chapitre 5 - L'action culturelle et la diplomatie publique de la France », dans: *Histoire des relations culturelles dans le monde contemporain*. Sous la direction de François Chaubet, Laurent Martin, Paris: Armand Colin, « U », 2011, p. 117-142. Site internet: < <https://www.cairn.info/histoire-des-relations-culturelles-dans-le-monde--9782200254551-page-117.htm> >

Date de dernière visite : 01/02/2022

<sup>(141)</sup> Abdelaziz BARRE, « La politique marocaine de coopération en Afrique. Essai de bilan », in Abdallah SAAF: *Le Maroc et l'Afrique après l'indépendance*, Rabat: publication de l'Institut des Etudes Africaines, série: colloques et séminaires n° 4, 1996, p. 19.

<sup>(142)</sup> يقول الملك محمد السادس في خطابه خلال حفل تنصيب الرئيس المالي الجديد بياماكو في شتنبر 2013، بخصوص الشراكة التي تعتمزم المملكة المغربية عرضها، من أجل إعادة بناء مالي: "إن أي مبادرة دولية يتم التنسيق بشأنها دون إيلاء البعد الثقافي والعقائدي الأهمية التي يستحقها، سيكون مصيرها الفشل". أنظر: "نص الخطاب الذي ألقاه جلالة الملك خلال حفل تنصيب الرئيس المالي الجديد بياماكو: 19 شتنبر 2013"، موقع الإنترنت:

< <https://www.maroc.ma/ar/جلالة-الملك-يحضر-حفل-تنصيب-الرئيس-المالي-الجديد-أنشطة-ملكية> >

تاريخ آخر زيارة: 2022/04/08.

إن مشكلة الثقافة من الوجهة التربوية هي في جوهرها مشكلة توجيه الأفكار،<sup>(143)</sup> وهذا هو لب الرهان الذي تعمل الدبلوماسية المغربية إفريقيا من أجل كسبه؛ إنها تحاول، من خلال اهتمامها بالبعد الثقافي، كسب قلوب الأفارقة وعقولهم وبناء علاقات متعددة الأبعاد معهم ترقى من التعاون إلى شراكة مربحة للطرفين، وتوجههم نحو تأييد وجهات النظر المغربية من مختلف القضايا المطروحة على الصعيد الدولي.

ويسعى هذا المقال، من خلال منهج تحليلي وصفي، وباستحضار منظور الواقعية الجديدة في العلاقات الدولية، إلى إبراز التوجهات الثقافية للسياسة الإفريقية للمغرب، في عهد الملك محمد السادس، وذلك في محاولة للإجابة على سؤال الثابت والمتحول فيها، ومدى تمكنها من ربح الرهانات المطروحة عليها، في ظل زخم التطورات التي عرفتها البيئة الدولية المطبوعة بالتنافس حول القارة، وبتنوع التحديات التي تواجه بلدان القارة الإفريقية ككل وتعدد الفاعلين فيها.

تقوم هذه التوجهات أساساً على دعامين أساسيين مترابطين ومتكاملتين، دبلوماسية دينية نشيطة يقودها أمير المؤمنين الملك محمد السادس، وسياسة للتعاون في مجال تكوين الأطر. تبعا لذلك يتناول هذا المقال بالبحث التوجهات الثقافية للمغرب تجاه إفريقيا في محورين يركز أولهما على التطورات التي عرفتها الدبلوماسية الدينية للمغرب في إفريقيا فيما يتناول المحور الثاني بالدراسة سياسة تكوين الأطر الإفريقية.

### أولاً- الدبلوماسية الدينية للمغرب تجاه إفريقيا: من التعاون إلى المؤسسة

إن دراسة التفاعلات الثقافية بين المغرب وإفريقيا الغربية تقود حتماً إلى إبراز أهمية مواطن التأثير المتبادل فيما بينهما من خلال الوقوف على أهم العناصر المشتركة في الهوية الثقافية والحضارية للطرفين، والمتجلية في عدة مظاهر ثقافية اجتماعية ودينية، يحتل فيها العامل الإسلامي موقع الصدارة.<sup>(144)</sup> ويمكن الوقوف على النفوذ المغربي في نشر الإسلام في إفريقيا، والذي يؤكد عمق الانتماء المغربي لإفريقيا وامتداداته الروحية الراسخة، من خلال ثلاثة تجليات مرس عبرها هذا النفوذ، وهي: الكتابة العربية والمذهب المالكي وكذا الطرق الصوفية.<sup>(145)</sup>

واليوم، وفي سياق العولمة، حيث تزايدت أهمية العامل الثقافي مع ارتفاع درجة التواصل بين الأمم، وتوسع شبكة العناصر المؤثرة فيها؛ فبعد أن حازت المداخل والقضايا الواقعية التقليدية الأولوية لدى داري وممارسي العلاقات الدولية في مرحلة الحرب الباردة، وبعد أن برزت أولوية المداخل والقضايا المتصلة بعلاقات الاعتماد المتبادل الاقتصادي والتبعية الاقتصادية في مرحلة الانفراج وتصفية القطبية الثنائية، تبرز اليوم أولوية نظائرها الاجتماعية والثقافية.<sup>(146)</sup>

<sup>(143)</sup> أنظر: مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دمشق: دار الفكر، ط 4، 1984، ص 67.

<sup>(144)</sup> Abdoulaye ELIMANE KANE, «influences culturelles dans les rapports Maroc – Sénégal», Rabat: publication de l'Institut des Etudes Africaines, série: conférences n° 6, 1992, p. 5.

<sup>(145)</sup> Hassan AOURID, «Contribution à l'étude de la coopération Maroc-Africaine», Mémoire de DES, FSJES Rabat-Agdal, 1992, p. 25.

<sup>(146)</sup> د. نادية محمود مصطفى، "حوار الحضارات، على ضوء العلاقات الدولية الراهنة (2/1)"، مجلة رسالة التقريب، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية،

العدد 31، 1422هـ، ص ص 112-113، موقع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية على الإنترنت:

< <https://www.taghrib.org/ar/magazine/content/31/112> >. تاريخ آخر زيارة: 2022/02/21.

إن المشكلة الأساسية التي تطرحها العولمة على المستوى الثقافي هي أن انتقال الأفكار والصور والأخبار والمعلومات وغيرها لا يتم في جميع الاتجاهات من الجميع إلى الجميع، بل يتم في اتجاهات أحادية من طرف مراكز معينة ومحدودة نحو العالم أجمع. وهو ما جعل الكثيرين يعبرون عن خشيتهم مما يمثله هذا التيار الجاري من تهديد لنسق وقيم وتقاليد وثقافات الشعوب وخصوصياتها الحضارية.<sup>(147)</sup>

ويميل الكثير من المحللين إلى الاعتقاد بأن تأثير العولمة على دول العالم الثالث بصورة عامة وإفريقيا على وجه الخصوص سوف يكون سلبيا، وتعتبر القارة الإفريقية من المناطق المرشحة للخضوع للتداعيات السلبية للعولمة بسبب الفقر والتخلف الاقتصادي والاجتماعي وسيادة الأمية والبطالة، مما يجعلها عاجزة عن المنافسة في عالم سيكون الاحتكام النهائي فيه للكفاءة والإنتاجية والتكنولوجيات المتطورة.<sup>(148)</sup>

في ظل هذه الظروف، ارتكزت السياسة الإفريقية للمغرب، على توجيه الدبلوماسية المغربية نحو تعميق الارتباطات الدينية، التي ظلت وثيقة ولا تزال، مع باقي الدول الإفريقية؛ كما عملت على جعل التعاون الديني مع هذه الدول مدخلا أساسيا في هذه السياسة، ساعية إلى تعزيز نفوذها في إفريقيا جنوب الصحراء عموماً واكتساب المزيد من التأثير في إفريقيا الغربية ومنطقة الساحل على الخصوص. وقد صببت الجهود المبذولة بهذا الصدد في اتجاهين:

- تعزيز التعاون الديني مع هذه البلدان ومأسسته؛
- توثيق الصلات بالطرق الصوفية المنتشرة ببلدان المنطقة والسعي إلى تنظيم آليات اشتغالها.

### 1- التعاون الديني بين تكتيف المبادرات والتوجه نحو المؤسسة

يتموقع العامل الديني، في قلب كل استراتيجيات ومبادرات الفاعلين الحكوميين والمؤسساتيين وكذا الأفراد والقادة الدينيين في العلاقات المغربية الإفريقية.<sup>(149)</sup> ويسعى المغرب من خلال هذا النوع الخاص من التعاون مع بلدان منطقة إفريقيا جنوب الصحراء، إلى ترسيخ الحضور المغربي بمجتمعات دول المنطقة وإظهار التزام المملكة المغربية بالعمل الثابت والدائم للدفاع عن الإسلام بالقارة الإفريقية.<sup>(150)</sup>

وترسيخا لهذا الحضور، شهدت السنوات التي أعقبت تولي الملك محمد السادس العرش تكتيفا للنشاط الدبلوماسي لمؤسسة "إمارة المؤمنين" على الساحة الإفريقية،<sup>(151)</sup> إذ قام الملك محمد السادس بجولات إفريقية عديدة، حرص على

<sup>(147)</sup> د. محمد الصوفي، "تحولات النظام الدولي في عصر العولمة"، الرباط: مكتبة دار السلام، الطبعة الثانية مزودة ومنقحة، 2002، ص 25.

<sup>(148)</sup> نفس المرجع السابق.

<sup>(149)</sup> Bakary SAMBE, «Islam et diplomatie: la politique africaine du Maroc», Rabat: Editions Marsam, 2010, pp. 113-158.

<sup>(150)</sup> Abdessamad BELHAJ, op. cit., p. 193.

<sup>(151)</sup> شملت هذه الجولات نحو 50 زيارة لدول إفريقية حتى منتصف سنة 2017 ووفي الفترة الفاصلة بين عامي 2014-2016، شملت الأنشطة الرسمية 70 صلاة جمعة، 13 منها نُظمت بدول إفريقية كالسنتغال ومالي واليابون ونيجيريا، وشهدت لقاء نحو 14 زعيما دينيا وشيخ طريقة صوفية. أنظر: المهدي الزايدوي، دبلوماسية "العارفين بالله" المغرب يُحلق دوليا بأجنحة صوفية، 13/1/2022، موقع قناة الجزيرة على الإنترنت:

تضمينها عددا من الأنشطة الدينية، من قبيل إقامة صلاة الجمعة، واستقبال الزعماء الدينيين وشيوخ الطرق الصوفية، وتوزيع نسخ من القرآن الكريم التي تشرف على طباعتها مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف.<sup>(152)</sup> وفي إطار الدبلوماسية الدينية المغربية النشيطة إفريقيا، يمكن رصد مجموعة من العمليات التي لا تقل أهمية، منها:

- تكوين الأئمة بالمغرب؛

- بناء المساجد: حيث قام المغرب ببناء مساجد في العواصم الرئيسية في غرب إفريقيا كباكو ونواكشوط ودكار؛<sup>(153)</sup>
- توفير منح للطلبة الراغبين في متابعة الدراسات الإسلامية؛
- دعوة العلماء الأفارقة للمساهمة في الدروس الحسنية الرمضانية...

مع بداية الألفية الثانية، أخذ هذا التعاون يأخذ شيئا فشيئا طابعا مؤسساتيا، ففي عام 2004، تم إصدار الظهير المؤسس لمعهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات، وأتت هذه الخطوة في إطار استراتيجية المغرب لتأطير المجال الديني، واستهدفت عددا من المرشدين والمرشدات الأجانب الذين تمتد مدة تكوينهم بهذا المعهد ما بين 6 أشهر و3 سنوات، فاحتضن المعهد عددا من الطلبة من الخارج وعلى رأسهم الطلبة الأفارقة من السنغال ومالي وغينيا وكوت ديفوار ونيجيريا والغابون وتشاد، بالإضافة إلى دول أخرى.<sup>(154)</sup>

يدخل إحداث هذا المعهد في إطار استراتيجية المغرب الدينية التي تميزت على المستوى الداخلي بإعادة ترتيب الحقل الديني، وعلى المستوى الخارجي بالتوجه نحو تجاوز الطابع المناسباتي لعمل الدبلوماسية المغربية إفريقيا وإعطائه طابعا مؤسساتيا منتظما، لتشجع المملكة في تكوين الأئمة الذين سيعملون داخل القارة وفق الثوابت الدينية المغربية.

> <https://www.aljazeera.net/midan/intellect/groups/2022/1/13/> < دبلوماسية-العارفين-بالله-المغرب >

تاريخ آخر زيارة: 2022/02/14.

<sup>(152)</sup> تولى هذه المؤسسة اهتماما خاصا للتعاون مع البلدان الإفريقية ضمن برامجها السنوية؛ وعلى سبيل المثال فقد تضمن مشروع البرنامج التوعوي الملحق بمشروع ميزانيتها برسم سنة 2019 ضمن "برنامج الأنشطة العلمية والثقافية والإشعاعية" عددا من المشاريع المصادق عليها بهذا الصدد، نذكر منها:

- طبع 50000 نسخة من المصحف المحمدي المترجم إلى الفرنسية من أجل توجيهها إلى إفريقيا وأوروبا؛

- طبع 20000 نسخة من المصحف المحمدي المترجم إلى الإنجليزية من أجل توجيهها إلى إفريقيا؛

كما تضمن هذا البرنامج من بين توصياته:

- اعتماد مشروع ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الإفريقية: السواحلية، الفولانية، البيمبارا، الهوسا...

- تخصيص كمية من المصحف المحمدي الشريف لفائدة مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة.

أنظر: "الدورة الرابعة عشر لمجلس إدارة المؤسسة المنعقد بتاريخ 19 دجنبر 2018"، نشرة مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف، العدد العاشر، ص 6-7. موقع المؤسسة على الإنترنت: < <https://sama-tube.com/quran/pdf/Bulletin-N10.pdf> >. تاريخ آخر زيارة: 2022/03/16.

<sup>(153)</sup> منح المغرب مثلا مساهمة مالية تقدر بمليار سنتيم لبناء مسجد ومركز إسلامي بمدينة تيفوان، كما أن أشغال ترميم المسجد الكبير لكولوك تم إنجازها من طرف المغرب عبر مساهمة بلغت 700 ألف درهم. أنظر: Abdessamad BELHAJ, op. cit., p. 195 و Hassan AOURID, op. cit., p. 129.

<sup>(154)</sup> المهدي الزايدوي، مرجع سابق.

هذا، وقد كانت دولة مالي سباقة للاستفادة من هذا البرنامج عبر إرسال مجموعة من الطلبة الأئمة من أجل التكوين والتأطير في المجال الديني والشرعي بصفة عامة،<sup>(155)</sup> لتتوالى بعد ذلك الطلبات الواردة من دول أخرى، أغلبها إفريقية. وفيما يلي عدد الطلبة المتخرجين من المعهد ومدة الدراسة لكل جنسية:

الدولة	مالي	فرنسا	كوت ديفوار	غينيا كوناكري	تونس	نيجيريا	تشاد
تاريخ بداية التكوين	2014	2015	2015	2015	2015	2016	2016
نوع التكوين	أساسي	أساسي	أساسي	أساسي	أساسي	مستمر	مستمر
مدة التكوين	سنتان	3 سنوات	سنتان	سنتان	سنة واحدة	3/6 أشهر	3/6 أشهر
عدد الخرجين	395	60	184	198	37	94	79

مصدر المعطيات: معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات.<sup>(156)</sup>

واستمر هذا التوجه نحو المؤسسة من خلال مبادرة الملك بإنشاء "مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة"، تحت رئاسته، في يونيو 2015.<sup>(157)</sup> واعتبر الملك محمد السادس هذه المؤسسة، في خطابه خلال حفل تنصيب مجلسها الأعلى يونيو 2016، لبنة إضافية، تعزز التوجه الاستراتيجي للمملكة، للارتقاء بعلاقات التعاون السياسي والاقتصادي، التي تجمعها بعدد من الدول الإفريقية الشقيقة، إلى شراكة تضامنية فعالة، في مختلف المجالات.<sup>(158)</sup> يدخل هذا التوجه إذن في إطار البعد الإسلامي للسياسة الخارجية المغربية، التي يقودها الملك محمد السادس باعتباره رئيسا للدولة وأميرا للمؤمنين، ويستهدف هذا التوجه تحقيق أهداف سياسية محددة تتمثل في السعي الحثيث إلى لعب دور إقليمي على مستوى الدائرة العربية الإسلامية وممارسة نوع من التأثير والنفوذ على المستوى الإفريقي؛ حيث أن هاتين

<sup>(155)</sup> عرفت هذه العملية انطلاقها بإعلان الملك محمد السادس في الخطاب الذي ألقاه خلال حضوره حفل تنصيب الرئيس المالي الجديد باماكو يوم 19 شتنبر 2013 عن مبادرة لتكوين 500 إمام مالي في المغرب خلال السنوات المقبلة. أنظر: "نص خطاب الملك محمد السادس خلال حفل تنصيب الرئيس المالي الجديد باماكو، 19 شتنبر 2013"، مرجع سابق.

<sup>(156)</sup> أنظر: "الطلبة الأجانب المتخرجون من المعهد"، 3 أكتوبر 2019، موقع المعهد على الإنترنت:

< <https://www.im6.ma/الطلبة-الأجانب-المتخرجون-من-المعهد/> >

تاريخ آخر زيارة: 2022/03/15.

<sup>(157)</sup> صدر الظهير المحدث لهذه المؤسسة (ظهير شريف رقم 1.15.75 يتعلق بإحداث مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة) بالجريدة الرسمية للمملكة المغربية عدد 6372، بتاريخ 24 يونيو 2015، وتم تعديله (بموجب الظهير الشريف رقم 1.16.81) من أجل تحويل مقر المؤسسة من مدينة الرباط إلى مدينة فاس، وتوضيح دياجة الظهير دواعي هذا الإحداث بالاستناد إلى الروابط الدينية والثقافية التي تجمع المملكة المغربية بعدد من بلدان إفريقيا، وبحكم ما تستوجبه الظروف الراهنة من إيجاد إطار من التعاون بين علماء المغرب وعلما البلدان الإفريقية من جهة، وبين هؤلاء العلماء بعضهم مع البعض، من جهة أخرى، على ما يحفظ الدين من التحريف والتطرف، وما يجعل قيمه السمحة في خدمة الاستقرار والتنمية في هذه البلدان.

<sup>(158)</sup> أنظر: "نص الخطاب السامي لأمر المؤمنين الملك محمد السادس، أيده الله، في حفل تنصيب المجلس الأعلى لمؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة" يوم الثلاثاء 08 رمضان 1437 (14 يونيو 2016). موقع مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة على الإنترنت:

< <https://www.fm6oa.org/نص-الخطاب-السامي-لأمر-المؤمنين> >

تاريخ آخر زيارة: 2021/02/18.

الرقعتين الإقليميتين تسمحان للمغرب بتبوء موقع الحليف الكبير للولايات المتحدة وأوروبا، إذ أن التفاوض من أجل الحصول على هذا الموقع، في غياب موارد طاقة، يستند إلى الموارد الرمزية والدبلوماسية المتوفرة.<sup>(159)</sup>

## 2- الطرق الصوفية: الشريان الرئيسي للدبلوماسية الدينية

تتميز علاقات المغرب ببلدان القارة الإفريقية جنوب الصحراء بالحضور القوي للإرث الرمزي المتمثل في العلاقات التفضيلية التي تربط الخلفاء العامين "الرؤساء" للطرق الصوفية بملوك المغرب منذ الملك محمد الخامس.<sup>(160)</sup> وتوضح دراسة الطرق الصوفية بمنطقة إفريقيا جنوب الصحراء الدور الذي تضطلع به هذه الطرق في التفاعل الثقافي بين المغرب وبلدان إفريقيا الغربية من جهة، وبين شمال وجنوب إفريقيا من جهة أخرى.<sup>(161)</sup> ويعد البعد الصوفي مجالاً خصباً للتواصل المغربي الإفريقي، حيث عمل المغرب على تعزيز حضور الإسلام الصوفي في جهات الساحل وإفريقيا الغربية، من خلال الطرق الصوفية المغربية أساساً، وبصفة خاصة دينامية الطريقة التجانية التي تأسست بفاس في 1765م على يد الشيخ أحمد التجاني، دفين فاس، والجزائري المولد، والتي تكمن أهميتها السياسية في الشبكة الاجتماعية التي نسجتها حول الإسلام الصوفي، وبالدور الذي تلعبه في الدبلوماسية الموازية.<sup>(162)</sup>

<sup>(159)</sup> Abdessamad BELHAJ, «La dimension islamique dans la politique étrangère du Maroc - Déterminants, acteurs, orientations», *Thèse présentée en vue de l'obtention du grade de docteur en sciences sociales et politiques* - mai 2008, Faculté des sciences économiques, sociales et politiques, université catholique de Louvain, Belgique: Presses universitaires de Louvain, 2009, p. 195.

<sup>(160)</sup> Abdessamad BELHAJ, op. cit., p. 275.

<sup>(161)</sup> أنظر كلا من: د. قاسم الحادك، "البعد الروحي في العلاقات المغربية الإفريقية: السياق والرهانات"، مجلة مدارات سياسية، الجزائر: مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، المجلد 1، العدد 4، مارس 2018، ص ص 222-236؛ و Abdoulaye ELIMANE KANE, op. cit., p. 5.

<sup>(162)</sup> "حظيت هذه الطريقة برعاية رسمية من طرف الدولة المغربية التي ركزت اهتمامها الكبير عليها، خاصة وأن شيوخها ومريديها طالما عبروا عن ولائهم للعرش العلوي وبالتالي استعدادهم للدفاع عن ثوابت المملكة، وصيانة وحدتها الترابية، ومساندة خياراتها الاستراتيجية خاصة على المستوى الخارجي، فهذه الطريقة تشكل اليوم رقماً صعباً في المعادلة السياسية في كثير من هذه الدول الإفريقية، وتلعب أدواراً هامة في المجالين الروحي والسياسي في بلاد غرب إفريقيا، بالنظر إلى قوتها وثقلها الدبلوماسي داخل المشهد السياسي في المنطقة حيث تتوفر على نفوذ قوي داخل المشهد السياسي في العديد من الدول الإفريقية، خاصة السنغال ونيجيريا، فيما يشبه التأثير نفسه الذي تمارسه جماعات الضغط في الدول المتقدمة، وهو ما جعلها تمارس تأثيراً انتخابياً لا يستهان به. وتمتلك قدرة كبيرة على توجيه سياسات بلدانها خصوصاً على الصعيد الإقليمي، ولعل أهمية الظاهرة الصوفية في غرب إفريقيا، جعلت العديد من رؤساء الدول والحكومات يستمدون شعبيتهم من مشايخ التجانية الذين يملكون مؤسسات دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية". أنظر: د. قاسم الحادك، مرجع سابق، ص ص 232-233. ولمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، أنظر أيضاً:

- Abdessamad BELHAJ, op. cit., p. 193.

- Bakary SAMBE, «Tidjaniya: usages diplomatiques d'une confrérie soufie», *Politique étrangère*, Paris: Institut français des relations internationales, 2010/4 (Hiver), pp. 843-854. < <https://www.cairn.info/revue-politique-etrangere-2010-4-page-843.htm> >

Date de dernière visite: 26/02/2022.

ووعياً منه بالفرض السياسية التي تتيحها هذه الآلية، يحرص المغرب على إقامة أيام ثقافية إسلامية لأتباع الطريقة التجانية في شهر دجنبر من كل سنة بالسنگال، تحت الرعاية السامية لملك المغرب؛ حيث وصلت هذه التظاهرة لدورها الواحدة والأربعين في دجنبر 2021.<sup>(163)</sup>

إن تأثير هذا التجمع الديني السنوي الكبير يذهب لما هو أبعد من الإطار الثنائي للعلاقات بين المغرب والسنگال، وبسبب الثقل الديني والسياسي الذي تتمتع به التجانية التي يتبعها الملايين في إفريقيا والعالم، والتي ولد مؤسسها بالجزائر ثم تعلم واستقر وتوفي بالمغرب، فقد أصبحت، منذ سنوات وإلى اليوم، مثار تنافس سياسي ودبلوماسي بين البلدين.

وقد سعت الجزائر إلى توظيف التيار التجاني الواسع الانتشار في دول الساحل والصحراء، من أجل معاكسة المغرب بخصوص قضية الصحراء ووأد مشروع إعادة النظر في عضوية ما يسمى بـ "الجمهورية الصحراوية" المزعومة في الاتحاد الإفريقي، خاصة وأن عدداً من دول الساحل هي دول مؤيدة للمغرب؛ حيث عملت على دعم قياداته المحلية، وأولت اهتماما كبيرا لتنظيم مؤتمراته العالمية في الجزائر مع الحرص على مشاركة إفريقية قوية، وفضلا عن ذلك فإنه كثيراً ما كان يرافق وزير الشؤون الدينية رئيس الجمهورية في زيارته إلى دول الساحل للالتقاء بأقطاب التجانية.<sup>(164)</sup>

هكذا، وفي بداية الثمانينيات حاولت الجزائر تنظيم الملتقى الدولي الأول للتجانين، غير أن ملك المغرب الراحل الحسن الثاني سارع إلى إرسال وزيره في الأوقاف آنذاك، في جولة دامت شهراً اتصل خلالها بشيوخ الطريقة التجانية الأفارقة ليقنعهم بمقاطعة الملتقى الجزائري، ونجح في ذلك. ثم ما لبث المغرب أن دعا المنتسبين للتجانية جميعاً إلى أول ملتقى دولي لهم بفاس عام 1986؛ واعترف زعماء التجانية في ذلك الملتقى بمغربية الصحراء وأدانوا موقف الجزائر منها.<sup>(165)</sup> وقد شهدت دورة 1999، التي جاءت على بعد أشهر من وفاة الحسن الثاني، تجديد الطريقة التجانية بالسنگال إعلان البيعة للعرش العلوي، وذلك بحضور ممثل عن الرئيس السنغالي آنذاك الذي أبرز أهمية الدور الذي تحظى به هذه الطريقة في الحفاظ على متانة العلاقات مع المغرب.<sup>(166)</sup>

وفي نونبر 2006 نظمت الجزائر أول ملتقى دولي للتجانين بمدينة الأغواط القريبة من عين ماضي التي ولد بها الشيخ أحمد التجاني، شاركت فيه وفود بعض الدول وقاطعته أخرى على رأسها المغرب.<sup>(167)</sup> وقد حرصت المملكة المغربية، على الرد على

<sup>(163)</sup> أنظر: "تيجانيو دكار ينظمون الأيام الثقافية الإسلامية ال 41 تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة أمير المؤمنين"، جريدة الصحراء المغربية، العدد 11093 ليوم 2021/12/27، موقع الجريدة على الإنترنت: <<https://epaper.lematin.ma/assahraa/journal/2021/12/27>>. تاريخ آخر زيارة: 2021/02/18.

<sup>(164)</sup> سليم العايب، "الدبلوماسية الجزائرية في إطار منظمة الاتحاد الإفريقي"، بحث لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، كلية الحقوق، جامعة الحاج لخضر - باتنة، السنة الجامعية 2010-2011، ص ص 151-152.

<sup>(165)</sup> الحسن السرات، "الطريقة التيجانية بين المغرب والجزائر.. صراع السياسة والدين - الزاوية التيجانية واجهة أخرى للصراع السياسي المغربي الجزائري"، الرباط، الاثنين 2007/07/09، موقع الجزيرة على الإنترنت:

< <https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2007/7/9/الطريقة-التيجانية-بين-المغرب> >

تاريخ آخر زيارة: 2022/03/21.

<sup>(166)</sup> Bakary SAMBE، « Tidjaniya : usages diplomatiques d'une confrérie soufie », op. cit.

<sup>(167)</sup> الحسن السرات، مرجع سابق.

هذه المبادرة الجزائرية عبر احتضان الجمع الدولي لمشيخة الطريقة التجانية الذي ضم منتسبي الطريقة على الصعيدين الوطني والدولي، حيث تم عقد هذا الملتقى تحت الرعاية السامية لملك المغرب بمدينة فاس في شهر يونيو من سنة 2007،<sup>(168)</sup> وعرف مقاطعة الجزائر، إلا أنه تميز بحضور مكثف لممثلي التجانية بإفريقيا ودول غربية.<sup>(169)</sup> وفي 4 نونبر 2008 قامت الجزائر، برعاية من الرئيس الجزائري، بتنظيم الملتقى الدولي الثاني للطريقة التجانية، ثم ما لبثت المشيخة التجانية بالمغرب أن نظمت تظاهرة كبرى، جرت تحت رعاية الملك محمد السادس على مدى ثلاثة أيام في أكتوبر 2009، كانت بمثابة الدورة الثانية للملتقى الدولي لمنتسبي الطريقة التجانية.<sup>(170)</sup> وقد حرص المغرب على استمرارية هذه التظاهرة التي عقدت الدورة الثالثة لها بفاس بين 14 و16 مايو 2014؛ وعرفت هذه الدورة كذلك مقاطعة الجزائر التي تتخوف من احتكار المملكة الحديث باسم التجانية بالعالم، خاصة وأن شيخ الطريقة بالجزائر، يقدم نفسه على أنه الخليفة العام لجميع التجانيين بالعالم والمرجع العالمي الأول للطريقة التجانية.<sup>(171)</sup> أمام هذه الدبلوماسية الدينية التي تقودها المملكة المغربية، لم تقف الجزائر مكتوفة الأيدي، بل انتهجت نهجا دفاعيا عبر مضاعفة الدعم المقدم للطريقة التجانية بالجزائر، وذلك من عدة أوجه: تنظيم ملتقيات دولية للطريقة بالجزائر، إشراك شيخ الطريقة في استقبال الشخصيات الدينية الأجنبية وترتيب زيارات وأنشطة خارجية له، دعم أنشطة الطريقة داخليا من خلال توفير الرعاية السياسية والدعم المادي لها على أعلى المستويات...<sup>(172)</sup>

<sup>(168)</sup> خليل بن الشبهة، "الطريقة التجانية تنظم جمعها الثاني بالمغرب"، 2009/10/03، موقع مغرس على الإنترنت (نقلا عن موقع التصوف): <http://www.maghress.com/attasawof/92> < تاريخ آخر زيارة: 2022/03/18 >

<sup>(169)</sup> الحسن السرات، مرجع سابق.

<sup>(170)</sup> أنظر: محمد الحافظ ولد محم، "الطريقة التجانية تاريخ وتحد"، الأربعاء 24 يونيو 2020م، موقع الطريقة التجانية على الإنترنت: <https://www.tidjania.ma/2020/06/24//الطريقة-التجانية-تاريخ-وتحد> <

تاريخ آخر زيارة: 2022/04/18 >

<sup>(171)</sup> استرجع القيادي الصوفي الجزائري، علي التجاني، في تصريحات صحفية، الدعوة التي وصلته من المغرب لكونها أتنه مدبجة باسمه فقط دون الإشارة إلى مركزه. أنظر: عبد المغيث جبران، "تيجانيو العالم يجتمعون في فاس وسط اعتراضات جزائرية"، الأربعاء 14 ماي 2014، موقع هسبريس على الإنترنت: <https://www.hespress.com/171443-تيجانيو-العالم-يجتمعون-في-فاس-وسط-اعتراضات-جزائرية> <

تاريخ آخر زيارة: 2022/03/18 >

<sup>(172)</sup> في إطار سعي الجزائر لإعادة التمويع في إفريقيا واستعادة عمقها الإفريقي الذي كان على الدوام ملازماً لسياساتها الخارجية، تقدم السلطات العديد من أوجه الدعم للطريقة التجانية، حيث قام شيخ الطريقة بالجزائر مؤخرا بزيارات لعدة إفريقية، قادتته إلى النيجر (في فبراير 2019) وتشاد (في مارس 2020) ودامت الجولة لأسبوعين، ثم لنيجيريا (في يناير 2022 لما يقارب عشرة أيام)، وقد برز جليا من خلال البروتوكولات التي صاحبت هذه الزيارات والاستقبالات التي تخللتها، ومن بينها استعمال طائرة تابعة لرئاسة الجمهورية، أن شيخ الطريقة يحظى بالدعم على أعلى مستوى. أنظر:

- فضل عبد الرزاق، "الطريقة التجانية بإفريقيا وعلاقتها بالسلطة. من يستغل بالآخر؟"، 9 مارس 2020، موقع " الجزيرة " على الإنترنت:

< <https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/3/9/بلعربي-تشاد> >

- علي ياحي، "هل التفتت الجزائر إلى قوتها الناعمة لاستعادة عمقها الإفريقي؟"، 30 يناير 2022، موقع " كيوبوست " على الإنترنت:

< <https://www.qposts.com/هل-التفتت-الجزائر-إلى-قوتها-الناعمة-لا> >



وإذا كانت الدبلوماسية الدينية للمملكة المغربية تجاه الدائرة الإفريقية، والمركزة على كل من التعاون الديني والتصوف تسعى لتمكين المغرب من تبوء مكانة متميزة باعتباره مركزاً روحياً للمنطقة، فإن ذلك لا يصطدم فحسب بالمنافسة الجزائرية، خاصة مع بروز عدد من التحديات المطروحة بقوة أمام الرهانات المغربية، ولعل أهمها تلك المرتبطة بالمد الشيعي الذي تسعى إيران من خلاله إلى منافسة النموذج السني بروافده الصوفية والسلفية؛<sup>(177)</sup> فبعد أن فقد النموذج السلفي بريقه على المستوى الدولي واتجه نحو الانحسار في أعقاب أحداث الحادي عشر من شتنبر 2001 وما تلاها من تداعيات، مما حدّ من المد الثقافي الخليجي ذا الخلفية السلفية في الأوساط الإفريقية، شهدت إفريقيا بالمقابل تزايداً في نشاط الدبلوماسية الإيرانية التي تحاول التغلغل في المنطقة من خلال استراتيجية ذات أهداف سياسية وأخرى اقتصادية وثالثة دينية وثقافية متمثلة تحديداً في نشر التشيع.<sup>(178)</sup>

ويبدو أن الدبلوماسية المغربية منشغلة بهذا التوجه الإيراني نحو التغلغل في القارة، وعازمة على التصدي له، خاصة في ظل الأزمة التي تعرفها العلاقات بين الرباط وطهران منذ أن أعلن المغرب سنة 2018 قطع علاقاته مع إيران مبرراً ذلك بإشرافها على تدريبات عسكرية لجهة "البوليساريو" عبر عناصر من حزب الله الموالي لها؛ فقد عبر وزير الشؤون الخارجية والتعاون الإفريقي المغربي صراحة عن هذا الانشغال، خلال مناقشة عدد من الاتفاقيات الدولية بالبرلمان، في يناير 2022، حيث أشار إلى أن إيران تحاول الدخول إلى غرب إفريقيا لنشر المذهب الشيعي، مؤكداً على أن الأمن الروحي لإفريقيا من أولويات المغرب للتصدي لأطماع إيران، ومعتبراً بأن للمغرب "العديد من الأدوات للتأثير على المستوى الدولي من خلال آليات الدين والثقافة والأمن".<sup>(179)</sup>

<sup>(177)</sup> حول الدور الإيراني في المنطقة، أنظر:

- د. بدر حسن شافعي، "الدور الإيراني في أفريقيا: المحددات والتحديات"، تركيا: المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية (EIPSS)، 14 فبراير 2020، موقع المعهد على الإنترنت:

< <https://eipss-eg.org/wp-content/uploads/2020/02/الدور-الإيراني-في-أفريقيا-المحددات-التحديات.pdf> >

- وقبلها مقالة لخبير الشؤون الإفريقية د. حمدي عبد الرحمن، "الاختراق الإيراني الناعم لأفريقيا"، 6 مايو 2013، موقع الجزيرة على الإنترنت:

< <https://www.aljazeera.net/opinions/2013/5/6/2-الاختراق-الإيراني-الناعم-لأفريقيا> >

وقد حدد فيها د. حمدي عبد الرحمن ثلاثة أبعاد لهذا الاختراق وهي: البحث عن البورانيوم، البحث عن قواعد وحلفاء، والتبشير بالنموذج الإيراني.

<sup>(178)</sup> حول التنافس السعودي الإيراني في إفريقيا، أنظر كلا من:

- الحسين الشيخ العلوي، "صراع الإرادات السعودي-الإيراني في منطقة الساحل وغرب إفريقيا"، 19 نونبر 2015، موقع الجزيرة على الإنترنت:

< <https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2015/11/20151119103417638618.html> >. تاريخ آخر زيارة: 2022/02/21.

- Paul RAYMOND and Jack WATLING, "The Iranian-Saudi Proxy Wars Come to Mali- In schools, mosques, and cultural centers, Shiites and Sunnis are battling for African hearts and minds", foreign policy, website:

< <https://foreignpolicy.com/2015/08/19/the-iran-saudi-proxy-wars-come-to-mali-shiite-sunni-islam/> >. Date de dernière visite: 21/02/2022.

<sup>(179)</sup> "بوريطة: الأمن الروحي لإفريقيا من أولويات المغرب للتصدي لأطماع إيران"، الشرقي لحرش، الأربعاء 26 يناير 2022، موقع هسبريس على الإنترنت:

< <https://www.hespress.com/935398-935398.html> >. تاريخ آخر زيارة: 2022/02/16..

وقد اتسعت الساحة الإفريقية أيضا لفاعلين آخرين، من أبرزهم تركيا التي قام رئيسها في 20 فبراير 2022 بجولته الثالثة في المنطقة في غضون ست سنوات. وإذا كانت مضاعفة التبادل التجاري مع الدول الإفريقية، تمثل قاطرة الشراكة الاستراتيجية التي تتبناها تركيا، وأشار إليها الرئيس التركي، خلال تواجده في السنغال، عندما تحدث عن "ارتفاع إجمالي التجارة مع القارة الإفريقية من 5.4 مليار دولار في عام 2003 إلى 34.5 مليار دولار بحلول نهاية عام 2021"،<sup>(180)</sup> فإن التوغل التركي لا يشمل الشؤون الاقتصادية والمالية فقط، إنما يتعداها إلى ما هو عسكري وثقافي أيضا، فالقوة الناعمة التي تستخدمها تركيا تشمل أيضا تمويل عدد من المشروعات الثقافية والرياضية والمساجد.<sup>(181)</sup>

في خضم هذه المنافسة متعددة الأطراف والأبعاد التي تواجه الدبلوماسية الدينية للمملكة المغربية إفريقيا، يمكن القول إن ما يحد من تأثير التحديات التي تطرحها هو ما أبان عنه النموذج المغربي في ترتيب الحقل الديني داخليا من اعتراف دولي، لاسيما من طرف القوى الغربية التي تعترف بطابعه السلمي المتسامح، بشكل جعله يصبح أكثر جاذبية ونموذجا يحتذى بالنسبة لعدد من الدول.

وبالإضافة للمكانة التي أصبح يحظى بها المغرب كمركز ديني وروحي للمنطقة، تواصل السياسة الإفريقية للمغرب، من خلال التعاون الثقافي الذي يستفيد منه عدد مهم من الدول الإفريقية، رهانها على جعل المغرب مركزاً لتكوين النخب الإفريقية؛ لاسيما بعد عودة المغرب رسميا في يناير 2017 إلى منظمة الاتحاد الإفريقي بعد 32 سنة من القطيعة.

### ثانيا- التعاون الثقافي المغربي الإفريقي ورهان خلق نخب موالية للمغرب

يرتكز التعاون الثقافي للمغرب مع البلدان الإفريقية، ولاسيما تلك الواقعة جنوب الصحراء، بالأساس، على المساهمة في تكوين الأطر الإفريقية، حيث إن هذا الجانب هو الذي يحظى بأهمية خاصة في التعاون الثقافي؛ فإذا ما استثنينا تبادل الطلاب، أو إيفاد المدرسين، فالتعاون الثقافي سيكون محصورا.<sup>(182)</sup>

إن توجهات السياسة الخارجية المغربية في عهد الملك محمد السادس، أعطت نفساً جديداً وقوياً للتعاون الثنائي في ميدان تكوين الأطر الإفريقية في مؤسسات التعليم العالي المغربية. يقول الملك "وقد أولينا عناية خاصة لمجال التكوين،

<sup>(180)</sup> "تعاون عسكري ومطاردة فرنسا وأشياء أخرى.. ماذا تحمل زيارة أردوغان الأخيرة إلى إفريقيا؟"، 28 فبراير 2022، مرقع عربي بوست على الإنترنت:

< <https://arabicpost.net/4-أردوغان/28/02/2022/تحليلات/> >

تاريخ آخر زيارة: 2022/03/02.

<sup>(181)</sup> من الأمثلة على ذلك: "في عام 2018، منحت مؤسسة ديانيت (Diyant) التركية غانا واحدا من أكبر المساجد في غرب أفريقيا، بسعة 5 آلاف شخص، ومدرسة للأئمة، وفي نهاية عام 2019، افتتحت جيبوتي أكبر مسجد في البلاد، بتمويل من ديانيت. أنظر:

- Marie LECHAPELAYS, « En visite au Sénégal, le président turc confirme ses ambitions africaines », 29 janvier 2020, Site Internet lemonde.fr :

< [https://www.lemonde.fr/afrique/article/2020/01/29/en-visite-au-senegal-le-president-turc-confirme-ses-ambitions-africaines\\_6027644\\_3212.html](https://www.lemonde.fr/afrique/article/2020/01/29/en-visite-au-senegal-le-president-turc-confirme-ses-ambitions-africaines_6027644_3212.html) >. Date de dernière visite: 28/02/2022.

<sup>(182)</sup> يغطي التعاون الثقافي طبعاً مجالات أخرى من الأنشطة (معارض فنية، التبادل السينمائي، الإعلام والتبادل بين وكالة المغرب العربي للأنباء ووكالات الأنباء الأخرى...). أنظر: Hassan AOURID, op. cit., p. 129.

الذي يوجد في صلب علاقات التعاون مع البلدان الإفريقية الشقيقة. وهكذا، تمكن العديد من المواطنين المنحدرين من البلدان الإفريقية، من متابعة تكوينهم العالي في المغرب، وذلك بفضل آلاف المنح التي تقدم لهم.<sup>(183)</sup> ولبحث هذا التعاون لابد من الوقوف على مقوماته الأساسية وإبراز التطورات التي عرفها وكذا رصد أهم نتائجه.

### 1- مقومات التعاون المغربي الإفريقي في مجال تكوين الأطر

جعل المغرب من تكوين الأطر الإفريقية أساسا لسياسته في التعاون مع دول القارة، وذلك من منطلق التضامن الملموس مع البلدان الإفريقية في إطار التجسيد الفعلي للتعاون جنوب-جنوب لبلوغ الأهداف التنموية للقارة الإفريقية.<sup>(184)</sup> وتبعاً لذلك، أصبح تكوين الأطر الإفريقية عنصراً مهماً وضرورياً في برامج التعاون مع البلدان الإفريقية،<sup>(185)</sup> حيث تتناغم هذه التوجهات مع منظور الملك محمد السادس للعنصر البشري باعتباره حجر الزاوية لأي استراتيجية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية المستدامة، وهو ما تجلى عملياً من خلال إطلاقه للمبادرة الوطنية للتنمية البشرية على المستوى الداخلي وانخراطه في مختلف مبادرات المجتمع الدولي الرامية لتحقيق التنمية في إفريقيا. ولقد أصبح التعاون الإفريقي في السنوات الأخيرة يحظى بالأولوية في أجندة الدبلوماسية المغربية. ولا أدل على ذلك من إضافة "التعاون الإفريقي" إلى تسمية الوزارة المكلفة بالشؤون الخارجية والتعاون في الحكومة المغربية منذ أكتوبر 2019 لتصبح تسميتها "وزارة الشؤون الخارجية والتعاون الإفريقي والمغاربة المقيمين بالخارج". وتتولى هذه الوزارة، بحكم الاختصاصات المناطة بها، رسم سياسة التعاون المغربي الإفريقي، طبقاً للتوجهات الملكية بهذا الخصوص. ويندرج التعاون الثقافي باعتباره فرعاً رئيسياً من التعاون المغربي الإفريقي في إطار عملية تكوين "الإنسان الإفريقي"، التي تحظى بأهمية خاصة عند المسؤولين المغاربة. فالنتائج الملموسة لهذا الجانب من التعاون تجعل منه مجالاً يحظى بقدر أقصى من استثمار التعاون المغربي.<sup>(186)</sup> وتكفي الإشارة بهذا الخصوص إلى المنح الدراسية التي يستفيد منها آلاف الطلاب من جميع جهات إفريقيا، حيث أن العديد من الطلبة الأفارقة يتابعون دراستهم بالجامعات والمدارس الكبرى ومؤسسات تكوين الأطر المغربية المدنية منها والعسكرية.

<sup>(183)</sup> أنظر: "نص الخطاب السامي الذي ألقاه جلالته الملك بأديس ابابا أمام المشاركين في القمة 28 للاتحاد الإفريقي"، موقع الإنترنت:

< <https://www.maroc.ma/ar/0-الاتحاد-الافريقي-في-القمة-28-للاتحاد-الافريقي> >

تاريخ آخر زيارة: 2022/03/13.

<sup>(184)</sup> يقول الملك محمد السادس: "تواصل المملكة المغربية، عملها الدؤوب على التجسيد الفعلي للتعاون جنوب - جنوب، عبر تطوير سياسة للتضامن الملموس مع الأصدقاء الأفارقة، تعتمد التكوين في المجالات التي يتوفر فيها المغرب على كفاءات وتجربة واسعة..."، أنظر: "رسالة الملك محمد السادس إلى الاجتماع الرفيع المستوى للجمعية العامة للأمم المتحدة المنعقد بنيويورك، 15/09/2005"، موقع البوابة الوطنية للجماعات الترابية على الإنترنت:

< <https://pnct.ma/ar/khtb-wrsayl-mlkyt/ns-khtab-ijalt-almik-aly-alajtma-alrfy-almstwy-lljmyt-alamt-llamm-almthdt> >

تاريخ آخر زيارة: 2022/04/15.

<sup>(185)</sup> نفس المرجع السابق.

<sup>(186)</sup> Hassan AOURID, op. cit., p. 129.

ويهدف هذا التعاون إلى تحقيق استجابة المغرب لتلبية مطالب بلدان إفريقيا جنوب الصحراء في الميادين التي يشملها هذا التعاون عن طريق تكوين أطر إفريقية على سبيل التدريب والتكوين المستمر (إن بصفة جماعية أو بصورة فردية) وإرسال بعثات من الخبراء والمختصين إلى تلك الدول الإفريقية بغرض الوقوف على سد حاجياتها الضرورية.<sup>(187)</sup>

لقد شكل تأسيس الوكالة المغربية للتعاون الدولي (AMCI) في عام 1986 أداة للاستجابة لهذا الهاجس، حيث تم تكوين العديد من الأطر الأفارقة في المغرب في مجموعة واسعة من التكوينات الجامعية والتقنية.<sup>(188)</sup>

إن إحداث الوكالة المغربية للتعاون الدولي جاء من أجل توفير جهاز مرن وسريع وفعال، لتنفيذ هذه السياسة التعاونية التي ينفجها المغرب، حيث تتدخل الوكالة في مجالات متعددة ومختلفة يمكن حصرها في ثلاثة محاور أساسية هي:<sup>(189)</sup>

- التعاون العلمي والثقافي: الذي يتم من خلاله تكوين الأطر الإفريقية؛
- التعاون التقني: الذي يستهدف تقاسم الخبرات مع الدول الإفريقية؛
- التعاون الاقتصادي والمالي: من خلال دعم تنفيذ مشاريع التنمية البشرية المستدامة وتقديم المساعدة الإنسانية الدولية عبر منح المساعدات والتبرعات الإنسانية.

ويمكن القول بهذا الخصوص بأن المحورين الأولين من التعاون (تكوين الأطر والتعاون التقني) لم يحظيا باهتمام المغرب إلا بعد تأسيس الوكالة المغربية للتعاون الدولي، حيث أن هذه الأخيرة شكلت آلية لتنفيذ سياسة التعاون التي تسهر على إعدادها الوزارة المكلفة بالشؤون الخارجية والتعاون<sup>(190)</sup> بقصد النهوض بعلاقات التعاون بين المغرب وباقي شركائه في مناطق العالم في الميدان الثقافي والعلمي وإضفاء ديناميكية جديدة عليها.<sup>(191)</sup>

وقد حظي الجانب الإفريقي بالنصيب الأهم من هذا التعاون ضمن أنشطة الوكالة منذ سنة 1989 التي تصاعدت فعاليتها ضمن استراتيجية شمولية ترمي إلى الرفع من مردودية نشاطها في مجال تكوين الأطر والتعاون التقني.<sup>(192)</sup>

وإذا كان مجال تكوين الأطر يشكل أحد أقدم أنشطة الوكالة المغربية للتعاون الدولي، والذي أعطى نتائج ملموسة، فإن التوجهات الحالية للسياسة الخارجية للمملكة أعطت نفسا جديدا وقويا للتعاون الثنائي في ميدان تكوين الأطر الإفريقية في مؤسسات التعليم العالي المغربية، حيث أصبحت المملكة المغربية القبلة المفضلة لعدد من الطلبة الأفارقة الذين يرغبون في متابعة دراستهم العليا في مختلف الجامعات والتخصصات.

<sup>(187)</sup> عادل مساوي، "علاقات المغرب مع إفريقيا جنوب الصحراء بعد نهاية القطبية الثنائية"، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، جامعة محمد الخامس -

أكادال، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية الرباط - أكادال، الموسم الجامعي 2002-2003، ص 84.

<sup>(188)</sup> الحسان بوقنطار، "السياسة الخارجية المغربية، الفاعلون والتفاعلات"، الرباط: شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، 2002، ص 205.

<sup>(189)</sup> أنظر: الوكالة المغربية للتعاون الدولي، "تعريف بالوكالة المغربية للتعاون الدولي"، موقع الوكالة المغربية للتعاون الدولي على الإنترنت:

< <https://www.amci.ma/presentation> >. تاريخ آخر زيارة: 2022/04/15.

<sup>(190)</sup> في الحكومة الحالية: وزارة الشؤون الخارجية والتعاون الإفريقي والمغاربة المقيمين بالخارج.

<sup>(191)</sup> عادل مساوي، مرجع سابق، ص 80.

<sup>(192)</sup> نفس المرجع السابق.

لتمكين الطلبة الأفارقة من الظروف الملائمة للدراسة بالمغرب، تتولى الوكالة المغربية للتعاون الدولي توفير عدد من المتطلبات مثل المنح وبنيات الاستقبال والإيواء والتغطية الصحية والأنشطة الموازية...<sup>(193)</sup> وتعتبر الوكالة الجهة العمومية الأساسية المكلفة بتحويل منح دراسية للطلبة الأجانب بالمغرب، حيث تقوم الوكالة، بتنسيق مع سلطات البلدان المستفيدة، بالبحث في ترشيحات الطلبة والمتدربين المقترحين من طرف بلدانهم، وبتسجيلهم في مؤسسات التكوين المغربية.<sup>(194)</sup> ويتم تحويل هذه المنح في إطار برامج للتعاون متفق عليها مع الدول المستفيدة، وبالاعتماد على الحصص المخصصة سنويا من قبل الوكالة، استنادا إلى المبادئ التوجيهية المحددة بصفة تشاركية مع الوزارة المكلفة بالشؤون الخارجية والتعاون.<sup>(195)</sup>

وتسهل الوكالة على تسيير الهي الجامعي الدولي بالرباط التابع لها، الذي تم إنشاؤه في سنة 1993، والذي يتولى استقبال الطلبة الأفارقة ويوفر لهم الإيواء لمتابعة الدراسة أثناء إقامتهم بالمغرب، فضلا عن خدمات أخرى.<sup>(196)</sup> وتوسعى الدبلوماسية المغربية من وراء استقبال الآلاف من الطلاب الأفارقة، إلى خلق نخبة "موالية للمغرب" في بلدان إفريقيا جنوب الصحراء على المدى المتوسط والبعيد؛ حيث تتوخى من هذا الاستثمار أن يكون له تأثير مفيد في الفوز

<sup>(193)</sup> Hassan AOURID, op. cit., p. 89.

<sup>(194)</sup> Royaume du Maroc, Ministère des affaires étrangères et de la coopération, «La coopération technique entre le Maroc et les autres pays en développement», Rabat: Direction de la coopération multilatérale, décembre 2003, p. 74.

<sup>(195)</sup> يستفيد من هذه المنح الطلبة والمتدربون الذين يتم انتقاؤهم في إطار العرض الرسمي المغربي والحاصلين على الأقل على شهادة البكالوريا أو ما يعادلها، من أجل تمكينهم من متابعة دراسات عليا أو تكوين مهني في مؤسسة عمومية مغربية، تخول الحصول على شهادة معترف بها من طرف الدولة. وقد حدد مبلغ المنحة في 750 درهما شهريا بغض النظر عن سلك وطبيعة التكوين ومدته، حيث تعطى المنحة لمدة 11 شهرا على الأكثر في السنة (من شتوبر إلى يوليوز)، وذلك طيلة المدة النظامية للتكوين المتابع، والتي لا تتجاوز 8 سنوات؛ كما توفر الوكالة المغربية للتعاون الدولي أيضا للطلبة المسجلين في السنوات النهائية إمكانية الاستفادة من دعم جزافي لتغطية تكاليف طباعة البحث أو الأطروحة. أنظر:

- L'Agence Marocaine de Coopération Internationale (AMCI), « Règlements relatifs aux bourses de formation et de stage attribuées aux étudiants et stagiaires étrangers - édition 2014-2015 », septembre 2015, Site Internet:

<<https://www.bourses-etudiants.ma/wp-content/uploads/2016/08/reglement-des-bourses-AMCI.pdf>>. Date de dernière visite: 19/04/2022.

<sup>(196)</sup> يوفر الهي الجامعي الدولي خدمة الإيواء للطلبة والمتدربين المقبولين من طرف الوكالة المغربية للتعاون الدولي، حيث يتوفر على أكثر من 500 سرير، بما في ذلك 4 أجنحة وغرفة مؤتمرات ومكتبة ومركز طبي اجتماعي، وصالات رياضية، إلخ... ويحتضن الهي أيضا، منذ 2011، "المركز الدولي للغات" (Le Centre International de Langues) الذي يقدم للطلبة غير الفرنكوفونيين برنامجا تأهليا في اللغة الفرنسية. أنظر:

- Site Internet de l'Agence Marocaine de Coopération Internationale (AMCI): <<https://www.amci.ma/cooperation-academique>>

- Site Internet du Ministère des Affaires Etrangères, de la Coopération Africaine et des Marocains Résidant à l'Étranger:

<<https://www.diplomatie.ma/fr/visiter-le-maroc>>

Date de dernière visite: 17/04/2022.

بالصفقات، وذلك بالنظر إلى أن أفراد هذه "النخبة المستقبلية" سيكونون قد درسوا بالمدارس المغربية وألّفوا المناهج المغربية، وسوف يشكلون شبكة من العلاقات المختارة في المنطقة بالنسبة للمؤسسات والمقاولات المغربية.<sup>(197)</sup> ويبدو أن الدبلوماسية المغربية قد تنهت إلى ضرورة وضع مزيد من الآليات التواصلية الحديثة من أجل ضمان تفعيل هذا التوجه وجني عوائد استثمارها بهذا الخصوص؛ حيث عملت في دجنبر 2019 على إحداث منصة، تابعة للوكالة المغربية للتعاون الدولي، تحت اسم "المنصة الرقمية لخريجي المغرب" (Morocco alumni)، لتكون منصة رقمية تجمع طلاب وخريجي تعاون المملكة، تهدف إلى الجمع بين طلاب التعاون السابقين بالمملكة المغربية من خلال شبكة عالمية تتيح لهم التواصل والتفاعل فيما بينهم ومع شركاء مؤسساتيين آخرين.<sup>(198)</sup> تطمح الوكالة من خلال هذه المنصة إلى تكوين قاعدة بيانات تضم ما يزيد عن 30000 إطارا من القادة والمدربين المستقبلين، ومن أجل ذلك فهي توفر العديد من الخدمات: توفير دليل للطلاب والخريجين يتيح التواصل فيما بينهم والوصول لمستجدات أخبارهم، وتقديم عروض للعمل والتدريب، وإتاحة الوصول إلى مكتبة وسائطية...<sup>(199)</sup> هذا، وجزء بالذکر أن مقومات التعاون الثقافي المغربي الإفريقي التي تم الوقوف عليها أعلاه تتماشى إلى حد بعيد مع توصيات الرأي الصادر في أبريل 2020 عن المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، حول "الاندماج الإقليمي للمغرب في إفريقيا"، والذي أوصى بأن يشكل الرأسمال البشري منطلقا أساسيا في تنفيذ استراتيجية الاندماج المنشود.<sup>(200)</sup>

<sup>(197)</sup> Alain ANTIL, «La nouvelle politique africaine du royaume du Maroc, le cas de la Mauritanie», in Yahia ABOU EL FARAH et al. (sous la dir. de): *La coopération maroco-africaine*, série: colloques (13), Rabat: Institut des Etudes Africaines, 2010, pp. 351-352.

<sup>(198)</sup> "Lancement à Rabat de la plateforme digitale « Morocco Alumni »", 20/12/2019, site Internet :

< <https://www.lereporter.ma/lancement-a-rabat-de-la-plateforme-digitale-morocco-alumni/> >. Date de dernière visite : 26/04/2022

<sup>(199)</sup> تضم هذه المنصة حاليا 7569 طالبا وخريجا مسجلا، و40 جمعية. أنظر موقع المنصة على الإنترنت:

< <https://www.moroccoalumni.ma/fr/content/qui-sommes-nous> >. تاريخ آخر زيارة: 2022/04/26.

<sup>(200)</sup> وأوصى المجلس بأن ترتكز جهود النهوض بهذا الرأسمال البشري على المحاور التالية:

- الاستعانة بالكفاءات المحلية للمساهمة في نقل المهارات وتقوية الشعور بالانتماء إلى المقولة؛
- ضمان تكوين الكفاءات الإفريقية داخل القارة الإفريقية وتيسير حركة الطلبة والباحثين والفنانين؛
- إحداث آليات للتمويل لفائدة المقاولين الذاتيين المحليين. وينبغي أن يحظى هذا الإجراء بدعم أكبر من قبل القطاع البنكي المغربي الموجود في البلدان الإفريقية، مع الحرص على أن تكون الشروط المعتمدة في تناول الفاعلين المحليين؛
- تثمين الكفاءات الإفريقية التي تلقت تكوينها في المغرب، ومنهم العديد من كبار المسؤولين في البلدان الإفريقية، من خلال الارتكاز على وجه الخصوص على جمعيات الطلبة الأجانب. وهذا من شأنه أن يساعد على تعزيز إشعاع التكوين في المغرب، وتحسين اندماج الخريجين، ونسج علاقات وثيقة مع بلدانهم الأصلية (فقد قدم العديد من الخريجين الذين تلقوا تكوينهم في المغرب دعمهم للمستثمرين المغاربة من أجل حل بعض المشاكل المعقدة)؛
- الأخذ بعين الاعتبار مساهمة هذه الجمعيات والكفاءات الإفريقية المهاجرة بشكل عام في استراتيجية الاندماج الإقليمي للمغرب في القارة الإفريقية. ويمكن لهذه الجمعيات، التي تضطلع بدور اجتماعي لفائدة المواطنين الأفارقة المقيمين بالمغرب، أن تكون بمثابة عامل محفز لتفعيل استراتيجية الاندماج وتيسير المبادلات التجارية بين المغرب وبقية البلدان الإفريقية.

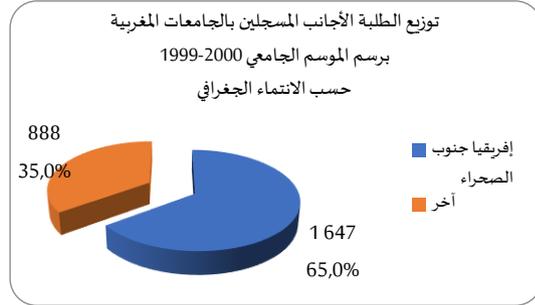
بعد بحث مقومات التعاون المغربي في مجال تكوين الأطر، أي مدخلاته الأساسية، لا بد من الوقوف على أهم مخرجاته من خلال رصد تطور أعداد الطلبة الأفارقة بالمغرب.

## 2- تطور التعاون المغربي الإفريقي في مجال تكوين الأطر

منذ حصوله على الاستقلال، اهتم المغرب بتكوين الأطر الإفريقية التي ستملأ المراكز التي ستصبح شاغرة بعد استقلال بلدانها، فقدم منحاً دراسية للطلبة الأفارقة. ففي عام 1961، خصصت الحكومة المغربية للطلبة الأفارقة حوالي 200 منحة دراسية: 50 منحة للتعليم العالي و150 منحة للتعليم الثانوي، بالإضافة إلى 25 منحة أخرى خصصتها المدرسة الإدارية المغربية. وفي أكتوبر من نفس السنة خصصت الحكومة 75 منحة دراسية لفائدة الطلبة الجزائريين والماليين والسنغاليين.<sup>(201)</sup> ومنذ ذلك التاريخ، عرفت علاقات التعاون المغربية مع دول إفريقيا جنوب الصحراء في مجال تكوين الأطر تطوراً كمياً ونوعياً ملحوظين.

إن تحليل معطيات الإحصاء العام للسكان والسكنى بالمغرب لسنة 2014 الخاصة بالسكان الأجانب المقيمين بالمغرب، حسب الجنسية ونوع النشاط، تبرز بأن أكثر من 41.6% من مجموع الأجانب بالمغرب هم أفارقة، والذين ينحدرون في غالبيتهم من منطقة إفريقيا جنوب الصحراء (64.5%)، كما أن عددا مهما من هؤلاء هم من الطلبة.<sup>(202)</sup>

وتوضح الإحصائيات الخاصة بتطور أعداد الطلبة الأجانب المسجلين بالمغرب على مدى السنوات الأخيرة، بجلاء، مواصلة



السياسة الإفريقية للمملكة المغربية رهانها على جعل المغرب مركزا لتكوين النخب الإفريقية.<sup>(203)</sup>

وقد كان عدد الطلبة الأفارقة من منطقة جنوب الصحراء الذين استقبلتهم الجامعات المغربية برسم الموسم الجامعي

أنظر: رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، "الاندماج الإقليمي للمغرب في إفريقيا - من أجل بلورة استراتيجية في خدمة تنمية مستدامة مع إفريقيا"، إحالة ذاتية رقم 2020/46، ص 28. موقع المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي على الإنترنت:

< <https://www.cese.ma/media/2020/11/ebook-IntegrationMarocAfrique-va-2.pdf> > تاريخ آخر زيارة: 2022/04/15.

<sup>(201)</sup> المملكة المغربية، وزارة الشؤون الخارجية، "الدبلوماسية المغربية في عشر سنوات (1956-1966)", الرباط: وزارة الشؤون الخارجية، 1966، ص 66.

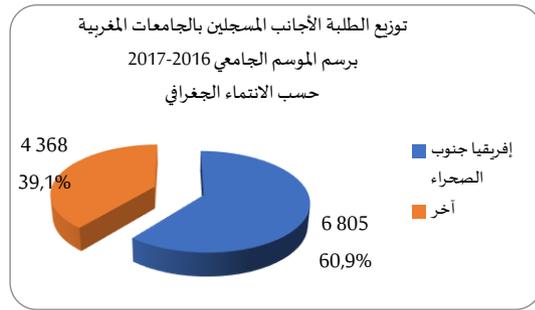
<sup>(202)</sup> Royaume du Maroc, Haut Commissariat au Plan (HCP), «Les résidents étrangers au Maroc», p.7 & 13. Site internet du HCP :

< <https://www.hcp.ma/file/196039/> >. Date de dernière visite : 18/04/2022.

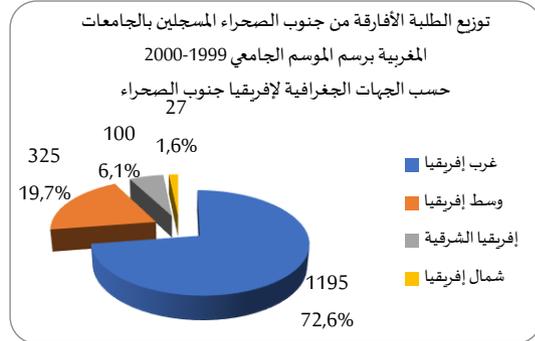
<sup>(203)</sup> للاطلاع على المعطيات الخاصة بتطور أعداد الطلبة الأفارقة خصوصا والأجانب عموما المسجلين بالجامعات المغربية، يمكن الرجوع إلى الإحصائيات التي تصدرها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي المغربية، ضمن نشرتها السنوية "المغرب الجامعي":

- المملكة المغربية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر، "المغرب الجامعي 1999-2000"، الرباط: منشورات عكاظ، أبريل 2002؛

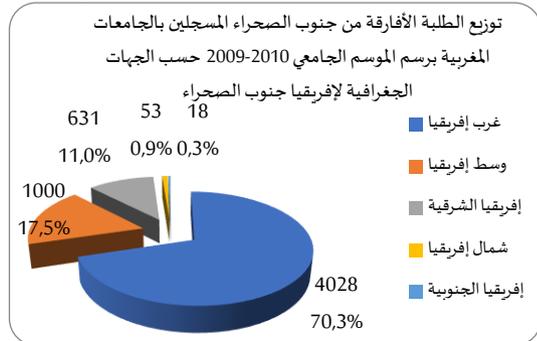
1999-2000 يبلغ 1647 طالبا، ينحدرون من 28 بلدا إفريقيا، أي ما يمثل 65% من إجمالي عدد الطلبة الأجانب. وخلال الموسم الجامعي 2016-2017 وصل عدد الطلبة الأفارقة من منطقة جنوب الصحراء الذين تلقوا تكوينهم في الجامعات العمومية المغربية إلى 6805 طالبا، ينحدرون من 44 بلدا، وهو ما يمثل 60,9% من إجمالي عدد الطلبة الأجانب بالمغرب.



المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على إحصائيات وزارة التعليم العالي



المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على إحصائيات وزارة التعليم العالي



- المملكة المغربية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر، "المغرب الجامعي 2009-2010"، الرباط:

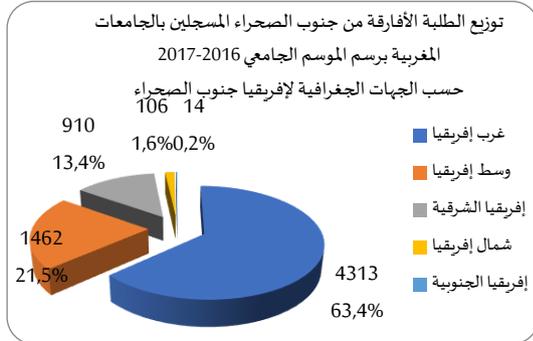
[http://biblio.um5a.ac.ma/opac\\_css/index.php?vl=publisher\\_see&id=19551&PHPSESSID=yyok](http://biblio.um5a.ac.ma/opac_css/index.php?vl=publisher_see&id=19551&PHPSESSID=yyok)

دار أبي رقرق للطباعة والنشر، 2011...

- "المغرب الجامعي 2016-2017"، موقع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والابتكار على الإنترنت:

<https://www.enssup.gov.ma/storage/statistique/historique/Maroc%20Universitaire%20202016-2017.pdf>. تاريخ آخر زيارة: 2022/04/06.

وخلال الموسم الجامعي 2016-2017، احتفظ توزيع الطلبة الأفارقة من جنوب الصحراء المسجلين بالمغرب بنفس البنية المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على إحصائيات وزارة التعليم العالي



المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على إحصائيات وزارة التعليم العالي

من حيث هيمنة الطلاب المنحدرين من منطقتي غرب (63,4%) ووسط إفريقيا (21,5%). فيما بقيت المقاعد المخصصة للطلبة المنحدرين من بلدان إفريقيا الجنوبية قليلة في الجامعات العمومية المغربية (0,2%).

وقد حظيت بلدان إفريقيا جنوب الصحراء الفرنكوفونية بما يزيد عن 85% من مقاعد التكوين في الجامعات العمومية المغربية؛ وبلغت نسبة الطلبة الممالين والموريطانيين لوحدهم ما يفوق 27% من مجموع هؤلاء الطلبة.

وتمنح الوكالة المغربية للتعاون الدولي سنويًا، منحًا للطلاب الأجانب كجزء من اتفاقيات التعاون بين المغرب والدول الشقيقة والصديقة؛ في إطار البرنامج المغربي للمنتحدرين للبلدان المستفيدة. وهكذا فإن أغلب الطلبة الأفارقة الذين يدرسون بالجامعات ومؤسسات تكوين الأطر العمومية المغربية يستفيدون من منح دراسية. ففي سنة 2008، استفاد أكثر من 85% من الطلبة الأفارقة بالمغرب من منح الوكالة.<sup>(204)</sup>

وبرسم الموسم الجامعي 2019-2020، بلغ عدد الطلبة الأجانب الذين يتابعون تكوينهم في الجامعات العمومية المغربية ما يناهز 14500 طالبا، منهم 12500 طالبا إفريقيا ينحدرون من 47 بلدا. وقد وصل عدد الطلبة الأجانب الممنوحين من طرف المغرب في هذا الموسم إلى 12000. كما استفاد من منح الوكالة 85% من الطلبة الأفارقة بالمغرب.<sup>(205)</sup>

إن من شأن تعميق هذا النوع من التعاون الثقافي، بين المغرب وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء، أن يثري بصفة أكثر استدامة التقارب الثقافي ويعزز الروابط التي تجمع المغرب بشعوب المنطقة، كما أن من شأنه تشجيع تدفق الاستثمارات والشراكات، لكن ذلك لن يتأتى دون مواجهة جملة من التحديات ليس أقلها الاستدامة والتمويل فضلا عن مواءمة برامج التعاون المطروحة للحاجيات المعبر عنها إفريقيا، ولاسيما من خلال تنوع أنماط هذا التعاون ومنها النمط الثلاثي (triangular cooperation).

<sup>(204)</sup> Royaume du Maroc, Ministère de l'économie et des finances, Direction des Etudes et Prévisions Financières (DEPF), «Point sur les relations du Maroc avec les pays de l'Afrique Subsaharienne», mai 2010, p.12..

<sup>(205)</sup> موقع الوكالة المغربية للتعاون الدولي على الإنترنت: < <https://www.amci.ma/cooperation-academique> >. تاريخ آخر زيارة: 2022/03/14

### خاتمة

يمكن القول ختاماً إن الدبلوماسية المغربية تراهن بشكل كبير على تطوير علاقات المغرب بدول إفريقيا جنوب الصحراء بمختلف أبعادها، حيث تدعم مركز الفضاء الإفريقي ضمن الفضاءات الأساسية بالنسبة إليها. ولقد شهدت السنوات الأخيرة مقارنة جديدة للعلاقات المغربية بدول إفريقيا جنوب الصحراء، ارتكزت على الأبعاد الثقافية التي أصبحت اليوم تحتل حيزاً ذا أهمية متزايدة في توجهات السياسة الإفريقية للمملكة المغربية إلى جانب الأبعاد الاقتصادية والسياسية والأمنية.

ويبدو من خلال تتبع التطورات الأخيرة للسياسة الإفريقية للمملكة المغربية، أن التوجه الثقافي أصبح أكثر وضوحاً وقوة ضمن توجهات هذه السياسة، حيث تشكل القارة الإفريقية في الوقت الراهن، ولاسيما بلدان جنوب الصحراء، مجالاً لترسيخ النفوذ الديني والروحي للمملكة المغربية على الرغم من المنافسة الدولية الشرسة بهذا الخصوص، والتي تطرح على الدبلوماسية المغربية تحديات لا يستهان بها. وأكثر من ذلك، فيبدو أن هناك توجهاً نحو مؤسسة هذا التوجه بشكل ينهل مما شهده المغرب داخلياً من إعادة ترتيب للحقل الديني؛ حيث تم إحداث عدد من المؤسسات المؤطرة للشأن الديني (معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات، مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف...) التي أولت للمجال الإفريقي حيزاً هاماً من أنشطتها.

وفي نفس المنحى، يمكن رصد توجه مغربي نحو تنظيم صفوف التجانيين في إفريقيا خلف المشيخة المغربية، وهو ما بدأ جلياً من خلال المؤتمر الدولي للطريقة التجانية المنعقد بأبيدجان بدولة الكوت ديفوار من 21 فبراير إلى فاتح مارس 2022، وما أفرزه من توصيات تصب في اتجاه تأسيس منظمة دولية تضم في عضويتها عموم الخلفاء العاميين للطريقة بإفريقيا، تحت الزعامة المغربية.

تواصل الدبلوماسية المغربية من جهة أخرى رهانها على جعل المغرب مركزاً لتكوين النخب الإفريقية؛ فقد عرفت مقاعد الدراسة المخصصة للطلبة الأفارقة من منطقة جنوب الصحراء بالجامعات المغربية نمواً مطرداً، وتضاعف عددها أكثر من أربع مرات بين الموسمين الجامعيين 1999-2000 و2016-2017، غير أن هذا الارتفاع من حيث الحجم يقابله استمرار في اللاتوازن من حيث المصدر الجغرافي لهؤلاء الطلبة، حيث أن بلدان منطقتي غرب ووسط إفريقيا تحظى بالحصة الأكبر، فيما تبقى بلدان منطقتي شرق وجنوب القارة في حاجة إلى تغطية أوسع، ولاسيما منطقة جنوب إفريقيا.

وترمي الدبلوماسية المغربية من وراء استقبال الآلاف من الطلاب الأفارقة، إلى خلق نخب "موالية للمغرب" في بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، تساعد في توطيد العلاقات المغربية الإفريقية وكذا فتح الطريق وتذليل الصعوبات التي قد تواجهها المؤسسات والمقاولات المغربية في ولوج الأسواق الإفريقية. ولهذه الغاية، حرصت المملكة مؤخراً على تعزيز الآليات التواصلية مع خريجي التعاون الدولي بالمغرب الذين يتبوأ العديد منهم مناصب عليا في بلدانهم الأصلية.

إن التداخل الواسع للحقائق الثقافية والدينية والاقتصادية والسياسية حقيقة ثابتة في العلاقات المغربية الإفريقية؛ فالنفوذ الديني والروحي المغربي المتزايد في إفريقيا جنوب الصحراء وفي صناعة نخمها، يترافق مع الوجود المتزايد للشركات الكبرى والمجموعات المصرفية المغربية الأخرى، وهذا مما لاشك فيه، يرتبط ارتباطا وطيدا بتدعيم مواقف المغرب فيما يخص المصالح الوطنية العليا للبلاد، وأولها "قضية الصحراء"؛ وما الافتتاح المتزايد لقنصليات الدول الإفريقية في مدينتي العيون والداخلة بالصحراء المغربية<sup>(206)</sup> إلا ترصيد لهذا التعاون متعدد الأبعاد الذي يندرج ضمن سياسة إفريقية متماسكة يقودها الملك محمد السادس<sup>(207)</sup>.

وإذا كان هذا هو واقع الحال بالنسبة للتوجهات الثقافية للمغرب إفريقيا ولأثرها في العلاقات المغربية الإفريقية، فإن التغيرات والتطورات الراهنة التي تشهدها البيئة الدولية وانعكاساتها المستقبلية، وموقع المغرب منها، من قبيل تداعيات انتشار جائحة فيروس كورونا المستجد، وكذا احتدام الصراع بين الأقطاب الدولية الكبرى الذي فتحت إحدى جهاته مؤخرا في أوكرانيا، واختيار المملكة المضي قدما في تطبيع العلاقات مع إسرائيل، كلها أمور تجعل من ترصيد المكتسبات المحققة يبقى رهين يقظة الدبلوماسية المغربية واستثمارها للفرص المتاحة، بل وتحويلها للتحديات المطروحة إلى فرص من أجل تعظيم المكاسب واستشعار عوامل الاختطار من أجل الحد من تأثيراتها المحتملة.

### لائحة المراجع:

مراجع باللغة العربية:

#### الكتب:

- الحسان بوقنطار، "السياسة الخارجية المغربية، الفاعلون والتفاعلات"، الرباط: شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، 2002.
  - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دمشق: دار الفكر، ط 4، 1984.
  - محمد الصوفي، "تحولات النظام الدولي في عصر العولمة"، الرباط: مكتبة دار السلام، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، 2002.
  - المملكة المغربية، وزارة الشؤون الخارجية، "الدبلوماسية المغربية في عشر سنوات (1956-1966)"، الرباط: وزارة الشؤون الخارجية، 1966.
- الرسائل الجامعية:
- سليم العايب، "الدبلوماسية الجزائرية في إطار منظمة الاتحاد الإفريقي"، بحث لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، كلية الحقوق، جامعة الحاج لخضر - باتنة، السنة الجامعية 2010-2011. (176 ص).
  - عادل مساوي، "علاقات المغرب مع إفريقيا جنوب الصحراء بعد نهاية القطبية الثنائية"، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، جامعة محمد الخامس أكادال، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالرباط، الموسم الجامعي 2002-2003، ص ص 286-290. (430 ص)

<sup>(206)</sup> كشف الملك محمد السادس في خطابه إلى الأمة بمناسبة الذكرى السادسة والأربعين للمسيرة الخضراء (2021/11/06) عن افتتاح أكثر من 24 دولة، قنصليات في مدينتي العيون والداخلة. أنظر نص الخطاب الملكي في موقع البوابة الوطنية للمغرب على الإنترنت:  
< <https://www.maroc.ma/ar/0-المظفرة-الخضراء-للمسيرة-الخضراء> >

تاريخ آخر زيارة: 2022/04/18.

<sup>(207)</sup> بلغ عدد الاتفاقيات التي تم توقيعها بمناسبة الجولات التي قام بها جلالة الملك إلى بلدان القارة الإفريقية، حوالي ألف اتفاقية. وقد مكنت هذه الاتفاقيات من وضع مشاريع ملموسة للتعاون تنخرط فيها مؤسسات عمومية وفاعلون خواص ومنظمات المجتمع المدني سواء من المغرب أو من جانب الشركاء الأفارقة. أنظر: رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، "الاندماج الإقليمي للمغرب في إفريقيا - من أجل بلورة استراتيجية في خدمة تنمية مستدامة مع إفريقيا"، مرجع سابق، ص ص 21-23.

### المقالات والدراسات:

- د. قاسم الحادك، "البعد الروحي في العلاقات المغربية الإفريقية: السياق والرهانات"، مجلة مدارات سياسية، الجزائر: مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، المجلد 1، العدد 4، مارس 2018، ص ص 222-236.
- د. زراح سعيدة، "الطريقة التيجانية: النشأة والتطور"، مجلة العلوم الاجتماعية، الجزائر: جامعة الأغواط، العدد 9، نونبر 2014، ص ص 72-87.
- د. نادية محمود مصطفى، "حوار الحضارات، على ضوء العلاقات الدولية الراهنة (2/1)"، مجلة رسالة التقريب، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، العدد 31، 1422هـ، ص ص 112-113.

### الوثائق والخطب:

- ظهر شريف رقم 1.15.75 يتعلق بإحداث مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة) بالجريدة الرسمية للمملكة المغربية عدد 6372، بتاريخ 24 يونيو 2015.
- رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، "الاندماج الإقليمي للمغرب في إفريقيا"، إحالة ذاتية رقم 2020/46.
- المملكة المغربية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر، "المغرب الجامعي 2000-1999"، الرباط: منشورات عكاظ، أبريل 2002.
- المملكة المغربية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر، "المغرب الجامعي 2010-2009"، الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2011.
- نص خطاب الملك محمد السادس إلى الأمة بمناسبة الذكرى السادسة والأربعين للمسيرة الخضراء، 2021/11/06.
- نص خطاب الملك محمد السادس الذي القاه بأديس ابابا أمام المشاركين في القمة 28 للاتحاد الإفريقي، 2017/01/31.
- نص خطاب الملك محمد السادس في حفل تنصيب المجلس الأعلى لمؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، 2016/06/14.
- نص الخطاب الذي ألقاه جلالة الملك خلال حفل تنصيب الرئيس المالي الجديد بياماكو، 2013/09/19.
- نص رسالة الملك محمد السادس إلى الاجتماع الرفيع المستوى للجمعية العامة للأمم المتحدة المنعقد بنيويورك، 2005/09/15.
- نص إعلان أبيدجان على وحدة الطريقة التيجانية، 2022/02/27.

### مواقع الإنترنت:

- الإحصائيات التي تصدرها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي المغربية ضمن نشرتها السنوية "المغرب الجامعي 2016-2017"، موقع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والابتكار على الإنترنت: < <https://www.enssup.gov.ma/storage/statistique/historique/Maroc%20Universitaire%20%202016-2017.pdf> >
- الحسن السرات، "الطريقة التيجانية بين المغرب والجزائر.. صراع السياسة والدين - الزاوية التيجانية واجهة أخرى للصراع السياسي المغربي الجزائري"، الرباط، الاثنين 2007/07/09، موقع الجزيرة على الإنترنت:
- < <https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2007/7/9/الطريقة-التيجانية-بين-المغرب> >
- الحسين الشيخ العلوي، "صراع الإرادات السعودي-الإيراني في منطقة الساحل وغرب إفريقيا"، 19 نونبر 2015، موقع الجزيرة على الإنترنت:
- < <https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2015/11/20151119103417638618.html> >
- "الطلبة الأجانب المتخرجون من المعهد"، نشر بتاريخ 3 أكتوبر 2019، موقع معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات على الإنترنت:
- < <https://www.im6.ma/المعهد-من-الطلبة-الأجانب-المتخرجون> >
- المهدي الزايدوي، "دبلوماسية العارفين بالله.. المغرب يُحلق دوليا بأجنحة صوفية"، 13/1/2022، موقع قناة الجزيرة على الإنترنت:
- < <https://www.aljazeera.net/midan/intellect/groups/2022/1/13/المغرب-بالله-العارفين-بالله> >
- "يوربطة: الأمن الروحي لإفريقيا من أولويات المغرب للتصدي لأطماع إيران"، الشرقي لحرش، الأربعاء 26 يناير 2022، موقع هسبريس على الإنترنت:
- < <https://www.hespress.com/935398-935398.html> >
- "تعاون عسكري ومطاردة فرنسا وأشياء أخرى.. ماذا تحمل زيارة أردوغان الأخيرة إلى إفريقيا؟"، 28 فبراير 2022، مرقع عربي بوست على الإنترنت:
- < <https://arabicpost.net/4/أردوغان/28/02/2022/تحليلات/> >
- "تيجانيو دكار ينظمون الأيام الثقافية الإسلامية ال 41 تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة أمير المؤمنين"، جريدة الصحراء المغربية، العدد 11093 ليوم 2021/12/27، موقع الجريدة على الإنترنت: < <https://epaper.lematin.ma/assahraa/journal/2021/12/27/> >
- خليل بن الشبهة، "الطريقة التيجانية تنظم جمعا الثاني بالمغرب"، 2009/10/03، موقع الإنترنت: < <http://www.maghress.com/attassawof/> >
- د. بدر حسن شافعي، "الدور الإيراني في أفريقيا: المحددات والتحديات"، تركيا: المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية (EIPSS)، 14 فبراير 2020، موقع المعهد على الإنترنت:



## مجلة الدراسات الإفريقية وحموض النيل - العدد السادس عشر - يونيو 2022م



- < <https://eipss-eg.org/wp-content/uploads/2020/02/الدور-الإيراني-في-أفريقيا-المحددات-التحديات> .pdf >
- د. حمدي عبد الرحمن، "الاختراق الإيراني الناعم لأفريقيا"، 6 مايو 2013، موقع الجزيرة على الإنترنت:  
< <https://www.aljazeera.net/opinions/2013/5/6/2-الاختراق-الإيراني-الناعم-لأفريقيا> >
- د. فاطمة الزهراء هيرات، "الدبلوماسية الدينية المغربية الإفريقية: الأدوار، التحديات، الرهانات"، مجلة البحثية، مجلد 6، عدد 7-8، 2017، موقع المجلة على الإنترنت:  
< <https://revues.imist.ma/index.php/bahtheyya/article/view/15807/8814> >
- محمد الحافظ ولد محم، "الطريقة التجانية تاريخ وتحد"، الأربعاء 24 يونيو 2020م، موقع الطريقة التجانية على الإنترنت:  
< <https://www.tidjania.ma/2020/06/24//الطريقة-التجانية-تاريخ-وتحد> >
- نشرة مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف، العدد العاشر. موقع الإنترنت: < <https://sama-tube.com/quran/pdf/Bulletin-N10.pdf> >
- عبد المغيث جبران، "تيجانيو العالم يجتمعون في فاس وسط اعتراضات جزائرية"، الأربعاء 14 ماي 2014، موقع هسبريس على الإنترنت:  
< <https://www.hespress.com/171443-تيجانيو-العالم-يجتمعون-في-فاس-وسط-اعتراضات-جزائرية> >
- علي يحي، "هل التفتت الجزائر إلى قوتها الناعمة لاستعادة عمقها الإفريقي؟"، 30 يناير 2022، موقع "كيوبوست" على الإنترنت:  
< <https://www.qposts.com/هل-التفتت-الجزائر-إلى-قوتها-الناعمة-لا> >
- فضل عبد الرزاق، "الطريقة التجانية بأفريقيا وعلاقتها بالسلطة.. من يستغل بالآخر؟"، 9 مارس 2020، موقع الجزيرة على الإنترنت:  
< <https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/3/9/الطريقة-التجانية-علي-بلعربي-تشاد> >
- الصفحة الخاصة بشيخ الطريقة التجانية بالجزائر على الفيسبوك: < <https://www.facebook.com/sidialibelarabi/> >
- يوسف الدحماني، "الجزائر تنقل خلافها مع المغرب إلى المجال الديني عبر الطريقة التيجانية"، 22 أكتوبر 2021، موقع يابلادي على الإنترنت:  
< <https://www.yabiladi.ma/articles/details/118979/الجزائر-تنقل-خلافها-مع-المغرب> >

مراجع باللغة الفرنسية:

### الكتب:

- Abdoulaye ELIMANE KANE, «Influences culturelles dans les rapports Maroc – Sénégal», Rabat: publication de l'Institut des Etudes Africaines, série: conférences n° 6, 1992.
- Alain ANTIL, «La nouvelle politique africaine du royaume du Maroc, le cas de la Mauritanie», in Yahia ABOU EL FARAH et al. (sous la dir. de): *La coopération maroco-africaine*, série: colloques (13), Rabat: Institut des Etudes Africaines, 2010, pp. 351-352.
- Bakary SAMBE, «Islam et diplomatie: la politique africaine du Maroc», Rabat: Editions Marsam, 2010.

### الرسائل الجامعية:

- Abdessamad BELHAJ, «La dimension islamique dans la politique étrangère du Maroc - Déterminants, acteurs, orientations», *Thèse présentée en vue de l'obtention du grade de docteur en sciences sociales et politiques* - mai 2008, Faculté des sciences économiques, sociales et politiques, université catholique de Louvain, Belgique: Presses universitaires de Louvain, 2009.
- Hassan AOURID, «Contribution à l'étude de la coopération Maroco-Africaine», *Mémoire de DES*, FSJES Rabat-Agdal, 1992.

### المقالات والدراسات:

- Abdelaziz BARRE, «La politique marocaine de coopération en Afrique. Essai de bilan», in Abdallah SAAF (sous la dir. de): *Le Maroc et l'Afrique après l'indépendance*, Rabat: publication de l'Institut des Etudes Africaines, 1996, pp. 19-56.
- Bakary SAMBE, «Tidjaniya: usages diplomatiques d'une confrérie soufie», *Politique étrangère*, Paris: Institut français des relations internationales, 2010/4 (Hiver), pp. 843-854.
- Chaubet François, Martin Laurent, «Chapitre 5 - L'action culturelle et la diplomatie publique de la France», dans: *Histoire des relations culturelles dans le monde contemporain*. sous la direction de Chaubet François, Martin Laurent, Paris: Armand Colin, «U», 2011, p. 117-142.



## مجلة الدراسات الإفريقية ومحض النيدل – العدد العاشر - ماي 2020م



- Royaume du Maroc, Ministère de l'économie et des finances, Direction des Etudes et Prévisions Financières (DEPF), «**Point sur les relations du Maroc avec les pays de l'Afrique Subsaharienne**», mai 2010.
- Royaume du Maroc, Ministère des affaires étrangères et de la coopération, «**La coopération technique entre le Maroc et les autres pays en développement**», Rabat: Direction de la coopération multilatérale, décembre 2003.
- Severin TCHETCHOUA TCHOKONTE, La politique de puissance du Maroc en Afrique subsaharienne, revue Espace Géographique et Société Marocaine, n° 19 septembre 2017, pp 81-92.

### مواقع الإنترنت:

- L'Agence Marocaine de Coopération Internationale (AMCI), «**Règlement relatif aux bourses de formation et de stage attribuées aux étudiants et stagiaires étrangers - édition 2014-2015**», septembre 2015, Site Internet:  
< <https://www.bourses-etudiants.ma/wp-content/uploads/2016/08/reglement-des-bourses-AMCI.pdf> >
- Lancement à Rabat de la plateforme digitale «**Morocco Alumni** », 20/12/2019, site Internet :  
< <https://www.lereporter.ma/lancement-a-rabat-de-la-plateforme-digitale-morocco-alumni/> >
- Marie LECHAPELAYS, «**En visite au Sénégal, le président turc confirme ses ambitions africaines** », 29 janvier 2020, Site Internet lemonde.fr :  
< [https://www.lemonde.fr/afrique/article/2020/01/29/en-visite-au-senegal-le-president-turc-confirme-ses-ambitions-africaines\\_6027644\\_3212.html](https://www.lemonde.fr/afrique/article/2020/01/29/en-visite-au-senegal-le-president-turc-confirme-ses-ambitions-africaines_6027644_3212.html) >
- Royaume du Maroc, Haut Commissariat au Plan (HCP), «**Les résidents étrangers au Maroc**», , p.7 & 13. Site internet du HCP :  
< <https://www.hcp.ma/file/196039/> >. Date de dernière visite : 18/04/2022.
- Site Internet de l'Agence Marocaine de Coopération Internationale: < [www.amci.ma/cooperation-academique](http://www.amci.ma/cooperation-academique) > < [www.amci.ma/presentation](http://www.amci.ma/presentation) >.
- Site Internet de la plateforme digitale «**Morocco Alumni** »: < <https://www.moroccoalumni.ma/fr/content/qui-sommes-nous> >
- Site Internet du Ministère des Affaires Etrangères, de la Coopération Africaine et des Marocains Résidant à l'Etranger :  
< <https://www.diplomatie.ma/fr/visiter-le-maroc> >

### مراجع باللغة الإنجليزية:

- Paul RAYMOND and Jack WATLING, "The Iranian-Saudi Proxy Wars Come to Mali - In schools, mosques, and cultural centers, Shiites and Sunnis are battling for African hearts and minds", foreign policy, 19 august, 2015, website:  
< <https://foreignpolicy.com/2015/08/19/the-iran-saudi-proxy-wars-come-to-mali-shiite-sunni-islam/> >



## المغاربة وجدلية الديني والديني في مواجهة الأزمات

### Moroccans and the Dialectic of Religious and Secular in facing the Crises

د. عبد الغني العمراني pr.ghaniho@gmail.com

أكاديمية طنجة تطوان الحسيمة/المغرب.

**الملخص:** اجتاحت بلاد المغرب الأقصى عبر التاريخ، على غرار مجالات أخرى، موجات متتالية من الأوبئة الفتاكة، والمساغب الشديدة، والحروب الطاحنة التي كانت لها آثار بليغة على الهياكل الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بل وحتّى على ذهنية ونفسية الفرد المغربي الذي فسّر أزمات عصره بمسببات غيبية ووهمية في كثير من الأحيان، فسعى بالتالي إلى البحث عن الحل الأنجع بكل الوسائل والأساليب حتى وإن كان هذا الحل مخالفاً للشرع والعقل، وهو يعكس بالملاموس معاناة المغاربة من أزمة ضمير حادة كلما اشتدّت عليهم المحن والبلاوى والرزايا. سنحاول في هذه الدراسة إمارة اللثام عن بعض الأزمات الخطيرة (أوبئة، مساغب، حروب) التي كانت لها تداعيات وخيمة جدّاً على نفسية الفرد المغربي وعلى نمط تفكيره.

**الكلمات المفتاحية:** الأوبئة، الطاعون، المساغب، المجاعات، الجوائح، الحروب، الذهنية.

**Abstract :** Throughout history, Morocco, like other countries, have swept through successive waves of deadly Epidemics, Famines, and grinding Wars, which had profound effects on demographic, social, economic and political structures, and even on the mentality and psychology of the Moroccan individual, who explained all those crises with metaphysical and illusory causes, thus, he sought to look for the most effective solution by all means and methods, even if this solution is contrary to Sharia and Mind, this reflects concretely the existence of a severe crisis of conscience that Moroccan has suffered since the dawn of modern history. In this study, we will try to unveil some serious crises (Epidemics, Famines, and Wars) which had serious repercussions on the psyche of the Moroccan individual and on his way of thinking.

**Key Words:** Epidemics, Famines, the plague, Pandemics, wars, mentality.

### مقدمة

كثيرة هي الدراسات والأبحاث التي تناولت موضوع الأوبئة والجوائح في تاريخ المغرب خاصة بعد الإنفلونزا الإسبانية التي اجتاحت العالم عامي 1918-1919م، لكن معظم تلك الدراسات كانت في البداية بقلم المختصين في علم البيولوجيا والطبية، بيد أنه في السنوات القليلة الماضية ظهرت على ساحة البحث العلمي التاريخي مجموعة من الأعمال المؤسسة التي تناولت الموضوع بحس تاريخي كبير، ومع ذلك يبقى موضوع الأوبئة في تاريخ المغرب في حاجة كبيرة إلى مزيد من الدراسة والتحليل من أجل الإحاطة بالآليات التي تتحكم في بروزها وتفشيها على نحو سريع، ورصد تداعياتها الوخيمة ليس على الاقتصاد والسياسة والديمقراطية وحسب، وإنما حتى على ذهنية ومخيال الفرد على وجه الخصوص. سوف لن نحاول في هذه الدراسة القيام بجدد دقيق لجميع الأوبئة والجوائح التي عصفت بالبلاد والعباد عبر تاريخ المغرب، وإنما سنركز الكلام عن بعض الأوبئة الكبرى والمساعب والحروب التي كانت لها تداعيات خطيرة على نفسية المغاربة وعلى أنماط تفكيرهم حيال واقعهم الغارق في المحن والأهوال.

### 1-تداخل الطبيعة والإنسان وأثار ذلك على ذهنية الفرد المغربي

#### 1-1-الأزمات والمساعب الكبرى في تاريخ المغرب

تعرّض المغرب الأقصى -بحكم موقعه الذي يطل على واجهتين بحريتين- منذ العصر الوسيط لسلسلة من الحروب والأزمات البيئية والطبيعية كانت لها عواقب جسيمة ليس على الاقتصاد والسياسة والديمقراطية وحسب، وإنما حتى على ذهنية الفرد المغربي الذي أضحى يشعر بالخوف على نفسه وذويه وأملاكه، وبذنب حاد جعله يمجذ الماضي بشكل لم يسبق له مثيل، ويخصّ عصره بكل الرذائل والبدع.

يؤكد الباحثون أنه لا يخلو عقد من العقود سلم خلاله المغرب من مظهر من مظاهر الشدة، إذ كانت الأوبئة تضرب البلاد كل عشر أو خمس عشر أو خمس وعشرين سنة، هذا فضلاً عن القحوط وهجوم الجراد والمضاعفات السلبية للحروب، الأمر الذي جعل المغاربة ينظرون إلى المجاعة باعتبارها شبحاً يهددهم باستمرار<sup>208</sup>.

لقد اجتاحت المغرب ما بين عامي 1348 و1350م ما اصطلاح عليه المؤرخون بالطاعون الأسود الذي انطلق من آسيا بواسطة القوارض، وضرب مناطق آسيا وأوروبا وشمال إفريقيا، وقد عدّه الأخباريون بأخطر وباء عرفته البشرية على الإطلاق، لكونه عصف بحياة ثلث سكان العالم، بحيث كانت المناعة وحدها من تقرر بقاء الإنسان أو موته، وتفسّر هذه التسمية باللون القاتم الذي كانت تصبح عليه حالة المريض، أمّا طبيياً فيعرف هذا المرض باسم «الطاعون الورمي» لأنه

<sup>208</sup> مصطفى نشاط، «التغذية والأزمة بالمغرب في العصر المريني» في مجلة أمل، مجلد 6، عدد 17، 1999، ص.7؛ محمد أبرهموش، «الموت في مغرب ما قبل الاستعمار ملاحظات أولية «كثرة الموتان»» في مجلة البحث التاريخي، عدد مزدوج 13-14، 2017، ص.132.

يسبب ظهور أورام عند ثنية الفخذ والإبط، ومن الأعراض لأخرى التي كانت تظهر على المريض: التهاب الحنجرة والعرق والحكة وآلام شديدة في الصدر والتقيؤ وبصق الدم والحمى وارتفاع حرارة الجلد<sup>209</sup>.

وقد كانت عدوى الطاعون تنتشر بسرعة كبيرة عن طريق الاتصال المباشر وحتى بواسطة الأشياء التي يلمسها المرء، وكانت فجائية المرض وحدته تصل إلى درجة يمرّ فيها الشخص من صحة جيّدة إلى الموت في ظرف أقل من يوم واحد، وعموماً فقد كان المرض لا يمهل المريض أكثر من خمسة أيام<sup>210</sup>، وفضلاً عن العدد الهائل من القتلى، كان من بين ضحاياه عدد من العلماء والعمال والفقهاء من أمثال: الفقيه الشيخ عبد الله الرندي، ويعي بن يعي بن مليل الذي كان والياً على الخراج في دولة بني مرين، ومحمد بن أحمد بن خميس الأنصاري (ت.1349م)، ووالدة الرّحالة الشهير ابن بطوطة، وأسرة سنان السوسية، ومحمد بن عبد الله بن عبد النور الندرومي القادم من الوباء الجارف بتونس سنة 749هـ، وغيره من الشخصيات الشهيرة التي فتك بها الوباء الجارف<sup>211</sup>.

وشهدت البلاد خلال القرن السادس عشر الميلادي أزمات خطيرة تداخل فيها الإنسان والطبيعة، وكانت لها وقع شديد على حياة الناس الاجتماعية وعلى سلوكياتهم الفكرية ومواقفهم الذهنية حيال واقعهم المتأزم، وقد انطلقت بغزو برتغالي كاسح للسواحل المغربية ابتداءً من سنة 1415م لأسباب دينية واستراتيجية واقتصادية واجتماعية، دامت قرناً كاملاً من الزمن أي ما يغطي فترة حكم خمسة ملوك<sup>212</sup>، وكان الغزو البرتغالي وحشياً تزامن وتعرض البلاد لكوارث طبيعية كثيرة خلال سنوات 1511م و1517م و1519-1520م و1540م، ولم يكن القرن التالي أحسن حالاً إذ شهد في المجموع 27 سنة بدون مطر، وكانت المجاعات والأوبئة وموت الإنسان والأنعام أهم نتائج تلك السنوات العجاف الطويلة، وتضررت منطقة السهول الغربية ودكالة في كل أنشطتها حسبما ذكره أحمد بوشارب، وتراجع عدد سكانها بشكل خطير، ولم تبق ولو مدينة أو قرية واحدة لم يشملها الخراب، وشمل الخراب قطاعات حيوية جداً كالآبار والنطافي، وممّا زاد هذا الخراب حدّة كون المنطقة أضحت على حالة لا تسمح بتعويضها أو إحيائها من جديد، وبقيت كذلك يابسة لمدة طويلة<sup>213</sup>، وتعرضت أسفي لمثل ما تعرضت له مدن دكالة، وأسر عدد كبير من ساكنتها كان من ضمنها فقهاء مشهورين، وتعرضت ضواحيها لغارات

<sup>209</sup> محمد حبيدة، «تاريخ الوباء من الطاعون الأسود إلى الكورونا» في كتاب الحياة في زمن الفيروس التاجي كوفيد 19، منشورات جامعة بن طفيل بالقنيطرة، مطبعة الرباط نيت، ط. الأولى، 2020، ص.16.

<sup>210</sup> المرجع والصفحة نفسهما.

<sup>211</sup> حميد اجميلي، «الطاعون الأسود بالغرب الإسلامي وبعض نتائجه الديمغرافية 749هـ/1350م» في مجلة آفاق فكرية، المجلد التاسع، عدد 02، 2021، ص.250.

<sup>212</sup> أحمد بوشارب، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور (قبل 28 غشت 1481-أكتوبر 1541)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط. الأولى، 1984، ص.ص. 148-160.

<sup>213</sup> أحمد بوشارب، مغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر دراسة في الثقافة والذهنيات بالمغرب من خلال محاضر محاكم التفتيش الدينية البرتغالية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة فضالة المحمدية، ط. الأولى، 1996، ص.47: دكالة والاستعمار البرتغالي.....، م.س، ص.437.

متعددة، ولم يشمل الخراب المدن المحتلة وحدها، بل شمل كذلك كل القرى الدكالية التي لم تقم لها قيامة بسبب كوارث الحرب والطاعون والمجاعة التي عانت منها المنطقة كثيراً<sup>214</sup>.

وخلّف الغزو البرتغالي للمدن الشاطئية تدهوراً اقتصادياً كبيراً تجسّد في تقلص الرقعة المزروعة بسبب عصيان القبائل ومغادرتها لأراضيها، وتخلى بعض القبائل عن الحرث والزرع بسبب الحركات الوطاسية، وافتقار المنطقة سنة بعد أخرى إلى الحبوب، وواكب ذلك انحباس المطر وتعاقب فترات الجفاف، ففضلاً عن جفاف سنة 1511م عانت المنطقة المحتلة من بعض السنوات العجاف: 1517م، 1541م وخصوصاً من مجاعة 1520م، وكانت منطقة دكالة أكثر المناطق تضرراً سواء من تراجع الإنتاج أم من المجاعات، وعجز الناس عن أداء الضرائب من الحبوب واضطروا إلى دفع الأموال والمواشي مقابلها، ورغم أن المجاعة المذكورة عمّت المغرب كله، فإنه لم تكن أية منطقة تعرف احتياجاً إلى المواد الغذائية مثل احتياج دكالة، فقد أرغمت الفاقة عدداً كبيراً من الدكاليين على التنصر وبيع ذوبهم أولاً ثم أنفسهم بعد ذلك لضمان رزقهم، وبالإضافة إلى الجفاف والمجاعات، كانت القلاقل والغارات البرتغالية والوطاسية والسعدية تحرم المنطقة مما كان متوفراً لديها من حبوب<sup>215</sup>.

وإلى جانب التداعيات الاقتصادية للغزو البرتغالي والأوبئة والمجاعات التي تلاته، فقد خلّف الغزو كذلك آثاراً ديمغرافية خطيرة، فبعدما كانت منطقة دكالة من أكثر المناطق ازدحاماً بالسكان قبل غزوها، صارت غداة تحرير أسفي وأزمور شبه خالية، وذلك بسبب الغارات البرتغالية التي قتلت عدداً هائلاً من الأهالي وأسرت آخرين، ثم بسبب الهجرة سواء إلى المدن الداخلية (مدن الشاوية وفاس ومكناس) أم إلى البرتغال، وبسبب المجاعات كمجاعة عام 1520م التي أرغمت عدداً كبيراً على الهجرة إلى البرتغال،<sup>216</sup> وأرغم الجوع آخرين أكثر منهم بكثير على بيع نسائهم وذوبهم قبل بيع أنفسهم لتجار الرقيق الإيبيريين، والوباء (طاعون 1521م مثلاً) الذي فتك بعدد كبير من الناس، وسبّب هذا التراجع الديمغرافي فراغاً بشرياً داخل دكالة سمح لعناصر أجنبية بالتسرب إليها والاستقرار بالأماكن الفارغة<sup>217</sup>.

<sup>214</sup> أحمد بوشارب، دكالة والاستعمار البرتغالي...، م.س، ص.ص. 446-447.

<sup>215</sup> المرجع نفسه، ص.ص. 448-450.

<sup>216</sup> اضطّر المغاربة بسبب الحروب والكوارث الطبيعية والأوبئة إلى الفرار والهجرة سواء إلى المدن الداخلية الآمنة والمعازل الجبلية والصحاري أم إلى خارج البلاد، وذلك بسبب الحروب والكوارث الطبيعية والأوبئة. انظر: عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق 6-8/12-43م)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط. الأولى، 2008، ص.ص. 129-116: الحسين أسكان، «المجاعات والأوبئة بين الأوقات السماوية والجائحة الإنسانية خلال العصر الوسيط شمال المغرب» ضمن كتاب المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2002، ص.ص. 147-149؛ محمد استيتو، «من وسائل مواجهة الفقراء للمجاعات في المغرب خلال العصر الحديث» ضمن كتاب المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2002، ص.ص. 264-268.

<sup>217</sup> أحمد بوشارب، دكالة والاستعمار البرتغالي، م.س، ص.ص. 462-463.

وشهد المغرب إبان القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين آفات طبيعية خطيرة أسهمت في تأزم الأوضاع الاجتماعية كآفات القحط والجفاف والغلاء التي كانت وبالأعلى المغاربة أجمعين لما خلفته من مجاعات وأوبئة أودت بحياة كثير من الناس بل حتى السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي لم ينجو بنفسه من الوباء الفتاك الذي ضرب البلاد من «عام سبعة وألف إلى عام ستة عشر وألف، وعمّ سهل المغرب وجبله حتى أفنى أكثر الناس، ومات جميع الأعيان»<sup>218</sup>.

وخلال مرحلة ضعف الدولة السعدية وانهارها انقطعت السبل وفشت المجاعات بين الناس حتى أكل بعضهم بعضاً من شدة الجوع وكثرة الهرج بين القبائل، حتى فني الكثير من قبائل العرب، ودخل الكثير من المستضعفين والنساء والولدان لبلاد النصراري من عند أنفسهم، ومن أخطر الأزمات الطبيعية التي ضربت المغرب خلال هذه المرحلة أزمة رهيبة امتدت بصورة متقلبة حوالي أربع سنوات (1648-1652م)، وكانت لها آثار كارثية على ديمغرافية المغرب وأوضاعه الاجتماعية. فقد ورد في تقييد يتعلق بمدينة أسفي وضواحيها في أواخر الدولة السعدية «أنه في عام ثمانية وخمسين وألف (1648هـ/1648م) كان المرض قاسياً، وكثرت الأموات حتى كان من العشرة يبقى واحد، وفي البوادي لا يحصى ولا يعدّ عدد الأموات...، وفي ذي القعدة من 1060هـ (نوفمبر 1650م) بلغت الأقوات مبلغاً، ولم ينزل المطر، وارتفعت أسعار الأقوات ارتفاعاً بليغاً...، وفسدت البلاد، وخربت القرى جميعاً، وفرّ الناس للحوز ومراكش وسوس الأقصى، وجعلوا يموتون جميعاً، واشتغل أهل البادية بنهب القرى. وفي سنة 1062هـ... تفاحش الموت في الناس جوعاً، وعجز الناس عن الدفن... وبقي الميت حتى تأكله الكلاب»<sup>219</sup>.

وقد رصد القادري جانباً من أوضاع مدينة فاس خلال مجاعة وطاعون سنة 1063هـ/1653م حينما قال «ومن حوادث هذا العام كانت مجاعة كبيرة بلغ اللحم أربع موزونات للرطل، والدجاجة أربع موزونات، وأكلت الجيف، وكثر الموت بالأزقة دون ما في المرستان، وذكروا أن دفن في المرستان بلغ أربعة وثمانين ألفاً زيادة على من دفن من غيره، وأكل الأدمي بوسط الصّفارين جهراً، وخلت حومات...، وكثر النهب وسفك الدماء»<sup>220</sup>، ومن شدة المجاعة رجع المغربي إلى مستوى الحضارة الحجرية ليعانق حياته البدائية القائمة على القطف والالتقاط والصيد والقنص، حيث لجأ إلى الغابات وجمع كل ما من شأنه أن يسدّ الرمق من حشائش وثمار البراري مثل الجميز، وهو نبات أسود الثمر رغم ما فيه من أخطار تؤدي إلى إصابة الفم بالثور، واستخراج نبتة «أيرني» من باطن الأرض وتجفيفها وطحنها فيصنع منها رغيف لسدّ الرمق<sup>221</sup>.

<sup>218</sup> محمد الصغير الإفرائي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، ط. الأولى، 1998، ص. 279.  
<sup>219</sup> محمد العمراني، «صور من تداعيات المجاعات والأوبئة على الوضع الاجتماعي بالمغرب خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر»، في مجلة الحوار المتوسطي، المجلد الثاني عشر، العدد 1، أبريل 2021، ص. 144.

<sup>220</sup> محمد بن الطيب القادري، نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق أحمد حبي وأحمد توفيق، نشر وتوزيع مكتبة الطالب، الرباط، ط. الأولى، 1982، الجزء الثاني، ص. 67.

<sup>221</sup> إبراهيم القادري بوتشيش وعبد الهادي بياض، «ثقافة الطعام وتنوع خطاباتها في زمن المجاعات: المغرب والأندلس من القرن 6 حتى القرن 8هـ/2-14م نموذجاً» في مجلة عصور الجديدة، عدد مزدوج 7-8، شتاء 2012-2013م، ص. 37-36.

وأعقبت هذه الآفة الطبيعية المهلكة مسغبة شديدة أخرى عمّت معظم مناطق المغرب دامت ثلاث سنوات كاملة من سنة 1661م إلى 1663م عانى خلالها المغاربة آلام الجوع وكثرة الموت بسبب غلاء المعيشة وتفاقم الأوبئة الفتاكة، فقد اضطرَّ أهل فاس خلال هذه المسغبة إلى أكل الموتى والجيف<sup>222</sup> «وذبح الأطفال، فبسبب النهب زاد الغلاء...، وكثر الموت بالأرزقة دون المرستان...، وكان بحومة الدوح من فاس بالقرويين ما يزيد عن ستمائة رجل، فلم يبق منهم إلا ثلاثون رجلاً...، وختل حومات وتهدمت وتعطلت مساجدها»<sup>223</sup>.

وبوفاة السلطان مولاي اسماعيل سنة 1727م دخلت البلاد مرحلة عصيبة من الاضطرابات والقلقل السياسية دامت حوالي ثلاثين سنة، وذلك بسبب الثورات الداخلية واستبداد جيش عبيد البخاري وانفراده في تنصيب وعزل عدد من السلاطين الضعاف<sup>224</sup> إلى الحد الذي جعل إخباريو العصر ينعنون تلك المرحلة الحرجة من تاريخ المغرب باسم «الفترة» وكأن الأمر يتعلق بتلك المدّة الفاصلة بين نبيّين حينما تنقطع الرسالة السماوية ويترك البشر دون هدى سوى من أنفسهم، وذلك للتدليل على هول الكارثة التي حلّت بالبلاد والعباد<sup>225</sup>. وقد صاحب تلك الاضطرابات حدوث مسغبة عظيمة عبّرت عنها الأسيرة الهولندية في مكناس ماريا تير ميتلين Maria ter Meetelen (ت.1751م) في مذكراتها التي وسمتها بـ«اثنتا عشر سنة من الاستعباد 1731-1743م» قائلةً «خلال حكم هذا الملك (محمد ولد عربية) اجتزنا فترة غلاء يرثى لها امتدت من سنة 1738م إلى يونيو 1738م قضى خلالها 48 ألف نفر بسبب اشتداد الجوع، وكان الأحياء يفترسون الأموات، بل أكلت الأمهات أبناءهن ولم يتبق لا كلب ولا قط، الكل تم أكله، كما كان الناس يخرجون عظام الحيوانات من الأرض ويسحقونها بين قطعتي حجر وابتلعون دقيقتها مع جرع من الماء، كما أكل الناس إسمنت الحيطان والتبن كما الهائم بسبب انعدام العشب»<sup>226</sup>.

وإلى جانب الحروب والأزمات الطبيعية المتقدمة، اجتاحت المغرب خلال سنتي 1799-1800م ما سمي وقتئذٍ «بالطاعون الكبير»، ذلك أن الذين نجوا من هذا الوباء هم الذين نعتوه بهذه التسمية حتى يمّتروه عن ما سبقه من الأوبئة التي كانت أخف وطأة بما في ذلك وباء 1750م، وتتجلى شدة هذا الطاعون بالمقارنة مع ما شهدته البلاد من قبل في أرقام الضحايا، حيث وصل عدد الموتى بفاس خلال وباء 1750م إلى 300 في اليوم كحد أقصى، بينما تضاعف هذا الرقم في عام

محمد العمراني، «صور من تداعيات المجاعات والأوبئة على الوضع الاجتماعي...»، م.س، ص.144. 222

223 محمد بن الطيب القادري، نشر المثنائي...، م.س، ص.129، 134؛ محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، تحقيق وتعليق وتقديم أحمد العماري، نشر دار المآثورات، الرباط، ط.الأولى، 1986، ص.31-32.

224 للاطلاع على تفاصيل هذا الموضوع انظر: أحمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف...، م.س، ص.105-123.

225 عبد الرحمن المودن، «الحواليات والأزمات السلطانية (1727-1757م) مصطلح الفترة»، في ندوة الإسطوغرافيا والأزمة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الطبعة الأولى 1994، ص.ص. «105-113» ص.108.

226 ماريا تير ميتلين، اثنتا عشر سنة من الاستعباد رحلة أسيرة هولندية في بلاد المغرب 1731-1743، ترجمة وتقديم بوشعيب الساوري، دار السويدية للنشر والتوزيع، منشورات المتوسط إيطاليا، ط.الأولى 2018، ص.89.

1799م ثمان مرّات، وبالنظر إلى عوارض الوباء فإن الأمر كان يتعلق بما يُعرف بالطاعون الدملي، ويظهر أن الوباء الذي فشا بالجزائر سنة 1798م<sup>227</sup> قد دخل إلى المغرب عبر الحدود الشرقية، وعلى الرغم من تحذيرات ونصائح ممثلي الدول الأجنبية بطنجة، فإن مولاي سليمان رفض الأخذ بإجراءات الحجر الصحي، معتبراً أن تبني أي إجراء وقائي من هذا القبيل مخالفاً للشرع<sup>228</sup>، ولو أن هناك رواية أخرى تزعم أن الوباء دخل مع الحجاج عبر الطريق البحري وذلك في صيف 1799م<sup>229</sup>.

وقد انتشر في مختلف القرى والمدن المغربية انتشاراً فظيماً حتى أن مدينة الرباط وحدها سُجل بها 20000 ضحية من أصل 30000 نسمة<sup>230</sup>، وانتشر الوباء كذلك في مدينة فاس وضواحيها «حتى مات من الخلق ما لا يُحصى عددهم إلاّ الله تعالى...، وخليت المدارس ومات الجل من فقهاء مكناس وفاس وغيرهم...، وصار فاس لا يدخله أحد من حوزة ولا من غيره»<sup>231</sup>، وتفشى في مدينة سلا مخلفاً بها في مطلع سنة يوليو من السنة المتقدمة ما بين 140 و150 ضحية في اليوم، أمّا في مراكش فقد كانت الخسائر فادحة حيث كان يموت بها 1800 فرد كل يوم حتى أن جثث الموتى كانت تبقى في العراء تهشها الكلاب والطيور الكاسرة، وارتفع عدد ضحايا الطاعون بمدينة آسفي إلى 500 ضحية يومياً، وبالصورة إلى 4.500 ضحية، أمّا في منطقة سوس فقد كان عدد المنكوبين فيها أكبر حجماً من كل المناطق، حيث بلغ عدد الضحايا في تارودانت 800 في اليوم، وخلت القرى السوسية عن آخرها<sup>232</sup>. وهكذا أحدث الوباء انهياراً ديمغرافياً كبيراً بحيث خلت بعض المدن من سكانها، وهجرت القرى، وقُيّرت خسائره بموت حوالي ثلث سكان المغرب<sup>233</sup>.

وقد كانت عدوى هذا الوباء تنتشر بسرعة مفرطة بحيث لم يسلم منه حتى أفراد من الجيش السلطاني الذين نقلوه بدورهم إلى مناطق أخرى في الجنوب، كمراكش وعبدة ودكالة التي توفي عاملها «وهو الحاج الهاشمي العروسي الدكالي، ومات ولده الطاهر وأخوه محمد بخدمه وعياله ونسائه، وبقيت داره خالية»<sup>234</sup>، كما توفي عدد كبير من الفقهاء والأمراء

<sup>227</sup> ضرب الطاعون الجزائر وتونس ما بين سنتي 1792م و1797م. انظر: بن عمر حمدادو، «أدبيات الأوبئة والأمراض ببلاد المغرب من خلال كتب الرحالة والأجانب» في مجلة آفاق فكرية، المجلد 09، العدد 02، 2021، ص.9.

<sup>228</sup> محمد المنصور، المغرب قبل الاستعمار: المجتمع والدولة والدين 1792-1822، ترجمه عن الإنجليزية محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى 2006، ص.169-170. انظر أيضاً: محمد الأمين البزاز، «الحركة والطاعون في مغرب القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر» ضمن كتاب المجامع والأوبئة في تاريخ المغرب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2002، ص.348-349.

<sup>229</sup> محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط. الأولى، 1992، ص.89.

<sup>230</sup> محمد حبيدة، «تاريخ الوباء من الطاعون الأسود إلى الكورونا».....، م.س، ص.18.

<sup>231</sup> أحمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف.....، م.س، ص.314-315.

<sup>232</sup> إكرام شقرون، «الطاعون الكبير بالمغرب (1798-1800م) دراسة ديمغرافية» في مجلة عصور الجديدة، المجلد 10، عدد 4، دجنبر 2020، ص.277-278.

<sup>233</sup> أحمد الناوي، «الأوبئة والحجر الصحي في تاريخ المغرب المعاصر قراءة في كتاب تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين 18 و19 لمحمد أمين البزاز 1992» في كتاب الحياة في زمن الفيروس التاجي كوفيد 19، منشورات جامعة بن طيفل بالقنيطرة، مطبعة الرباط نيت، ط. الأولى، 2020، ص.58.

<sup>234</sup> أحمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف.....، م.س، ص.315.

والقواد دون الحديث عن العامة التي فتك بها فتكاً شديداً، ومن الشخصيات الشهيرة التي لقيت حتفها جزأ الطاعون: الفقيه «محمد بن الطاهر الحصيني...، مولاي هشام...، مولاي الحسين...، مولاي الطيب...، الفقيه الناسك سيدي عبد القادر بن محمد التادلي...، السيد علي المغرب صاحب السلطان...، الشريف الأديب سيدي الحسيني بن التهامي بن الحسين...، عبد الرحمان بناصر العبدوي...، إمام القراء بوقته بفاس وهو الفقيه سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي...، القائد ادريس بن الغازي السكيري»<sup>235</sup>. وغيرها من الشخصيات المعروفة في مجالي الفقه والقيادة.

وقد أنجزت عن هذا الوباء الفتاك دراسات كثيرة أقدمها تلك التي حررها طبيب فرنسي في بداية القرن العشرين تحت عنوان «طاعون 1799»، ولم يتم القضاء على هذا الوباء إلا في نهاية القرن التاسع عشر بفضل الأبحاث المخبرية التي قام بها الطبيب والبيولوجي السويسري ألكسندر يارسن، حيث اكتشف عام 1894م الباسيل المسؤول عن المرض، وصنع أول لقاح ضد الطاعون<sup>236</sup>.

وتلا هذا الطاعون وافد وبائي آخر خطير هدد البشرية خلال سنتي 1834-1835م، ويتعلق الأمر بوباء الكوليرا التي كان المغاربة يسمونها عادة «بوقليب» و«بوكوييس»، و«الزراق» و«بوازريويطة» و«مرض النفطة» و«الريح الأحمر»<sup>237</sup>. وقد انطلقت من الهند باعتبارها البؤرة الرئيسية التي انطلق منها المرض ليعم مختلف أرجاء المعمور، شرقاً باتجاه الصين واليابان، وغرباً نحو أوروبا والحوض المتوسط، وكانت تواصل زحفها كالسيل الجارف محطمة في طريقها كل الحواجز، ولم تكن تسلم منها حتى أكثر البلدان تقدماً، ذلك أن طبيعة المرض كانت ما تزال غامضة، ولم يبدأ التحكم فيه إلا بعد عام 1884م عندما اكتشف العالم كوخ koch العامل المسبب للمرض، ووصلت إلى المغرب أول مرة سنة 1834م ثم تجدد ظهورها في فترات لاحقة من القرن التاسع عشر ضمن الموجات العالمية لهذا الوباء الذي اكتسح المعمور خمس مرّات في غضون القرن<sup>238</sup>.

والجدير بالذكر أن المغرب بقي بمنحى خلال الموجة الأولى العالمية ما بين 1817-1824 التي توقفت عند أبواب أوروبا وتخوم سيبريا الغربية، ولم يداهمه الوباء إلا خلال الموجة الثانية التي جاءت بعد زمن يسير من سابقتها (1829-1837م) والتي كانت رهيبة بحيث أثارت قدراً كبيراً من الرعب في أوروبا، وعلى الرغم من المستوى الاجتماعي/الصحي للسكان والتقدم الحديث المنجز في مجال الطب خلف الوباء عام 1832 ما يقدر بـ5500 ضحية في إنجلترا و 100.000 ضحية في فرنسا، وانطلاقاً من أوروبا الغربية انتقل إلى دول المغرب. وقد اتخذ القناصل الأجانب بطنجة تدابير صارمة بعد أن اكتسح

<sup>235</sup> المصدر نفسه، ص 316-317.

<sup>236</sup> محمد حبيدة، «تاريخ الوباء من الطاعون الأسود إلى الكورونا».....، م.س، ص 18.

<sup>237</sup> مصطفى الشابي، «حول جائحتي المجاعة والوباء في مغرب القرن التاسع عشر من خلال وثائق دفينّة» ضمن كتاب المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2002، ص 331.

<sup>238</sup> محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب.....، م.س، ص 163-164؛ نادية بوكرمي، «وباء الكوليرا في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي» ضمن أعمال مؤتمر الأوبئة عبر التاريخ، دار خيال للنشر والتوزيع، الجزائر، 2021، ص 219؛ محمد حبيدة، «تاريخ الوباء من الطاعون الأسود إلى الكورونا».....، م.س، ص 18.

الوباء السواحل الإسبانية، وأصدر من جانبه السلطان مولاي عبد الرحمان أوامره إلى كافة عماله بالممارسي لتنفيذ هذه التدابير، ومع ذلك سجل عدداً كبيراً من القتلى بمدينة فاس في نونبر سنة 1834م ومنها انتقل الوباء إلى مكناس ووزان والقصر الكبير وطنجة وتطوان والعرائش وسلا والرباط، وفي السنة التالية انتقل إلى الدار البيضاء وأسفي والصويرة ومراكش وحتى إلى الواحات الشرقية<sup>239</sup> مخلفاً عدداً هائلاً من القتلى خصوصاً في مدينة فاس التي «مات به (أ) خلق كثير وجم غفير لا يحصى عدده إلا الملك القدير»<sup>240</sup>.

أما عن طبيعة هذا الوباء الجديد فقد أورد البراز شهادة تقول «وهو ربح ما سمعوا به قاتل في حينه، ويسمونه عندنا في المغرب بأسماء الكوليرة والريح الأصفر وبوقليب...إذا أصاب الرجل تغير لونه واسود جفن عينه ويجعل يقيء من أعلا ويسهل من أسفله، ومن الناس من يشتهي مع ما ذكر وجع رجليه ويموت في الحين»<sup>241</sup>. وبالرغم من خطورة هذا الوباء، فإن خسائره البشرية لم تكن بقدر وحجم ما خلفته الطواعين السابقة من فداحة الضحايا، وقد تكرر مجيء الكوليرا إلى المغرب بعد الظهور الأول على نحو دوري ولم تترك له راحة، خصوصاً أيام المساعب والمجاعات الغذائية التي كانت تجعل عملها ميسوراً، ولم يتم التحكم في الوباء إلا بعد أن أتم عالم البكتريولوجيا الألماني روبرت كوخ فحوصاته في طبيعة العامل البكتيري المسبب للكوليرا (العصويات الواوية) في خزانات المياه في كولكوتا بالهند من خلال اكتشاف الدور الذي تقوم به الأمعاء البشرية في دورة حياة البكتيريا الواوية، وتأكيد الدور الحيوي للماء في نقل انتشار الكوليرا من خلال المخلفات البشرية المعدية كان الطريق واضحاً لاحتواء المرض والتحكم فيه<sup>242</sup>.

وما أن كانت الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها حتى ضرب العالم وباء جديد في خريف سنة 1918م، وهو عبارة عن إنفونزا قاتلة بمضعفاتها التنفسية راح ضحيتها ما يناهز 50 مليون ضحية أي أكثر بكثير من ضحايا الحرب العالمية الأولى التي خلفت 20 مليون قتيل، وكان معظم ضحاياها من اليافعين والشباب مما دفع ببعض المؤرخين إلى نعتها بـ«الجائحة الأكثر إبادة في التاريخ» بالنظر إلى حجم الخسائر<sup>243</sup>.

وقد تفشت في أوروبا ما بين ربيع سنة 1918م وخريف 1919م، واعتُبر أول الأمر مرضاً بسيطاً قبل أن ينتشر انتشاراً كبيراً وتحوم حوله الشكوك ويحصد عدداً هائلاً من الضحايا، ولم تسلم منه حتى الولايات المتحدة الأمريكية حيث تشابك الوباء في العلاقات بين القوات الأمريكية الخارجية وقوات التحالف في كل من فرنسا وإنجلترا مخلفاً ما لا يعد

<sup>239</sup> محمد الأمين البراز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب..... م.س، ص.170، 172.

<sup>240</sup> المرجع نفسه، ص.173.

المرجع نفسه، ص.171، 241.

<sup>242</sup> شلدون واتس، الأوبئة والتاريخ المرض والقوة الإمبريالية، ترجمة وتقديم أحمد محمود عبد الجواد، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط.الأولى، 2010، ص.398.

<sup>243</sup> محمد حبيدة، «تاريخ الوباء من الطاعون الأسود إلى الكورونا»..... م.س، ص.20.

ويحصى من الوفيات<sup>244</sup>. وعلى غرار الجوائح السابقة الأخرى مسّت الإنفلونزا المغاربة الذين سموها آنذاك «مرض ديال اسبانيول» وذلك عقب عودة الجنود المشاركين في الحرب إلى قراهم وبلداتهم، حيث أودت بحياة ما يقرب من 100.000 شخص خلال الشهر الأخير من عام 1918م ومطلع العام التالي حتى أن قرى بأكملها أفرغها المرض من أهاليها على الرغم من جهود الطب الحديث الوارد من أوروبا<sup>245</sup>.

ولم تكاد تنتهي سنة 2019م حتى اكتسح العالم من جديد مرض غامض صنفته منظمة الصحة العالمية كـ«جائحة»، واصطح عليه «كوفيد-19»، وقد انطلق من الصين ثم انتشر سريعاً في بقاع المعمور مخلفاً عدداً كبيراً من الضحايا خصوصاً أمام عجز الدول بما فيها الدول العظمى عن اكتشاف لقاح أو دواء يمكن من إيقاف مده، الأمر الذي أدى إلى اختلال المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وحول العالم إلى وضعية سجن كبير بسبب التدابير الاحترازية التي اتخذتها السلطات ومنها الحجر الصحي<sup>246</sup>.

ولم تأخذ غالبية دول العالم خطورة الجائحة على محمل الجد حيث تمت مواجهتها في بداية الأمر بالإنكار والقلق المصحوب بنزعات عنصرية ضد دول معينة، بل حتى الدكتور الصيني لي ونلين Li Wenling الذي اكتشف الوباء ونبه إلى خطورته على إثر تتبعه لبعض حالات المرضى بمستشفيات ووهان بالصين تعرض للمساءلة والعقاب من طرف السلطات، وأتهم بنشر أخبار كاذبة<sup>247</sup>، لكن لم يلبث أن زحف الفيروس التاجي كوفيد-19 من مدن الصين نحو دول الغرب والشمال والجنوب محققاً انتشاراً عالمياً، ومخلفاً ما يزيد عن خمس ملايين قتيل عبر العالم إلى حدود يناير سنة 2022، وتشمل الأعراض الشائعة للعدوى أعراضاً تنفسية والحمى والسعال وضيق النفس وصعوبات في التنفس، وفي الحالات الأكثر وخامة قد تسبب العدوى الالتهاب الرئوي، ومتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم والفَسَل الكُلوي وحتى الوفاة<sup>248</sup>، أما في المغرب فقد أصاب الوباء أكثر من مليون ومائة ألف شخص توفي منها حوالي خمسة عشر ألف ومائتي فرد إلى غاية التاريخ المتقدم<sup>249</sup>.

<sup>244</sup> فريدريك فانيورون، الانفلونزا الإسبانية عودة إلى وباء 1918-1919، ترجمة محمد حبيدة، منشورات مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2020، ص.ص 13-14.

<sup>245</sup> محمد حبيدة، «تاريخ الوباء من الطاعون الأسود إلى الكورونا».....، م.س، ص.22.

<sup>246</sup> إبراهيم حمداوي، «معيش الأسرة المغربية في فترة جائحة كورونا وأثاره المستقبلية ملاحظات أولية» في كتاب الحياة في زمن الفيروس التاجي كوفيد 19، منشورات جامعة بن طفيل بالقنيطرة، مطبعة الرباط نيت، ط.الأولى، 2020، ص.ص 119-120.

<sup>247</sup> رشيد ابن السيد، «أزمة كورونا فايروس: هل من مخرج؟ ترجمة مقال للفيلسوف السلافوي جييجك» في كتاب الحياة في زمن الفيروس التاجي كوفيد 19، منشورات جامعة بن طفيل بالقنيطرة، مطبعة الرباط نيت، ط.الأولى، 2020، ص.ص 193-194.

<sup>248</sup> انظر موقع منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، <http://www.emro.who.int/ar/health-topics/corona-virus/about-covid-19.html> تم الاطلاع بتاريخ 25 يناير 2022.

<sup>249</sup> انظر النشرة اليومية لنتائج الرصد الوبائي لكوفيد-19 بموقع وزارة الصحة والحماية الاجتماعية المغربية [http://www.covidmaroc.ma/.../25\\_01\\_2022.COVID.MAROC](http://www.covidmaroc.ma/.../25_01_2022.COVID.MAROC)، تم الاطلاع بتاريخ 25 يناير 2022.

## 2-1- ردود فعل المغاربة إزاء واقعهم المتري

وَأُدت الأزمات الطبيعية والحروب والقلال السياسية ردود فعل لدى المغاربة الذين عبَّروا عنها بأساليب مختلفة وبانفعالات وأوصاف مقتضبة لكنها ذات دلالات عميقة لا تخلو في كثير من الأحيان من طرافة وحضور بديهة، فقد تم التعبير عن بعضها باللفظ الصريح الذي لا يحتاج إلى أيِّ تأويل، فقد سُمي موسم سنتي 1520-1521م بموسم «الجوع الكبير»، وموسم عامي 1737-1738م هو موسم «المسغبة العظيمة والمجاعة الكبيرة»، بينما نعتت بعض الأزمات بنوع الظواهر المترتبة عنها أو المتزامنة معها ومن أمثلة ذلك: «عام اليبسة»، و «عام السواق»، و «عام الغلاء الكبير»، و «عام خمس أواقي»، و «عام البقول»، و «عام الخيزري» أو «عام يرني»، و «عام خيزو» المعروف أيضاً بـ «عام الصندوق»، و «عام اللوبيا»<sup>250</sup>، إلى غير ذلك من الأوصاف والتعوت.

وفي خضم هذه الأزمات والمآسي والإهانات والكوارث الطبيعية التي عصفت بالبلاد والعباد انعدم الأمن في البلاد إلى درجة أن سكان الهبط أصبحوا خلال القرن السادس عشر الميلادي بسبب خوفهم من الغارات البرتغالية يقومون بدرس محاصلهم وهم على ظهور جيادهم تاهباً للفرار<sup>251</sup>، وتفشت ظواهر غريبة مطبوعة باليأس والعنف وانسلاخ الإنسان عن إنسانيته مثل ظاهرة الفرار عن الأهل والولد، أو ظاهرة الانتحار وقتل الأطفال للاستراحة منهم<sup>252</sup>، وأضحى المغاربة في الوقت نفسه يشعرون بأزمة ضمير حادة، إذ أن تفسيرهم لتلك الأوضاع المعيشة كان بسيطاً لا يأخذ بعين الاعتبار شروط الغلبة التي كانت متوفرة لدى المسيحيين، بل اعتبروا أن ما حلَّ بهم من مآسي ومحن بسبب ابتعادهم عن الكتاب والسنة، وافتراق كلمتهم وانكبابهم على المذات، وإفراطهم في البدع وجمع المال كما لو كانوا شعباً بدون كتاب أو دين، كما أمسى المغربي يمجذ الماضي بشكل لم يسبق له مثيل، ويخصُّ عصره بكل الرذائل والبدع، واختلط لديه الحلال والحرام في كل مرافق حياته، واستحوذ عليه الشك إلى حد استفسار الفقهاء عمَّا إذا كان المجاهد الذي يموت وهو ملطخ بدماء الكافر شهيداً حقاً، وعمَّا إذا كان يحل للمسلم تداول العملات المسيحية واستهلاك مواد مستوردة من دول مسيحية، كالورق والصابون والأثواب ومواد معدنية أخرى، وعمَّا إذا كان يحل لهم شراء كل ما يعرض في السوق من بهائم دون تمحيص مع العلم أن عارضها خصوصاً إذا كان من الأعراب قد يكون سرقها، بل وصل الأمر بالمغربي درجة التحفظ فيما يعرض عليه من طعام<sup>253</sup>، وهكذا حار في أمره كثيراً واعتبر هذه المصائب علامة على قرب الساعة، ومبشراً بقرب ظهور المهدي، وكان

<sup>250</sup> محمد استيتو، «من وسائل مواجهة الفقراء للمجاعات في المغرب خلال العصر الحديث» ضمن كتاب المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب.....، م.س، ص.ص 249-250.

<sup>251</sup> أحمد بوشارب، وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه، منشورات دار الأمان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط. الأولى، 1997، ص.68.

<sup>252</sup> محمد استيتو، «من وسائل مواجهة الفقراء للمجاعات في المغرب خلال العصر الحديث» ضمن كتاب المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب.....، م.س، ص.ص 261.

أحمد بوشارب، مغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر.....، م.س، ص.ص 52-54؛<sup>253</sup>

هذا الاعتقاد وراء إيمان سكان القصر الكبير بشخص ادعى أنه عيسى بن مريم، وكان كذلك وراء ادعاء السعديين للمهدوية<sup>254</sup>.

وهكذا انقسم المغاربة إلى عدة فرق وطوائف كل واحدة منها تسعى بطريقتها الخاصة عن ساعد الجد لإيجاد الحلول الناجعة لتجاوز الشدة بأقل الخسائر؛ طائفة عوّلت على المخزن الذي كانت تنظر إليه باعتباره المنقذ والمخلص من الجوائح والأوبئة، فقد تمتع السلاطين بهيبة روحية وتأثير كبير في مختلف فئات الشعب، ونشأت عند السكان قناعة راسخة بأنهم ذوو بركة خارقة. فمن هذا المنظور نشأت في الذهنية الجماعية إيديولوجية ذات سمات واضحة جعلت مختلف فئات المجتمع ترى فيهم حصناً منيعاً من الجوائح، وتركت هذه الإيديولوجية بصماتها على كتابات العصر التي صورت وقوع القحط وكأنه لعنة من السماء نتجت عن غضب السلطان على رعيته الذين شقوا عصا الطاعة عليه، فلا غرابة والحال هذه إذا كانت بعض القبائل لكثرة عصيائها تُنتعت من طرف قبائل أخرى بكونها «مسخوطة السلطان»، أو إذا كانت القبائل التي يمر السلطان بديارها تهرع لرؤيته رجالاً ونساءً وكأن فيه نوع من التبرك، ولا غرابة أيضاً أن رأته القبائل قادراً ببركته على حبس المطر عنها بسبب معاصيها<sup>255</sup>.

وقد استغل السلاطين مزلتهم الكبيرة في نفوس الناس لممارسة سلطة الجود والكرم على الرعية إمّا بشكل مباشر أم بكيفية مبطننة، وذلك بغرض التعبير عن الأبهة المستوحاة من النسب الشريف من جهة، وتكريس فكرة مؤداها أن السلطان مصدراً لمختلف أشكال العطاء التي سهر على توزيعها وفقاً لرؤيته الخاصة، وتبعاً لضوابط اتخذت من الأحداث الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الشخصية مرجعية لها من جهة ثانية<sup>256</sup>. فالجود السلطاني يبدو مجانياً وتطوعياً على الأقل من الظاهر، لكنه في الواقع يُبطن خاصية أساسية متمثلة في قدرته على إخفاء كونه دنيئاً، فحتى مجرد إعطاء الطعام الدال على السخاء والكرم فإنه يستلزم في المقابل اعترافاً بالطاعم والخضوع له أحياناً<sup>257</sup>، لذلك عوّلت المخزن في كثير من الأحيان على السلطة الرمزية للتعبير عن أشكال تمظهر سلطته في صيغتها المادية سواء مع الرعية أو مع الأجانب لأن القوة وحدها لا تخول الزعامة الكاملة ما دام يمكنها ممارسة الإكراه وليس الإقناع الذي لا يتم تحقيقه إلا بالسلطة الرمزية، فالرمزية شكل من أشكال تمظهر السلطة، وهي سلطة لا مرئية ولا يمكن أن تمارس إلا بتواطؤ أولئك الذين يابون الاعتراف بأنهم يخضعون لها بل ويمارسونها<sup>258</sup>، «فالرموز شأنها شأن أي نوع من الدلائل، إنما هي دائماً أبدأ

<sup>254</sup> أحمد بوشارب، دكالة والاستعمار البرتغالي.....، م.س، ص.473.

<sup>255</sup> محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.....، م.س، ص.361-362.

<sup>256</sup> للاطلاع أكثر على هذا الموضوع انظر: محمد جادور، مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب، منشورات عكاظ، الدار البيضاء، 2011، ص.172-178.

<sup>257</sup> سالم حميش، «في سيميائية الاستبداد أو ابن خلدون أمام الدولة المغربية»، ضمن كتاب جدلية الدولة والمجتمع بالمغرب، مطابع إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط.الأولى، 1992، ص.180.

<sup>258</sup> بدير بورديو، الرمز والسلطة، منشورات دار توبقال الدار البيضاء، ط. الثالثة 2007م، ص.84.

نتيجة تطور استحدثت علاقة لا إرادية بين الأشياء لا تخترع ولا تأتي بغتة<sup>259</sup>، وتكون تلك الرموز غير المباشرة لسانية وغير لسانية على السواء، ففي الحالة الأولى تتخذ صورة قضيتين، وفي الثانية صورة حادثين، وعندما تكون على هذه الصورة الأخيرة يمكن أن يدركها المناطقة وعمامة الأميين<sup>260</sup>.

وقد لبَّ السلاطين نداءات الرعية زمن المحن والشدائد، واتخذوا عدة تدابير وإجراءات بما فيها إصدار عدد من المراسيم والظواهر لاتقاء شرّ الوباء وموساة الضعفاء، فمن بين هذه الإجراءات نذكر على سبيل الاقتضاب: تدخل المخزن السعدي خلال مجاعة 1522م من أجل توفير المؤن بأثمان معقولة<sup>261</sup>، وقيام السلطان مولاي اسماعيل العلوي بتوزيع الصدقات ولاسيما في العواصم خلال مجاعة 1682-1683م<sup>262</sup>، وبمراقبة صناعة الخبز خلال السنوات العجاف اللاحقة، بحيث «كان يأخذ عينات من أفران متعددة، فإذا وجدها من نوعية رديئة أو دون الوزن الذي ينصُّ عليه القانون ضرب رقبة صاحب المخبزة عقاباً له، وكان يتخذ نفس الإجراء مع تجار الفواكه»<sup>263</sup>، وعمد خلال سنة 1721م إلى «فتح...، مخازن لقمح وفرقه على الضعفاء وذوي العاهات... وأتته قبائل البربر والأعراب وأنزلهم ببلاد الغرب فعاشوا وواساهم بقمح ومال وثياب»<sup>264</sup>.

وأقدم السلطان سيدي محمد بن عبد الله خلال الممسغة التي عصفت بالبلاد ما بين سنتي 1776-1782م على توزيع الأموال والطعام على الجنود وعمامة الناس طيلة سنوات القحط والمجاعة التي من شدتها «أكل الناس فيها الميتة والخنزير والأدمي وفي أكثرهم جوعاً»<sup>265</sup>، حيث يقول صاحب «الاستقصا» في هذا الصدد «والسلطان في ذلك كله يكابد المشاق العظام ويصير على الجنود الأموال الثقال، راتباً بعد راتب، وعطاء بعد عطاء، إلى أن خلصوا من المجاعة وصلحت أحوال الجماعة، وكان رحمه الله قد رتب الخبز في كل مصر، يفرق على ضعفائه في كل حومة، وأسلف القبائل الأموال الطائلة يقتسمونها على ضعفاءهم إلى أن يؤديها زمان الخصب والرخاء، ولما عاش الناس وهموا بأدائها سامحهم وقال: ما أعطيتها بنية الاسترجاع»<sup>266</sup>. كما قام السلطان نفسه بإحداث نطاق عسكري على الحدود المغربية الجزائرية لحماية البلاد من الوباء الذي ضرب الجزائر سنة 1783م، وأصدر السلطان مولاي سليمان سنة 1793م أمره بفرض حجر صحي على السفن القادمة من وهران، وتجميد جميع المواصلات القارية في الحدود الشرقية وذلك بمقتضى ظهير سلطاني، وظل

<sup>259</sup> ترفيتان تودوروف، نظريات في الرمز، ترجمة محمد الزكراوي، منشورات المنظمة العربية للترجمة، ط. الأولى 2012، بيروت، ص. 458.

<sup>260</sup> المرجع نفسه، ص. 34-35.

<sup>261</sup> محمد استينو، «من وسائل مواجهة الفقراء للمجاعات في المغرب خلال العصر الحديث» ضمن كتاب المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب.....، م.س، ص. 260.

<sup>262</sup> المرجع نفسه، ص. 254.

<sup>263</sup> محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.....، م.س، ص. 365.

<sup>264</sup> المرجع والصفحة نفسها.

<sup>265</sup> أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، منشورت دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ج. 8، ص. 49.

<sup>266</sup> المصدر والصفحة نفسها.

المغرب بفضل هذا الإجراء الاحترازي في مأمن من الوباء<sup>267</sup>، إلى غير ذلك من الإجراءات والتدابير التي دأب المخزن القيام بها زمن القحوط والمحن الطبيعية، وهي التدابير نفسها التي ستمها الملك المغربي محمد السادس في مواجهة الوباء التاجي كوفيد-19، حيث أصدر أمره يوم 16 مارس 2020م إلى الحكومة بإصدار مرسوم ينص على إحداث حساب خصوصي بعنوان «الصندوق الخاص لتدبير ومواجهة وباء فيروس كورونا»، وحُصص هذا الحساب الذي رصدت له من الميزانية العامة للدولة اعتمادات مالية بمبلغ عشر مليارات درهم بشكل رئيسي من أجل تحمل تكاليف تأهيل الآليات والوسائل الصحية، سواء فيما يتعلق بتوفير البنية التحتية الملائمة والمعدات والوسائل الإضافية التي يتعين اقتناؤها بكل استعجال، وذلك من أجل علاج الأشخاص المصابين بالفيروس في ظروف جيدة، ثم دعم الاقتصاد الوطني لمواجهة تداعيات هذا الوباء من خلال التدابير التي ستقترحها لجنة اليقظة الاقتصادية (CVE)، وذلك للتخفيف من التداعيات على المستوى الاجتماعي أساساً<sup>268</sup>. وأصدرت الحكومة أيضاً يوم 24 مارس 2020 مرسومين يتعلقان بحالة الطوارئ الصحية بسائر أرجاء التراب المغربي ينصان على التقيد بالحجر الصحي، وبالأوامر والقرارات الصادرة عن السلطات العمومية<sup>269</sup>.

وطائفة ثانية اعتبرت أن ما حلَّ بها من الفتن والأهوال والويلات عقاباً إلهياً استحقته بسبب ابتعادها عن الدين الإسلامي، وانكبابها على ملذات الحياة، وتراخي ولاة أمرها في أمر الجهاد، وبلغت شدة تدمرها من هذا الواقع المتأزم منتهاهما، فلم تعد قادرة على تلقي المزيد من الإهانات، وأضحى لديها استعداد ذهني لقبول كل الحلول الممكنة لتجاوز أزمته الذاتية حتى «ولو كان ذلك يخالف الشريعة والعقل، فإذا اعتقدت العامة في ولي، فإنها تتشبث به ولا تحيد عن تعاليمه»<sup>270</sup>، وهكذا وجدت هذه الطائفة ضللتها في أهل الولاية والصلاح، خصوصاً وأن عدد الأولياء كان يتكاثر خلال هذه الأزمات، ويذيع صيغتهم في الأفق وتزداد هيبتهم في النفوس باعتبارهم أهل الله المنقذون البلاد والعباد من الظلم والطغيان والانحراف، المالكون وحدهم حق الإصلاح الروحي للنفس البشرية الأمانة بالسوء، وبهذه الصفة سارع الناس إلى تعظيمهم وتبجيلهم بشكل مثير للغاية، وكان من مظاهر هذا التبجيل أن اعتقدوا في كراماتهم وفي قدرتهم فوق-طبيعية على تغيير معالم الواقع المألوف اعتقاداً مطلقاً<sup>271</sup>، ورأوا فيهم ضماناً معنوية (الدعاء والكرامات)، ومادية ضد الحكام وممثلهم وضد طغيان الطبيعة<sup>272</sup>. فهذا مثلاً الفقيه محمد بن المعطي المدعو حدو السريغيني المراكشي (ت.1878م) يثبت كلاماً للشيخ محمد المهدي بن

<sup>267</sup> محمد الأمين الزباز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.....، م.س، ص.ص.87-89.

<sup>268</sup> انظر الموقع الرسمي لوزارة الاقتصاد والمالية المغربية، <https://www.finances.gov.ma/ar/Pages>، تم الاطلاع يوم 25 يناير 2022.

<sup>269</sup> انظر بنود المرسومين بالجريدة الرسمية للمملكة المغربية، عدد 6867 مكرر، بتاريخ 29 رجب 1441هـ/24 مارس 2020م، ص.ص.1784-1782.

<sup>270</sup> عبد المجيد القدوري، المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر (مسألة التجاوز)، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية 2012، الدار البيضاء، ص.140.

<sup>271</sup> محمد العمراني، المغرب زمن العلويين الأوائل، مطابع الرباط نيت، ط. الأولى، 2013، ص.ص.24-25؛ «كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامات الصوفية» في مجلة أمل، عدد 35، 2009، ص.54؛ «صور من تداعيات المجاعات والأوبئة على الوضع الاجتماعي بالمغرب خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر».....، م.س، ص.146.

انظر أيضاً: محمد أبرهموش، «تاريخ المغرب والأزمة الذهنية» في موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، (د.ت)، ص.ص.6-7.

<sup>272</sup> أحمد بوشارب، دكالة والاستعمار البرتغالي.....، م.س، ص.ص.473-474.

أحمد بن علي الفاسي الفهري (ت.1698م) متبنيًا إيَّاه دون أدنى تردد ولا شك حيث نقرأ ما يأتي: «ذكر الشيخ سيدي المهدي الفاسي في ممتع الأسماع في مناقب الجزولي والتباع ومن لهما من الأتباع أن من خاف على الغرس من الجراد، فإنه يكتب شكاية للشيخ مولانا عبد الله بن حسين دفين تمصلحت من عمل مراكش في بطاقة وتعلق على شجرة منه عالية ويلتزم لضريحه بقدر من طعام، فإن الجراد لا يعدو عليه. وقد جرب ذلك فوجد كذلك، فإن كرامة الأولياء لا ينكرها إلا محجوف»<sup>273</sup>.

وفضلاً عن أهل الولاية والصلاح قصد الناس السحرة والمشعوذين والعرفاء والمنجمين لمواجهة كوارث عصرهم، وصدقوا أقوالهم ووشايتهم تصديقاً مطلقاً وارتبطوا بها أشد الارتباط، كما تسربت إلى مخيالهم ومعتقداتهم بعض الأساطير والخرافات التي تُفسر الكوارث الطبيعية، وهي شبيهة إلى حد ما بنسق الأساطير البدائية منها الاعتقاد بوجود الأرواح الشريرة في بعض الحيوانات، وللحصول على المطر- في اعتقادهم- لا بد من تقديمها قرباناً للذبح أو الحرق<sup>274</sup>. وغيرها من الطقوس الغريبة التي مارسها المغاربة إمَّا لاتقاء الكوارث الطبيعية وإمَّا لاستدرا عطف السماء وجعلها تجود بالأمطار زمن الضيق والشدة. وإلى جانب الطائفتين المتقدمتين حاولت فئة أخرى أن تستفيد مما تبقى لها من الحياة وانكبت على المذات وعلى المجون والفسق، ولعل خير مثال على ذلك نذكر الطائفة اليوسفية أو العكاكزة كما تسميها مصادر السنة المؤلفة أواخر الدولة السعودية وصدر الدولة العلوية<sup>275</sup>، وطائفة رابعة عملت على تناسي الواقع المرّ والمخجل بعدد من المواقف، كالاكتفاف بالجبال والانعزال عن العالم والزهد في الدنيا<sup>276</sup>، بينما فضلت طائفة أخرى ممن عجزت عن مواجهة تحدي العصر الدخول في الدين المسيحي، اعتقاداً منها أن النصارى يتوفرون باستمرار على المواد الضرورية<sup>277</sup>، ورغم تنصر عدد كبير من هذه الطائفة فإن الإسلام ظل حاضراً في ذهن المتنصرين حتى حين تناول الخمر أو أكل لحم الخنزير، بحيث كانوا يبدأون دائماً بقول البسملة، وكان استهلاك المادتين المذكورتين يخلق لدى بعضهم بين الفينة والأخرى نوعاً من أزمة الضمير، فقد كان أحدهم يحذرهم من ذلك ويذكرهم بساعة الحساب في آخرتهم لتناولهم تلك المحرمات<sup>278</sup>.

خاتمة

<sup>273</sup> مصطفى الشابي، «حول جانحي المجاعة والوباء في مغرب القرن التاسع عشر من خلال وثائق دفينية».....، م.س، ص.330.

<sup>274</sup> للاطلاع أكثر على هذا للموضوع انظر: عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق.6-8هـ/12-43م)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط.الأولى، 2008، ص.130-156.

<sup>275</sup> للاطلاع أكثر على طقوس هذه الطائفة التي اشتهرت بالغلو والإباحية انظر: عبد الله نجي، التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة (ق.16-17م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط.الأولى، 2000، ص.304-351.

<sup>276</sup> أحمد بوشارب، دكالة والاستعمار البرتغالي.....، م.س، ص.474.

<sup>277</sup> المرجع نفسه، ص.340-341.

<sup>278</sup> أحمد بوشارب، مغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر.....، م.س، ص.207.

نستخلص من كل من تقدم، أن الأوبئة والمجاعات والحروب التي كانت تجتاح بلاد المغرب الأقصى بين الفينة والأخرى كانت تخلف فضلاً عن الوفيات التي لا تعد ولا تحصى واقعاً مرّاً وأزمة نفسية عويصة انقسم المجتمع المغربي إلى فئات متباينة السلوك والمواقف كل واحدة منها تسعى بوسائلها الخاصة عن ساعد الجد لإيجاد الحل الأنجع لتجاوز واقعها المخجل، فمنها من عوّلت على عطف السلاطين وجودهم باعتبارهم حماة الملة والدين مصداقاً للحديث الشريف «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...»<sup>279</sup>، ومنها من ارتمت في أحضان أهل الولاية والصلاح باعتبارهم أهل الله المنقذون البلاد والعباد من ظلم الطبيعة وطغيان الإنسان، المالكون وحدهم حق الإصلاح الروحي، وفئات أخرى سارعت إلى استغلال ما تبقى لها من الوقت في الفسوق والفجور وفي كل ملذات الحياة، ولعل مثل هذه الحلول «الوهمية» تعكس بشكل ملموس طبيعة التفكير عند المغاربة التي لم تكن تواكب تطورات العصر المتسارعة. ففي الوقت الذي كان فيه المغرب والمغاربة يعيشون تحت تأثير شعوذة الأولياء من أجل فك مشاكل عصرهم، كانت فيه أوروبا تعيش قفزة نوعية وتعمل على خلق إنسان النهضة المتكامل القادر على مواجهة كل التحديات، وتطالب باعتماد التجربة من أجل السيطرة على الطبيعة، فقد حاول رجالالات النهضة الثّيرين محاربة الخرافات والطقوس التي تكبل طاقات الإنسان الجديد<sup>280</sup>.

## المصادر والمراجع

### 1-الكتب

- الإفراني (محمد الصغير)، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، ط.الأولى، 1998.
- البزاز (محمد الأمين)، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط.الأولى، 1992.
- بورديو (بيير)، الرمز والسلطة، منشورات دار توبقال الدار البيضاء، ط. الثالثة 2007م.
- بوشارب (أحمد)، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور (قبل 28 غشت 1481-أكتوبر 1541)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط.الأولى، 1984.

<sup>279</sup> أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج3، تحقيق وترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط.الأولى، 1991، حديث رقم 1829، ص.1459.

<sup>280</sup> عبد المجيد القدوري، المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر.....، م.س، ص ص.143-144.



بوشارب (أحمد)، مغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر دراسة في الثقافة والذهنيات بالمغرب من خلال محاضر محاكم التفتيش الدينية البرتغالية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة فضالة المحمدية، ط. الأولى، 1996.

بوشارب (أحمد)، وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه، منشورات دار الأمان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط. الأولى، 1997.

البياض (عبد الهادي)، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق6-8هـ/12-43م)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط. الأولى، 2008.

تير ميتلين (ماريا)، اثنتا عشرة سنة من الاستعباد رحلة أسيرة هولندية في بلاد المغرب 1731-1743، ترجمة وتقديم بوشعيب الساوري، دار السويدي للنشر والتوزيع، منشورات المتوسط إيطاليا، ط. الأولى 2018.

تزفيتان تودوروف، نظريات في الرمز، ترجمة محمد الزكراوي، منشورات المنظمة العربية للترجمة، ط. الأولى 2012، بيروت.

جادور (محمد)، مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب، منشورات عكاظ، الدار البيضاء، 2011.

الضعيف الرباطي (محمد)، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، تحقيق وتعليق وتقديم أحمد العماري، نشر دار المآثورات، الرباط، ط. الأولى، 1986.

العمراني (محمد)، المغرب زمن العلويين الأوائل، مطابع الرباط نيت، ط. الأولى، 2013.

فانيورون (فريدريك)، الانفلونزا الإسبانية عودة إلى وباء 1918-1919، ترجمة محمد حبيدة، منشورات مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2020.

القادري (محمد بن الطيب)، نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق أحمد حجي وأحمد توفيق، نشر وتوزيع مكتبة الطالب، الرباط، ط. الأولى، 1982، الجزء الثاني.

القشيري النيسابوري (أبو الحسين مسلم بن الحجاج)، صحيح مسلم، ج3، تحقيق وترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط. الأولى، 1991، حديث رقم 1829.

القدوري (عبد المجيد)، المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر (مسألة التجاوز)، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية 2012، الدار البيضاء.

- الناصري (أحمد بن خالد)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، منشورت دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.
- المنصور (محمد)، المغرب قبل الاستعمار: المجتمع والدولة والدين 1792-1822، ترجمه عن الإنجليزية محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى 2006.
- نجي (عبد الله)، التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة (ق.16-17م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط. الأولى، 2000.
- واتس (شلدون)، الأوبئة والتاريخ المرض والقوة الإمبريالية، ترجمة وتقديم أحمد محمود عبد الجواد، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط. الأولى، 2010.

## 2-المقالات

- أبرهموش (محمد)، «تاريخ المغرب والأزمة الذهنية» في موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، (د.ت).
- أبرهموش (محمد)، «الموت في مغرب ما قبل الاستعمار ملاحظات أولية «كثرة الموتان»» في مجلة البحث التاريخي، عدد مزدوج 13-14، 2017.
- أسكان (الحسين)، «المجاعات والأوبئة بين الآفات السماوية والجائحة الإنسانية خلال العصر الوسيط شمال المغرب» ضمن كتاب المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2002.
- البزاز (محمد الأمين)، «الحركة والطاعون في مغرب القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر» ضمن كتاب المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2002.
- ابن السيد (رشيد)، «أزمة كورونا فايروس: هل من مخرج؟ ترجمة مقال للفيلسوف السلافوي جيبيك» في كتاب الحياة في زمن الفيروس التاجي كوفيد 19، منشورات جامعة بن طفيل بالقنيطرة، مطبعة الرباط نيت، ط. الأولى، 2020.
- بوكريسي (نادية)، «وباء الكوليرا في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي» ضمن أعمال مؤتمر الأوبئة عبر التاريخ، دار خيال للنشر والتوزيع، الجزائر، 2021.
- اجميلي (حميد)، «الطاعون الأسود بالغرب الإسلامي وبعض نتائجه الديمغرافية 749هـ/1350م» في مجلة آفاق فكرية، المجلد التاسع، عدد 02، 2021.



## مجلة الدراسات الإفريقية وحموض النيل - العدد السادس عشر - يونيو 2022م



- حبيدة (محمد)، «تاريخ الوباء من الطاعون الأسود إلى الكورونا» في كتاب الحياة في زمن الفيروس التاجي كوفيد 19، منشورات جامعة بن طفيل بالقنيطرة، مطبعة الرباط نيت، ط. الأولى، 2020.
- حمدادو (بن عمر)، «أدبيات الأوبئة والأمراض ببلاد المغرب من خلال كتب الرحالة والأجانب» في مجلة آفاق فكرية، المجلد 09، العدد 02، 2021.
- حمداي (ابراهيم)، «معيش الأسرة المغربية في فترة جائحة كورونا وأثاره المستقبلية ملاحظات أولية» في كتاب الحياة في زمن الفيروس التاجي كوفيد 19، منشورات جامعة بن طفيل بالقنيطرة، مطبعة الرباط نيت، ط. الأولى، 2020.
- حميش (سالم)، «في سيميائية الاستبداد أو ابن خلدون أمام الدولة المغربية»، ضمن كتاب جدلية الدولة والمجتمع بالمغرب، مطابع إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط. الأولى 1992.
- استيتو (محمد)، «من وسائل مواجهة الفقراء للمجاعات في المغرب خلال العصر الحديث» ضمن كتاب المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2002.
- الشابي (مصطفى)، «حول جائحتي المجاعة والوباء في مغرب القرن التاسع عشر من خلال وثائق دفيئة» ضمن كتاب المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2002.
- شقرون (إكرام)، «الطاعون الكبير بالمغرب (1798-1800م) دراسة ديمغرافية» في مجلة عصور الجديدة، المجلد 10، عدد 4، دجنبر 2020.
- العمراني (محمد)، «كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامات الصوفية» في مجلة أمل، عدد 35، 2009.
- العمراني (محمد)، «صور من تداعيات المجاعات والأوبئة على الوضع الاجتماعي بالمغرب خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر»، في مجلة الحوار المتوسطي، المجلد الثاني عشر، العدد 1، أبريل 2021.
- القادري بوتشيش (ابراهيم) و بياض (عبد الهادي)، «ثقافة الطعام وتنوع خطاباتها في زمن المجاعات: المغرب والأندلس من القرن 6 حتى القرن 8هـ/14-2م نموذجاً» في مجلة عصور الجديدة، عدد مزدوج 7-8، شتاء 2012-2013م.
- المودن (عبد الرحمن)، «الحوليات والأزمات السلطانية (1727-1757م) مصطلح الفترة»، في ندوة الإسطوغرافيا والأزمة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الطبعة الأولى 1994.
- نشاط (مصطفى)، «التغذية والأزمة بالمغرب في العصر المريني» في مجلة أمل، مجلد 6، عدد 17، 1999.



## مجلة الدراسات الإفريقية ومحض النيد- العدد العاشر - ماي 2020م



الناوي (أحمد)، «الأوبئة والحجر الصحي في تاريخ المغرب المعاصر قراءة في كتاب تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين 18 و19 لمحمد أمين البراز 1992» في كتاب الحياة في زمن الفيروس التاجي كوفيد 19، منشورات جامعة بن طفيل بالقنيطرة، مطبعة الرباط نيت، ط. الأولى، 2020.

### 3- المواقع الإلكترونية

مرسومان بالجريدة الرسمية للمملكة المغربية، عدد 6867 مكرر، بتاريخ 29 رجب 1441هـ/24 مارس 2020م.

الموقع الرسمي لوزارة الاقتصاد والمالية المغربية:

<https://www.finances.gov.ma/ar/Pages>، تم الاطلاع يوم 25 يناير 2022.

موقع منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، [http://www.emro.who.int/ar/health-](http://www.emro.who.int/ar/health-topics/corona-virus/about-covid-19.html)

[topics/corona-virus/about-covid-19.html](http://www.emro.who.int/ar/health-topics/corona-virus/about-covid-19.html) تم الاطلاع بتاريخ 25 يناير 2022.

النشرة اليومية لنتائج الرصد الوبائي لكوفيد-19 بموقع وزارة الصحة والحماية الاجتماعية المغربية

<http://www.covidmaroc.ma> ، تم الاطلاع بتاريخ 25 يناير 2022.



السياحة الجبلية وأثرها على وضعية المرأة القروية بإقليم أزيلال: حالة الجماعات الترابية زاوية  
أحنصال، تبانت و آيت تاكلا.

**The Mountain tourism and its impact on the status of rural women in Azilal province:  
The case of the territorial communities Zaouiat Ahansal, Tabant and Ait Taguella.**

عبد الصمد الزو، جامعة ابن طفيل، المغرب [abdoezzaou@gmail.com](mailto:abdoezzaou@gmail.com)

#### الملخص:

تتوفر المجالات الريفية لإقليم أزيلال بمؤهلات لا حصر لها تشكل عوامل جذب للسياح، سواء كانوا مغاربة أم أجانب. هذه المؤهلات جعلت من المنطقة أحد الوجهات السياحية المفضلة لعدد كبير من السياح، خاصة عشاق الطبيعة والهدوء. وبالرغم من النقص على مستوى الخدمات والتجهيزات والبنيات، إلا أن السياحة الجبلية بالإقليم لعبت دورا كبيرا في التحولات التي تعرفها الساكنة المحلية، خاصة ما يتعلق بوضعية النساء القرويات اللاتي استفدن بشكل كبير من هذا النشاط الاقتصادي.

الكلمات المفتاحية: السياحة الجبلية، المرأة القروية، إقليم أزيلال، المغرب.

#### Abstract :

The rural areas of Azilal Province have countless qualifications that are attractions for tourists, whether Moroccan or foreign. These qualifications have made the area one of the favorite tourist destinations for a large number of tourists, especially nature lovers and quiet people. Despite the lack of services, equipment and infrastructure, the Territory's mountain tourism has played a significant role in the transformation of the local population, especially rural women, who have benefited greatly from this economic activity.

**Key words:** Mountain Tourism, Rural Women, Azilal Province, Morocco.

## مقدمة

يتوفر إقليم أزيلال على مؤهلات مهمة، تجمع بين تنوع المشاهد الطبيعية (طبوغرافية السطح، شلالات، وديان، غابات، وحيش...)، والموروث الثقافي الغني والمتجذر (معمار، صناعة تقليدية، عادات وتقاليد، تعابير شفوية...)، وهو ما ساهم في خلق منتج سياحي فريد ومتنوع، جعل من المنطقة وجهة سياحية متميزة ومجال استقطاب لمشاريع تنمية<sup>281</sup>. وإقليم أزيلال كمجال سياحي جبلي تعرض للتهميش منذ القديم، لكن يلاحظ في السنوات الأخيرة أن هناك بعض الاهتمام الذي تبديه الدولة وباقي الفاعلين، للنهوض بالقطاع السياحي بهذا المجال، وذلك من خلال القيام ببعض البرامج والمشاريع. ورغم محدودية هذه التدخلات إلا أنها لعبت دورا في فك العزلة عن المنطقة وتوفير بعض التجهيزات التي تخدم السياحة بالمنطقة، وهو ما انعكس إيجابا على الساكنة وبالخصوص النساء القرويات.

## - إشكالية الدراسة

أصبحت السياحة تلعب دورا هاما في التنمية الاقتصادية المحلية، إذ صار إقليم أزيلال أحد أهم الوجهات السياحية التي يقصدها السياح المغاربة والأجانب. وبذلك أصبحت الساكنة المحلية تعيش على مداخيل وعائدات السياحة والأنشطة المرافقة لها، كالطبخ والتجارة وكراء البيوت والإرشاد السياحي وغيرها من الأنشطة. ورغم موسميته إلا أن السياحة تساهم في تشغيل مختلف الفئات العمرية بالمنطقة، كما أنها توفر دخلا لمعظم الساكنة، إضافة إلى أنها ساهمت في مجموعة من التحولات همت بالأساس تحسين وضعية المرأة القروية. من هذا المنطلق سيعالج هذا البحث الإشكالية التالية: كيف ساهمت السياحة الجبلية في تحسين وضعية المرأة القروية بإقليم أزيلال؟ من خلال الإشكالية المركزية، يمكننا طرح مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- ما خصائص الحركة السياحية بإقليم أزيلال؟
- ما أهم التحولات التي عرفتها المرأة القروية بإقليم أزيلال؟
- كيف يمكن النهوض بأوضاع المرأة بهذا المجال؟

## - فرضيات الدراسة

<sup>281</sup> الزو عبد الصمد(2018)، السياحة الريفية بأوزود: تمييز التراث الطبيعي والثقافي لتحقيق التنمية المحلية، رسالة لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية القاضي عياض مراكش، المغرب، ص 87.

انطلاقا من الإشكالية الرئيسية والأسئلة الفرعية وكذا الدراسة الأولية، يمكننا وضع مجموعة من الفرضيات التي سنعمل على تأكيدها أو نفيها، مثل:

- يعرف إقليم أزيلال دينامية سياحية نشيطة.
  - استفادت المرأة القروية من السياحة الجبلية لتحسين أوضاعها.
  - رغم ما حققته المرأة القروية من مكتسبات، إلا أنها لا زالت تعاني من الإقصاء والتهيش.
- أدوات البحث

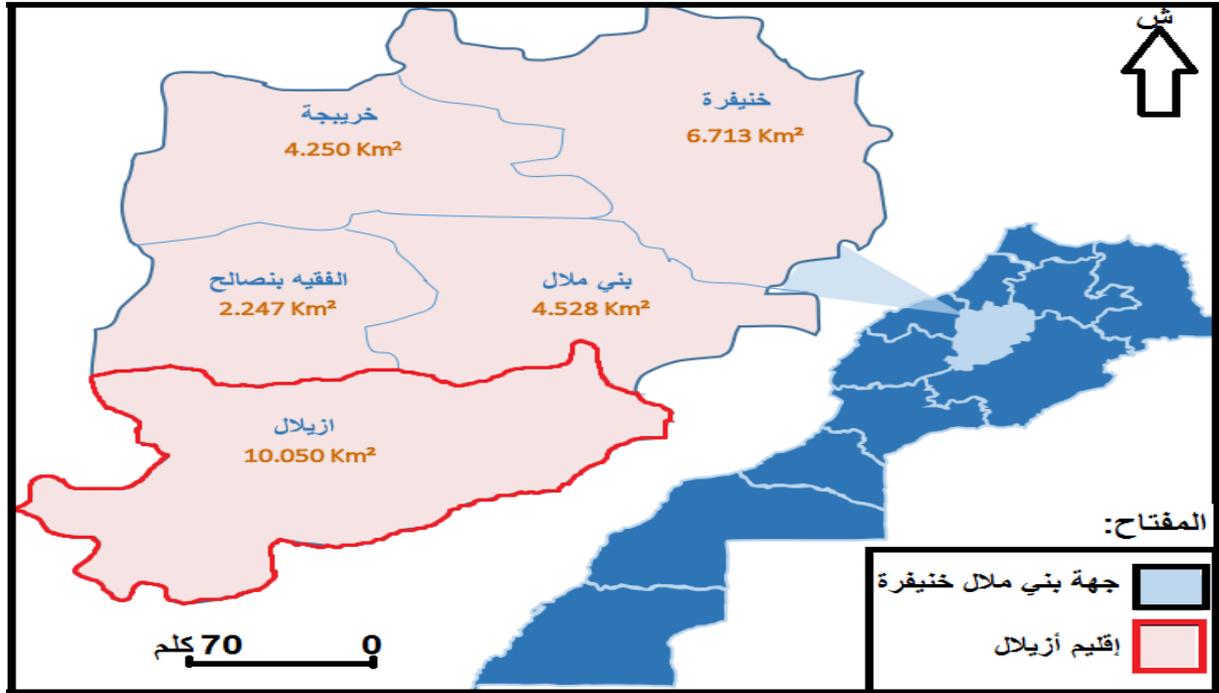
بالإضافة إلى المعطيات المحصل عليها من المراجع والمصادر المختلفة وكذا الجهات الرسمية، سيتم الاعتماد على العمل الميداني من خلال الاستمارة. إذ تم توزيع 425 استمارة على السياح، و326 استمارة على النساء القرويات. وبالنسبة لعينة البحث فهي تنتهي إلى ثلاث جماعات ترابية تعرف حركة سياحية نشيطة: تاننت (أيت بوكماز) وأيت تاكلا (أوزود) وزاوية أحنصال. كما سنعتمد على برنامجي Arcgis لرسم الخرائط و Sphinx لتفريغ الاستمارات ورسم المبيانات.

#### - مجال الدراسة

ينتمي إقليم أزيلال إلى جهة بني ملال خنيفرة، وهو يقع بجبال الأطلس الكبير الأوسط، بمساحة 10050 كلم<sup>2</sup>. والإقليم يغلب عليه الطابع القروي إذ يتشكل من 42 جماعة قروية مقابل جماعتين حضريتين.<sup>282</sup> و يبلغ عدد سكان الإقليم 554 001 نسمة، منهم 453 317 قرويون.<sup>283</sup> ويتميز إقليم أزيلال بظروف طبيعية وبشرية متنوعة تشكل صعوبات أمام التحولات الاقتصادية والاجتماعية بالمنطقة. فالضغط الديموغرافي وضيق المجال الزراعي والتضاريس الوعرة والمسالك الصعبة، إضافة إلى النقص في البنيات التحتية والتجهيزات الاجتماعية، كلها عوامل تجعل من هذا المجال منطقة طرد لا استقطاب.

<sup>282</sup> المندوبية السامية للتخطيط، 2017، ص ص 21-23.

الخريطة رقم 1: توطين مجال الدراسة ضمن جهة بني ملال خنيفرة.



المصدر: موقع جهة بني ملال خنيفرة بتصرف.

1- يعرف إقليم أزيلال حركة سياحية نشيطة.

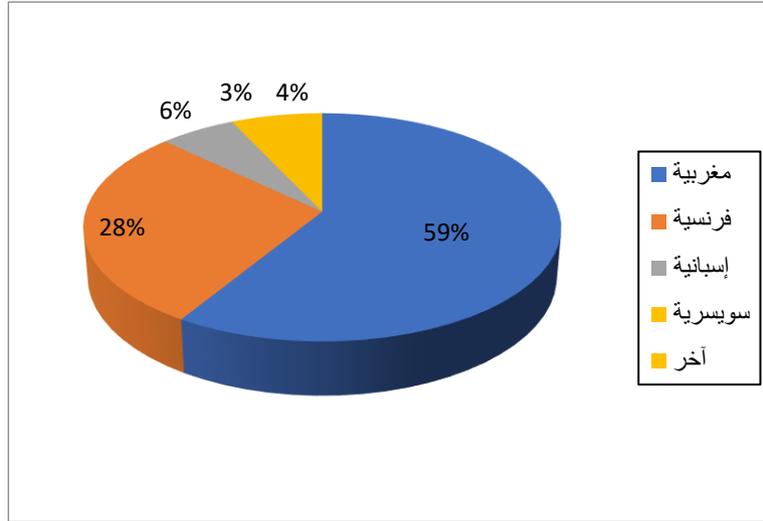
ليس من السهل في ظل المعطيات المتداولة حول السياحة بإقليم أزيلال، القيام بتحديد دقيق لخصائص الحركة السياحية بالمنطقة، وذلك لعدم توفر المصالح المحلية على إحصائيات دقيقة. لذلك سنعتمد على عينة البحث لاستخلاص هذه الخصائص.

1.1- جنسية السياح الوافدين على إقليم أزيلال.

تعتبر منطقة أزيلال ذو صيت عالمي، لذلك نجد أن السياح الوافدين على المنطقة لا تقتصر جنسيتهم على المغرب فقط، بل تستقبل سياحا دوليين من مختلف البلدان.

وبين المبيان التالي توزيع السياح حسب جنسياتهم:

المبيان رقم 1: جنسيات السياح الوافدين على إقليم أزيلال



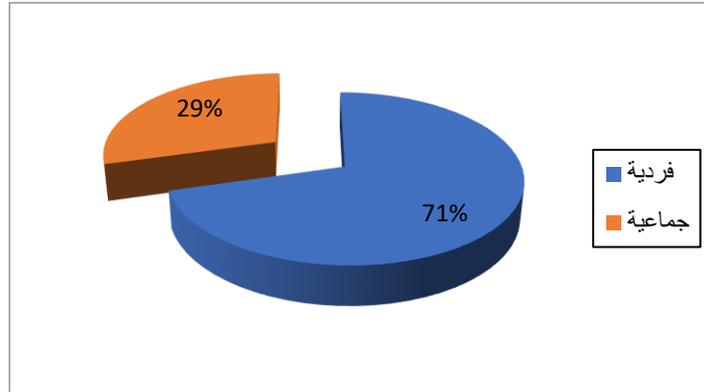
المصدر: العمل الميداني 2021

يتضح من خلال المبيان أن السياح المغاربة يمثلون أعلى نسبة من مجموع السياح الوافدين على أزيلال بنسبة 59%، ثم السياح الفرنسيين في المرتبة الثانية بنسبة 28%، فالإسبان بنسبة 6%. أما السياح السويسريون فيشكلون نسبة 4%، ثم أخيرا جنسيات أخرى كالألمان والإيطاليين والبريطانيين بنسبة 3%.

ويتردد على منطقة أزيلال الجبلية نوعان من السياح: سياح نظموا رحلتهم بشكل فردي وسياح زاروها في إطار جماعي. ويلاحظ أن معظم الرحلات الجماعية يقوم بها الأجانب وكذا الطلبة والتلاميذ إضافة إلى الأسر، بينما يفضل البعض زيارة المنتجعات بشكل فردي حبا في الاختلاء بالنفس والهروب من الأجواء الجماعية المشحونة.<sup>284</sup>

<sup>284</sup> الزو عبد الصمد (2021)، تميم التراث الالامادي مدخل لتحقيق التنمية السياحية بالمغرب: حالة الجماعة الترابية أيت تاكلا بإقليم أزيلال، سلسلة دراسات أكاديمية محكمة، الجزء الرابع، المركز المتوسطي للدراسات والأبحاث، المغرب، ص 404.

المبيان رقم 2: شكل تنظيم الرحلات إلى الوجهات السياحية بأزيلال

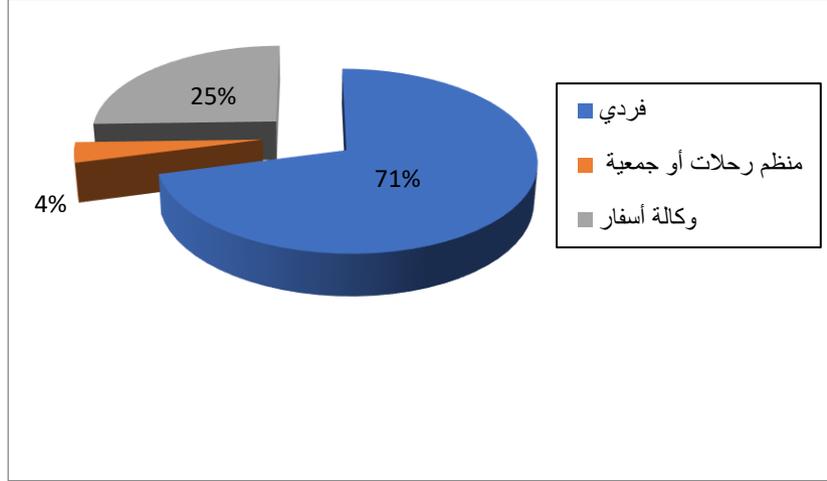


المصدر: العمل الميداني 2021

تشكل الرحلات الفردية 71% من الرحلات التي تفد على إقليم أزيلال، وهي نسبة مرتفعة جدا على عكس الرحلات الجماعية التي لا تمثل سوى 29% من مجموع الرحلات. ونشير هنا إلى أن الرحلات الجماعية تكون إما عائلية، أو رحلات مدرسية وجامعية، أو رحلات منظمة من طرف وكالات الأسفار، كما أن هناك رحلات تنظمها بعض الجمعيات المهتمة بالطفولة والشباب.<sup>285</sup>

وهكذا نجد أن 71% من الرحلات يتم تنظيمها بشكل فردي، أما 25% فتسهر على تنظيمها وكالات الأسفار، بينما 04% من الرحلات تتكلف بها جهات كمنظمي الرحلات والجمعيات.

المبيان رقم 3: الجهة المنظمة للرحلات السياحية

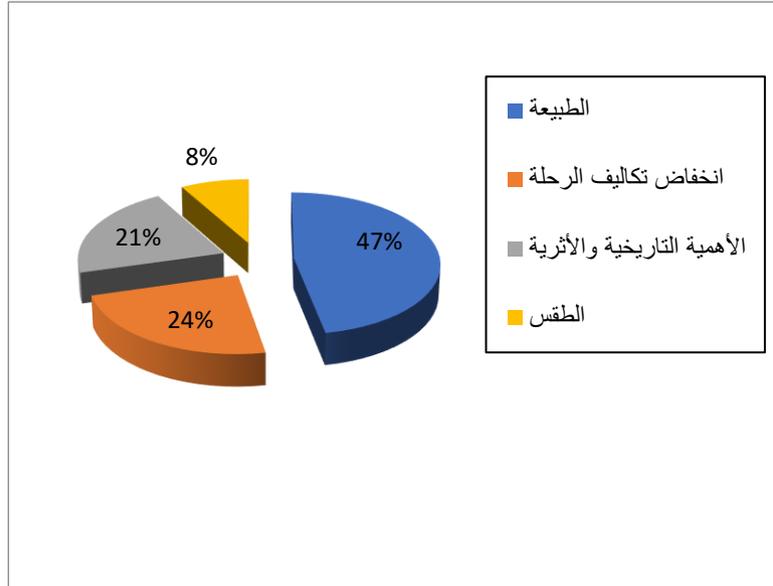


المصدر: العمل الميداني 2021

2.1- العوامل المشجعة على زيارة مناطق أزيلال.

تمتاز أزيلال بتنوع مؤهلاتها السياحية سواء تعلق الأمر بالطبيعة أو الثقافة أو التجهيزات السياحية، هذه العوامل وغيرها تلعب دورا كبيرا في استقطاب السياح. ومن خلال البحث الميداني وتفرغ الاستثمارات نجد أن 47% من السياح جذبهم إلى أزيلال الطبيعة والمناظر البانورامية، و24% شجعهم على زيارة المنطقة انخفاض تكاليف الرحلة، أما 21% فقد صرحوا أن الأهمية التاريخية والأثرية للمنطقة هي العنصر الجاذب لهم، بينما 08% شكل الطقس العامل المحفز لهم لزيارة جبال أزيلال.

المبيان رقم 4: العوامل التي شجعت السياح على زيارة أزيلال

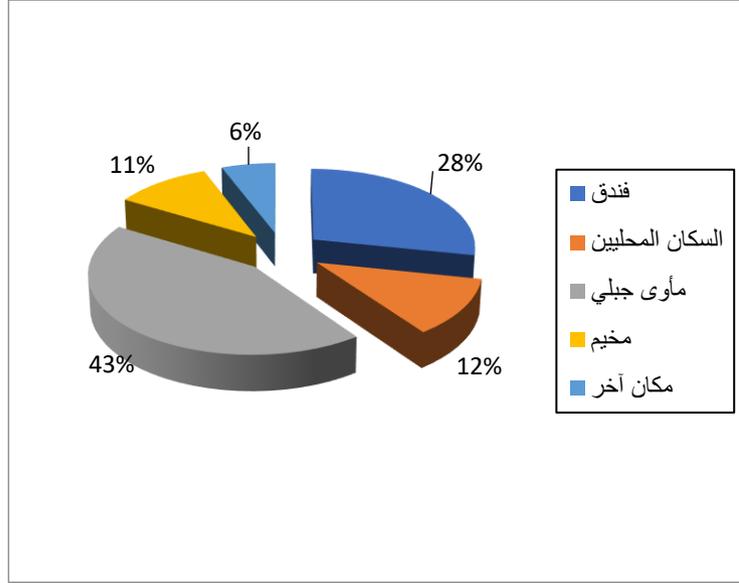


المصدر: العمل الميداني 2021

### 3.1- مكان إقامة السياح في المناطق السياحية لأزيلال.

توفر منطقة أزيلال لزوارها عددا لا بأس به من بنيات الإيواء والمطاعم، لكن ما يناهز 43% من السياح يفضلون الإقامة بالمأوى الجبلية، أما 28% من السياح فيختارون الفنادق كمحل إقامة، بينما تختار نسبة 12% الإقامة عند السكان المحليين، من خلال كراء غرف مع هؤلاء السكان أو كراء شقق مفروشة مستقلة. ويفسر هذا الأمر بالمناسب والاستقلالية عكس الفنادق. كما نشير هنا أن كل هؤلاء السياح هم مغاربة، فلا نجد مثلا أي سائح أجنبي يقيم عند السكان المحليين. بينما تفضل نسبة 17% الإقامة بالمخيمات أو أماكن أخرى كالرياضات.

المبيان رقم 5: مكان إقامة السياح بإقليم أزيلال



المصدر: العمل الميداني 2021

وما يلاحظ أن معظم أصحاب بنايات الإيواء يفضلون السياح الأجانب، نظرا لأنهم أقل تطلبا وتدمرا وإثارة للمشاكل وأكثر دفعا وسخاء، حسب وجهة نظر هؤلاء المالكين للبنيات. أما فئة قليلة فتري أن المغاربة أفضل لأنهم ينشطون القطاع السياحي طيلة السنة عكس الأجانب الموسميون.

2- عملت السياحة على النهوض بأوضاع المرأة القروية بإقليم أزيلال.

1.2- أدت السياحة إلى إدماج النساء في سوق الشغل.

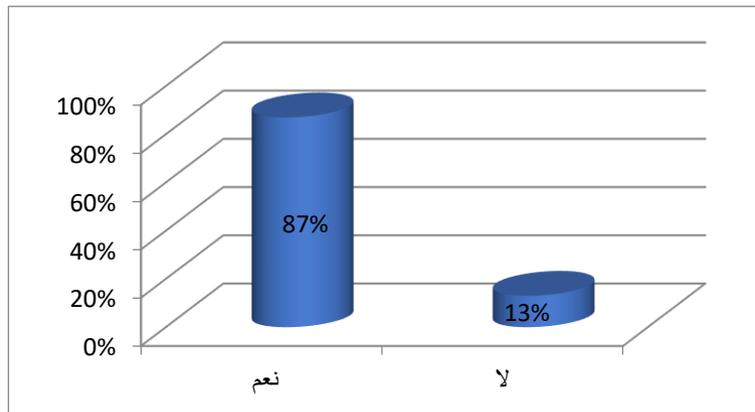
يكتسي التشغيل أهمية كبرى في مختلف أنحاء العالم، ويأخذ جانبا كبيرا من السياسات والاستراتيجيات التي تسطرها الحكومات. والمغرب باعتباره بلدا ناميا يعرف ضعفا على مستوى القطاعات الاقتصادية وهو ما ينعكس بدوره على تشغيل الشباب، خاصة مع ارتباط الفلاحة بالظروف المناخية.

ويعد الشباب القروي أكثر انجذابا للمدن من أجل التواجد بالقرب من الخدمات والعروض الجديدة للفرص ووسائل الترفيه. ونظرا للأوضاع التي تعرفها الأرياف المغربية خاصة على مستوى قلة فرص الشغل بسبب الجفاف وانتشار المكننة، فإن الشباب القروي لا يجد منفذا إلا الهجرة نحو المدن بحثا عن فرص عيش أفضل. ومن هذا المنطلق راهنت الدولة على السياحة لخلق فرص شغل للشباب وتوفير مداخيل تكفيهم الهجرة سواء الداخلية أو الدولية، ومن أجل ذلك تبنى المغرب عدة استراتيجيات تروم النهوض بالقطاع السياحي بالمدن والأرياف أبرزها إستراتيجيتي 2010 و2020.

وبالنسبة لإقليم أزيلال فإن واقع التشغيل به لا يختلف عن باقي المجالات الريفية المغربية خاصة الجبلية، وذلك بسبب اعتماد هذه الأخيرة على الزراعة والرعي اللذان يشكلان ملاذ السكان في ظل موسمية قطاع السياحة. لكن السياحة برغم موسميتهما تلعب دورا كبيرا في امتصاص عدد كبير من النشيطين، سواء تعلق الأمر بالعمل ببنيات الاستقبال أو العمل في أنشطة أخرى مكملة للسياحة، كالتجارة والسمسرة وحراسة السيارات وكراء الدواب والإرشاد وغيرها من الأنشطة. والملاحظ من خلال الاستثمارات المعبأة وكذا الدردشات والحوارات مع الساكنة المحلية أنه قلما تجد أحد السكان لا يشتغل في السياحة إما بشكل مباشر أو غير مباشر.

والمبيان الموالي يبين جواب النساء القرويات عند طرحنا سؤالنا عليهن: هل تشتغلين في السياحة؟

المبيان رقم 6: اشتغال النساء القرويات في القطاع السياحي



المصدر: العمل الميداني 2021

نلاحظ من خلال المبيان أن 87% من المستجوبات صرحن أنهن يشتغلن بالسياحة. وهي نسبة مرتفعة جدا توضح مدى أهمية السياحة بالنسبة للسكان المحلية. أما 13% فقد أعلن أن لا علاقة لهن بالسياحة. أما المهن التي تزاولها النساء فتبقى متعددة، كالعامل ببنيات الإيواء والإطعام، أو التجارة بمختلف منتجاتها، وأيضا بيع النباتات العطرية وغيرها من المهن.

#### الصورة رقم 1: امرأة قروية تمارس نشاطا مرتبطا بالسياحة

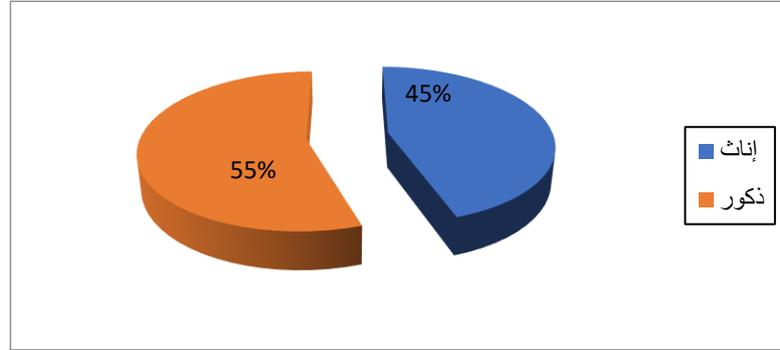


#### المصدر: العمل الميداني 2021

وتساهم بنيات الإيواء بشكل كبير في توفير فرص شغل للشباب والنساء، ويختلف عدد العاملين من مؤسسة لأخرى، تبعا لاختلاف نوعيتها وتصنيفها وحجمها وكذلك الخدمات التي تقدمها. فكلما كانت المؤسسة مصنفة وذات جودة عالية وخدمات متعددة إلا وازداد عدد العاملين بها والعكس صحيح.

ويلاحظ أن غالبية العمال ينحدرون من المنطقة وخاصة من عائلة صاحب المؤسسة، مع الاستعانة ببعض العمالة من المراكز القريبة خصوصا في الصيف. كما يلاحظ أن جل العمال يتميزون بالحنكة والتجربة التي اكتسبوها عن طريق الاحتكاك والممارسة، مقابل غياب تكوين مهني في مجال السياحة.

المبيان رقم 7: التركيبة الجنسية للعاملين ببنيات الإيواء



المصدر: العمل الميداني 2021

من خلال الرسم البياني أعلاه يتضح أن 45% من العاملين ببنيات الإيواء عبارة عن نساء سواء عمالة أجنبية أو أسرية، أما 55% من العمال فهم ذكور.

وخلال فصل الصيف يضطر أصحاب البنيات إلى الاستعانة باليد العاملة الموسمية، نظراً للزواج الذي تعرفه هذه البنيات. وهكذا صرح معظم أصحاب البنيات أنهم يستعينون بالعمالة الموسمية، بينما قلة تكتفي بالعمال الرسميين الذين يشتغلون طيلة الموسم. وتختلف المهن التي تقوم بها العاملات المشتغلات ببنيات الإيواء كالأستقبال والطبخ والنظافة وخدمة الغرف إضافة إلى تقديم الوجبات.

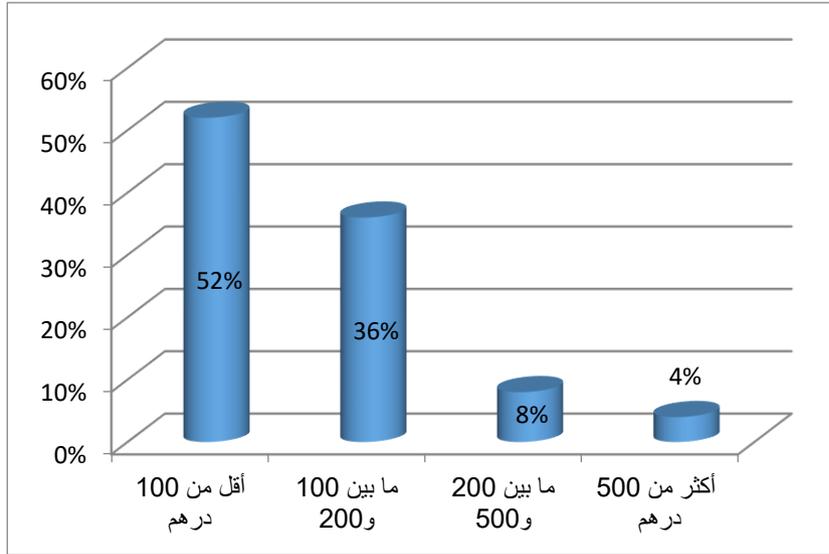
2.2- ساهمت السياحة في تحسين الوضعية الاقتصادية للمرأة القروية.

ركزت أهداف الألفية الإنمائية MDGA على دور السياحة في تحسين مستويات المعيشة،<sup>286</sup> خاصة من خلال تشجيع السياحة التضامنية التي يستفيد منها الفقراء بشكل مباشر. فالسياحة تساهم في ترويج اقتصاد المنطقة وتوفير فرص شغل للشباب، وإحداث تحولات عميقة بالمجتمع المحلي. إضافة إلى تحسين مستوى عيش السكان من خلال تنوع مصادر دخلهم، وتقليل اعتمادهم على الدخل المرتبط بالزراعة.

<sup>286</sup> اسبر ميساء داود (2014)، تفعيل دور السياحة في التنمية الريفية، بحث مقدم للحصول على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد والتخطيط، جامعة تشرين، سوريا، ص

وهكذا يمكن للسكان الاستفادة من السياحة من خلال ترويج منتجاتهم الزراعية التي يطلها السياح وكذا المنشآت السياحية. كما يمكن للسكان الانخراط في النشاط السياحي من خلال توفير البيوت والغرف للسياح. ولا يمكن إنكار ما للسياحة من أثر إيجابي على الاقتصاد المحلي بإقليم أزيلال، فالسياحة وما يرتبط بها من مشاريع تتطلب الكثير من الخدمات، من نظافة وحراسة وإعداد الطعام ومرشدين سياحيين وغيرها. وكل ما سبق يشكل فرص عمل ودخل للسكان المحليين، كما تشكل وحدات الإقامة المنزلية الرائجة في المناطق الريفية مصدر دخل هام للأسر. وبشكل عام مكنت السياحة فقراء المنطقة من زيادة مدخراتهم ودخلهم بسبب زيادة عدد العاملين في السياحة، كما يشكل ترويج بعض المنتجات الفلاحية والمصنوعات التقليدية دخلا مكملا لدخل العديد من الأسر التي كانت تعتمد في السابق على الزراعة فقط. وبدورهن فالنساء القرويات بإقليم أزيلال أصبح بإمكانهن تحقيق نوع من الاستقلالية المادية، من خلال المداخيل المالية التي تجود بها السياحة. ويختلف المبلغ الذي تجنيه المرأة القروية العاملة بالسياحة أو ما يرتبط بها من مهن. والمبيان الموالي يبين المبالغ التي تجنيها النساء القرويات بإقليم أزيلال حسب عينة البحث:

#### المبيان رقم 8: المدخول السياحي اليومي للنساء القرويات بإقليم أزيلال



المصدر: العمل الميداني 2021

إذن يتبين أن 52% من النساء يقل دخلهن اليومي عن 100 درهم، و36% يجنون دخلا ما بين 100 و200 درهم. أما 8% من النساء فيتراوح دخلهن ما بين 200 درهم و 500 درهم، بينما 4% فقط من يتجاوز دخلهن 500 درهم. من خلال معطيات المبيان يتضح أن معظم النساء القرويات يحصلن على مبالغ مالية هزيلة لا تتجاوز 100 درهم يوميا، لكنها رغم ذلك تحقق لهن نوعا من الاستقرار والاستقلالية. ونشير هنا أن هذه المبالغ قد ترتفع أو تنخفض تبعا لفترات السنة، وحسب الحركة السياحية كذلك.

### 3.2- لعبت السياحة دورا كبيرا في النهوض بالأوضاع الاجتماعية والثقافية للمرأة القروية.

كان للسياحة نتائج اجتماعية عميقة على المجتمع المحلي لإقليم أزيلال، ذلك أنها سرعت من وثيرة انفتاح المجتمع المحلي، هذا المجتمع شبه القبلي الذكوري بامتياز، فقد بات الشاب أو الشابة بالمنطقة يقبلان على العمل والاختلاط بالأجانب، وأصبح المجتمع يسمح بعمل المرأة داخل البنيات السياحية التي يتواجد بها الأجانب، بل إن أسرة بكاملها قد تعيلها امرأة عاملة بالسياحة. لذلك يمكن القول إن أرياف أزيلال في وضعها الحالي تشكل مختبرا حقيقيا لدراسة الآثار الاجتماعية للسياحة باعتبارها إلى عهد قريب وسطا غارقا في ماضوية متجذرة و متمسكا بقيم تقليدية موروثية. وقد لعبت السياحة دورا مركزيا في النهوض بأوضاع النساء وزيادة دورهن في المجتمع، من خلال اشتغالهن في عدة أنشطة اقتصادية مرتبطة بالسياحة بشكل مباشر أو غير مباشر. كما أنه بفضل السياحة وما يوازيها من رواج اقتصادي، تمكنت مجموعة من النساء الريفيات بالمنطقة من إقامة بعض المشاريع التي تدخل في إطار تعاونيات نسائية، تهدف إلى تسويق بعض المنتجات كما هو الشأن بالنسبة لتعاونية "les femmes berbères" التي تقوم بتسويق منتوجات شجرة أركان للسياح سواء للتغذية أو التجميل.

الصورة رقم 2: لوحة إرشادية لتعاونية "Les femmes berbères"



المصدر: العمل الميداني 2021

الصورة رقم 3: بعض منتجات تعاونية "Les femmes berbères"



المصدر: العمل الميداني 2021

## خاتمة

إن توفر إقليم أزبلال الجبلي على مؤهلات متعددة أهمها التنوع الطبيعي والإرث الحضاري العريق، جعله أرضا خصبة لممارسة أنشطة سياحية مختلفة ومن بينها السياحة الجبلية. هذا النوع الذي يعد خيارا يجب المراهنة عليه نظرا لاختلاف المنتج السياحي الذي يوفره: المشي، تسلق الجبال، القنص والصيد، الاسترخاء، المغامرة... وبالتالي فالسياحة الجبلية لا تخرج عن أهداف الترفيه والاكتشاف والاستمتاع بهدوء الطبيعة بعيدا عن ضوضاء الحواضر وصخبها. وبالرغم من مساهمة السياحة في تحسين أوضاع النساء القرويات بالمنطقة، لكن مشاركة المرأة تبقى ضعيفة ولا ترقى إلى المستوى المطلوب، فالمرأة هي المرأة العاكسة لنمو المجتمعات، ذلك أن مكانة المرأة تعتبر اليوم معيارا مهما يوضح درجة تقدم أي مجتمع، وقياس حركة تفاعله مع معطيات العصر الحديث بكل ما يحمله من قيم ومبادئ. لذلك يجب التمكين الاقتصادي للمرأة من خلال توفير الفرص لها في عملية صنع القرارات الاقتصادية. فالمرأة نصف قوة المجتمع وتعطيل هذه القوة يعني اختزال نصف موارد المجتمع وتجميدها.<sup>287</sup> من هنا يجب اتخاذ مجموعة من الإجراءات والتدابير لتشجيع مشاركة المرأة في الاقتصاد المحلي بأزبلال، ومنها:<sup>288</sup>

- ضمان بيئة مهنية مناسبة للمرأة مع ساعات عمل مرنة، ونظام جيد للمواصلات وتعزيز الأمن في نطاق العمل.
- وضع إجراءات أفضل للقروض الصغيرة باعتماد منتجات معدة للنساء.
- تيسير الحكومة لاطلاع المرأة على كافة الأدوات المالية المتاحة.
- توفير رؤوس أموال مخصصة لتنمية المنشآت الصغيرة لمساعدة النساء اللواتي يرغبن في إقامة مشاريع، ولا يستطعن الحصول على قروض من البنوك.
- ضرورة إعفاء النساء اللاتي يرغبن في إقامة المشاريع من الضرائب وتوفير خدمات التسويق لهن.
- وضع برامج تكوين وتأهيل موجهة للنساء المقاولات والعاملات.
- تفعيل القوانين التي تمنع التمييز النوعي في سوق العمل.
- توفير بيئة مهنية ملائمة خاصة على مستوى العدالة في الأجور.
- توعية المرأة وتنمية إدراكها بضرورة مشاركتها في الاقتصاد.

<sup>287</sup> سلامي منيرة(2016)، المرأة وإشكالية التمكين الاقتصادي في الجزائر، المجلة الجزائرية للتنمية الاقتصادية، العدد 05، الجزائر، ص 184.

<sup>288</sup> رضوان سمير وريفيرز جان لويس(2006)، المرأة والتنمية الاقتصادية في البحر المتوسط، تقرير ممول من المفوضية الأوروبية، ص 37.



## مجلة الدراسات الإفريقية وحموض النيل - العدد السادس عشر - يونيو 2022م



- ضرورة التغلب على العوائق الثقافية، وإبراز مزايا وفوائد قيام المرأة بالعمل وإنشاء المشاريع.
- الحماية من التحرش الجنسي والعمل التعسفي.

### لائحة المراجع

#### - الرسائل والأطروحات الجامعية:

- اسبر ميساء داود(2014)، تفعيل دور السياحة في التنمية الريفية، بحث مقدم للحصول على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد والتخطيط، جامعة تشرين، سوريا.
- الزو عبد الصمد(2018)، السياحة الريفية بأوزود: تامين التراث الطبيعي والثقافي لتحقيق التنمية المحلية، رسالة لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية القاضي عياض مراكش، المغرب.
- رياض حسن واليحيواوي عزيز(2012)، السياحة بشلالات أوزود بين غنى المؤهلات وضعف البنيات، بحث لنيل شهادة الإجازة في الجغرافيا، المركز الجامعي متعدد التخصصات قلعة السراغنة، المغرب.

#### - المقالات:

- بن الطالب عزيز ورياض حسن(2014)، السياحة الجبلية بشلالات أوزود بين غنى المؤهلات وضعف الإمكانيات التنموية، أشغال الدورة الرابعة لمنتدى التنمية والثقافة لإغزران، منشورات الجماعة القروية لإغزران رقم 4، المغرب.
- الزو عبد الصمد(2021)، تامين التراث اللامادي مدخل لتحقيق التنمية السياحية بالمغرب: حالة الجماعة الترابية أيت تاغلا بإقليم أزيلال، سلسلة دراسات أكاديمية محكمة، الجزء الرابع، المركز المتوسطي للدراسات والأبحاث، المغرب.
- سلامي منيرة(2016)، المرأة وإشكالية التمكين الاقتصادي في الجزائر، المجلة الجزائرية للتنمية الاقتصادية، العدد 05، الجزائر.

#### - التقارير والوثائق الإدارية:

- الإحصاء العام للسكان والسكنى(2014)، المغرب.
- المندوبية السامية للتخطيط(2017)، النشرة الاحصائية السنوية لجهة بني ملال- خنيفرة، المغرب.
- رضوان سمير وريفيرز جان لويس(2006)، المرأة والتنمية الاقتصادية في البحر المتوسط، تقرير ممول من المفوضية الأوروبية.



دور المرأة القروية في التنمية الترابية بمنطقة الغرب حالة جماعة زيرارة

## The role of rural women in territorial development in the western region, the case of the Zerara community

الموحدي مديحة، طالبة باحثة بسلك الدكتوراه، مختبر: تراب، بيئة وتنمية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب

[Elmouahidim2020@gmail.com](mailto:Elmouahidim2020@gmail.com)

أطالب عبد السلام، طالب بسلك الدكتوراه، مختبر: تراب، بيئة وتنمية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب

[Abdeslamoutaleb99@gmail.com](mailto:Abdeslamoutaleb99@gmail.com)

مرو محمد، أستاذ باحث، المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية، وجدة، المغرب

[Marou7575@gmail.com](mailto:Marou7575@gmail.com)

### الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور المرأة القروية في التنمية الترابية، من خلال اشتغالها في العديد من المجالات الحيوية، كما تتجلى أهمية هذا الموضوع في تطرقنا أهم المشاكل التي تعاني منها النساء القرويات بالجماعة الترابية زيرارة، مع رصدنا إلى مكانة المرأة القروية كونها تعتبر ركيزة أساسية في التنمية الاقتصادية.

**الكلمات المفتاحية:** المرأة القروية، التنمية الترابية، جماعة زيرارة، منطقة الغرب النساء القرويات.

### Abstract:

This study aims to highlight the role of rural women in territorial development, through their work in many vital areas, and the importance of this topic is evident in our touching on the most important problems that rural women suffer from in the territorial community of Zerara, with our monitoring of the position of rural women as they are considered a basic pillar in development Economic.

**Key words:** Rural Women, Territorial Development, Zerara Community, Western Region Rural Women.

## مقدمة

أصبح الاهتمام بقضايا المرأة في السنوات الأخيرة، وبأهمية دورها في التنمية يتزايد بشكل كبير، حيث أن مفهوم التنمية المستدامة لا يكتمل بدون إسهام جميع أفراد المجتمع في العملية التنموية. وفي هذا السياق يمكن القول بأنه بقدر ما تتمتع به المرأة من مكانة، وما يتاح لها من فرص الإسهام في الحياة العامة بقدر ما يشير ذلك إلى تقدم الدول تنموياً<sup>289</sup>.

ويظهر الاهتمام الكبير بقضايا المرأة من خلال العديد من الدراسات والأبحاث والندوات والمؤتمرات، ومنه المؤتمر الرابع للمرأة المنعقد بالعاصمة الصينية بكين، الذي أكد فيه المجتمع الدولي على أهمية حقوق المرأة، وذلك من خلال تبنيه برنامجاً شاملاً يهدف إلى المساواة بين الجنسين بصفة عامة، والنهوض بالمرأة بصفة خاصة، والتركيز على توعية المرأة الريفية، ومن هذا المنطلق قام المغرب بإعداد مشروع خطة عمل وطنية لإدماج المرأة في التنمية، وهذا المشروع إن دل على شيء فهو يدل عن تزايد الوعي بدور المرأة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في كافة مجالات الحياة. رغم هذه المبادرات والبرامج المخصصة للمرأة، فنجد أنها لازالت تتركز إلى حد كبير في المناطق الحضرية، مقابل إهمال كبير للبرامج الموجهة للمرأة الريفية، رغم أن هذه الأخيرة تمثل نسبة 25.6 % من الساكنة القروية<sup>290</sup>؛ فمساهمتها في الفلاحة تعتبر "عملاً غير مرئي" كون الأسرة القروية تشترك دورة الإنتاج في مهام البيت.

## 1- الإطار المنهجي للبحث

### أ- إشكالية الدراسة

تعتبر المرأة القروية فاعلاً أساسياً في التنمية الترابية بمشاركتها بمختلف العمليات الانتاجية انطلاقاً من الأسرة إلى الفضاء الخارجي، غير أنها تواجه مجموعة من الاكراهات، تأتي هذه الدراسة كمحاولة لتشخيص مختلف الظروف الاجتماعية للمرأة القروية ومدى مساهمتها بالتنمية بالمنطقة من خلال الاجابة عن مجموعة من الاسئلة ما مدى مساهمة المرأة القروية في تحقيق التنمية بجماعة زيرارة في ظل مجال غني الموارد الطبيعية، ومعطى بشري متباينة مؤشرات، ونشاط اقتصادي يركز على الفلاحة؟

✓ وينقسم التساؤل الإشكالي السابق لأسئلة فرعية شكلت محاور أساسية في بحثنا هذا، وهي:

<sup>289</sup> بثينة قروي (2007). دور المرأة العربية في التنمية المستدامة، الرباط، سلسلة الزهراء العدد الرابع، الصفحة 3.

<sup>290</sup> وزارة الفلاحة، (2000)، الإحصاء العام للفلاحة حول النساء المستغلات للأراضي الفلاحية.

- ✓ ماهي الظروف الطبيعية المميزة لمجال جماعة زيرارة؟ وهل هي مساعدة لمشاركة المرأة في تحقيق التنمية؟ وما واقع المرأة القروية وأنشطتها بذات المجال؟
- ✓ ما هي مستويات مساهمة المرأة في الإنفاق على الأسرة واتخاذ القرار؟
- ✓ ما هي المعوقات والإكراهات التي تحد من مساهمتها في تنمية جماعتها؟
- ✓ ما هي البدائل المقترحة وآفاق التنمية؟

### ب-الهدف من الدراسة

رهنيته باعتباره موضوعا حديث الاهتمام، على المستوى الدولي والوطني الرسمي والشبه الرسمي، فهو يستحوذ على قسم مهم من الأبحاث والدراسات الأكاديمية؛ إبراز دور المرأة بالعالم القروي باعتبارها رأسمالا بشريا فاعلا، ومحركا أساسيا من محركات التنمية الترابية. إبراز الوضعية الهشة، والتحديات الكبيرة، التي تعيشها المرأة القروية، رغم كل الجهود التي تبذلها في سبيل تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالعالم القروي.

### ج-منهجية البحث

تطلبت منا طبيعة الموضوع الارتكاز على منهجين توثيقي ووصفي.

1- المنهج التوثيقي: يتمثل في الاشتغال على عدة دراسات وأبحاث جامعية اهتمت بمنطقة الغرب بشكل عام اضافة الى تقارير ومعطيات رسمية ومراجع لها صلة بموضوع الدراسة.

2-المنهج الوصفي: يتمثل في رصد مدى مساهمة المرأة القروية في التنمية الترابية من خلال تشخيص ظروفها المعيشية والاكراهات التي تواجهها وكذا تشخيص الظروف الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية لجماعة زيرارة. وقد تم الاعتماد على مستوى ادوات العمل على برنامج EXCEL و SPSS لمعالجة المعطيات المحصل عليها من المصالح الادارية ونتائج العمل الميداني وبرنامج ARCGIS لرسم الخرائط

### 2-الاطار النظري والميداني

2-1-أهمية الموقع الجغرافي بجماعة زيرارة ودوره في ادماج النساء القرويات في التنمية

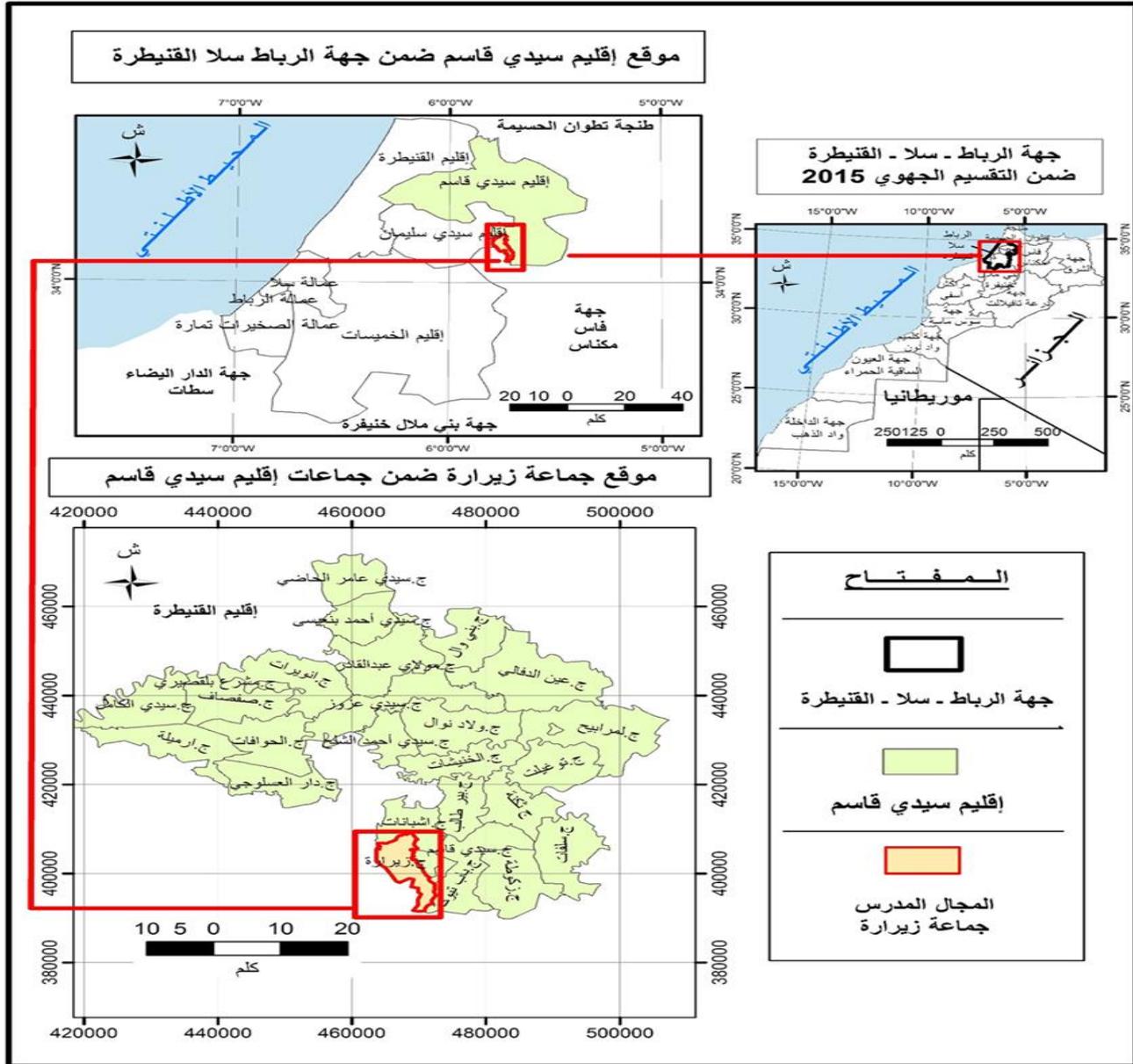
ثم إحداهن جماعة زيرارة تبعا للتقسيم الجماعي الذي عرفته المملكة سنة 1977. واقعة بذلك بإقليم سيدي قاسم الذي تشكله 24 جماعة ترابية واقعة بالوسط القروي، و5 جماعات واقعة بالوسط الحضري، وتقدر ساكنة الإقليم بـ 522070 نسمة، منها 168434 نسمة بالوسط الحضري و 35363 نسمة بالوسط القروي حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014.

من ناحية التحديد الإداري، فجماعة زيرارة تحدها من جهة الشمال جماعة اشبانات، وشرقا بالجماعتين الترابيتين سيدي قاسم باب تيوكة، كما تحد من الجنوب بجماعة كروان التابعة لإقليم مكناس، وغربا بجماعة أولاد بن حمادي التابعة لإقليم سيدي سليمان. يبلغ عدد سكانها 16606 نسمة حسب إحصاء 2014 موزعين على 29 دوار، داخل مساحة تقدر بـ 63,70 كلم<sup>2</sup>.

تعتبر جماعة زيرارة جزء من منطقة الغرب؛ التي تشكل مجال اتصال بين وحدتين بنيويتين شديدي الاختلاف، إذ نجد في الشمال تلال مقدمة الريف التي ترتبط بجمال الريف، ذات البنية الجيولوجية المعقدة والمرتبطة بالحركات البنائية الألبية، وتتكون هذه التلال من مواد الزمن الثالث، أما الوحدة الثانية فهي المزيطة المغربية، والتي تتكون من مواد الزمن الأول، وهي عبارة عن كوارتزيت وشست، تلمها في وضع تناقري مواد صلصالية ميوسينية تغلفها تكوينات المغربي ورمال المعمورة 292. وتتميز التربة بجماعة زيرارة بكونها غنية، كونها عبارة عن تكوينات غرينية دقيقة؛ مكونة من الطين والدقات، كما نجد أن الجماعة تغطيها أترية من نوع الدهس والترس.

تقع جماعة زيرارة بالقسم الشمالي الغربي للمملكة، الأمر الذي جعلها تنتهي إلى المجال البيو مناخي المتوسطي الشبه الرطب، الذي يفتح على المؤثرات المحيطية، ذات الخصائص المناخية المتميزة بسيادة فصلين مختلفين؛ فصل حار وجاف صيفا، وآخر ممطر ودافئ شتاء، ويصل المعدل السنوي للتساقطات المطرية المسجلة بجماعة زيرارة إلى 612 ملم، كما يتراوح معدل الحرارة القصوى بين 40 و 17 درجة.

خريطة رقم 1: توطين جماعة زيرارة



المصدر: من انجاز فريق العمل اعتمادا على معطيات المكتب التقني بجماعة زيرارة وخريطة التقسيم

الجهوي لسنة 2015.

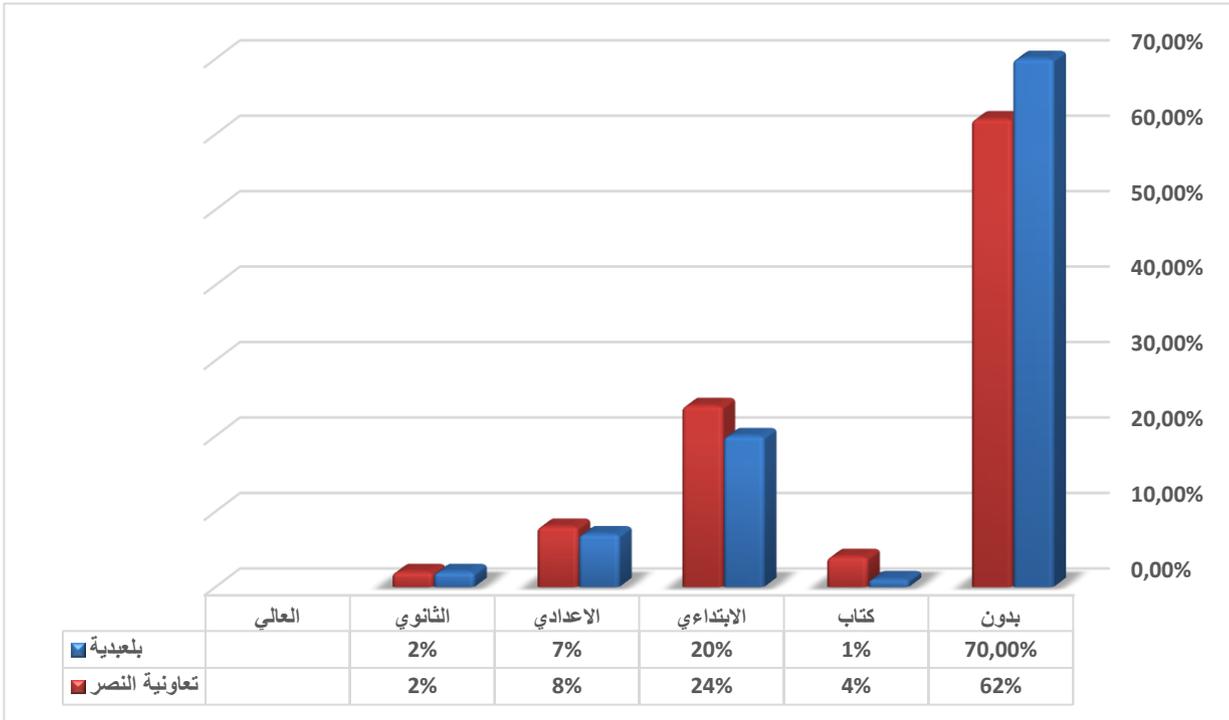
## 2-2- تشخيص الظروف الاجتماعية للنساء القرويات بجماعة زيرارة

تواجه المرأة القروية بجماعة زيرارة مجموعة من التحديات والاكراهات على غرار باقي مناطق العالم القروي في المغرب

### 2-2-1 تفشي ظاهرة الأمية يعيق مساهمة النساء القرويات في التنمية

تعاني المرأة القروية بجماعة زيرارة من ارتفاع نسبة الأمية، رغم المجهودات التي تبذلها الدولة و مختلف الفاعلين.

#### الرسم البياني رقم 1: توزيع النساء حسب المستوى الدراسي بالدواوير المدروسة



#### المصدر: البحث الميداني 2020

من خلال الرسم البياني يتضح أن نسبة الأمية تعرف ارتفاعا كبيرا في صفوف النساء المستجوبات في الدواوير المدروسة؛ حيث تمثل 70 % بالنسبة لدوار بلعبدية ونسبة 62 % في دوار تعاونية النصر؛ وذلك راجع بالأساس حسب المستجوبات إلى العادات والتقاليد التي كانت سائدة وسط الأسر القروية، التي لا ترى ضرورة لتعليم الفتاة، وتدفعها للعمل بالمنزل والحقل في سن مبكر، وكذلك بسبب بعد المدرسة من الدواوير، ناهيك عن عامل الفقر والهشاشة الذي يدفع الأسر إلى

توزيع الفتيات في سن مبكر، وفي بعض الأحيان يكون السبب مرض أحد الأبوين أو الإخوة، حيث تضطر الأسرة لحرمان الفتاة من التمدرس لتقديم الرعاية للشخص المريض.

### جدول رقم 1 عدد المستفيدات من مركز التربية التكوينية بجماعة زيارة

عدد الأطر	عدد الرائدات	مجالات التكوين	عدد القاعات	المؤسسة
1	30	التربية الأساسية	03	مركز التكوين
3	73	الخطاطة الفصالة		
1	20	الإعلاميات		
1	60	التدبير المنزلي		
1	35	الخطاطة التقليدية		
7	218			المجموع

### المصدر: البحث الميداني 2019

تقتصر التجهيزات المرتبطة بالتربية والتكوين بالجماعة، على المؤسسات التعليمية، وعلى دار واحدة للطالبة ومركز واحد للتربية و التكوين، حيث يفتقر هذا المركز للألات العصرية، و الأطر الإدارية و التقنية، كما أن تواجهده بالمركز يحول دون استطاعة الفتيات القاطنات بالدواوير من الاستفادة، كما أن المؤسسات التعليمية غير كافية، لاستيعاب التلاميذ.

### 2-2-2- على مستوى الوضع الصحي والسكن

#### أ- على مستوى الوضع الصحي

إن الجهود التي بذلها المغرب لتوفير العلاجات الصحية الأولية في المجالات القروية منذ فجر الاستقلال إلى حدود التسعينات، كانت مرتكزة على التلقيح الجماعي والوقاية من الأمراض عن طريق فرق متنقلة، بقي عاجزا طوال هذه الفترة



عن تقليص الفوارق الاجتماعية المجالية فيما يخص الولوج إلى الخدمات الصحية، ولم تتأكد إرادة اهتمام خاص لخدمات العلاج الصحي الأولي للمناطق القروية إلا بعد هذه الفترة 293.

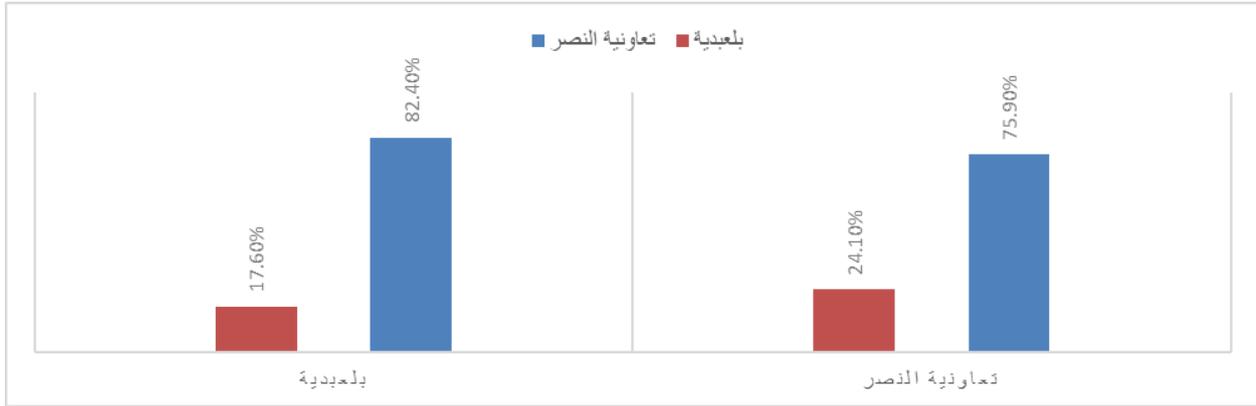
وتتوفر جماعة زيرارة على مركز طبي واحد يعمل به طبيب أحد ممرضتين، يغطي هذا المركز نفود مجالي ل 23 دوار بما فيهم مركز الجماعة، كما تتواجد صيدليتين خاصتين بمركز الجماعة، حيث يتوفر على تجهيزات بسيطة لعلاج الحالات البسيطة التي ترد على المركز، عبارة عن مكتب وسرير للكشف، وأجهزة بسيطة لقياس الزن ولقياس الضغط آلة صغيرة لقياس السكري.

حيث يقدم المركز بعض الإسعافات الأولية للأمراض البسيطة كتلقيح الأطفال وتقديم بعض النصائح العلاجية للنساء الحوامل، والقيام ببعض الحملات التحسيسية.

وقد صرحت النساء المستجوبات أنهن يخضعن للمراقبة الطبية سواء في الفترات الأولى من الحمل أو أثناء الولادة رغم ضعف الخدمات الصحية بالمركز الصحي، كما تشتكي النساء من عدم وجود قاعة مخصصة للولادة، إضافة إلى اكتظاظ بالمركز، وعدم قدرته على استيعاب الوافدات، ناهيك عن قلة الأطر الطبية، مما يضطرن للذهاب للمستشفى الإقليمي بسيدي قاسم، حيث يواجهن تعقد الإجراءات الإدارية، التي تفرض عليهن الرجوع للمركز الصحي لتحديد إرسالهن للمستشفى من عدمه.

وفي إطار تسهيل الولوج للعلاج والتطبيب، تم إحداث نظام للتغطية الصحية سنة 2002 المعروف باسم RAMED، والذي يمكن الأسر المعوزة من الاستفادة من مجانية العلاجات، من خلال الخدمات المقدمة من مختلف المؤسسات العمومية للصحة.

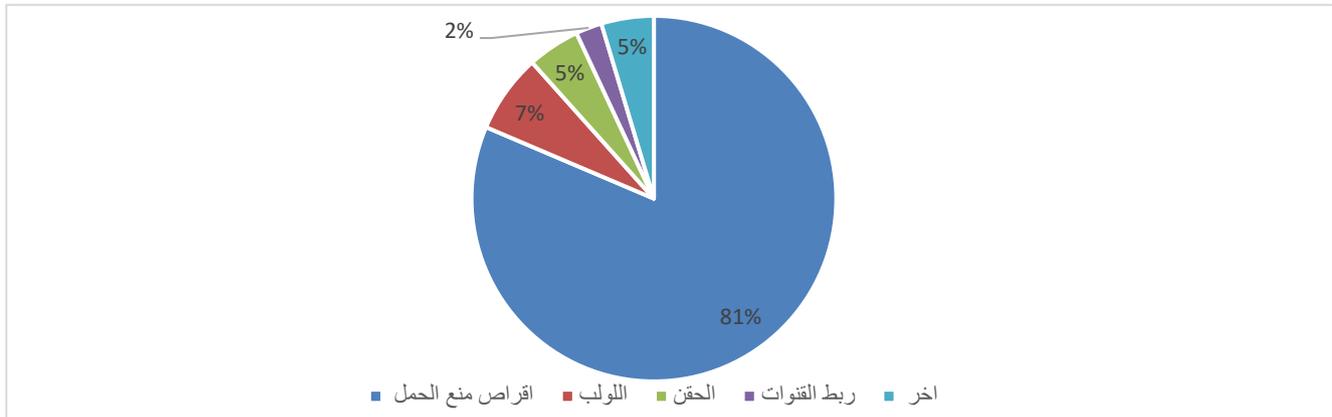
الرسم البياني رقم 2: توزيع النساء المستفيدات من نظام التغطية الصحية RAMED بالدواوير المدروسة



### المصدر البحث الميداني 2019

من خلال المبيان أعلاه يتضح أن أغلب النساء في الدواوير المدروسة، استفدن من نظام التغطية الصحية راميد، حيث يشكلن 82.4 % بدوار بلعبدية في المقابل 75.90 % في دوار تعاونية النصر، وحسب تصريحهن تبقى الاستفادة بعيدة عن تطلعاتهن إلا انها في كثير من الأحيان توفر بعض المصاريف، خاصة بالنسبة لبعض التحاليل الطبية كتحاليل فقر الدم و داء السكري، كما مكنهن من الاستفادة من برنامج تيسير الخاص بدعم التعليم .

الرسم البياني رقم 3: توزيع النساء حسب انواع موانع الحمل المستعملة بالدواوير المدروسة



المصدر: البحث الميداني 2020

تعتبر أقراص منع الحمل الوسيلة الأكثر استعمالا لدى النساء، بجماعة زيارة، بسبب فعاليتها وانخفاض ثمنها، وسهولة استخدامها، حيث أن 81 بالمائة من النساء يستعملن هذه الأقراص بالداوير المدروسة.

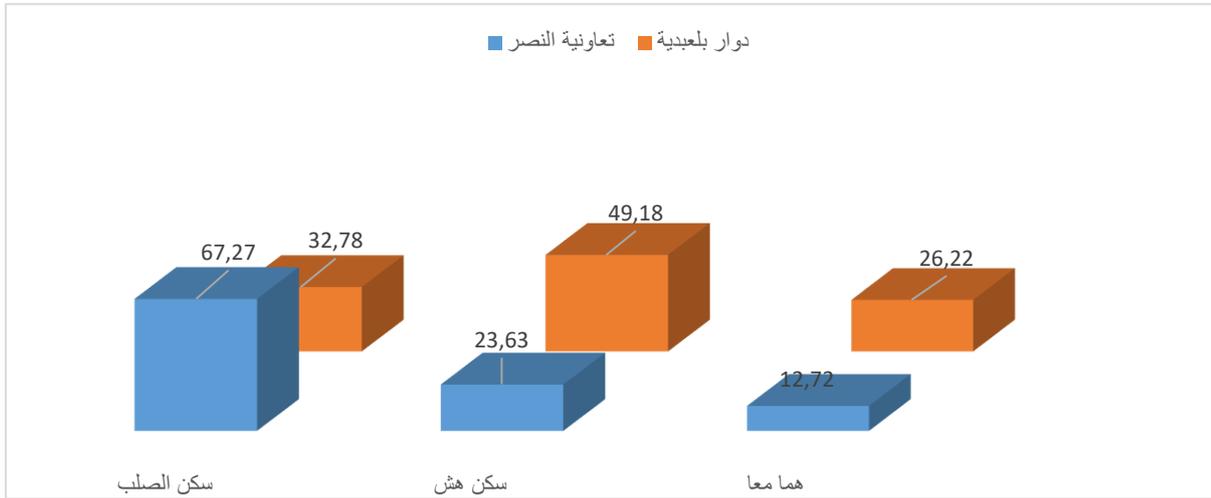
### بطاقة رقم 1: مرافق من المركز الصحي بجماعة زيارة



## ب- على مستوى السكن القروي

يتميز السكن الريفي بتعدد وظائفه إلى جانب كونه مقر لإقامة الفلاح وأسرته، فهو أيضا مكان للتربية ومخزن للآلات الفلاحية والمحاصيل الزراعية 294، لقد شهد البيت الريفي تطورا كبيرا متخلصا من بعض الظواهر السكنية القديمة المعتمدة على الوسائل التقليدية كالطين والقصب والأعمدة، وكان هذا الشكل من السكن متفشيا بنسبة كبيرة لدى سكان الجماعة، إلا أنه في السنوات الأخيرة ومع تغير الظروف أصبح بناء البيت يخضع لتصميم حضري لا يتم إلا بواسطة ترخيص من طرف الجماعة، ذلك لدخل وثائق التعمير حيز التطبيق 295. إضافة إلى التحسيس بأهمية السكن الصلب، وعموما تسعى النساء إلى تهيئة مساكنهن بطريقة عصرية انطلاقا من مواردهن الخاصة أو عن طريق القروض.

### الرسم البياني رقم 41: أنواع السكن بالدواوير المدروسة



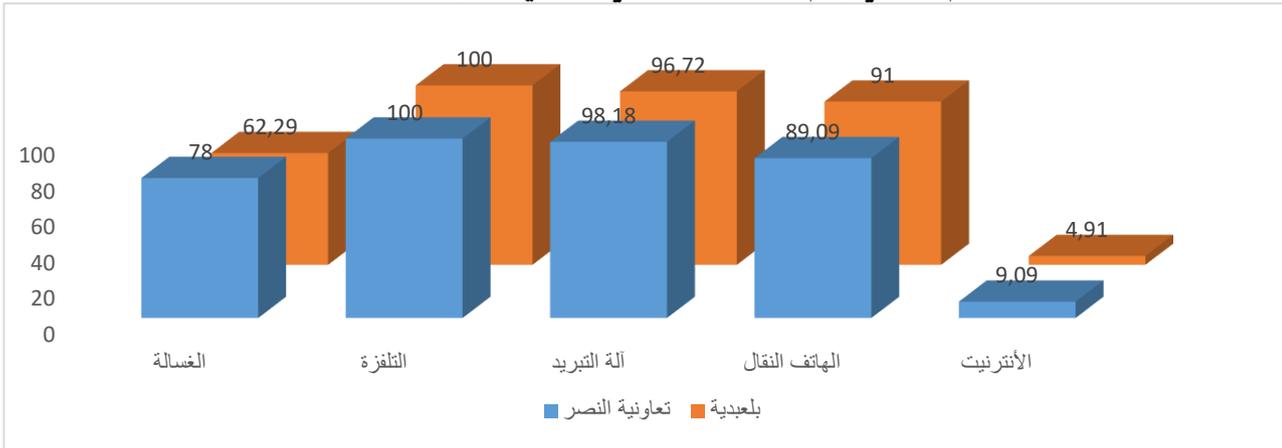
### المصدر: البحث الميداني 2019

294- عبد الصادق بلققيه (1991) منطقة الغرب المجال و الإنسان، منشورات كلية الآداب العلم الإنسانية بالقنيطرة سلسلة ندوات محاضرات رقم 3 ص 102.

295- Boudouah Mouhamed et El Khadiri Abdeslam la structuration des agglomération dans le gharb. article publié dans " le - 295 Gharb, l'espace et l'homme". Acte du Colloque International organisé par la Faculte des lettres et sciences Humaines université Ibn tofail 1991 p

نلاحظ أن هناك تباين من حيث نوع السكن بين الدوارين المدروسين، حيث يحتل نوع السكن الصلب نسبة كبيرة في دوار تعاونية النصر بنسبة 67.60%، وهذا راجع حسب النساء المستجوبات لحملة قام بها قائد جماعة زيرارة استهدفت إزالة السكن الهش، و يمثل السكن الهش 23،63% في حين يشكل السكن المزدوج 12،72%. أما بالنسبة لدوار بلعبدية فيمثل السكن الهش 49،18%، وهذا راجع الى كون الأسر لم تتمكن من بناء مسكن صلب بسبب ضعف الدخل، أما الصلب فيشكل 32،78%، كما يمثل السكن المزدوج يمثل 16%.

الرسم البياني رقم 5: التجهيز المنزلي بدواوير الدراسة



المصدر: البحث الميداني 2019

### 3- دور النساء القرويات في الاقتصاد القروي ومكانة المرأة في القطاعات المنتجة

يتميز النشاط الفلاحي بمساهمة ومشاركة فعالة للمرأة، سواء على مستوى الإنتاج النباتي أو الحيواني، وسنحاول التطرق إلى علاقة المرأة بالحيازة الفلاحية وإلى أهم الدوافع التي تدفع المرأة للعمل المأجور.

#### 1-3 ارتفاع نسبة نشاط النساء القرويات

جدول رقم 2 : العمل المأجور للمرأة بمجال الدراسة

النساء العاملات مقابل أجر		الدواوير
%	العدد	
77,77	21	تعانية النصر
22,2	6	بلعبدية
100	27	المجموع

المصدر: البحث الميداني 2019

-2-3- تعدد الانشطة التي تزاولها المرأة القروية

تتقاضى النساء العاملات مبلغا يتراوح ما بين 50 إلى 70 درهم في حين نجد الرجل يتقاضى أجرا يتراوح ما بين 70 إلى 100 درهم، ويبقى الأجر بالنسبة للنساء العاملات قليلا مقارنة مع مقدار الجهد وساعات العمل الطويلة. حيث تعمل هذه الفئة 16 ساعة يوميا تقريبا على الشكل التالي:

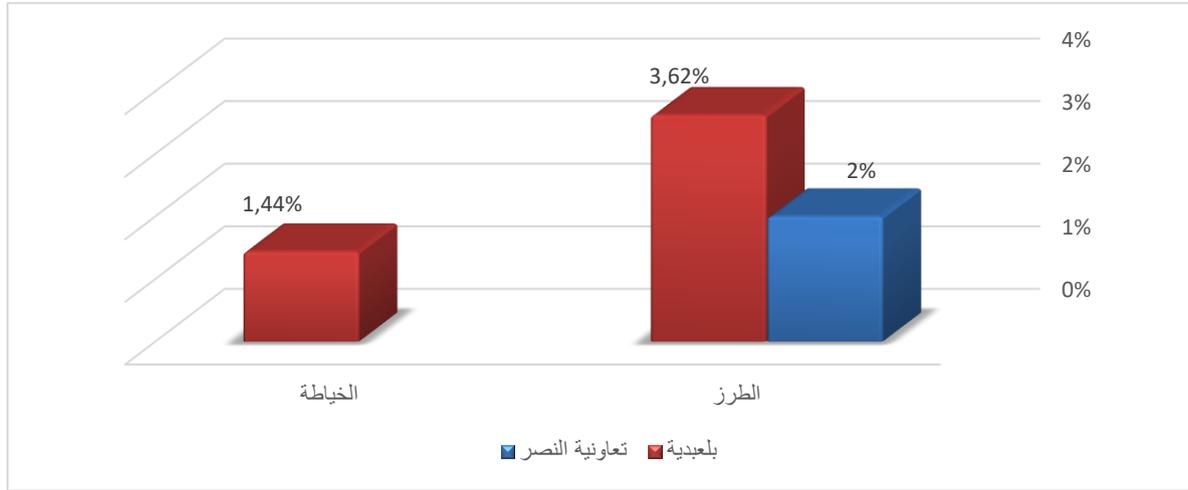
من الساعة الخامسة الى الساعة السابعة صباحا: طهي الفطور+ تنظيف المنزل+ تقديم العلف للماشية

من الساعة الثانية عشرة الى الساعة الثانية بعد الزوال: العودة للمنزل لطهي الغداء

من الساعة الثانية زوالا الى الساعة السادسة مساء: العودة للحقل

بعد الساعة السادسة مساء: طهي الطعام+ تنظيف الأواني+ تقديم العلف للماشية

### الرسم البياني رقم 6: عدد النساء المزاولات لحرفة بالدواوير المدروسة بجماعة زيارة



### المصدر البحث الميداني 2019

نلاحظ أن نسبة ضعيفة من النساء في الدواوير المدروسة، يزاوون حرفا يديوية لإعانة أسرهن حيث يشكلن نسبة 3.6 % في دوار بلعبدية مقابل 2 % في دوار تعاونية النصر، أما الخياطة فلا تشكل سوى 1.44 % في دوار بلعبدية .

وحسب النساء المستجوبات رغم إتقانهن لهذه الحرف، إلا أنهن لا يزاولنها في الوقت الحالي نظرا لعدة صعوبات، أهمها مشكل التسويق والتأطير والبعد عن المجال الحضري ، لذلك فأغلبهن طالبن بإنشاء تعاونيات أو جمعيات خاصة بالحرف اليدوية أو مركز للتكوين لتطوير مهارتهن وتمكينهن من تسويق إبداعاتهن.

### 1-2-3 مساهمة العمل النسائي في الانتاج الفلاحي

جدول رقم 3 : اليد العاملة حسب فئات الحيازة الفلاحية من حيث الجنس بالدواوير المدروسة بجماعة زيارة

فئات الحيازة	الإناث		الذكور		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
أقل من 3هـ	20	6,09	50	15,24	70	21,33

64,01	210	41,15	135	22,86	75	من 3 إلى 5 هـ
14,62	48	12,19	40	2,43	8	أكثر من 5 هـ
100	328	68,59	225	31,40	103	المجموع

### المصدر: البحث الميداني 2019

نتيجة للتحويلات الاقتصادية التي عرفتها المنطقة، كان لابد من اللجوء إلى اليد العاملة النسوية التي تمثل نسبة 31,40%، فإذا كان الرجل يتولى عملية قلب الأرض ثم زرع البذور والحصاد، فدور المرأة يتمثل في إزالة الأعشاب الضارة المشاركة في عملية الجني وجمع المحصول.

حيث أن توزيع العمل بين الجنسين في العالم القروي يسوده التقسيم الجندري، الذي ينوع مهام النساء و يشتمها في الزمان والمكان، فلا تعرف بذلك أوقات النهاية و البداية وتدور بحلقة مفرغة بين أنشطة يطبعها الروتين و الإجهاد النفسي و الجسدي دون أن تحظى بالاعتراف أو التقييم الجيد مثل تلك التي يزاولها الرجل 296.

### جدول رقم 4 : العمل المأجور للمرأة بمجال الدراسة

النساء العاملات مقابل أجر		الدواوير
%	العدد	
77,77	21	تعاونية النصر
22,2	6	بلعبدية
100	27	المجموع

### المصدر: البحث الميداني 2019

يلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن نسبة النساء العاملات بالحقل مقابل أجر، تبقى ضعيفة في الدواوين المدروسين، ويفسر هذا الأمر حسب هاته النساء المستجوبات بترسخ العادات والتقاليد القديمة بين الأسر، حيث تنتمي أغلبهن لقبائل شراردة المتحفظة، والتي بموجبها يمنع الزوج الزوجة من العمل المأجور في مكان بعيد من الدوار وحتى داخله ولو كانت ظروف الأسرة هشّة اقتصاديا، إلا في حالات نادرة تقتصر على وفاة الزوج أو مرضه، أو عدم زواج المرأة، وبالمقابل تشتغل النساء في الاستغاليات الفلاحية العائلية بالمجان، وتشكل نسبة النساء العاملات بالحقل مقابل أجر في دوار تعاونية النصر 77.7% مقابل 22.2% في دوار بلعبدية.

### 2-2-3 النساء القرويات والانشطة التجارية

يتمثل هذا النشاط في بيع المنتجات الفلاحية كالمواشي والحبوب والدجاج والبيض، كما تتوفر الجماعة على دكاكين لممارسة الأنشطة التجارية ومحلات لبيع اللحم الخضر، أما على مستوى الدواوين المدروسة، فهذه الأنشطة مازالت تتم في دكاكين صغيرة مبنية من الطين والقصدير، متخصصة في بيع المواد الاستهلاكية الأساسية.

أما مشاركة المرأة في العملية التجارية تتمثل أساسا في بيع المنتجات المحلية بالسوق الأسبوعي، كما أن بعض النساء حولن غرفا من منازلهن إلى دكاكين صغيرة لبيع المواد الاستهلاكية.

### جدول رقم 5: الأنشطة غير الفلاحية الرئيسية في الدواوين المدروسة

نوع النشاط	التجارة	الوظيفة العمومية	القطاع الخاص	المجموع
الدوار	العدد	العدد	العدد	العدد
تعاونية النصر	3	3	3	9
بلعبدية	5	4	15	24
المجموع	8	7	18	33

المصدر: البحث الميداني 2019

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ أن الأنشطة غير الفلاحية في دوار بلعبدية تتمثل في القطاع الخاص، والتي يصل عددها الى 15 عامل، وهذا راجع بالأساس إلى هجرة شباب دوار بلعبدية إلى مدن شمال المغرب، خاصة مدينة طنجة للعمل بالشركات

والمعامل، مقابل 3 فقط في دوار تعاونية النصر، أما الموظفون فيصل إلى 4 موظفين مقابل 3 موظفين في دوار تعاونية النصر، أما التجارة يصل عدد التجار إلى 5 تجار بدوار بلعبدية من ضمنهم امرأة فتحت دكانا صغيرا بمنزلها للمواد الغذائية ومعظمهم يكتري محل تجاري بمدينة سيدي قاسم نظرا لضعف الحركة الاقتصادية بالدوار المذكور حسب تصريحات زوجات التجار، مقابل 3 تجار بدوار تعاونية النصر.

### 3-3 حماية المرأة القروية للموارد الطبيعية

للمرأة القروية علاقة وطيدة بالموارد الطبيعية، فهي تتحمل مسؤولية كبرى في تديرها خاصة الموارد الأساسية التي تستعملها الاسرة داخل المنزل كالماء وخشب الأشجار، والمرأة بطبيعتها قادرة على الاصلاح وتقويم سلوك الطفل وبالتالي المجتمع ككل في اطار تعامله مع البيئة باعتبارها البيئة الأولى التي ينطلق منها الطفل مما يمكنها ان تكون قيادية في هذا المجال، وقد ابان البحث الميداني بالمنطقة المدروسة ان المرأة تلعب نفس الدور الذي يلعبه الرجل في مجال استعمال مياه الري، اذ انها تشرف على سقي الضيعة الفلاحية وجلب الحطب بعد قطع الاشجار واستعمالها لتسييج الأراضي الفلاحية.

### 4- المرأة القروية والمعرفة السياسية والجموعية

#### 4-1- انخراط النساء القرويات بالجمعيات والحياة السياسية

بفضل تزايد دور المنظمات غير الحكومية كفعاليات ذات ادوار تنموية أساسية خاصة في المجالات الاجتماعية، عمل العنصر النسوي اقتحام هذه الفعاليات خلال السنوات الأخيرة بوتيرة ساعدتها على تطوير مؤهلاتها، والحصول على فرص للعمل وتحقيق دخل قار، كما ساهمت بتأطيرها وتوعيتها في مختلف المجالات.

#### • جمعيات نسائية فاعلة في مجال التنمية الترابية

#### جدول رقم 6: الجمعيات النسائية الفاعلة بجماعة زيرارة

نوع النشاط	عدد أعضاء المكتب	تاريخ التأسيس	إسم الجمعية
إجتماعي ثقافي وتربوي	9	2007	دار الطالبة زيرارة
تربوي إجتماعي	9	2012	تنمية المرأة القروية - مركز التربية والتشغيل



إنتاج الكسكس	50	2013	المغرب الاخضر
الحليب ومشتقاته والمنتجات المجالية	5	2013	الإخلاص

### المصدر: البحث الميداني 2019

من خلال الجدول أعلاه يتضح أن الجماعة الترابية زيرارة تنشط بمجالها الترابي منظمات غير حكومية نسائية فاعلة في المجال الفلاحي، حيث تأسست أغلبها بدعم من المبادرة الوطنية للتنمية البشرية ووزارة الفلاحة. كما ان العديد من هذه الجمعيات أصبحت منظمات غير فاعلة كجمعية تربية الماعز بتعاونية النصر التي لم توافق طبيعة المنطقة مع حاجيات الماعز، كون هذا النوع من التربية للمواشي يحتاج للمراعي التي تفتقدها الجماعة، كما أن من الإكراهات التي يعرف العمل الجمعي بالجماعة نجد تداخل المصالح بين النساء، الأمر الذي أدى إلى توقف أنشطة هذه الجمعيات التي كان يطمح أعضائها إلى تطوير الإنتاج وإضافة أنواع أخرى من المواشي من قبيل تربية الأبقار التي تتلاءم تربيتها مع الخصوصيات الطبيعية.

### • جمعيات القروض الصغرى بجماعة زيرارة

تشكل القروض الصغرى في المغرب أهم الوسائل التي ساهمت في تحسين دخل شريحة واسعة من الأسر؛، سواء في الوسط الحضري أو القروي، وفي هذا السياق نجد أن الأوساط الريفية المغربية لم تستفد من نسب كبيرة من مشاريع محاربة الهشاشة المدرجة ضمن برامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية مقارنة بالوسط الحضري، خاصة مبادرات القروض الصغرى، مما نتج عنه عدم استفادة شريحة واسعة من العنصر النسوي من المشاريع التنموية الرامية للرفع من قدراته.

جدول رقم 7: مؤسسات القروض الصغرى بمجال الدراسة ونسبة النساء المستفيدات من قروضه

المجموع		دوار بلعبدية		تعاونية النصر		الجمعيات
%	العدد	%	العدد	%	العدد	
4	3	91.4	2	1.81	1	الأمانة
0	0	0	0	0	0	زاكورة
<b>3.44</b>	<b>3</b>	<b>91.4</b>	<b>0</b>	<b>1.81</b>	<b>1</b>	<b>المجموع</b>

المصدر: البحث الميداني 2019

### قطاع التعاونيات بجماعة زيرارة

يمكن تعريف التعاونية كما جاء في القانون رقم 112.12 المتعلق بتحديد النظام الأساسي العام للتعاونيات ومهام مكتب تنمية التعاون على أنها " مجموعة تتألف من أشخاص ذاتيين وإعتباريين أو هما معا، اتفقا أن ينظم بعضهم إلى بعض لإنشاء مقاوله يكون الغرض منها أن تتيح لهم وحدهم الحصول على المنتجات و الخدمات التي هم بحاجة إليها والقيام بتسييرها إدارتها وفق مبادئ أساسية، وبغية بلوغ أهداف محددة تتيح لهم تلبية حاجياتهم الاقتصادية والاجتماعية، تدار وفق القيم والمبادئ الأساسية للتعاون المتعارف عليها عالميا 297.

### جدول رقم 8: التعاونيات النسائية بجماعة زيرارة

إسم التعاونية	نشاط التعاونية	عدد المنخرطين	سنة التأسيس	رأسمال التعاونية
السلامية	الخيطة والفصالة	08	2017	3000 درهم
جوهرة النحل	تربية النحل وإنتاج العسل	10	2009	80000 درهم
إنتصار	المنتجات المجالية	10	2016	10000 درهم
الخيوط الذهبية	الخيطة والفصالة	05	2017	2000 درهم

297 ظهير شريف رقم 1.14.189 صادر بتاريخ 27 محرم صادر بتاريخ 27 محرم 1436 الموافق ل 21 نوفمبر 2014 بتنفيذ القانون رقم 112.12 المتعلق بالتعاونيات، الجريدة الرسمية عدد 6318 الصادرة بتاريخ 25 صفر 1436/18 ديسمبر 201.

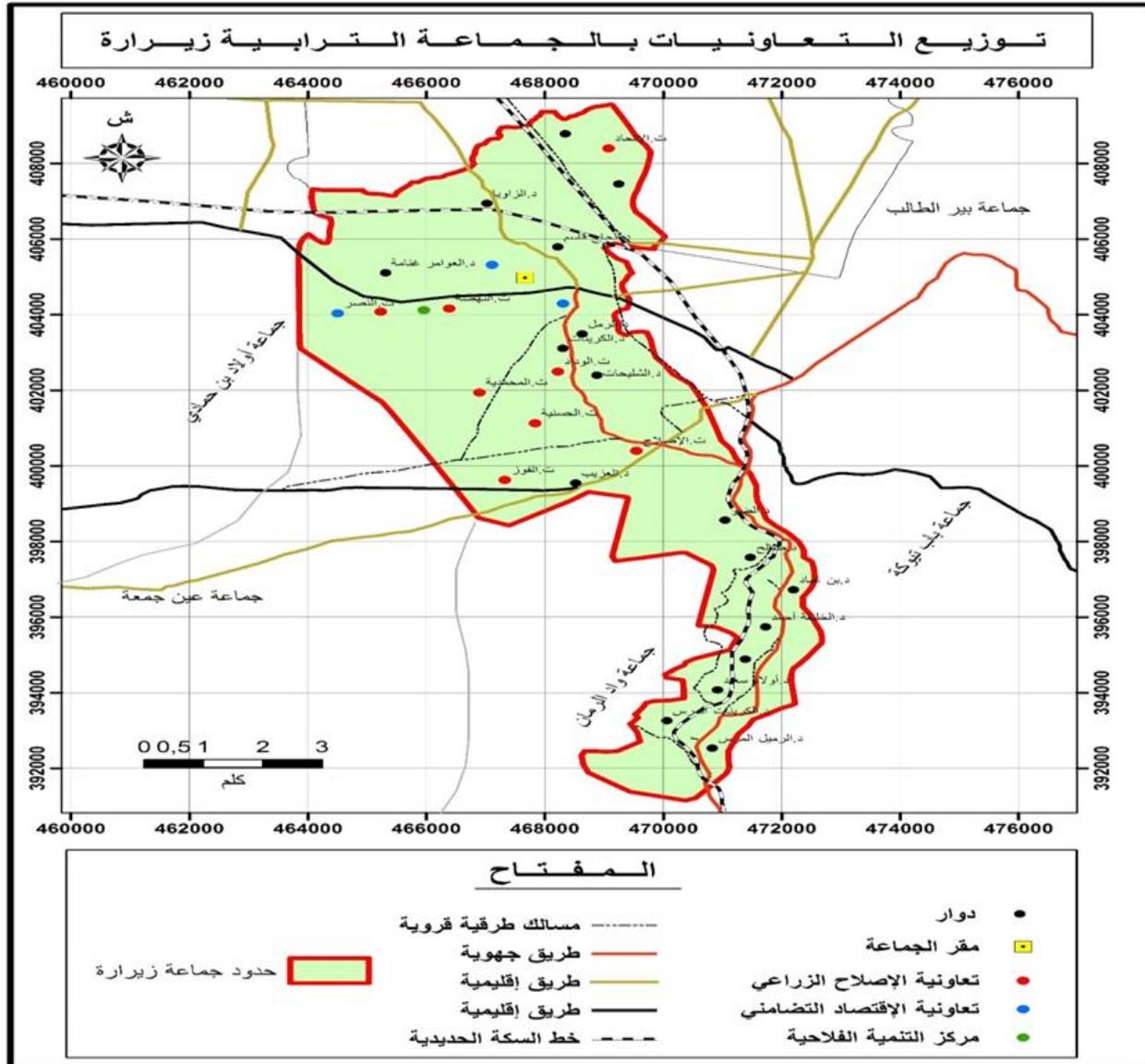
العسل الأصيل	تربية النحل وإنتاج العسل	10	2009	30000 درهم
الطالب	الخيطة	06	2018	2000 درهم
الريحان	الخيطة	20	2012	2000 درهم
الخيطة الأنيقة	الخيطة	06	2017	2000 درهم

### المصدر: البحث الميداني 2019

تنشط بمجال جماعة زيرارة تعاونيات نسائية عدة، خاصة ذات الاهتمام بالنشاط الفلاحي، والتي استفاد العديد منها من دعم المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، ومن أمثلة ذلك نجد تعاونية تيزيزوة التي استفادت من دعم وصلت قيمته 3110500 درهم عبر دفعتين؛ الدفعة الأولى موجهة لتجهيز المنحلة، والدفعة الثانية موجهة لتربية النحل. كما استفادت تعاونية العسل الأصيل على دعم قدره 175000 درهم من المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، وفي ذات السياق استفادت تعاونية جوهرة النحل على دعم مالي قيمته 200500 درهم من أجل دعم تربية النحل وإنتاجه وتسويقه. وفي جانب التعاونيات المهتمة بالمنتجات المجالية استفادت تعاونية انتصار للمنتجات المجالية (الكسكس، الزيتون، الزبدة) على 70% من الدعم الذي كان على شكل معدات وآليات مساعدة على القيام بأنشطتها. وبخصوص تعاونية الريحان للخيطة والفصالة استفادت من دعم 70% الذي كان شكل معدات وآليات للخيطة. وساهم المجلس الجماعي لزيرارة على دعم تعاونية الخيطة الأنيقة عبر اقتناء معدات الخيطة بقيمة 15000 درهم، كما استفادت التعاونيات بمجال الدراسة بمنحة 20000 درهم مقدمة من طرف الغرفة الفلاحية لإقليم سيدي قاسم.

وتسهل التعاونيات بجماعة زيرارة على توفير فرص الشغل للنساء، والعمل على تقديم تكوينات لهن خاصة الفئة المتراوحة أعمارهن بين 15 و30 سنة وذلك في إطار التدرج المهني، مع أداء انخراط سنوي محدد في 250 درهم للمنخرطة، تدفعه وزارة التربية والتكوين المهني وتعتبر الجمعيات على أنها إفاق لتأسيس تعاون مستمر بين شخصين أو عدة أشخاص، لاستخدام معلماتهم أو نشاطهم لغاية غير توزيع الأرباح فيما بينهم، تجرى عليها فيما يرجع لصحتها القاعدة القانونية العامة المطبقة على عقود الالتزامات، وتبين الخريطة التالية توزيع التعاونيات بالجماعة الترابية لزيرارة.

خريطة رقم 2: توزيع التعاونيات بالجماعة الترابية زيارة



المصدر: من انجاز فريق العمل اعتمادا على معطيات المكتب التقني بجماعة زيارة وخريطة

التقسيم الجهوي لسنة 2015

## 5-رهانات التنمية الترابية

لتحقيق مستويات أفضل من التنمية يتحتم على مدبري الشأن المحلي في مختلف المجالات خلق مجموعة من المبادرات على الشكل التالي:

- ❖ إنشاء المزيد من المؤسسات التعليمية ومراكز محو الأمية، بحيث لا تقتصر المادة التعليمية في هذا الإطار على الجانب الديني حفظ القرآن رغم أهميته بل يتحتم أن تشمل مختلف المعارف والعلوم، بما في ذلك محاربة الأمية التقنية للاستجابة لمتطلبات التكنولوجيا في العصر الحالي؛
- ❖ إعداد برامج وورشات للإرشاد الفلاحي والتثقيف الصحي والتوعية البيئية للمرأة بالجماعة، وتحسيسها بالمشاكل البيئية، باعتبارها أهم القنوات التربوية، بالنظر لعلاقتها المباشرة بالموارد الطبيعية خاصة الموارد المائية المرتبطة بشكل وثيق بالنشاط الفلاحي الذي يركز عليه العالم القروي بصفة عامة، ومجال الدراسة بصفة خاصة؛
- ❖ اعتماد المقاربة التشاركية في تنزيل البرامج التعليمية أو التوعوية، وذلك لإيجاد صيغ متناسبة مع ظروف النساء القرويات لمعرفة الأوقات المناسبة التي تراعي مختلف الشرائح العمرية ومسؤولياتها بشكل يخول لأكثر عدد من النساء الاستفادة من هذه البرامج؛
- ❖ ضرورة اعتماد آليات لتتبع النساء المستفيدات لمعرفة مدى تقدمهن بالتحصيل المعرفي أو أسباب انقطاعهن عن الحصة التعليمية أو التوعوية، مع ضرورة خلق مكتبة جماعية تساهم في إبقاء صلة النساء بالتحصيل العلمي؛
- ❖ الاهتمام بالفتيات المنقطعيات عن الدراسة عن طريق خلق مراكز للتكوين المهني، وذلك لاكتساب مهارات تخول لهن الاندماج في سوق الشغل؛
- ❖ النهوض بالقطاع الفلاحي حيث تعتبر الفلاحة المصدر الأساسي لدخل مجموعة من الأسر القروية بالمنطقة، لذا يجب النهوض بهذا القطاع وخلق صناعة فلاحية قادرة على استغلال المنتوجات الزراعية بنفس المنطقة وخلق فرص شغل للنساء القرويات وتمكينها من وسائل الانتاج خاصة الأرض؛
- ❖ الرفع من مستوى الشبكة الطرقية حيث تعد عاملا اساسيا بفك العزلة عن الدواوير وتسهيل عملية الاستثمار خاصة المشاريع الموجهة للمرأة القروية؛

- ❖ النهوض بالقطاع الجمعي والتعاوني خاصة الموجه للنساء القرويات، حيث يعتبر قطاعا خالقا لفرص الشغل كما أنه يساهم بتأطير وتكوين النساء القرويات وتقوية قدراتهن؛
- ❖ تعزيز الخدمات الصحية الموجهة للنساء القرويات خاصة في فترة الحمل والولادة؛
- ❖ المساواة في الاجور بين الرجل والمرأة على مستوى سوق الشغل والقضاء على مختلف اشكال التمييز والانتهاكات التي تتعرض لها المرأة؛
- ❖ تنزيل المكتسبات التي نص عليها الدستور في مجال حقوق النساء.

## 6- خاتمة

من خلال ما سبق يتضح أن النشاط الفلاحي هو النشاط الرئيسي و المورد الأساسي لمعظم ساكنة الجماعة ، و هو نشاط يعتمد على إنتاج الحبوب و الزراعات العلفية و تربية الماشية و تسويق هذه المنتوجات بشكل ذاتي بالطرق التقليدية وذلك عبر الأسواق الأسبوعية. غير أن النشاط الفلاحي غير قادر على توفير فرص عمل طيلة السنة بل بشكل موسمي ، مما يدفع بالعديد من سكان المنطقة إلى الهجرة ، أما المرأة فهي الحلقة الأضعف في سلسلة الإنتاج الفلاحي لأنها محرومة من ملكية الأرض من الإرث و من اتخاذ أهم القرارات بحياتها كالتعليم و الزواج و الهجرة ، لكن في السنوات الأخيرة بسبب إرتفاع مستوى و عي بعض الأسر و إنشاء بعض التعاونيات و الجمعيات، تحسنت وضعية المرأة القروية بالمنطقة، حيث سمح لهن أزواجهن بالانخراط بهذه التعاونيات و الجمعيات ناهيك عن السماح للفتاة القروية باستكمال دراستها حتى لو تطلب الأمر تنقلها نحو مدينة سيدي قاسم أو نحو المركز، خصوصا بعد أن تم توفير النقل المدرسي العمومي بالمنطقة بفضل المبادرة الوطنية للتنمية البشرية.

رغم جل هذه المشاريع التي عرفها مجال الدراسة، فإن نصيب المشاريع التنموية الموجهة للمرأة بالجماعة تبقى محدودة، سواء في الجانب الاقتصادي أو الاجتماعي، مما يستوجب على الفاعلين التنمويين محاولة التنسيق في ميدان الأعمال الموجهة نحو تنمية العنصر النسوي، وذلك عبر توفير البنيات التحتية التي تساعد على جلب الاستثمارات الخالقة لفرص الشغل للساكنة بصفة عامة والنساء بصفة خاصة.

البيبيوغرافيا:



- بودواح امحمد (2001) ، دور زراعة الكيف في التحولات الاقتصادية والاجتماعية والمجالية وآفاق التنمية في جبال الريف ، نماذج من جبال الريف الأوسط ، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادال ، الرباط
- عني عبد الرحيم ، الأسرة القروية بالمغرب من الحدة الإنتاجية إلى الاستهلاك ، دراسة ميدانية لاتجاهات التغير الأسري بالوسط القروي بالمغرب ، جامعة ابن زهر ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، أكادير
- بلفقيه عبد الصادق (1991) ، منطقة الغرب المجال و الإنسان ، منشورات كلية الآداب العلم الإنسانية بالقنيطرة سلسلة ندوات محاضرات رقم 3 ص 102
- الخمليشي الزهرة (2017) ، مدارس كتاب الجسد الأنثوي و هوية الجندر للدكتورة خلود السباعي -صالون جدل الثقافي .
- المادة 2 من القانون التنظيمي 113.14 المتعلق بالجماعات
- منوغرافية الجماعة الترابية زيرارة 2014
- وزارة الفلاحة والتنمية القرية و الصيد البحري ، إستراتيجية 2020 للتنمية القروية، 2000
- ظهير شريف رقم 1.14.189 صادر بتاريخ 27 محرم صادر بتاريخ 27 محرم 1436 الموافق ل 21 نوفمبر 2014 بتنفيذ القانون رقم 112.12 المتعلق بالتعاونيات، الجريدة الرسمية عدد 6318 الصادرة بتاريخ 25 صفر 18/1436 ديسمبر 2011
- المغرب الممكن ، تقرير 50 سنة من التنمية البشرية بالمغرب وآفاق سنة 2025 ، مطبعة دار النشر المغربية ،الدار البيضاء، 2006،
- Le Coz J., *Le Rhorb, Fellahs et Colons. Etude de géographie régionale..* In: *Revue de géographie alpine*, tome 53, n°4, 1965. pp. 697-698.
- M. et El Khadiri A., (1991), la structuration des agglomération Boudouah article publié dans " le Gharb, l'espace et l'homme", Acte dans le Gharb, du Colloque International organisé par la Faculté des lettres et sciences Humaines université Ibn Tofail



## الجبال بجهة بني ملال خنيفرة: الصناعة التقليدية والتنمية الترابية

### Mountains in Beni melal khenifra region: traditional industry and territorial development

1. يونس سيف النصر، جامعة السلطان مولاي سليمان ببني ملال. unseif@yahoo.com

#### الملخص:

تلعب الصناعة التقليدية دورا محوريا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالمناطق الجبلية؛ حيث تشكل الصناعة التقليدية، تجليا واضحا للمقومات التراثية والثقافية المغربية العريقة، الضاربة في القدم والشاهدة على حضارة متنوعة ومتكاملة؛ توظف الثقافة المتوارثة في تنمية المناطق الجبلية، وجعلها مجالات استقطابية في إطار السياحة الجبلية. حيث يسمح التنوع الطبيعي، الثقافي، الحضاري والتراثي التي تزخر به الجبال بجهة بني ملال خنيفرة، بتطوير مستوى الصناعة، غير أن غياب مشاريع ترابية حقيقية في هذا المجال جعل من هذا النشاط ضعيفا، ولا يوظف بشكل ناجع في عملية التنمية الترابية.

الكلمات المفتاحية: الصناعة التقليدية-التراث-المشاريع الترابية-التنمية الترابية

#### Abstract :

The traditional industry plays a central role in the economic and social development of mountainous region. It is a clear embodiment of the ancient Moroccan heritage and culture and a witness to a diverse and integrated civilization. The inherited culture is invested in the development of mountainous regions and in making them attractive areas within the framework of mountain tourism. The potential diversity, including in the natural, cultural, civil and heritage, of Beni Mellal Khenifra region could help to develop the level of industry but the absence of territorial projects in this field made this activity weak as it is not employed effectively in the process of territorial development.

**Key Words :** traditional industry-heritage-territorial projects-territorial development

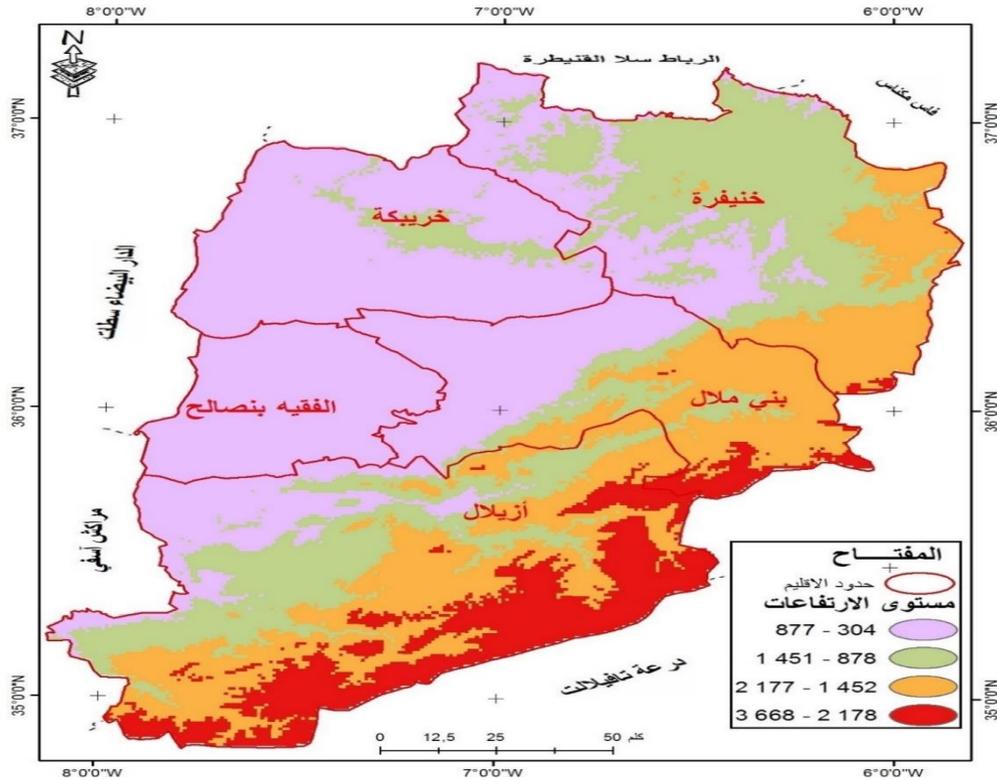
## تقديم عام:

تلعب الصناعة التقليدية دورا محوريا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، خاصة بالمناطق الجبلية؛ حيث تشكل الصناعة التقليدية، تجليا واضحا للمقومات التراثية والثقافية المغربية العريقة، الضاربة في القدم والشاهدة على حضارة متنوعة ومتكاملة؛ توظف الثقافة المتوارثة في تنمية المناطق الجبلية، وجعلها مجالات استقطابية في ظل السياحة الجبلية.

تتوفر المناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة، على مقومات متعددة فيما يخص الصناعة التقليدية، شاهدة على إرثها الحضاري والثقافي العريق. غير أن هذه الموارد الترابية، ظلت تعرف نوعا من التهميش وغياب التخطيط الفعال، الذي يمكنها من تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية للأسر الجبلية؛ تزداد حدة هشاشة لهؤلاء الأسر نتيجة قلة وضعف الاستثمار في مؤسسات الصناعة العصرية.

## 1. المجال المدروس:

خريطة رقم 1: الارتفاعات والتقسيم الترابي بجهة بني ملال خنيفرة



المصدر: خريطة الارتفاعات الرقمية بتصريف

توجد جهة بني ملال خنيفرة في وسط المغرب، حيث تمخض تشكيلها، بعد التقسيم الجهوي الذي تمت المصادقة عليه سنة 2015، في إطار تبني سياسة الجهوية المتقدمة، التي جاءت بتعديلات شملت كل جهات المغرب، بفعل دستور 2011. تعتبر جهة بني ملال خنيفرة، جهة استراتيجية، وذلك بتواجدها على المحور السياحي الكبير، فاس-مكناس-الدار البيضاء. وكذلك تواجدها على مجال متنوع من حيث الوحدات التضاريسية، وتضم جزء كبير من الأطلس المتوسط والكبير، ومنطقة الدير وحوض خنيفرة وجزء من الهضبة الوسطى وهضبة الفوسفاط وسهل تادلة.

تمتد هذه الجهة على مساحة 374 28 كلم مربع، ويشغل المجال الجبلي حوالي 65% من مساحة الجهة، (إقليم خنيفرة، إقليم أزيلال وجزء من إقليم بني ملال) وتمثل حدود الجهة الإدارية وفق الآتي: من جهة الشمال تحدها جهة الرباط سلا القنيطرة، ومن جهة الشمال الشرقي تحدها جهة فاس مكناس، ومن الجنوب والجنوب الغربي تحدها جهة درعة تافيلالت، ومن الغرب تحدها، كل من جهة الدار البيضاء سطات وجهة مراكش آسفي.<sup>298</sup>

## 2. منهجية وأدوات الدراسة:

أثناء إنجاز هذه الورقة البحثية، تم الاستناد إلى إطار نظري، يتجلى في مجموعة من الكتب والأبحاث والأطروحات الجامعية، التي درست وعالجت المناطق الجبلية من زاويا مختلفة، للوقوف على الظروف التنموية التي تعيشها. بالإضافة إلى الاستطلاع الميداني وزيارة مصالح متعددة بجهة بني ملال خنيفرة، بغية الحصول على مختلف الإحصائيات والبيانات السوسيواقتصادية والمجالية.

من أجل معالجة هذه البيانات الإحصائية المحصل عليها، تم توظيف في إطار هذا البحث أدوات ووسائل رقمية مختلفة، تمثلت في برنامج (إكسيل Excel) لرسم المبيانات، وبرنامج ArcGis من أجل رسم الخرائط. مع توظيف المنهج النسقي، الذي يسمح بالربط ما بين كل المتغيرات المستقلة والتابعة.

## 3. مقومات الصناعة التقليدية بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة

### 1.3. بعض مسالك الصناعة التقليدية بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة

تتعدد مسالك وحرف الصناعة التقليدية بالجنال بجهة بني ملال خنيفرة، حيث ساهم في ذلك ثراء مظاهر التراث، التقاليد والثقافة وعراقتها وتنوع الدرايات المحلية، التي ورثتها الساكنة المحلية بالجنال؛ التي لازالت تشكل موردا اقتصاديا رغم ضعفه وهشاشته. وقد شملت الصناعة التقليدية ميدان الديكور والأثاث واللباس والأكسسوارات والبناء؛ تستعمل في سبيل ذلك مواد خام متنوعة ومتعددة منها الخشب، النحاس، الحديد الفخار، الجبص، النباتات.

<sup>298</sup>. سيف النصر يونس & الصغير سعيد، 2020، الإكراهات الطبيعية وإمكانية التنمية بالمناطق الجبلية حالة جهة بني ملال خنيفرة، مجلة الإنسان والمجال والتنمية، تنسيق الأنصاري إبراهيم، العدد الأول.

جدول رقم 1: بعض حرف الصناعة التقليدية بالجبال بجهة بني ملال خنيفرة

الزرابي	الخيطة التقليدية	الحيكاة لبزوية	الخشب	الحيكاة القروية	الجبس	القفاف	الأسلحة	النحاس	الفخار	الحديد
الديكور	اللباس	اللباس	الديكور	الديكور	البناء	الديكور	الديكور	الأثاث	الديكور	الديكور
الأثاث			البناء	الأثاث		الأثاث		اللباس	الأثاث	الأثاث
			الأثاث					الأكسسوار		

المصدر: المديرية الجهوية للصناعة التقليدية ببني ملال

تزرخ جهة بني ملال خنيفرة عموما، والمناطق الجبلية خصوصا بمقومات متعددة طبيعية، فلاحية، تراثية وثقافية تشكل مادة أولية لتطوير مستوى الصناعة التقليدية. ومن أهم أنشطة الصناعة التقليدية بجهة بني ملال خنيفرة، نذكر على وجه الخصوص<sup>299</sup>:

- ✓ الحياكة البزوية، والتي يرجع أصلها إلى جماعة بزو، حيث تمارسها مجموعة من النساء الحرفيات (حوالي 2000 امرأة)؛
- ✓ الحياكة التقليدية، التي تتم مزاولتها على نطاق واسع بالوسط القروي، والتي تتضمن حياكة الزرابي والحنابل والحنادر والجلاليب والحاك وغيرها؛
- ✓ صناعة الأسلحة التقليدية، التي ينفرد بها مركز تيسليت بدائرة بزو؛
- ✓ صناعة الخزف، التي تخزن احتياطات مهمة من الطين، خصوصا بدوائر دمنات وتاونزا وايت وايت واعتاب بإقليم أزيلال، وزاوية الشيخ وأغبالة بإقليم بني ملال، وأكلموس ولقبا بـ بإقليم خنيفرة.

2.3. تتميز المناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة بغنى وثراء منتوجات الصناعة التقليدية

تعتبر المناطق الجبلية غنية بأصناف ومنتوجات الصناعة التقليدية، هذه الصناعة تحمل بين طياتها تراثا غنيا، يساهم في التعريف بهوية المنطقة ويعطيها إشعاعا وطنيا، يساعد في تنمية الاقتصاد الجبلي؛ من خلال الاستقطاب السياحي، ومن خلال توظيفها في التجارة، الداخلية والخارجية. ورغم مؤهلات الصناعة التقليدية بالمناطق الجبلية، فإنها تعاني من ضعف المردودية؛ في ظل الوسائل والآليات التقليدية، التي تمارس بها، إضافة إلى العشوائية التي تحكمها؛ حيث تستدعي هذه

<sup>299</sup>. مجلس جهة بني ملال خنيفرة، 2019، التصميم الجهوي لإعداد التراب لجهة بني ملال خنيفرة.

الوضعية تعبئة الفاعلين الترابيين، من أجل توفير الظروف اللازمة، لإدماج المناطق الجبلية، في سيرورة التنمية الترابية المنبثقة والمعتمدة على التراث والصناعة التقليدية.

جدول رقم 2: تقسيم فئات المنتوجات التقليدية بالجبال بجهة بني ملال خنيفرة

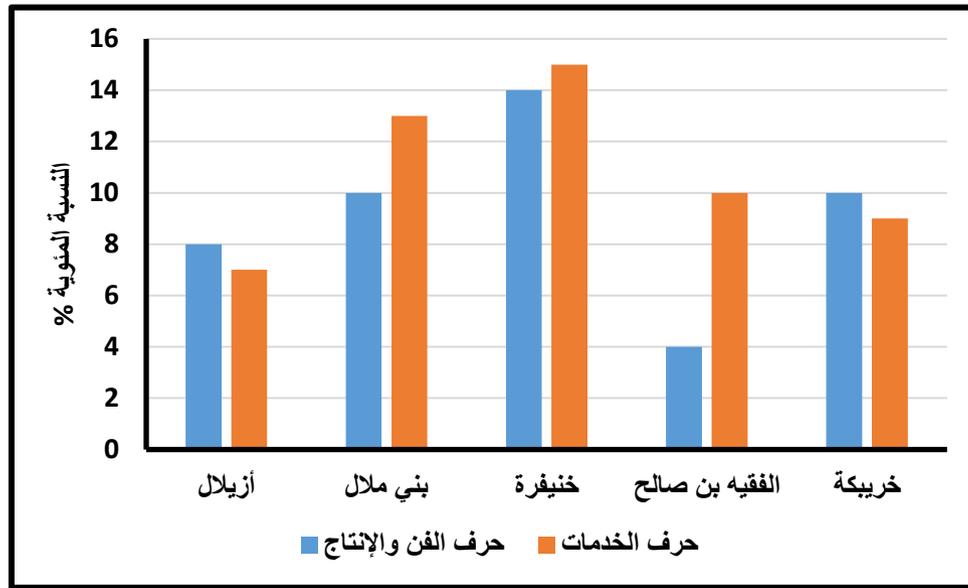
المسالك	الحرف	المنتوجات	فئات المنتوجات
اللباس والإكسسوارات	الخطاطة الزيوية	القماش الزيوي	الثوب
الديكور	الخطاطة التقليدية	الزربية القروية	الزربية القروية
التأثيث	الخشب	غرفة النوم، كرسي، كنية، طاولة الطعان، باب...	أثاث بالخشب
الديكور	الخشب	ملاعق، مغارف للعسل، أطباق، صينيّات...	فن الطاولة بالخشب
الديكور	الخشب	مزهريات، حاملات الشموع، كاوس للأقلام، لوحات قرآنية، حاملات المظلات، الصنارات، مہراز...	منتوجات الديكور والهدايا
الديكور	الترسانة	بنادق ومسدسات	الأسلحة التقليدية
اللباس والإكسسوارات	الجلد	جلد الغنم والماعز	الجلد
الديكور	الحياكة	غطاء السرير، غطاء الوسادة، "الحريل"	الأغطية المنزلية
الديكور	الفخار والسيراميك	الجرار، أواني الزهور، والمزهريات	المزهريات وأواني الفخار
الديكور	الفخار والسيراميك	"الكلّة"، مزاريب المياه، كانون، مجمر...	منتوجات عملية
الديكور	الفخار والسيراميك	طواجن، صحون، أوعية، الشمعدانات، أكواب، مطفأة السجائر	فن الطاولة بالفخار
الديكور	الحديد المطاوع	طاولة، كرسي، كنية، طاولة جانبية، غرفة النوم، طاولة الأكل، مرآة	أثاث الحديد المطاوع
الديكور	الحديد المطاوع	مصابيح، أضواء، الجدار	منتوجات الديكور والهدايا بالحديد المطاوع
البناء	الحديد المطاوع	سكة درج، باب، نافذة، شرفة	تغطية الأرضية والحائط بالحديد المطاوع
اللباس والإكسسوارات	الخطاطة التقليدية	الجلباب، القفطان، التكبشيطة، الكندورة، الجلبادور...	الملابس التقليدية

البناء	الجبص	الممرات، القباب، السقوف...	تغطية الأرضية والحائط بالجبص
الديكور	حياكة السلالات	سلة الخبز والفواكه	فن الطاولة
الديكور	حياكة السلالات	سلة الغسيل	منتجات عملية
الملابس والإكسسوارات	حياكة السلالات	حقائب يدوية وقبعات	ملابس محلية وإكسسوارات

المصدر: التصميم الجيوب لإعداد الترابي لبني ملال خنيفرة 2019

### 3.3. توزيع الصناع التقليديين حسب أصناف الحرف بجهة بني ملال خنيفرة

مبيان رقم 1: توزيع الصناع التقليديين حسب أصناف الحرف بجهة بني ملال خنيفرة



المصدر: المديرية الجهوية للصناعة التقليدية بتصرف

تلعب الصناعة التقليدية بمكوناتها المتعددة دورا محوريا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، حيث تنقسم هذه الصناعة إلى فرعين أساسين: أولا الصناعة التقليدية الخدمانية، وثانيا الصناعة التقليدية الفنية والإنتاجية؛ حيث يحتل إقليم خنيفرة المرتبة الأولى بحوالي 28% من حيث الصناع التقليديين، ثم إقليم بني ملال بحوالي 23% في المرتبة الثانية، ويأتي إقليم أزيلال في المرتبة الأخيرة على مستوى جهة بني ملال خنيفرة بحوالي 14%.

بالتالي، يمكن للصناعة التقليدية أن تخلق تنمية ترابية بالمناطق الجبلية، خاصة في ظل ضعف النشاط الفلاحي والصناعة العصرية، حيث تتوفر هذه المجالات الجبلية على أنواع متعددة من الصناعات التقليدية، التي يمكن أن تشغل يد عاملة مهمة، سواء أفرادا أو في إطار تعاونيات أو جمعيات. بالإضافة إلى الجانب الثقافي الذي تلعبه الصناعة التقليدية، يمكن لها أيضا أن تدر دخلا على ساكنة الجبال. من خلال التجارة في هذه المواد الصناعية، كما تشكل دعامة ومقوما استقطابيا للسياحية الجبلية على غرار المقومات الطبيعية. تتوفر المناطق الجبلية على عدد مهم من الصناعات التقليدية، في مختلف الأصناف والأنواع، خاصة إقليم خنيفرة وإقليم بني ملال، بينما يقل العدد نوعا ما بإقليم أزيلال.

بالنظر إلى أصالة وتنوع الصناعة التقليدية بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة، بإمكانها أن تلعب دورا أساسيا ومحوريا في مسار التنمية الترابية بهذه المناطق، خصوصا إذا تم العمل على تطوير هذه الصناعات عبر وضع برامج ومخططات، تهدف إلى مساعدة الصناع التقليديين على تنظيم قنوات التسويق ومحاربة المضاربة، وإيجاد الأسواق المناسبة في الداخل والخارج، وإدخال وإدماج التكنولوجيا الحديثة في الإنتاج والتسويق الترابي.

#### 4.3. مظاهر هشاشة الصناعة التقليدية بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة

تواجه الصناعة التقليدية بالجبال بجهة بني ملال خنيفرة عدة تحديات، منها ضعف قنوات للتسويق وعدم وضع استراتيجية لتأطير الصناع التقليديين في ظل غياب مراكز للتكوين ونقص في التجهيزات. مما يجعل هذا القطاع يعيش في عشوائية تفقده عناصر قوته وفعالته؛ حيث تؤدي مسألة عدم مواكبة الصناع وعدم تأطيرهم، إلى القضاء على مظاهر الصناعة التقليدية، التي تشكل مرآة عاكسة للوجه الثقافي والحضاري للمنطقة وهويتها.

كما تعاني الصناعة التقليدية بالمناطق الجبلية من عدم ربط الصناع التقليدي مع المحيط السياحي؛ وبالتالي تبقى السياحة بالمناطق الجبلية، معتمدة أكثر وبشكل كبير على المقومات الطبيعية فقط، دون إيجاد استراتيجية ترابية تدمج كل المؤهلات والمقومات في خلق التنمية الترابية بشكل نسقي. وبالتالي تفسر هذه الاكراهات محدودية مساهمة الصناعة التقليدية، في إحداث رقم معاملات مهم وفي خلق مناصب الشغل.

#### 4.4. استراتيجيات وبرامج تطوير الصناعة بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة

يسمح التنوع الطبيعي، الثقافي، الحضاري والتراثي التي تزخر به الجبال بجهة بني ملال خنيفرة، بتطوير مستوى الصناعة، غير أن غياب مشاريع ترابية حقيقية في هذا المجال جعل من هذا النشاط ضعيفا، ولا يوظف بشكل ناجع في عملية التنمية الترابية.

#### 1.4. الصناعة التقليدية بالجبال بجهة بني ملال خنيفرة وإمكانات البرامج والمشاريع التنموية المعتمدة

تميزت الصناعة التقليدية بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة إلى حدود سنة 2007، بالعشوائية وغياب إطار قانوني ومؤسسي يعنى بتنمية هذا القطاع. لا يوجد إعداد وتأمين لهذا المورد التراي المهم بالمناطق الجبلية، في ظل غياب مشاريع تربية طموحة، تجعل من الصناعة التقليدية عنصر جذب واستقطاب وعنصر قوة لتعزيز الاقتصاد الجبلي. وتطوير قطاع الصناعة التقليدية وإبراز مكانته الذي يستحقها، يتطلب نهج سياسة تربية ناجعة تركز على الجودة، ولن يتم ذلك إلا من خلال إدماج البحث العلمي، وتوظيفه في تطوير الصناعة التقليدية من خلال انفتاح القطاعات الاقتصادية على الجامعات.

تستلزم هذه المقاربة كذلك التجديد المستمر للعرض، من منتوجات الصناعة التقليدية واعتماد مواصفات الاتقان والجودة، كآليات لضمان الاستمرارية ومواجهة المنافسة.

#### 1.1.4. الصناعة التقليدية بالجبال بجهة بني ملال خنيفرة في ظل الرؤية التنموية 2015

بدأ الاهتمام بالصناعة التقليدية بشكل متأخر، تجلى هذا الاهتمام في إطار الأهداف والتوجهات الاستراتيجية الوطنية، التي تمثل أساس بلورة مشاريع تنموية بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة. حيث تهدف هذه المشاريع إلى خلق مناصب للشغل، لتوفير إطار عيش كريم بالجبال، عبر إعادة تأهيل قطاع الصناعة التقليدية وجعله قاطرة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. والعمل على الانتقال من إدارة تتولى التدبير، إلى إدارة تعمل من أجل خلق تنمية تربية بناء على مقومات الصناعة التقليدية.

لحد من العشوائية التي يتميز بها قطاع الصناعة التقليدية، تم تبني رؤية 2015، التي انطلقت بالتوقيع عليها في 20 فبراير 2007. ورامت هذه الرؤية تحقيق هدفين أساسيين، تجلى الأول في خلق مناصب للشغل، عبر تطوير آليات ووسائل عمل الصناعة التقليدية؛ وتجلى الهدف الثاني، في مضاعفة رقم معاملات الصناعة التقليدية ذات البعد الثقافي. من خلال تطوير نسيج إنتاجي قوي، والرفع من منتوجات الصناعة التقليدية ونهج تنظيم فعال للتسويق يستهدف الأسواق الداخلية والخارجية.

#### 2.1.4. تطوير نسيج إنتاجي قوي ومهيكل للمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة

هدفت رؤية 2015 إلى تطوير نسيج إنتاجي قوي في مجال الصناعة التقليدية، ويضمن هذا الإنتاج الجودة المطلوبة لتحقيق أرقام معاملات مهمة. فتنمية الطلب على منتوجات الصناعة التقليدية بالمناطق الجبلية، ذي حمولة ثقافية، لا يتأت إلا من خلال تطوير وتكثيف الإنتاج، وملاءمته مع متطلبات السوق، مع التركيز والاهتمام بالأسواق الوطنية والخارجية. كما سعت رؤية 2015 إلى وضع سياسة لدعم المقاولات الصغرى والمتوسطة الناشئة بقطاع الصناعة التقليدية، والتشجيع على خلق مقاولات جديدة، عبر تقديم الدعم اللازم، سواء في صورة خدمات مجانية، أو خدمات مدعومة في مجال الإنتاج والتسويق.

يلعب الصناع التقليديون الفرادى دورا محوريا كمنتجين مباشرين، ويشكلون عنصرا مركزيا لتزويد المقاولات العاملة بالقطاع بالمنتجات وبالباليد العاملة. كما ركزت رؤية 2015 على توفير الدعم لهم ومواكبتهم، من أجل الرفع من إنتاجيتهم وتطوير جودة منتجاتهم.

#### 3.1.4. تطوير منتجات الصناعة التقليدية بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال

من أجل تطوير منتجات الصناعة التقليدية، لابد من رفع حجم مشتريات هذه المنتجات في الأسواق الداخلية والخارجية. ولا يتم هذا إلا من خلال تشجيع الطلب على هذه المنتجات، لذلك راهنت الاستراتيجية الوطنية لتنمية القطاع على تكثيف حضور منتجات الصناعة التقليدية، وبروزها بمختلف الأسواق. تلعب في هذا الإطار دار الصانع بصفتها المختصة في الإنعاش، والمساعدة على التسويق، دورا مهما في التعريف بمنتجات الصناعة التقليدية، ومن تم إنعاشها وتسويقها داخليا وخارجيا. غير أن رؤية 2015 لم تنخرط في نظام رقمي، يمكنها من الوصول إلى أكبر قدر من الأسواق العالمية، وضمان تطوير منتجات الصناعة التقليدية بشكل فعال.

نظرا للدور المركزي الذي يلعبه توظيف شبكات التسويق العصرية، من خلال الربط بين منتجي ومموني منتجات الصناعة التقليدية من جهة، وقنوات التسويق الوطنية والدولية من جهة أخرى. أصبح من الضروري رقمنة قطاع الصناعة التقليدية، واستثمار كل الوسائل الرقمية المتاحة. مع اعتماد التكوين لفائدة مختلف الصناع التقليديين، لدعم قدراتهم في هذا المجال.

#### 2.4. رغم أهمية الصناعة التقليدية في الاقتصاد الجبلي لم تحظ بإطار قانوني مبكر

في ظل الفراغ القانوني الذي عرفته الصناعة التقليدية، ترك الباب مشروعا أمام الصناع التقليديين المزيفين. الذين ساهموا في تدهور الصناعة التقليدية، نتيجة غياب الجودة المطلوبة في ظل غياب مسألة التجديد والحفاظ في نفس الوقت على أصل المنتج وثقافته وهويته. حيث أن مجمل الصناع التقليديين، وكذا منتجاتهم ظلت تشكو من فراغ قانوني وتشريعي، يسمح بتنظيمها وهيكلتها. وقد سمح هذا الفراغ، باستحواذ أصحاب رؤوس الأموال على مجموعة من الحرف التقليدية، ضارين عرض الحائط، الجودة ومبادئ وقواعد الصناعة التقليدية وارتباطها الوثيق بالثقافة. يعد تقنين مزاولة الأنشطة الحرفية والمهنية لقطاع الصناعة التقليدية، وتنظيمها وتأهيلها وتأطيرها، طفرة هامة في تحقيق الإدماج التشريعي والمؤسسي لهذا القطاع في النسيج الاقتصادي. حيث تعتبر مسألة تقنين أنشطة الصناعة التقليدية، أحد الأولويات في ظل رؤية 2015، ليس فقط من أجل تمشين عمل الصناع التقليديين وجودة منتجات الصناعة التقليدية،

وإنما كذلك محاربة الدخلاء وحماية المستهلكين وتعزيز ثقتهم في المنتوجات؛ وبناء على ذلك تم إخراج القانون 50.17 إلى حيز الوجود، من أجل تنظيم أنشطة الصناعة التقليدية سنة 2019.<sup>300</sup>

ينتظر من هذا القانون الجديد، أن يساهم في تخفيف الإكراهات التي تعيشها الصناعة التقليدية، على مجموعة من المستويات (ظروف الإنتاج، توفير التحفيز والدعم، توفير آليات التسويق). ومن شأن هذا القانون أن يدمج الصناعة التقليدية، إدماجاً فعالاً ضمن استراتيجية التنمية الترابية، بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة.

كما ينتظر أن يساهم هذا القانون في حصر مجال الصناعة التقليدية، وتحديد مواصفات منتوجاتها، وما يدخل في إطارها. وتحديد الهوية المهنية، والملاحم الحرفية للصانع التقليدي، ومواصفات وكيفية التسجيل في السجل الوطني، وتقرير الخدمات والامتيازات التي يستفيد منها الصناع التقليديون، من نظام للتغطية الاجتماعية والصحية، وبرامج الدعم والتكوين وعدد من التدابير الحمائية والتحفيزية والجبائية والتعاقدية، التي تلتزم بها الدولة؛ من أجل تحسين أوضاع الحرفيين، وتسويق منتوجاتهم وخدماتهم. وكذا تحديد الوضع الاعتباري للتعاونيات والمقاولات الحرفية التقليدية، وبيان أدوارها ووظائفها واختصاصاتها. وكيفية تنظيمها إقليمياً وجوياً، وشروط الانتخاب والترشح لرئاسة هذه الهيئات التمثيلية، وصولاً إلى إعادة تنظيم وهيكلية المجلس الوطني للصناعات التقليدية، الذي تم تحديد تركيبته وكيفية اختيار ممثليه، أعضائه، أجهزته، لجنه واختصاصاته.

3.4. بعد المخطط الجهوي للصناعة التقليدية آلية تقنية لم تساهم في تنمية المناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة من أجل تنمية قطاع الصناعة التقليدية تم إعداد المخطط الجهوي للصناعة التقليدية (جهة تادلة أزيلال سابقاً، والتي كانت تضم إقليم أزيلال وإقليم بني ملال وإقليم الفقيه بن صالح)، وهو مخطط تعاقدي بين الحكومة والجهة وغرف الصناعة التقليدية والجماعات الترابية والجمعيات المحلية، حول برنامج تنموي يمتد على مدى 5 سنوات.

يعتمد المخطط على ثلاثة محاور استراتيجية متكاملة، تشمل تحسين مداخل الصناع الفرادي وظروف عملهم، ودعم تنمية نسيج المقاولات الصغرى والمتوسطة المهيكلة، والإجراءات الأفقية (الترويج، والتكوين والتنظيم المؤسسي).

تضمن هذا المخطط حوالي 60 مشروعاً، بقيمة إجمالية تبلغ 108.85 مليون درهم على مدى خمس سنوات. تتجلى أهداف هذا المخطط في تحقيق أكثر من 780 مليون درهم كرقم معاملات إجمالي، وتوفير أكثر من 13 ألف منصب شغل دائم، وتكوين أزيد من 1270 خريج بنمط التدرج المهني. حيث يروم المخطط الجهوي للصناعة التقليدية تحقيق الأهداف الآتية<sup>301</sup>:

✓ التطوير الإرادي ل 7 مهن للصناعة التقليدية، المتميزة وتتمين المهارات المرتبطة بهذا القطاع مع الحفاظ على البيئة؛

<sup>300</sup> . <https://mtaess.gov.ma/>

<sup>301</sup> . <https://rni.ma/> Consulté le 06/05/2020

- ✓ إحداث متحف للزراي بأزيلال، مع تطوير فضاءات العروض وخلق مناطق خاصة بمزاولة أنشطة الصناعة التقليدية؛
- ✓ رفع رقم المعاملات العام، المتعلق بهذا القطاع إلى 780 مليون درهم منها 20 مليون درهم بالتصدير؛
- ✓ خلق 13000 منصب شغل جديد، وتكوين 1270 متدرب بالتكوين. وقد خصص لهذا البرنامج غلاف مالي يقدر 194 مليون درهم؛

تكن إشكالية هذا المخطط في عدم استناده على تشخيص دقيق لمقومات الصناعة التقليدية، مع غياب استراتيجية واضحة وفعالة في التنمية الصناعية. فهذه الصناعة التقليدية لا تحتاج إلى تكوين فقط، بقدر ما تحتاج إلى وضع استراتيجية تهدف إلى تسهيل واستقطاب الاستثمارات في هذا المجال، مع المواكبة والتتبع وضمان تزويد الحرفيين والصناع التقليديين بالمواد الأولية اللازمة، خاصة في ظل تزايد الأسعار التي تعرفها هذه المواد، واحتكار واستحواذ بعض الشركات والمقاولات على القطاع.

بالتالي، غياب مقاربة ترايبية في بلورة استراتيجية تنموية في مجال الصناعة التقليدية، يجعل منه قطاعا يعرف عدة اختلالات وهشاشة اقتصادية. ولا يمكن تقوية الصناعة التقليدية دون تطوير مستوى الصناع التقليديين وتوفير الإمكانيات المادية والوسائل الضرورية، مع تمكينهم من المعارف اللازمة في هذا المجال سواء المهنية، التنظيمية، التشريعية والتسويقية وغيرها.

### 5. دعم المجتمع المدني بتجهيزات الصناعة التقليدية بالجبال بجهة بني ملال خنيفرة

يعد توفير الوسائل الضرورية إحدى الركائز المهمة، في وضع أرضية ملائمة لتطوير نشاط الصناعة التقليدية، ولدعم مختلف الصناع التقليديين وجعلهم قادرين على الإنتاج بالكمية الكافية، للاستجابة للطلب وتطويره وإعطائه الدينامية اللازمة، والرفع من المنتجات المطلوبة في الأسواق.

تم في هذا الصدد اقتناء مجموعة من المعدات، تم الخياطة والحياكة والطرز، لفائدة دور الصناعة سواء في إقليم أزيلال أو إقليم بني ملال؛ وكذلك لفائدة المدابغ التقليدية بإقليم خنيفرة. بالإضافة إلى تجهيز مجموعة من القاعات المخصصة للعروض ببعض الجماعات الترابية بإقليم أزيلال.

كما تم شراء أفران الغاز لطبخ الفخار، حيث استفادت من هذه التجهيزات كل من جماعة زاوية الشيخ وأغبالة بإقليم بني ملال، وجمعتين بالجماعة الترابية تغسالين بإقليم خنيفرة؛ إلى جانب توفير معدات للحماية والوقاية لفائدة حرفيي المدابغ والحدادة.

كل هذه الوسائل تدخل في إطار دعم وتوفير المعدات اللازمة، للصناع التقليديين بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الوسائل تعتبر ضعيفة وقليلة، مقارنة مع الموارد المتوفرة، ومقارنة مع المطلوب للحصول على صناعة تقليدية قوية وغنية، وذات إنتاج مهم وتتمتع بالجودة.

جدول رقم 3: بعض تجهيزات الصناعة التقليدية لفائدة المجتمع المدني بالجبال بجهة بني ملال خنيفرة

الأقاليم	شراء المعدات التقنية	شراء أفران الغاز لطبخ الفخار	شراء معدات الحماية
بني ملال	-النسيج، الخياطة والطرز، لصالح التعاونيات والجمعيات التي تشمل وتؤطر 5 وحدات لدور الصناعة.	1- شراء فرن واحد من أجل حرفي زاوية الشيخ 1- شراء فرن واحد من أجل حرفي أغباله	-شراء معدات الحماية لحرفي المدايع والحداة
أزيلال	-النسيج، الخياطة والحياكة لفائدة 6 وحدات لدور الصناعة، استافدت منها جماعة أفورار وايت شيكر وايت امحمد وبني عياد وايسكسي وايت بواولي -النسيج لفائدة جمعية الأصالة بواويزغت -النسيج، الخياطة والحياكة لفائدة تعاونية الأمل بجماعة تانفردة -النسيج، الخياطة والطرز لفائدة قرية الصناعة التقليدية بدمنات -تجهيزات للمعلومات لفائدة قرية الصناعة التقليدية بدمنات -تجهيز قاعتين للعرض لفائدة قرية الصناعة التقليدية بدمنات -تجهيز قاعدة للعرض لفائدة قرية الصناعة التقليدية بأزيلال -تجهيز قاعة للعرض لفائدة الجماعة الترابية بزو		
خنيفرة	-الدباغة التقليدية بخنيفرة	-لصالح جمعية تشنيوين بدوار العسري بالجماعة القروية تيغسالين (2016) -لصالح جمعية ادرادسديدين بدوار أغرادسديدين بالجماعة القروية تيغسالين (2017)	-لفائدة حرفي المدايع والحداة

المصدر: منو غرافية الصناعة التقليدية بجهة بني ملال خنيفرة 2020

#### خلاصة:

تحظى الجبال بإمكانات مهمة وغنى وثراء جد متنوع في خصائص الصناعة التقليدية، يمكن أن يكون رافعة حقيقية للتنمية الترابية بهذه المجالات الجغرافية، غير أن انعكاسات هذه الموارد لا تساهم في تحسين الوضعية المعيشية للسكان المحلية، نظرا لغياب مقاربة ترابية حقيقية، تجعل من العمل التنموي هما جماعيا لدى الفاعلين، بإشراك الساكنة التي تعتبر أداة التنمية الترابية وهدفها في نفس الآن.

إيجاد استراتيجيات ملائمة للمناطق الجبلية يظل مطلبا ملحا على كل الفاعلين، وبلورة التنمية الترابية من الأسفل يظل حلا ناجعا، في ظل محدودية التنمية المفروضة من الأعلى، وبالتالي الانطلاق من كل ما هو محلي، يظل ميكانيكيا حقيقيا للتنمية الترابية.

لا تحترم طرق إعداد هذا المخطط مبادئ المقاربة الترابية، التي تشرك كل الأطراف المعنية وفق مقاربة تشاركية؛ يتم من خلالها وضع تصور متكامل، يهدف إلى خلق التنمية الترابية المنشودة، اعتمادا على الموارد الغنية المتاحة التي تزخر بها الصناعة التقليدية بالجبال بجهة بني ملال خنيفرة.

#### لائحة المراجع المعتمدة

- البقضي محمد & الزهوني محمد.. 2012، التنمية الترابية القروية بالمناطق الجبلية الحاجيات والمنتظرات، أشغال المنتدى الثاني للتنمية والثقافة لإغزران، منشورات الجماعة القروية لإغزران رقم 2.
- البقضي محمد & الزهوني محمد.. 2014، السياحة الجبلية تهمين الموارد الترابية وتنوع مداخل التنمية، أشغال الدورة الرابعة لمنتدى التنمية والثقافة لإغزران، منشورات الجماعة القروية لإغزران رقم 4.
- البقضي محمد & الزهوني محمد.. 2015، المشروع الترابي أداة استراتيجية للتنمية المحلية حالة جماعة إغزران الجبلية، الطبعة الأولى، منشورات الجماعة القروية لإغزران رقم 5.
- المالكي موسى.. 2014، التنمية التشاركية للمناطق الجبلية: تهمين المنتوجات المحلية بحوض غبغاية بالأطلس الكبير الغربي، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، جامعة محمد الخامس أكاد.
- سيف النصر يونس & الصغير سعيد.. 2020، الإكراهات الطبيعية وإمكانية التنمية بالمناطق الجبلية حالة جهة بني ملال خنيفرة، مجلة الإنسان والمجال والتنمية، تنسيق الأنصاري إبراهيم، العدد الأول.

- Kotler Philip & Dubois Bernard., 2000, Marketing Management, 10 édition, Publi-Union, Paris.

-Sghir Said., 2020, la régionalisation avancée et le développement territorial au Maroc, laboratoire de recherche en management territorial, communication et modélisation, Faculté polydisciplinaire de Khouribga, Université Sultan Moulay Slimane, 1<sup>ère</sup> édition



## مجلة الدراسات الإفريقية وحموض النيل - العدد السادس عشر - يونيو 2022م



-Jebrati Fatima., 2004, La mobilisation territoriale des acteurs au développement local dans le Haut-Atlas de Marrakech, thèse de doctorat de Géographie, Université, Joseph Fourier, Grenoble 1, France.

- Jennan Lahsen., 1998, Le Moyen Atlas central et ses bordures : mutations récentes et dynamique de l'espace et de la société rurale, thèse de doctorat en Géographie, Université François Rabelais.

### وثائق إدارية

- ✓ مجلس جهة بني ملال خنيفرة.. 2019، التصميم الجهوي لإعداد التراب لجهة بني ملال خنيفرة.
- ✓ المديرية الجهوية للصناعة التقليدية.. 2019، منوغلر أافية الصناعة التقليدية لجهة بني ملال خنيفرة.

### Sites d'internet

- ✓ <https://rni.ma/> Consulté le 06/05/2020
- ✓ <https://mtaess.gov.ma/>



التراث المادي الأمازيغي في الأطلس المتوسط بالمغرب

قصبة تَفْرُدُسْتُ : دراسة أركيولوجية

Amazigh tangible heritage in the Middle Atlas of Morocco

Tafrdust kasbah: an archaeological study

د.بوفلجة عبد الرحمان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، الدار البيضاء. [abderrahman\\_00@hotmail.com](mailto:abderrahman_00@hotmail.com)

الملخص : تهدف هذه الورقة إلى إبراز أهمية الدراسات الأركيولوجية في تقديم قراءات موضوعية للتراث المادي الأمازيغي، وبلورة معارف جديدة حوله انطلاقاً من منشآت طالها النسيان لا سيما أنها شواهد قيمة على الماضي البعيد، من شأنها أن تقدم لنا إجابات واضحة لمجموعة من التساؤلات العالقة في أذهاننا حول فهم أسلافنا الأمازيغ. علاوة على هذا، يمكن لهذه الدراسة أن تستثمر في التعريف بالمنطقة سياحياً، ولما لا الحث على إعادة ترميم القصبة باعتبارها رمزا لتراث أمازيغي غابر في القدم.

الكلمات المفتاحية: تَفْرُدُسْتُ - الفن المعماري - الأطلس المتوسط - التراث المادي - الثقافة الأمازيغية .

**Abstract:** the purpose of this paper is to shed light on the importance of archaeological studies in providing objective readings for Amazigh tangible heritage, crystallizing new knowledge, based on long-forgotten buildings. Especially, when being a valuable evidence of the distant past. It would also provide us with clear answers about a set of questions to understand Amazigh ancestors. Furthermore, the study may be useful in introducing the region as a tourist destination as well as encouraging about restoring the Kasbah as a symbol of an old heritage belongs to *Imazighen*.

**Keywords:** Tafrdust – Architecture - Middle Atlas – Tangible heritage - Amazighe culture.

## مقدمة

يزخر المغرب في مختلف ربوع المملكة بكنوز تراثية مادية وغير مادية غابرة في القدم، تعكس خصوصية الجغرافية المحلية عبر مجموعة من الرموز. لعل فن البناء أبرز الأعمال اليدوية التي أبدع فيها الإنسان الأمازيغي عبر قرون من الزمن؛ شكل له رمزا للفخر ومرآة للهوية.

في الجنوب، تستوقفنا قلاع ترابية مهيبه كجهود عيان تنقل لنا رؤية بلورها الإنسان الأمازيغي بسوس للعالم المحيط به، بالطريقة نفسها تسلب أنظارنا في الريف والأطلس المتوسط منشآت حجرية تعكس أيضا أسلوب حياة وفكر إنسان أمازيغي أبدع بأنامله ليترك لنا بصمات مادية، وبحنجرته نظم تراثا غير مادي جعلنا نحن لماضيه الذي نتذوقه بطعم الحاضر ونتأمله ونحن نستشرف المستقبل.

تهدف الدراسة بشكل عام إلى نفذ الغبار عن هذه المنشآت الحجرية والإحاطة ما أمكن ذلك ببعض خصوصياتها وتقديم رؤية تلخص مختلف الجوانب المرتبطة بهذا النوع من التراث الأركيولوجي الأمازيغي المغربي .

### 1- تَفْرُدُسْتُ وأصل التسمية :

هناك فرضيتان مختلفتان وراء إطلاق تسمية "تَفْرُدُسْتُ" على هذا المكان :

الأولى: مفادها أن الاسم مقترض من اللغة العربية أي "الفردوس" وتم وضعه في قالب صرفي يتماشى وخصوصية اللغة الأمازيغية حيث الأسماء المؤنثة تبدأ بالتاء وتنتهي بالتاء "ت...ت" لنحصل على "تَفْرُدُسْتُ" ولعل المسجد الذي كان يتوسط المكان مخصصا لتعلم القرآن وتحفيظه يمكن أن يفند هذه الفرضية.

الثانية: أن الاسم مركب في الأصل من الفعل "فَرَزَ" (اختبئ) + الحرف و (في) + الاسم "تَدِسْتُ" (البطن). ما يركي هذه الفرضية ويرجحها هو إحدى الطقوس السائدة بين سكان المنطقة حيث يقومون بعد ذبح الخروف بتخزين شحمه داخل الكرش بعد عملية التنظيف، وتتم عملية التجفيف تحت أشعة الشمس، استعدادا لعملية الاستهلاك أثناء فصل الشتاء.

### 2- "تَفْرُدُسْتُ" من حيث الموقع:

تقع قصبة "تَفْرُدُسْتُ" عند سفح جبل "تَشْكُتْ" على جانب نهر "مُيْكَو"، شرق "بولمان" على مسافة 17 كم. تغطي مساحة هكتارين ، بارتفاع 1559 م على سطح البحر، بين خطي عرض 33.46 و 33.27 وخطي طول 4.65- و 4.39-.

إداريا: تحد بمنطقة صفرو شمالا، وبمدينة ميسور جنوبا، وبقرية سكورة شرقا، وبلدة بولمان غربا.

يقطن قصبة "تَفْرُدُسْتُ" " آيت كرايم" المنحدرين من "بِطُّ نُ علي" من "مِرامَة"؛ ويتقاسمها ثلاث فرق (fractions): "إِبْقَشُنْ"، "آيت لحسن"، "آيت قسو".

المكان عبارة عن مبنى حجري منحوت يعود تاريخه إلى نهاية القرن التاسع عشر، تم تشييده وفق طقوس العمل الجماعي التطوعي المعروف لدى إمازيغن ب "تَوَزْر" أو "تِيوز".



"تَفْرُدُسْتُ" : صورة عبر القمر الاصطناعي

### 3- مورفولوجية المكان:

تتميز قصبة "تَفْرُدُسْتُ" بشكل بيضاوي بانورامي ، تقع على قاعدة صخرية كما تبين الصورة أسفله ، يحيط بها نهر "كيكو" ، محمية بجدار حجري يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار ، وهو بمثابة الذرع الواقي ضد العدو الخارجي والداخلي . تتوفر القصبة على أدراج تؤدي من مصدر المياه إلى البوابات الثلاثة للقصبة الخاصة بكل فرقة.



قصبَة تَفْرُدُسْتْ (الصورة من النقاط الباحث)

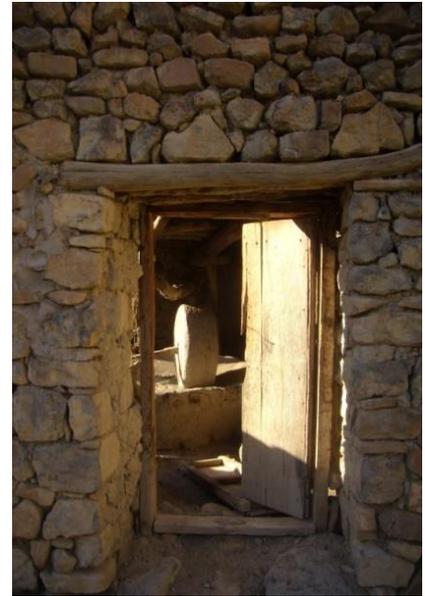
#### 4- "تَفْرُدُسْتْ" من حيث التنظيم المكاني :

يتضح أن عملية استغلال المساحة داخل المبنى تمت وفق معايير محددة، فنجد جزأين رئيسيين: جزء أدنى وجزء أعلى بحيث أن قاعدة الجزء السفلي أوسع من قاعدة الجزء العلوي، يفصل بينهما زقاق بمترين، بالإضافة إلى وجود مساحة مشتركة على هضبة صخرية، أسفل المسجد الذي كان يتوسط القصبَة .



الساحة المشتركة في الجزء العلوي للقصبة (الصورتان من النقاط الباحث)

كما توجد معصرتين تقليديتين "تسيرت" لطحن الزيتون موقعهما خارج جدران القصبة إحداهما على اليسار والأخرى على اليمين ، علاوة على مكان خاص ب "أْمْنِك" (صاحب الحدادة) يتموقع على مقربة من إحدى المداخل الثلاثة للقصبة شرقا، ثم فرن تقليدي "تِيْزْت" تعود ملكيته لكل الفرق القاطنة داخل القصبة. (انظر الصور أسفله)



مكونات المعصرة التقليدية لطحن الزيتون بعين المكان (الصور من التقاط الباحث)



الفرن التقليدي المشترك (الصور من التقاط الباحث)



المكان الخاص بالحدادة (الصور من التقاط الباحث)

##### 5- تَفْرُدُسْتُ من حيث التنظيم الداخلي

###### أ- المكونات الداخلية :

تم تشييد مختلف المباني التي تشكل كل جزء داخل القصبة وفقا لنفس النمط ونفس هندسة البناء ؛ على مقربة من عتبة المنزل تستوقفنا تلك البوابة المصنوعة عن طريق تجميع ألواح خشبية داخل إطار يتشكل من أربع أعمدة من الخشب الجيد المقاوم للماء والثلج في فصل الشتاء، وحرارة أشعة الشمس في فصل الصيف.  
بالداخل نجد مساحة مغطاة ودھليزا على اليسار يحتوي على نوافذ للضوء والتهوية، ثم فناء صغيرا يحيط بالغرف المختلفة للمنزل ، بالإضافة إلى مطبخ يحتوي على موقد في إحدى زواياه، والغرف الأخرى بشكل عام كانت كلها مؤهلة للسكن بينما

نلاحظ في بعض المنازل الأخرى داخل القصبة غرفة طويلة وضيقة وأكثر أريحية كانت مخصصة لاستقبال الضيوف . (انظر أسفله)



أحد المنازل الصامدة وفق المخطط الهندسي القديم  
(الصورة من التقاط الباحث)



باب خشبي لأحد المنازل بالقصبة  
(الصورة من التقاط الباحث)

(ب) على مستوى الديكور:

يعتبر المبنى بشكل عام إبداعا هائلا ، وجمالا خاصا يظهر على مستوى الجدران والمداخل الثلاثة للقصبة، وكذلك السلالم المصنوعة من أحجار مشكلة ومثبتة بتناسق هندسي. الشيء الذي يترجم قدرة الإنسان الأمازيغي على استيعاب الفضاء المحيط به عن طريق الفطنة وسرعة البديهة وحسن التصرف وقوة الاستنتاج والتحليل والتفكير بمنطق القدرة على كشف العلاقات الكامنة بين الأشياء ثم التأقلم مع البيئة مهما بلغت حرارة وبرودة طقسها، وشدة انحدار وارتفاع والتواء جغرافيتها.

(ج) المواد المستخدمة في البناء :

تتكون المواد المستخدمة في بناء "تْفُرْدُسْتُ" من الأحجار المأخوذة والمنتقاة بعناية من على سطح الأرض من مناطق قريبة والتي يتم نقلها وتشكيلها لتسهيل استخدامها، مع تقسيمها إلى طبقات لمنعها من التشقق تحت تأثير الضغط الذي يمارسه البناء العلوي بثقل هيكله، ولتثبيت الحجارة والتأكد من صلابتها، يتم استخدام الأتربة المدكوكة، وهي أيضا مادة مهمة للزخرفة الداخلية داخل كل منزل. بالنسبة للسقف فيُصنع بألواح من خشب الأرز مرتبة ترتيبا متناسقا ومغطاة بأغصان نبتة "أَلِل" (الدفلى Le laurier-rose).



الأحجار المستعملة خلال مرحلة البناء، والألواح الخشبية الخاصة بمرحلة السقف (الصورتان من التقاط الباحث)

خاتمة:

رغم بساطة المنشأة على مستوى المواد المستعملة في تشييدها وديكورها، ستظل منحوتة في سجل إبداعات الانسان الأمازيغي عبر التاريخ، تبرز لنا على مستوى البنية الاجتماعية لقاطنيها، تعكس العظمة الإبداعية التي تعود بالمصلحة على المجتمع. على سبيل المثال: الحماية من المخاطر والأطماع المختلفة وصدها نظرا لموقع القصبية الجغرافي والاستراتيجي؛ من هذا المنطلق يظهر لنا الشعور بالتماسك الاجتماعي والتضامن بين الأفراد الشيء الذي ميز الروح الأمازيغية منذ القدم.

لذلك فإن الحجر والخشب لا يمكن النظر إليهما على أنهما مجرد وسائل ومواد أساسية للبناء، لأن المبنى تتساقط أحجاره الواحدة تلو الأخرى مع مرور الوقت، لكن في ثناياه فسيفساء وذكريات تشهد على ملحمة شعب أمازيغي متراس ومبدع ترفع له القبعة ونحنى له تواضعا واحتراما.



## مجلة الدراسات الإفريقية ومحض النيد- العدد العاشر - ماي 2020م



ونظرا لأهمية قصة "تُفْرُسْتُ" من جهة ونظرا للقيمة العلمية للفحوصات والنتائج الأولية التي تحصلنا عليها فإننا ندعو الباحثين المهتمين بتغطية الموقع من مختلف الزوايا العلمية مما سيمكن من الحصول على معطيات أخرى مهمة ستساعد على فهم العديد من القضايا العلمية المتعلقة بقدوم الاستيطان البشري بالمنطقة وتطوره وطبيعة محيطه البيئي، كما سيمكن الموقع من إعطاء نفس جديدة للسياحة بالجهة ويساهم في التنمية المحلية وفك العزلة عن المنطقة.

### البيبليوغرافيا

- Laoust, E. *Mots et choses berbères*, publié à Paris, 1920.
- Roudalet, J. *Traité théorique et pratique de l'art de bâtir*; imprimerie de fain, Paris, 1928.
- Naji, S. *art et architectures berbères du Maroc*, imprimé en U.E, 2001.

الرواية الشفهية.



## Genre et éducation sexuelle dans le système éducatif marocain

## Gender and sexual education in educational system of Morocco

1. Zouhair GASSIM. Moulay Ismail University of Meknès. Maroc. [z.gassim@umi.ac.ma](mailto:z.gassim@umi.ac.ma)
2. Aicha BARKAOUI. Université Hassn II, FLSH-Ain Chock. Maroc. [aicha.barkaoui@gmail.com](mailto:aicha.barkaoui@gmail.com)

**Résumé :** Le système éducatif est un lieu de socialisation par excellence. Outre sa mission de transmission du savoir, il est l'un des lieux où se transmettent les normes et les valeurs relatives aux rapports sociaux entre les sexes.

Notre analyse du discours éducatif relatif à l'éducation sexuelle dans le système éducatif marocain a révélé que les représentations de la sexualité sont un enjeu de rapports sociaux de sexes. La continuité du discours différentialiste, la négligence des dimensions psycho-affectives et sociales de la sexualité, l'absence d'interactivité en classe et le passage sous silence des rapports de pouvoir entre les sexes sont, en effet, le reflet des représentations socioculturelles des places inégales des deux sexes qui pèsent encore sur l'imaginaire des concepteurs des manuels scolaires et des enseignant-e-s.

L'école reproduit donc les normes et valeurs historiques et ne participe pas à transformer la société et les mentalités. Les gens tendent à changer la société à travers une révolution silencieuse démographique et une sexualité émancipée.

**Mots clés :** éducation sexuelle, inégalité entre les sexes, système éducatif, Maroc

**Abstract :** The education system is the core of socialization. In addition to its mission of knowledge transmission, it is one of the places where norms and values related to gender are imparted. Our analysis of the discourse related to sexual education in the Moroccan educational system revealed that the representations of sexuality are an issue of the social relations between men and women. The continuity of the differencing discourse, the neglecting of the psycho-affective and social aspects of sexuality, the lack of interactivity in the classroom and the passage under silence of the power of gender relations are, in fact, the reflect of the sociocultural representations of the inequality between men and women which still weigh on the imagination of textbook designers and teachers. Therefore, the school reproduces historical norms and values and does not participate in transforming the society and the mindsets. People tend to change society through a silent demographic revolution and an emancipated sexuality.

**Keywords:** sexual education, gender inequality, education system, Morocco

## 1. Contexte et problématique

La société marocaine vit de profondes mutations au niveau des normes et pratiques en matière de sexualité. D'un côté, la société marocaine a reconfiguré la conception que l'on se faisait du corps des femmes en tant que corps destiné essentiellement à la fécondité. La baisse du taux de fécondité se poursuit, en passant de 6 à 2,15 enfants par femmes entre 1960 et 2020 (HCP, 2021).

La société marocaine s'est donc emparée d'une nouvelle norme en relation avec la sexualité, dans le sens de la reproduction (nombre réduit d'enfants), bien que cette norme soit considérée auparavant comme contradictoire avec le paradigme religieux du corps procréateur des femmes. Cela signifie que le discours qui met les femmes dans une situation de génitrice ou de « coffre à grossesses » n'est plus dominant.

D'un autre côté, si les moyens de contraception ont contribué à cette baisse du taux de fécondité, ils ont aussi renforcé l'implication des femmes en matière d'activité sexuelle et dans la décision de la grossesse monopolisée auparavant par les hommes, dans la mesure où 73% des femmes mariées les utilisent pour contrôler une éventuelle grossesse<sup>302</sup>.

Par ailleurs, avec l'avancement de l'âge du mariage, passant de 18 à 26 ans pour les femmes et de 24 à 31 ans pour les hommes (HCP, 2020), le Maroc connaît une augmentation marquante de l'activité sexuelle des adolescent-e-s et des jeunes des deux sexes (Guessous, 2013 ; Moataz et al., 2020), en dehors de la censure familiale et de l'institution du mariage (Boufraioua, 2017).

Et au sein de ces mutations, la mobilisation des femmes, de l'action des associations des droits humains et des associations féministes ainsi que l'inscription du Maroc dans l'universalité des droits humains ont contribué à l'adoption de plusieurs réformes juridiques et institutionnelles et à la mise en œuvre d'une politique de protection et de promotion des droits des femmes dans les domaines socio-économique et politique au Maroc. L'égalité entre les sexes est devenue donc une composante indispensable des politiques publiques, y compris la politique éducative.

---

<sup>302</sup> Ministère de la Santé au Maroc, Santé en chiffres 2019, édition 2019.



Tous ces indicateurs laissent penser que les frontières entre le masculin et le féminin sont en train de se déplacer et que les inégalités entre les sexes sont en train de se réduire. Toutefois, il s'est avéré que les pratiques inégalitaires et les représentations différentialistes qui hiérarchisent les corps des hommes et des femmes en matière de sexualité ont maintenu le statu quo. Les expériences sexuelles des hommes et des femmes restent encore asymétriques, et le corps féminin est encore sous tutelle.

Les statistiques enregistrent une augmentation marquante de la prévalence des violences sexuelles à l'encontre des filles/femmes entre 2009 et 2019 (HCP, 2020), quel que soit l'âge et l'état matrimonial (DGSN, 2020). Ceci s'ajoute à la continuité de la tolérance envers la sexualité des garçons/hommes contre l'intolérance envers celle des filles/femmes, au nombre croissant des mères célibataires (INSAF, 2019), des avortements clandestins (AMLAC, 2016), des mariages des mineurs (HCP, 2020) et les résistances envers la dépénalisation de l'avortement.

Si l'organisation inégalitaire des sexes est une question transversale qui engage plusieurs institutions et acteurs, il n'en demeure pas moins que le milieu éducatif reste l'une des institutions pouvant y jouer un rôle capital. L'école est un espace privilégié de socialisation, d'adoption des normes et de construction identitaire des enfants (Dubet, Duru-Bellat et Heriot-Von Zanter, 1991 ; Carra, 2009 ; Debarbieux, 2000 ; Schmith, 2003 ; Jourdan et Berger, 2002).

Aborder la problématique des inégalités fondées sur le genre dans et par le discours éducatif, implique nécessairement un questionnement sur plusieurs composantes du système éducatif : ses structures, ses acteurs et ses pratiques, car outre le savoir transmis dans et par les manuels scolaires, il existe également des enjeux liés à des mécanismes complexes, non-dits et invisibles au sein de l'école, comme les pratiques éducatives (les explications, le choix des méthodes, les supports mobilisés...) mais aussi les représentations des élèves puisqu'ils/elles ne sont pas seulement des élèves, ils/elles sont également impliqués dans d'autres espaces de socialisation.

Au sein de ce discours, nous avons choisi de travailler sur les enseignements relatifs à l'éducation sexuelle puisque, au-delà d'un savoir qui se transmet à l'école, la conception actuelle de l'éducation sexuelle est au cœur de l'éducation de la personne et du citoyen (WHO, 1997, 1999). Elle vise à doter les apprenant-e-s des valeurs, connaissances et compétences qui inculquent le respect des droits humains, la justice sociale, la diversité et l'égalité entre les sexes, ainsi qu'à permettre aux jeunes d'adopter des attitudes de responsabilité individuelle, familiale et sociale (Population Reference Bureau, 1996 ; UNESCO, ONUSIDA et, OMS, 2009). De ce fait, notre objectif n'est pas de décrire les différents enseignements relatifs à l'éducation sexuelle transmis dans et par le discours éducatif au Maroc. Il s'est agi surtout d'essayer de comprendre dans quelle mesure ce discours contribue-t-il à la (re)production des inégalités entre les sexes.

## 2. Méthodologie et corpus :

Nous avons opté pour une analyse à la fois quantitative et qualitative de notre corpus composé de discours éducatif relatif à l'éducation sexuelle transmis dans et par les manuels scolaires et les pratiques éducatives. Concernant les manuels scolaires, nous avons mobilisé vingt-et-un (21) manuels scolaires de cinq disciplines. Il s'est agi des disciplines considérées par le Ministère de l'Éducation Nationale, du Préscolaire et du Sport au Maroc comme porteuses de normes et valeurs relatives à l'éducation sexuelle, à savoir l'éducation islamique, l'éducation familiale (non généralisée), la langue arabe, la langue française et l'histoire géographique (Annexe).

Et pour les pratiques éducatives, nous avons mené une enquête de terrain auprès des enseignant-e-s concernées par ces enseignements. Beillerot (2003) distingue entre deux dimensions de la pratique éducative : l'une relative aux savoirs, aux significations, aux croyances et principes, et l'autre relative à l'exercice et l'application de ces savoirs et principes. Ainsi, nous avons distribué 306 questionnaires auprès des enseignant-e-s choisi-e-s aléatoirement, effectué 22 entretiens individuels approfondis avec eux/elles, et assisté à 7 séances d'éducation sexuelle en mobilisant l'observation participante.

La grille d'analyse que nous avons élaborée a abordé la majorité des thèmes relatifs aux différentes dimensions de la sexualité (UNESCO, 2009, p. 2), à savoir :

- la dimension biologique : reproduction, procréation, transmission de la vie, perpétuation de l'espèce, appareils reproducteurs, accouplement, pénétration, érection, éjaculation...

- la dimension préventive : moyens de contraception, préservatif, SIDA, MST...
- la dimension psychoaffective : adolescence, désir, masculinité, féminité, virilité, partage, estime de soi, sentiments...
- la dimension sociale : normes sociales, mariage, famille, promiscuité, amour, chasteté, prostitution, pornographie...

L'analyse des résultats nous a permis de dégager plusieurs résultats saillants dont les principaux sont : 1. Un discours différentialiste ; 2. Quasi-absence des dimensions psycho-affective et sociale ; et 3. L'absence de l'interactivité en classe.

### 3. Un discours différentialiste

L'analyse des résultats de notre terrain d'investigation a révélé que le discours éducatif relatif à l'éducation sexuelle transmis dans et par les manuels scolaires et les pratiques éducatives est sous-tendu par des représentations différentialistes.

D'un côté, dès les premières pages des manuels scolaires, force est de constater que seule la représentation du corps des garçons/hommes est présente dans maintes activités (figures 1, 2, 3, 4, 5, 6) au moment où ces enseignements concernent les deux sexes. Le corps des filles/femmes est ainsi invisibilisé.

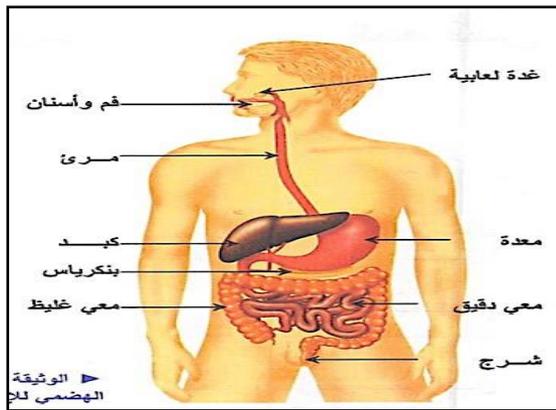


Figure 1 : Représentation, SVT3C, p. 13

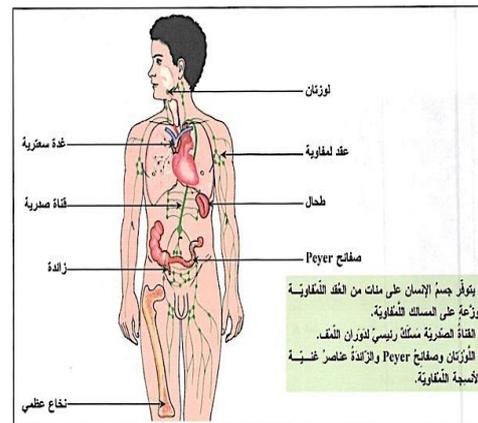
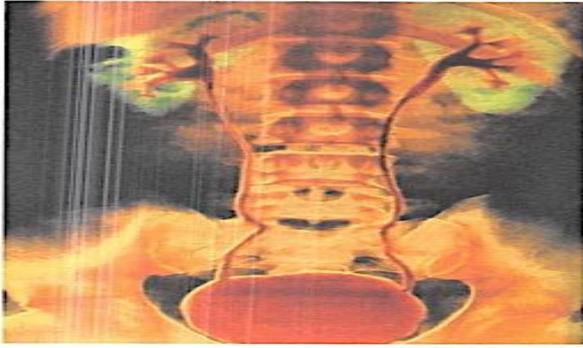


Figure 2 : Représentation du corps, SVT



الوثيقة 2 (i) : صورة بالأشعة السينية للجهاز البولي عند شخص بعد حقنه في وريد الساعد بمادة متخمة لثخنة X.

Figure 3 : Représentation de l'appareil urinaire, SVT3C, p. 42.

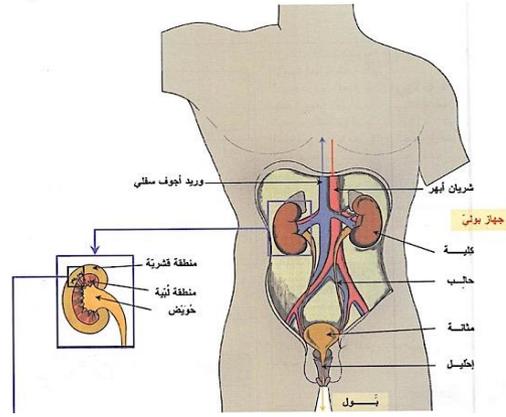


Figure 4 : Représentation de l'appareil urinaire, SVT3C, p. 47

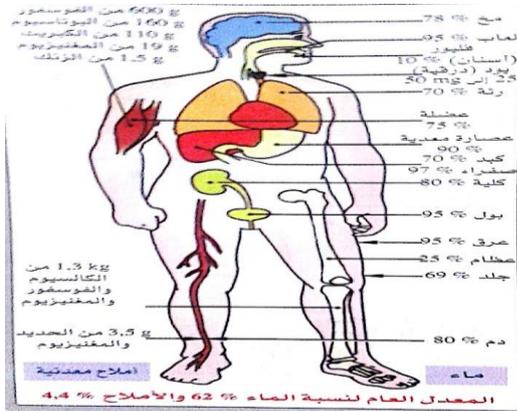
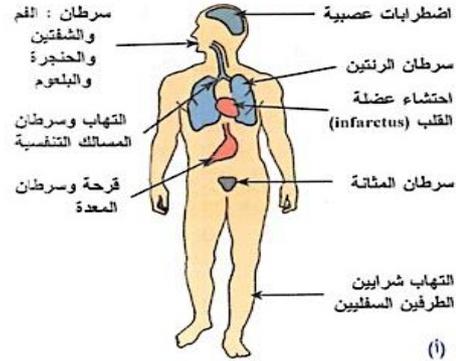


Figure 5 : Représentation relative au taux de l'eau et des sels minéraux dans les membres du corps, SVT1Q, p. 151



الوثيقة 4 : بعض أضرار التدخين (أ) وعواقبه (ب).

Figure 6 : Représentation relative aux dangers du tabagisme sur quelques membres du corps, SVT2C, p. 142

D'un autre côté, quand il s'agit des deux sexes, les activités relatives à l'éducation sexuelle sont réparties en deux mondes séparés (figure 7). Elles se réduisent ainsi aux enseignements des différences entre les sexes sur les plans anatomique, physiologique et socio-culturel, en matière de sexualité.

■ الفصل 1 : تنظيم وظيفة التوالد عند الإنسان

- الوحدة 1 : دور الخصية في إنتاج الأمشاج الذكورية وإفراز الهرمونات الجنسية
- الوحدة 2 : البنات المسؤولة عن إنتاج الأمشاج وإفراز الهرمونات عند الرجل
- الوحدة 3 : دور المبيض في إنتاج الأمشاج الأنثوية وإفراز الهرمونات بشكل دوري
- الوحدة 4 : البنات المسؤولة عن إنتاج الأمشاج الأنثوية : دورة المبيض
- الوحدة 5 : البنات المسؤولة عن الإفرازات الشهرية لهرمونات المبيض
- الوحدة 6 : العلاقات الوظيفية بين المبيض والرحم : دورة الرحم
- الوحدة 7 : دور الغدة النخامية والوطاء في تنظيم إفراز الهرمونات الجنسية عند الرجل
- الوحدة 8 : دور الغدة النخامية والوطاء في تنظيم إفراز الهرمونات الجنسية عند المرأة
- الوحدة 9 : دور هرمونات الخصية في تنظيم إفرازات الوطاء والنخامية
- الوحدة 10 : دور الهرمونات المبيضية في تنظيم إفرازات مركب الوطاء - النخامية

..... حماية الانجازات

Figure 7 : Sommaire, SVT1Q, p. 247

Le problème qui se pose, c'est que cette répartition n'est plus présentée seulement comme la description des caractéristiques du corps des hommes et celui des femmes chacun de son côté, mais elle se transforme en champ de comparaison entre les deux mondes. Cela veut dire qu'on passe des différences entre les corps à leur hiérarchisation, de la différence entre les sexualités masculine et féminine à leur catégorisation et de la différence entre les rôles sociaux à leur (dé)valorisation.

Ceci dit que si la différence est une loi biologique, le choix des mots et métaphores employés pour décrire ces différences ne peut, néanmoins, qu'illustrer les qualités spécifiquement associées au masculin et au féminin dans la société. Et donc, si l'enseignant-e n'est pas (ou ne voudrait pas être) engagé-e pour la promotion de l'égalité entre les sexes et ne prend pas la responsabilité d'explicitier la nature de cette différence, son discours sur la différence ira dans le sens de la catégorisation. Nous citerons quelques exemples de propos tenus dans les manuels scolaires et repris par les enseignant-e-s:

- ✓ le corps des garçons est plus grand que le corps des filles, et surtout à la phase de puberté, la phase de l'entrée dans la sexualité active. Cette différenciation pourrait être instrumentalisée pour légitimer la division sexuelle du travail, dans la mesure où l'homme est plus puissant que la femme, et donc, il peut faire des travaux que la femme ne peut pas faire.

- ✓ Les gamètes mâles sont « actifs », ce qui renvoie à la liberté dans l'espace, dans la mesure où ils se déplacent d'une manière autonome dès leur entrée dans le vagin, tandis que le gamète femelle est « inactif » et « attend » le plus puissant des spermatozoïdes qui va l'emporter après la « compétition ».
- ✓ La production des spermatozoïdes ne s'arrête plus à partir de la puberté, « mais » la production des ovules s'arrête à un certain âge. « C'est-à-dire que la vie sexuelle des hommes est plus longue que celle des femmes », commente une enseignante de SVT. Ainsi, la norme d'âge en matière de reproduction ne s'applique pas de la même manière pour les hommes qui n'y sont finalement pas soumis.
- ✓ À chaque période de règles, le corps féminin connaît des perturbations hormonales et psychologiques « affaiblissantes »
- ✓ La grossesse est une période de « faiblesse » du corps féminin.
- ✓ La réponse sexuelle chez la femme est plus complexe que celle des hommes.
- ✓ Les garçons sont menacés par l'atteinte d'une maladie, mais les filles sont menacées par la perte de la virginité et la mauvaise réputation. La phrase suivante est répandue : « L'hymen est la propriété de vos parents ».
- ✓ concernant les rôles de parentalité, « La mère doit prendre soin de son bébé, l'allaiter bien, garder sa propreté... », explique une enseignante d'ÉF, tout en négligeant totalement le rôle du père. Cela veut dire que le rôle du père s'arrête juste après la relation sexuelle en vue de la grossesse.

Ainsi, ce discours, qui s'empare d'un fait biologique et lui attribue (in)consciemment un ordre social par le biais du langage, se donne comme loi imposée pour organiser et ordonner les corps, confirmant ainsi le principe de la valence différentielle des sexes (Héritier, 1996). Le principe associé au féminin est toujours celui qui est dévalorisé (Bourdieu, 1980, 1998), ici le faible, le passif, l'involontaire, l'impur et le contrôlé contre le puissant, l'actif, le volontaire et le contrôleur.

Et puisque ce discours émane d'une institution dont le discours est considéré comme « vrai », et imposé par un rapport de pouvoir entre l'enseignant-e et l'élève, il pourrait se transformer en « système de pensée » qui forme des catégories de classement reflétant la manière d'ordonner l'ensemble des caractéristiques attribués aux corps.

#### 4. Quasi-absence des dimensions psycho-affective et sociale



Nous avons enregistré une (quasi)-absence de certains thèmes qui sont au cœur des dimensions psycho-affective et sociale de la sexualité, comme le développement psycho-affectif et sexuel de l'adolescent-e, les mécanismes du désir, les mécanismes du plaisir, la masturbation, la prostitution, la réponse sexuelle, les déviations sexuelles, l'avortement, l'industrie pornographique, la paternité, les Lois relatives à la sexualité... Pour ne citer que quelques exemples, le clitoris, seul organe du corps humain n'ayant aucune autre fonction que celle du plaisir, l'hymen, « membrane » recouvrant tout ou partie du vagin mais surtout un organe "social" sous-tendu par une forte charge idéologique, sont les grands oubliés dans les manuels scolaires. Il apparaît donc qu'une sélection s'opère entre les éléments anatomiques dont on parle, et ceux dont on ne parle pas. Cette sélection s'opère selon des critères bien sociaux, révélant une hiérarchisation des informations selon une échelle de valeurs.

Également, la question de la masturbation est totalement ignorée. Ce sujet est très souvent abordé par les élèves/adolescent-e-s. Ils/elles sont surtout inquiet-e-s en ce qui concerne la normalité de l'acte, sa fréquence, son innocuité et la différence réelle ou exprimée entre les garçons et les filles. En tant que pratique sexuelle non liée à la reproduction, la masturbation continue de présenter un tabou dans le discours éducatif relatif à l'éducation sexuelle. S'il est aujourd'hui socialement admis que les garçons se masturbent, cette pratique reste très controversée lorsqu'il s'agit des filles.

Par ailleurs, le rôle du père dans le processus de la reproduction se termine une fois que la grossesse est confirmée (figure 8). Cela veut dire que le rôle du père ne doit pas dépasser la production des spermatozoïdes dans la reproduction. Et même au niveau de l'allaitement, c'est une question qui incombe aux femmes.

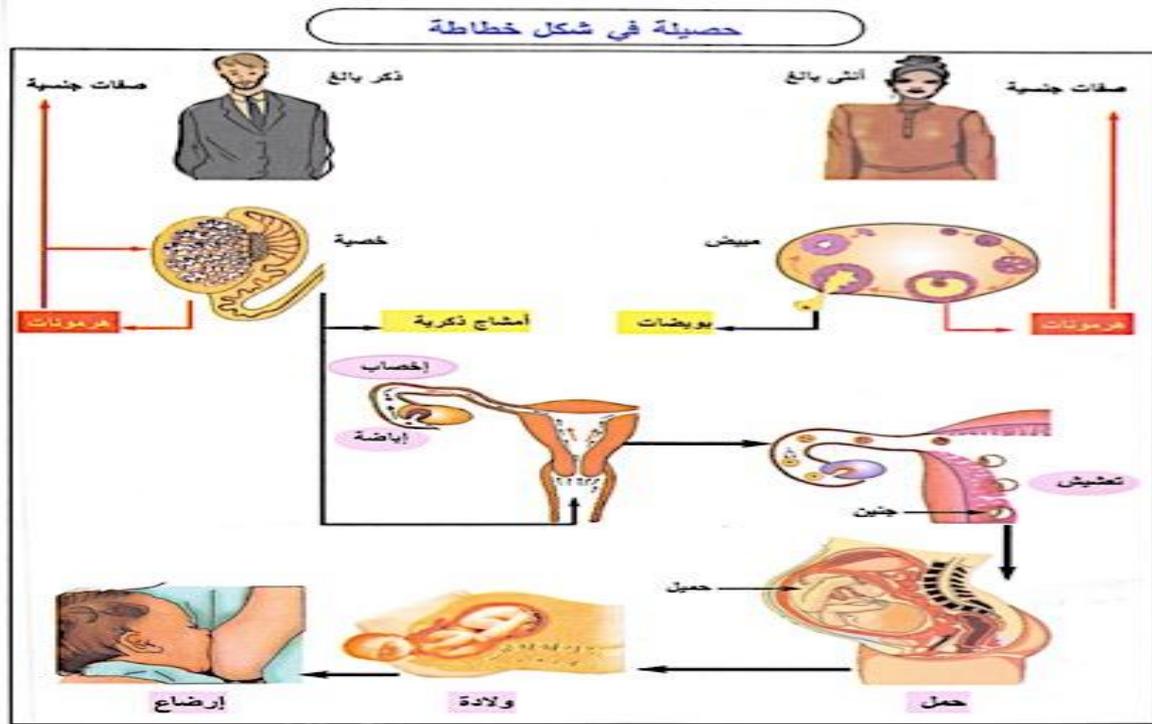


Figure 8 : Schéma résumant le rôle de l'homme et la femme dans la reproduction, SVT2C, p. 116

Quant aux enseignant-e-s, la totalité des questionné-e-s a exprimé son accord sur le rôle de l'éducation sexuelle dans l'acquisition des outils et moyens de faire des choix éclairés et responsables envers sa santé et celle des autres et qu'elle doit aborder les questions relatives à l'estime de soi, du développement psycho-affectif des filles et des garçons.

Toutefois, nous avons enregistré, lors des entretiens avec eux/elles, que seulement 23% des définitions obtenues contiennent la dimension psycho-affective, « l'éducation sexuelle doit fournir aux jeunes des connaissances fiables sur la sexualité ; renforcer leur capacité à prendre des décisions, leur permettre d'explorer et définir leurs propres valeurs et leur fournir un modèle sain de comportement sexuel», explique une enseignante de LF, et seulement 12% des définitions ont intégré la dimension sociale : « l'éducation sexuelle ne peut plus échapper aux normes et lois qui régissent les rapports sociaux dans la société », a confirmé une enseignante de LA et « le mariage est le seul cadre légitime de la sexualité » ajoute un enseignant d'ÉI.



En outre, la majorité des enseignant-e-s enquêté-e-s a exprimé des résistances concernant certains thèmes, comme le mécanisme du désir, l'orgasme, la prostitution et l'industrie pornographique. Ces thèmes, pour eux et elles, font partie du non-dit, « ce sont des questions 'tabous' que les enseignant-e-s ne peuvent plus aborder », déclare une enseignante d'ÉF.

De ce qui vient d'être évoqué, nous estimons que la marginalisation des dimensions psycho-affective et sociale de la sexualité laissent de côté les axes où se fabrique l'égalité entre les sexes, dans la mesure où :

- i. l'étude scientifique des mécanismes du désir et plaisir permet de montrer que les techniques du corps des hommes et des femmes dans la sexualité ne sont que le reflet d'un apprentissage des techniques de la masculinité et de la féminité, et qu'elles ne sont pas similaires aux techniques animales.
- ii. L'étude de la prostitution et de la pornographie permet de mettre en exergue la condition vulnérable des femmes et de dévoiler les différentes formes d'exploitation des corps des femmes et de domination causée essentiellement par les inégalités socioéconomiques et l'inégal accès aux ressources ;
- iii. L'étude des droits sexuels permet d'instaurer les notions de différence, d'égalité, du respect de l'autre, dans la mesure où ces droits, porteurs de valeurs définies dans le droit international, sont sous-tendus par une finalité démocratique relative aux modes de participation des citoyen-ne-s à la construction du "vivre ensemble" ;
- iv. L'introduction des activités liées à la paternité pourrait remettre en cause les stéréotypes relatifs au rôle du père qui s'arrête juste après la confirmation de la grossesse.

##### 5. Absence d'interactivité en classe :

Suite à notre présence aux séances dédiées aux activités relatives à l'éducation sexuelle, force est de constater que la classe est en état d'exception, et qu'il ne s'agit ni d'une séance normale ni d'un enseignement habituel. « Si tu lâches 'la sérieux' dans ces séances, les élèves se moqueront de toi par des questions très délicates. Ils demandent si la masturbation est permise ou non par la religion », souligne un enseignant d'ÉI.



Bien qu'il y a des enseignant-e-s qui se sont engagé-e-s pour la promotion de l'égalité entre les sexes, la non prise de conscience des articulations entre l'éducation sexuelle et l'égalité entre les sexes, ainsi que la difficulté de transmettre ces enseignements dans un pays arabo-musulman impactent la manière par laquelle ces enseignant-e-s transmettent ces activités.

En effet, ils/elles se trouvent obligé-e-s, soit d'essayer de transmettre ce qui est transcrit dans les manuels scolaires (qui lui aussi inégalitaire), soit ils/elles mobilisent des stratégies pour échapper à ces difficultés.

« Mais en tant qu'enseignant-e-s, nous n'avons malheureusement pas le temps dans notre programme d'aborder ces questions », explique un enseignant de SVT. Cela transforme ces séances en des séances transmissives, prescriptives, informatives où les élèves ne peuvent plus discuter et avoir des réponses à leurs questions et questionnements et surtout les élèves/adolescent-e-s qui considèrent les questions sexuelles comme prioritaires pour eux et elles dans cette tranche d'âge, « Il ne faut pas donner l'occasion aux élèves d'interagir dans ces thèmes, ils vont en abuser », m'explique une enseignante de SVT.

Le problème qui surgit, c'est qu'on transmet le savoir comme il est dans le manuel scolaire même s'il est scientifiquement faux ; à titre d'exemple : les enseignant-e-s, à la fois des SVT et de l'ÉI, ne cessent de répéter que parmi les causes du SIDA, il y a les relations sexuelles "illégitimes", ce qui est scientifiquement faux, et ne relève que de la morale.

L'égalité entre les sexes ne sera donc prise en considération que si elle est transcrite parmi les enseignements de ces activités. Et puisque ce n'est pas le cas (GASSIM, 2020), l'égalité entre les sexes est loin d'être prise en considération par les enseignant-e-s.

En somme, en l'absence d'interactivité dans ces séances, nous privons les élèves/adolescent-e-s non seulement de réponses à leurs questionnements, mais aussi d'outils leur permettant de vaincre les distorsions cognitives qui les emprisonnent dans des conduites discriminantes et des comportements sexistes, voire violents.

## Conclusion

Les représentations de l'éducation sexuelle dans les manuels scolaires et les pratiques éducatives présentent un enjeu majeur dans la fabrique de l'organisation inégale des citoyen-ne-s.



La continuité du discours différentialiste, la négligence des dimensions psycho-affectives et sociales de la sexualité, l'absence d'interactivité en classe et le passage sous silence des rapports de pouvoir entre les sexes sont, en effet, le reflet des représentations socioculturelles des places inégales des deux sexes qui pèsent encore sur l'imaginaire des concepteurs des manuels scolaires et des enseignant-e-s.

L'école reproduit donc les normes et valeurs historiques et ne participe pas à transformer la société et les mentalités. Les gens tendent à changer la société à travers une révolution silencieuse démographique et une sexualité émancipée, mais le système éducatif marocain refuse de reconnaître cette évolution et l'émergence d'une nouvelle conscience.

### **Bibliographie sélective :**

- Berger, D., Jourdan, D. (2008). Éducation à la santé et prévention des conduites addictives. *Quelles formations en IUFM?* Toulouse : Presses universitaires du Sud.
- Bourquia, R. (1996). *Femmes et fécondité*, Casablanca, Afrique-Orient.
- Bozon, M. (1999). « Les significations sociales des actes sexuels » *Index in PERSEE. PERSEE*, 128,1, 3-23 [En ligne]. [http://www.persee.fr/doc/arss\\_0335-5322\\_1999\\_num\\_128\\_1\\_3288](http://www.persee.fr/doc/arss_0335-5322_1999_num_128_1_3288) (29/01/2015).
- Bozon, M. (2009). *Sociologie de la sexualité*. Paris: Armand Colin, collection sociologie 128, (1ère édition, 2002).
- Bozon, M., Leridon, H. (1993). « Les constructions sociales de la sexualité ». *Population (French Edition)*, 48e Année, No. 5, Sexualité et sciences sociales : Les apports d'une enquête (Sep. - Oct., 1993), pp. 1173-1195.
- Brenot, P. (2007). *L'éducation à la sexualité*. Paris : PUF, coll. « Que sais-je ? » n°3079, (1996), 128 pages
- Chebel, M. (2002). « Sexualité, pouvoir et problématique du sujet en islam ». *CONFLUENCES Méditerranée*- N° 41.
- Clair, I. (2012). *Sociologie du genre*. Paris : Armand Colin, coll. « 128 », 128 pages.
- De Luca Barrusse, V. (2010). « Le genre de l'éducation à la sexualité des jeunes gens (1900-1940) ». *Cahiers du Genre*, pp 155-182.
- Detrez, C. (2002). *La construction sociale du corps*. Paris : Éditions du Seuil.
- Dévielhé, É. (2013). Représentations du genre et des sexualités dans les méthodes d'éducation à la sexualité élaborées en France et en Suède. Thèse de Doctorat en Sociologie, Université de Caen-Basse Normandie, France.
- Dialmy, A. (1988). *Sexualité et Discours au Maroc*. Casablanca : Afrique Orient.
- Dialmy, A. (1998). « Politiques de l'éducation sexuelle au Maroc ». In *Santé de reproduction au Maroc : facteurs démographiques et socioculturels*, Ministère de la Prévision Economique et du Plan, Centre d'Études et de Recherches Démographiques, Rabat. p. 197-241.
- Dialmy, A. (2015). *La Transition sexuelle au Maroc (en arabe)*. Editions Dar Al Amané, Rabat, 249 pages.

Foucault, M. (1976). *Histoire de la sexualité 1. La volonté de savoir*. Paris : Gallimard.

Gagnon, J. (2008). *Les scripts de la sexualité. Essais sur les origines culturelles du désir*. Payot. EAN : 9782228902977

Gassim, Z. (2020). « L'éducation sexuelle et les inégalités fondées sur le genre dans les manuels scolaires marocains ». *La Revue française d'éducation comparée* n° 19. 2020. In [https://www.editions-harmattan.fr/index.asp?nav=catalogue&obj=numero&no\\_revue=926&no=65902](https://www.editions-harmattan.fr/index.asp?nav=catalogue&obj=numero&no_revue=926&no=65902). ISBN : 978-2-343-20178-8

Guessous, N. (2013). « Devenir « bioéthicien(ne) » ? », in *Journal International de Bioéthique*, vol. 24, no. 2-3, pp. 43-52.

Miegea, Y., Rouyer, V. (2012). « Genre et socialisation de l'enfant : pour une approche plurifactorielle de la construction de l'identité sexuée ». En ligne <http://dx.doi.org/10.1016/j.psfr.2012.12.001>

Poutrain, V. (2014). « L'évolution de l'éducation à la sexualité dans les établissements scolaires ». *Éducation et socialisation*. En ligne <http://edso.revues.org/951> ; DOI : 10.4000/edso.951.

### Annexe : liste des manuels scolaires contenant les leçons d'éducation sexuelle au Maroc

Nom du manuel scolaire (En arabe)	Nom du manuel scolaire (En français)	Code	Date d'édition	Nbr. d'auteurs	Nbr. de pages	Nombre de
في رحاب التربية الإسلامية منهل النشاط العلمي	Education Islamique, 1ère année Qualifiant	EI1Q	2016	4	144	12
في رحاب التربية الإسلامية	Activités scientifique, 5ème année Primaire	SVT5P	2004	6	96	6
إحياء التربية الإسلامية	Education Islamique, 2ème année Qualifiant	EI2Q	2017	5	97	4
المنير في التربية الإسلامية	Education Islamique, 2ème année du collège	EI2C	2017	7	128	12
الممتاز في التربية الإسلامية	Education Islamique, 6ème année Primaire	EI6P	2017	5	96	5
في رحاب التربية الإسلامية	Education Islamique, 2ème année Primaire	EI2P	2017	7	88	2
فضاء التربية الإسلامية	Education Islamique, 5ème année Primaire	EI5P	2016	11	80	3
في رحاب التربية الأسرية	Education Islamique, 1ère année du Collège	EI1C	2016	3	127	7
منار الاجتماعيات	Education Familiale, 2ème année du Collège	ÉF2C	2004	7	96	17
في رحاب التربية الإسلامية	Histoire-Géographie, 2ème année du Collège	HG2C	2004	7	298	1
في رحاب التربية الإسلامية	Education Islamique, 1ère année Qualifiant	EI1Q*	2006	6	144	1
في رحاب التربية الإسلامية	Education Islamique, 2ème année Qualifiant	EI2Q*	2007	4	160	5
إحياء التربية الإسلامية	Education Islamique, 2ème année du Collège	EI2C*	2009	6	127	2
المنير في التربية الإسلامية	Education Islamique, 6ème année Primaire	EI6P*	2005	5	104	2
في رحاب التربية الإسلامية	Education Islamique, 2ème année Primaire	EI2P*	2016	13	96	1
في رحاب علوم الحياة و الأرض	Sciences de la Vie et de la Terre, 2ème année Qualifiant	SVT2Q	2007	8	304	22
الجديد في علوم الحياة و الأرض	Sciences de la Vie et de la Terre, 1ère année Qualifiant	SVT1Q	2006	5	248	26
الأساسي في اللغة العربية	Langue arabe, 3ème année du collège	LA3C	2013	6	223	1
الواضح في علوم الحياة والأرض	Sciences de la Vie et de la Terre, 3ème année du collège	SVT3C	2011	4	155	10
المفيد في علوم الحياة والأرض	Sciences de la Vie et de la Terre, 2ème année du collège	SVT2C	2013	8	144	15
Parcours	Langue Française, 3ème année du collège	LF3C	2014	3	192	1



مجلة الدراسات الإفريقية وحموض النيل - العدد السادس عشر - يونيو 2022 م

